بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف[1] [2]

مقصودها[3] وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجرا عن الشريك[4] الذى[4] هو خلاف ما قام عليه [الدليل -[5]] فى "سبحن" من أنه لا وكيل دونه، و لا إله إلا هو، و قاصًا بالحق أخبار قوم قد فضلوا فى أزمانهم ٥ وفق ما وقع الخبر به فى "سبحن" من أنه يفضل من يشاء، و يفعل ما يشاء، و أدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، و كان

---

(١) زيد قبله فى ظ : «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر يا كريم، قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الحبر البحر الفهامة المحقق المدقق الرحلة الحافظ الأوحد الأمة برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين أبو الحسن إبراهيم البقاعى الشافعى لطف الله تعالى به فى الدارين و حشره فى زمرة المصطفى جد الحسن و الحسين، و نفعنا بعلومه آمين»؛ و أما نسخة م فتنقطع من هنا إلى نهاية سورة النمل (٢) الثامنة عشرة من سور القرآن، و هى مكية كلها فى المشهور، و هى مائة و إحدى عشرة آية عند البصريين، ومائة و عشرة عند الكوفيين، و مائة و ست عند الشاميين، و مائة و خمس عند الحجازيين - كما فى روح المعانى ٥/٣ (٣) زيد فى الأصل : بما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ ومد، و فى الأصل : بالذى (٥) زيد من ظ و مد .

أمرهم موجبا - بعد طول رقادهم - للتوحيد و إبطال الشرك ﴿بسم الله﴾ الذى لا كفوء له و لا شريك ﴿الرحمن﴾ الذى أقام عباده على أوضح الطرق بقيم الكتاب ﴿الرحيم ه﴾ بتفضيل من اختصه[1] بالصواب .

لما ختمت تلك بأمر الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم بالحمد ٥ عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك ، بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التى منها البراءة عن كل نقص ، منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا[2] الوجه الأحكم[3] بهذا الكتاب[4] القيم الذى خضعت لجلاله[5] العلماء الأقدمون ، و عجز عن معارضته الأولون و الآخرون ، الذى هو الدليل على ما ختمت ١٠ به تلك من العظمة و الكمال ، و التنزه و الجلال ، فقال [6] ملقنا لعباده حمده ، معلما لهم كيف يثنون عليه ، مفقها لهم فى اختلاف العبارات باختلاف المقامات[6] : ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة / بصفات الكمال ﴿لله﴾ أى المستحق لذلك لذاته . /٣٤٨

و لما أخبر باستحقاقه ذلك لذاته ، أخبر بأنه يستحقه أيضا لصفاته ١٥ و أفعاله ، فقال تعالى : ﴿الذى﴾ [7]و لما كان المراد وصف جملة الكتاب

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اختص (٢) سقط من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لاحكم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الدين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجلالة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « دون التنزيل فقال » متأخرة فى الأصل و ظ عن « سورة البقرة فقال » و الترتيب من مد .

بالإعجاز[1] من غير نظر إلى التفريق و التدريج ، عبر[2] بالإنزال دون التنزيل فقال: ﴿ انزل ﴾ و عدل عن الخطاب بأن يقول: عليك ، كما يقول: فلعلك باخع نفسك ، كما فى ذلك من الوصف بالعبودية و الإضافة إليه سبحانه من الإعلام بتشريفه صلى الله عليه و على آله و سلم و التنبيه على علة[3] تخصيصه بالإنزال عليه كما تقدم فى سورة البقرة ، فقال - مقدما له على المنزل لأن المراد ٥ الدلالة على صحة رسالته بما لا يحتاج[4] فيه قريش إلى سؤال اليهود و لا غيرهم من تخصيصه بما لا يقدر عليه غيره - : ﴿ على عبده ﴾ و إشارة إلى أنه الذى أسرى به إلى حضرات مجده ليريه من آياته ﴿ الكتب ﴾ الجامع لمعانى الكتب المشار إليه فى آخر التى قبلها بما أشير إليه من العظمة كما آتى موسى التوراة الآمرة بالعدل فى الأحكام ، و داود الزبور ١٠ الحادى إلى[5] الزهد و الإحسان ، على ما أشير إليه فى[6] "سبحن" .

و لما كان الجامع لا يخلو من عوج أو قابلية له إلا أن كان من علام الغيوب . نفى القابلية و الإمكان دلالة على أنه من عنده لينتفى [العوج -[7]] بطريق الأولى فقال تعالى : ﴿ و لم ﴾ [8]أى و الحال[8] [أنه لم -[7]] ﴿ يجعل له ﴾ و لم يقل: فيه ﴿ عوجا ﴾ أى شيئا من عوج ، [9]أى ١٥ بل هو مستقيم فى جميع معانيه من غير اختلاف أصلا ، هاد إلى كل

(١) زيد فى الأصل و ظ : فلم يكن ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .
(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليه (٣) سقط من ظ (٤) فى مد : لا تحتاج .
(٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : على (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : من .
(٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « الأعيان » ساقطة من ظ .

صواب ، لأن العوج - بالكسر : فقد الاستقامة فى المعانى ، و بالفتح فى[1] الأعيان ، و أتبعه [2]حالا أخرى له بقوله تعالى[2] : ﴿ قيما ﴾ تصريحا باللازم [3]تأكيدا له[3] ، و مقيدا أنه مهيمن على ما قبله من الكتب [3]مقيم لغيره[3] ، و قد مضى فى الفاتحة ثم فى الأنعام عن الإمام سعد الدين

٥ التفتازانى الشافعى رحمه الله أن كل سورة افتتحت [بالحمد - [4]] فللاشارة إلى نعمة من أمهات النعم التى هى[5] إيجاد و إبقاء أولا ، و إيجاد و إبقاء ثانيا ، و أنه أشير فى الفاتحة لكونها أم الكتاب[6] إلى الأربع ، و فى الأنعام إلى الإيجاد الأول [3]و هو ظاهر ، و فى هذه السورة إلى الإبقاء الأول[3] ، فان نظام العالم و بقاء النوع الإنسانى يكون بالنبى و الكتاب -

١٠ انتهى . و يؤيده أنه فى هذه السورة ذكر أنه انتظم بأهل الكهف أمر من اطلع عليهم من أهل زمانهم ثم بالخضر عليه السلام كثير من الأحوال ، ثم بذى القرنين أمر جميع أهل الأرض بما يسر له من الأسباب التى منها السد الذى بيننا و بين ياجوج و ماجوج الذين يكون بهم - إذا أخرجهم الله تعالى - فساد الأرض كلها ، ثم ذكر فى التى تليها

١٥ من أهل وده و اصطفائه من اتبعهم لنظام العالم بما وفقهم له من طاعته ، و بصرهم به من معرفته ، و استمر كذلك فى أكثر السور حتى ذكر السورة التى أشار فيها إلى الإيجاد الثانى ، و اتبعها بالتى أشار فيها إلى الإبقاء الثانى . و لما كان إبقاء الأول يقتضى مهلة لبلوغ حد التكليف[7] [و إجراء القلم - [4]]

---

(١) من مد ، و فى الأصل : من (٢-٢) فى ظ : بصلة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى مد : من (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرآن (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التمييز .

ثم مهلة أخرى يكون فيها العمل و الاستعداد لما لأجله كان هذا[1] الوجود من العرض على الرحمن، للجزاء بالإساءة أو[2] الإحسان، و مهلة أخرى يحبس فيها السابق من الخلائق إلى ورود مشرع الموت لانتظار اللاحق، إلى بلوغ ما ضرب سبحانه من الآجال، لأزمان الإمهال، و قيام الناس أجمعين، لرب العالمين، و هو البرزخ، و كان ما قبل التكليف شبيهًا بالعدم إلا في ٥ تعلم / الكتاب و التوحيد و الاجتماع على أهل الدين، و الوفاء بما تقدموا /٣٤٩ فيه بالعهد [من الأحكام -[3]]، و دربوا عليه من الحلال و الحرام، أشير إليه بما بين الفاتحة و الأنعام التي هي سورة الإيجاد الأول من السور الأربع، و كأن سن[4] الاحتلام كان أول الإيجاد من الإعدام، و أشير إلى بقية العمر - و هو زمان التكليف - بما بين الأنعام و هذه السورة من السور التي ذكر ١٠ فيها مصارع الأولين و أخبار الماضين تحذيرا من مثل أحوالهم، لمن نسج على منوالهم، [5]و ختمت بالتحميد مقترنا بالتوحيد [إشارة -[6]] إلى أنه يجب الاجتهاد في أن يختم الأجل في أعلى ما يكون من خصال [الدين -[6]].

و أشير إلى مهلة البرزخ بما بين هذه و سورة الإيجاد الثاني من السور التي ذكر في غالبها مثل ذلك، و أكثر فيها [كلها من -[3]] ذكر الموت ١٥ و ما بعده من البرزخ الذي يكون لانقطاع [العلائق -[3]] باجتماع الخلائق، لأجل التجلي في رد العظمة، و الكشف البليغ عن نفوذ الكلمة.

(١) من ظ و مد، و في الأصل: هنا (٢) من ظ و مد، و في الأصل «و».
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: بين (٥) العبارة من هنا إلى «من خصال الدين» ساقطة من ظ (٦) زيد من مد.

و التحلي بالحكم باستقرار الفريقين في دار النعيم أو غار[1] الجحيم، وأكثر
فيما بين هذه و بين سبأ من أمر البعث كثرة ليست فيما مضى حتى صدع
بعضها به، و بناها عليه كسورتي الأنبياء "اقترب للناس حسابهم" و الحج
" ان[2] زلزلة الساعة شيء عظيم" و لما [لم - [3]] يمكن بين البعث و ما
٥ بعده مهلة لشيء من ذلك، عقب سورة الإيجاد الثاني بسورة الإبقاء الثاني
من غير فاصل و لا حاجز و لا حائل - و الله أعلم.

و لما وصف الكتاب بما له من العظمة في[4] جميع ما مضى من أوصافه
من الحكمة و الإحكام، و التفصيل و البيان، و الحقية، و الإخراج من
الظلمات إلى النور، و الجمع لكل معنى و التبيان لكل شيء، أتبعه ذكر
١٠ فائدته [5]مقدما ما هو الأهم من درء المفسدة بالإنذار، لأنه مقامه كما هو
ظاهر من "سبحن"[5] فقال: ﴿لينذر﴾ [6]و قصره على[7] المفعول الأول ليعم
كل من يصح قبوله الإنذار و لو تقديرا، و ليفيد أن الغرض بيان المنذر
به لا المنذر ﴿ باسا شديدا ﴾ كائنا ﴿ من لدنه ﴾ [6]أي أغرب ما عنده
من الخوارق بما في هذا الكتاب من الإعجاز[6] لمن خالف أمره من
١٥ عذاب الدنيا و الآخرة كوقعة[8] بدر و غيرها [9] المفيد لإدخال الإسلام[10]

(١) من ظ و مد. و في الأصل: دار (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم، و في الأصل: اى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: من. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «لا المنذر» ساقطة من ظ (٧) في مد: عن (٨) من ظ و مد، و في الأصل: لوقعة (٩) العبارة من هنا إلى «من الضعف» ساقطة من ظ (١٠) من مد، و في الأصل: من سلام؛ عليهم

عليهم و هم كارهون ، بعد ما كانوا فيه من القوة و هو من الضعف ﴿ و يبشر المؤمنين ﴾ أي الراسخين في هذا الوصف ﴿ الذين يعملون الصلحت ﴾ و هو[1] ما أمر به خالصا [له - [2]] ، [3]و ذلك من[4] أسنان مفتاح الإيمان ﴿ ان لهم ﴾ أي من حيث هم عاملون ﴿ اجرا حسنا ﴾ و هو النعيم ، حال كونهم ﴿ ماكثين فيه ابدا ﴾ بلا انقطاع أصلا ، [5]فان الأبد زمان و لا آخر له[5] ، فجمعت هاتان العلتان جميع معانی الكتاب[6] فانه لا يكون كذلك إلا و قد جمع أيضا جميع شرائع الدين و أمر المعاش [و أمر المعاد - [7]] و ما يعنيهم فعله أو تركه أو اعتقاده ، و ما يتبع ذلك ، [8]و ذلك[8] هو القيم ، أي المستقيم في نفسه ، المقيم لغيره .

و لما[9] كان الغالب على[10] الإنسان المخالفة للاوامر ، لما جبل عليه من النقائص ، كان [11]الانذار فأمر أعاده[11] [12]لذلك و[12] لأن المقام له كما مضى ، ذاكرا فيه بعض المتعلق[13] المحذوف من الآية التي قبلها ، تبكيتا لليهود المضلين لهؤلاء العرب و لمن قال بمقالتهم فقال تعالى : ﴿ و ينذر ﴾

---

(١) في ظ : هي (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى «مفتاح الإيمان» ساقطة من ظ (٤) سقط من مد (٥ - ٥) ما بين الرقمين متقدم في مد على «و يبشر المؤمنين» (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الكتب (٧) زيد من ظ و مد . (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) من ظ و مد . و في الأصل : ما (١٠) من ظ و مد ؛ و في الأصل: غسل (١١-١١) من ظ و مد ، و في الأصل : لانذارهم و اعادة (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد ، و تستمر سقطة ظ إلى «كما مضى» (١٣) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

[1]واكتصر هنا على المفعول الأول ليذهب[2] الفكر في الثاني - الذي عبرعما يحتمل تقديره [به -][3] فيما معنى به «ولدنه» - كل مذهب فيكون أهول ﴿ الذين قالوا اتخذ الله ﴾ [4]أي تكلف ذو العظمة التي لا تضاهى كما يتكلف غيره أن أخذ[4] ﴿ ولدا ﴾ وهم بعض اليهود / والنصارى

/٣٥٠

٥ والعرب ؛ [5]قال الأصبهاني : وعادة القرآن [جارية -][3] بأنه إذا ذكر قصة كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كون ذلك البعض أعظم جزئيات ذلك الكل ، ولم أجعل الآية من الاحتباك لنقص المعنى . ثم استأنف معللا في جواب[6] من كأنه قال : ما لهم خصوا بهذا الوعيد الشديد ؟ فقال تعالى : ﴿ ما لهم به ﴾ [4]أي القول[4] ﴿ من علم ﴾ أصلا[7]

١٠ لأنه مما لا[8] يمكن أن يتعلق العلم به لأنه لا وجود له ولا يمكن وجوده ؛ ثم قرر هذا المعنى وأكد بقوله تعالى : ﴿ ولا لآبائهم ﴾ الذين هم مغتبطون بتقليدهم [4]في الدين حتى في هذا الذي لا يتخيله عاقل ، ولو أخطأوا في تصرف دنيوي لم يتبعوهم فيه[4] ، تنبيها على أنه لا يحل لأحد أن يقول على الله تعالى ما لا علم له به ، ولا سيما في أصول الدين ؛

١٥ ثم هول أمر ذلك بقوله تعالى : ﴿ كبرت ﴾[4] أي مقالتهم هذه[4] ﴿ كلمة ﴾

---

(١) العبارة من هنا إلى «فيكون أهول» ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفي الأصل : ليذكر (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) العبارة من هنا إلى «لنقص المعنى» ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل وظ : جوابه (٧) العبارة من هنا إلى «وأكد بقوله تعالى» ساقطة من ظ .
(٨) من مد ، وفي الأصل : لم .

أي ما أكبرها من كلمة! [1]وصوّر فظاعة اجترائهم على النطق بها بقوله تعالى[1]: ﴿تخرج من افواههم﴾ أي لم يكفهم خطورها في نفوسهم، وترددها في صدورهم، حتى تلفظوا بها، [1]وكان تلفظهم بها على وجه التكرير - بما أشار إليه التعبير بالمضارع[1]؛ ثم بين [2]ما أفهمه[3] الكلام من أنه كما أنهم لا علم لهم بذلك لا علم لأحد به أصلا، لأنه لا وجود له فقال ٥ تعالى: ﴿ان﴾ [أي ما - [4]] ﴿يقولون الا كذبا ۝﴾ أي قولا لا حقيقة له بوجه من الوجوه.

وقال ابن الزبير في برهانه: من الثابت المشهور أن قريشا بعثوا إلى يهود بالمدينة يسألونهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأجابت يهود بسؤاله عن ثلاثة أشياء، [قالوا - [5]]: فان أجابكم[6] ١٠ فهو نبي، وإن عجز فالرجل متقول[7] فروا فيه رأيكم، وهي الروح، وفتية ذهبوا[8] في الدهر الأول وهم أهل الكهف، وعن[9] رجل طواف[10] [بلغ - [5]] مشارق الأرض ومغاربها. فأنزل الله عليه جواب ما سألوه، وبعضه في سورة الإسراء "ويسئلونك عن الروح[11]" - الآية، واستفتح سبحانه وتعالى سورة الكهف بحمده، وذكر نعمة الكتاب ١٥

(١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « الكلام من » ساقطة من ظ (٣) من مد، وفي الأصل: الهم (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ ومد. (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: جاء بذلك (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: متبول (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: من (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: طاف (١١) زيد في ظ: قل الروح من امر ربي.

و ما أنزل بقريش و كفار العرب من البأس يوم بدر و عام الفتح ، و بشارة المؤمنين [بذلك - [١]] و ما منحهم الله تعالى من النعيم الدائم ، و إنذار القائلين بالولد من النصارى و عظيم مرتكبهم و شناعة قولهم " ان يقولون الا كذبا " و تسلية نبي الله صلى الله عليه و على آله و سلم
٥ فى أمر جميعهم " فلعلك باخع نفسك " - الآية ، و التحمت الآى أعظم التحام ، و أحسن التئام ، إلى ذكر ما سأل عنه الكفار من أمر الفتية " ام حسبت ان اصحٰب الكهف و الرقيم كانوا من اٰيٰتنا عجبا " ثم بسطت الآى قصتهم ، و أوضحت أمرهم ، و استوفت خبرهم ؛ ثم ذكر سبحانه أمر ذى القرنين و طوافه و انتهاء أمره ، فقال تعالى " و يسئلونك عن
١٠ ذى القرنين " - الآيات ، و قد فصلت بين القصتين بمواعظ و آيات مستجدة على أتم ارتباط ، و أجل اتساق [٢] ، و من جملتها قصة الرجلين و جنتى أحدهما و حسن الجنتين و ما بينهما و كفر صاحبهما و اغتراره ، و هما من بنى إسراءيل ، و لهما قصة ، و قد أفصحت هذه الآى منها [٣] باغترار أحدهما بما لديه و ركونه إلى توهم البقاء ، و تعويل صاحبه على [٤] ما عند ربه
١٥ و رجوعه إليه و انتهاء أمره - بعد المحاورة الواقعة فى الآيات بينهما [٥] - إلى إزالة ما تخيل المفتون بقاءه ، و رجع ذلك كأن لم يكن ، و لم يبق بيده / إلا الندم ، /٣٥١ و لا صح له من جنته بعد عظيم تلك البهجة سوى التلاشى و العدم ، و هذه حال من ركن [إلى ما - [١]] سوى المالك ، و من كل شىء إلا وجهه سبحانه و تعالى فان و هالك " انما الحيٰوة الدنيا لعب و لهو " ، " ففروا الى الله "

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتشاق (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينهما .

ثم

ثم أعقب ذلك بضرب مثل الحياة الدنيا لمن اعتبر و استبصر، و عقب تلك الآيات بقصة موسى و الخضر عليهما [السلام -[1]] إلى تمامها، و فى كل ذلك من تأديب بنى إسرائيل و تقريعهم و توبيخ مرتكبهم فى توقفهم عن الإيمان و تعنيفهم فى توهمهم عند فتواهم لكفار قريش بسؤاله عليه السلام عن القصص [الثلاث -[1]] أن[2] قد حازوا العلم[3] ٥ و انفردوا بالوقوف على ما [لا -[4]] يعلمه غيرهم، فجاء جواب قريش بما يرغم الجميع و يقطع دابرهم، و فى ذكر قصة موسى و الخضر إشارة لهم لو عقلوا، و تحريك لمن سبقت له منهم السعادة، و تنبيه لكل موفق فى تسليم الإحاطة لمن هو العليم الخبير، و بعد تقريعهم و توبيخهم بما أشير إليه عاد الكلام إلى بقية سؤالهم فقال تعالى "و يسئلونك عن ١٠ ذى القرنين" - إلى آخر القصة، و ليس بسط هذه القصص من مقصودنا و قد حصل، و لم يبق إلا السؤال عن وجه انفصال جوابهم و وقوعه فى السورتين مع أن السؤال واحد، و هذا ليس من شرطنا فلنسأه بحول الله إلى موضعه إن[2] قدر به - انتهى. و قد تقدم فى سورة الإسراء من الجواب [عن هذا أن -[1]] الروح ضمت إليها، لأنها من ١٥ سر الملكوت كالإسراء، و بقى أنه لما أجمل سبحانه أمرها لما ذكر من عظيم السر، و عيب عليهم اشتغالهم بالسؤال و ترك ما هو من عالمها، و هو أعظم منها و من كل ما برز إلى الوجود من ذلك العالم من الروح

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لعلم (٤) زيد من مد.

المعنوى الذى به صلاح الوجود كله، و هو القرآن العظيم، و [1] عظم أمره [1]
بما ذكر فى الإسراء إلى أن اقتضى [الحال - [2]] فى إنهاء عظمته أن يدل
على إصلاح الوجود به بما حرره و فصله و قرره من أمر السؤالين
الباقيين اللذين هما من ظاهر الملك فيما ضم إليهما عما تم به الأمر،
٥ و اتضح به [ما له - [2]] من جليل القدر، كان الأكمل فى ذلك أن
يكون ما انتظم به ذلك سورة على حدتها، و لما كان أمر أهل الكهف
من حفظ الروح فى الجسد على ما لم يعهد مثله ثم إفاضتها، قدم الجواب
عن [3] السؤال عنهم ليلى أمر الروح، و ختم بذى القرنين لإحاطة أمره
بما [4] طاف من الأرض، و لما جعل من السد علما على انقضاء شأن هذه
١٠ الدار و ختام أمرها، و طى ما برز من نشرها - و الله سبحانه
و تعالى أعلم.

و لما كان صلى الله عليه و على آله و سلم شديد الحرص على
إيمانهم شفقة عليهم و غيرة على المقام الإلهى الذى ملأ قلبه تعظيما له،
خفض عليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿ فلعلك باخع ﴾ أى قتسبب عن
١٥ قولهم هذا، المباين جدا لما تريد [5] لهم، الموجب لإعراضهم عنك أنك
تشفق أنت و من يراك على تلك الحالة من أتباعك من أن تكون [6] قاتلا
﴿ نفسك ﴾ من شدة الغم [7] و الوجد، و أشار إلى شدة نفرتهم و سرعة
مفارقتهم و عظيم مباعدتهم بقوله تعالى [7]: ﴿ على اثارهم ﴾ اى حين تولوا

(١-١) من مد. و فى الأصل و ظ: عظيم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لمن (٤) فى مد: ما (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: يزيد. (٦) زيد فى ظ: باخعا اى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

عن إجابتك [١] فكانوا كمن قوضوا خيامهم و أذهبوا أعلامهم [١] ﴿ان لم يؤمنوا﴾ .

[١] و لما صور بعدهم، صور قرب ما دعاهم إليه و يسر تناوله بقوله تعالى [١] : ﴿ بهذا الحديث ﴾ أى القيم [١] المتجدد تنزيله على حسب التدريج [١] ﴿اسفا ه﴾ منك على ذلك، و الأسف: أشد الحزن [١] و الغضب [١]؛ ثم بين ٥ علة إرشاده / إلى الإعراض عنهم بغير [١] ما يقدر عليه من [١] التبليغ [١] للبشارة و النذارة [١] بأنهم لم يخرجوا عن مراده سبحانه، [١] و أن الإيمان لا يقدر على إدخاله قلوبهم غيره [١] فقال تعالى: ﴿انا﴾ أى [٢] لا نفعل ذلك لأنا ﴿جعلنا﴾ [١] بما لنا من العظمة [١] ﴿ما على الارض﴾ من [١] المواليد الثلاثة [١]: الحيوان و المعدن و النبات ﴿ زينة لها ﴾ بأن حسنّاه [٣] فى العيون، و أبهجنا بـه ١٠ النفوس، [١] و لو لا مضرة الحيوانات المؤذية من الحشرات و غيرها كانت الزينة بها ظاهرة، و الظاهر أنه لو أطاع الناس كلهم لذهبت مضرتها فبدت زينتها، كما يكون على زمن عيسى عليه السلام حيث تصير لعبا للولدان .

/٣٥٢

و لما أخبر بتزيينها، أخبر بعلته فقال تعالى [١] : ﴿لنبلوهم﴾ أى نعاملهم ١٥ معاملة المختبر الذى يسأل لخفاء [٤] الأمر عليه بقوله تعالى [٥]: ﴿ايهم احسن عملا ه﴾ [١] أى باخلاص الخدمة لربه [١]، فيصير ما كنا نعلمه منهم ظاهرا بالفعل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: حسنا (٤) من مد، و فى الأصل: لخلف (٥) العبارة من «الذى يسأل» إلى هنا ساقطة من ظ .

تقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بان من أظهر موافقة الأمر[1] فيما نال من الزينة حاز المثوبة، و من اجترأ على مخالفة الأمر بما آتيناه منها [2]فعمل على أنها للتنعم بها فقط[2] استحق العقوبة . و لما كان دعاء الزينة إلى حقيقة الحياة الدنيا من اللهو و اللعب ظاهرا لموافقته لما ٥ [طبعت -[3]] عليه النفوس من الهوى لم يحتج إلى التنبيه[4] عليه أكثر من لفظ الزينة .

و لما كان دعاءها إلى الزهد فيها و الإعراض عنها جملة و الاستدلال بها على تمام علم صانعها و شمول قدرته على إعادة الخلائق كما ابتدأهم و غير ذلك خفيا، لكونه مستورا عن العقول بهوى النفوس[5]، نبه عليه ١٠ بقوله تعالى: ﴿و انا لجاعلون﴾ أي بما لنا من العظمة [2]ثابت لنا هذا الوصف دائما[2] ﴿ما عليها﴾ [2]من جميع تلك الزينة لايصعب علينا شيء منه[2] ﴿صعيدا﴾ أي ترابا بأن نهلك تلك الزينة بازالة اخضرارها فيزول المانع من استيلاء التراب عليها ثم نسلط عليها الشموس و الرياح فيردها بذلك إلى أصلها ترابا ﴿جرزا ؕ﴾ أي يابسا لاينبت شيئا بطبعه، [2]و كذا نفعل ١٥ بمن سبب تسليط البلاء عليه من الحيوان آدميا كان أو غيره سواء[2] .

و لما كان من المشاهد إعادة النبات باذن الله تعالى بانزال الماء عليه إلى الصورة النباتية التي هي الدليل على إحياء الموتى مرة بعد مرة ما دامت

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: لامر (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: التعنية (٥) في مد : النفس .

الأرض موجودة على هذه الصورة ، طوى ذكر ذلك سترا لهذا البرهان المنير عن الأغبياء[1] المشغولين بالظواهر ، علما منه سبحانه بظهوره لأولى البصائر .

و لما كان هذا من العجائب [التى تضاءل عندها العجائب -[2]] ، و الغرائب التى تخضع لديها الغرائب ، و إن صارت مألوفة بكثرة التكرار ، ٥ و التجلى على الأبصار ، هذا إلى[3] ما له من الآيات التى تزيد على العد ، و لا يحصر بحد ، من خلق السماوات و الأرض ، و اختلاف الليل و النهار ، و تسخير الشمس و القمر و الكواكب - و غير ذلك ، حقر آية أصحاب[3] الكهف - و إن كانت من أعجب العجب - لاضمحلالها فى جنب ذلك ، لأن الشيء إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجبا ، فنبه على ذلك بقوله ١٠ [4]تعالى عطفا على ما تقديره[4] : أعلمت أن هذا و غيره من عجائب قدرتنا ؟ : ﴿ ام حسبت ﴾ [4]عـلى ما لك من العقل الرزين و الرأى الرصين[4] ﴿ ان اصحب الكهف ﴾ أى الغار الواسع المنقور فى الجبل كالبيت ﴿ و الرقيم [4] ﴾ أى القرية أو الجبل ﴿ كانوا ﴾ هم فقط ﴿ من ايٰتنا عجبا ﴾ [4]على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود و العرب[4] ، / و الواقع أنهم ١٥ / ٣٥٣ - و إن كانوا من العجائب - ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا ، و بالنسبة إلى هذا العجب [النباتى -[2]] الذى أعرضتم[5] عنه بألفكم[6] له من كثرة تكرره فيكم ، فانه سبحانه أخرج نبات الأرض على تباين

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاغنياء (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعرضتهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالفكر .

أجناسه، و اختلاف ألوانـه و أنواعه، و تضاد طبائعه، من مادة واحدة، يهتز[1] باليفوع، يبهج الناظرين و يروق المتأملين، ثم يوقفه ثم يرده باليبس و التفرق إلى التراب فيختلط به حتى لا يميزه عن بقية التراب، ثم يرسل الماء فيختلط بالتراب فيجمعه فيخرج أخضر يانعا يهتز بالنمو على ٥ أحسن ما كان، و هكـذا كل سنة، فهذا بلا شك أعجب حالا ممن حفظت أجسامهم مدة [عن التغير - [2]] ثم ردت أرواحهم فيها، و قد كان فى سالف الدهر يعمر بعض [الناس - [2]] أكثر [من مقدار - [2]] ما لبثوا، و هذا الكهف - قيل: هو [فى جبال - [2]] بمدينة طرسوس و هو المشهور، و قال أبو حيان[3]: قيل: هو فى الروم، و قيل: فى الشام، ١٠ و قيل: فى الأندلس[4]، قال: فى جهة غرناطة بقرب قرية [تسمى - [5]] لوشة كهف فيه موتى[6] و معهم كلب [رمة، و أكثرهم - [7]] قد انجرد لحمه، و بعضهم متماسك[8] و قد مضت القرون [السالفة - [5]] و لم نجد من عرف شأنهم، و يزعم ناس أنهم أصحاب الكهف. و نقل عن ابن عطية قال: دخلت إليهم سنة أربع و خمسمائة فرأيتهم بهذه الحالة و[9] عليهم مسجد و قريب منهم[10] بناء ١٥ رومى يسمى الرقيم، [و هو - [7]] فى فلاة من الأرض، و بأعلى حضرة غرناطة مما يلى القبلة آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس، و نقل أبو حيان

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مهتز (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى البحر المحيط ٦/١٠١ و ١٠٢ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من البحر (٦) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: سوى. (٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من مد و البحر، و فى الأصل و ظ: متماسكا. (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: منه.

عن أبيه أنه [1]حين كان[1] بالأندلس كان الناس يزورون هذا الكهف و يذكرون أنهم يغلطون[2] في عدتهم[3] إذا عدوهم و أن معهم كلبا. قال: و أما ما ذكرت[4] من مدينة دقيوس التي بقبلي[5] غرناطة، فقد مررت عليها مرارا لا تحصى، قال: و يترجح كون[6] أصحاب الكهف بالأندلس - انتهى ملخصا. قلت: و فيه نظر، و الذي يرجح المشهور ٥ ما نقل البغوي[7] [و غيره -[8]] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: غزونا مع معاوية بحر الروم[9] فمررنا بالكهف [الذي فيه أصحاب الكهف -[10]] فان معاوية لم يصل إلى بلاد الأندلس - و الله أعلم.

و لما صغر أمرهم بالنسبة إلى جليل آياته و عظيم بيناته و غريب ١٠ مصنوعاته، لخص قصتهم التي عدوها عجبا و تركوا الاستبصار على وحدانية الواحد القهار بما هو العجب العجيب. و النبأ الغريب، فقال تعالى: ﴿ اذ اوى ﴾ أي كانوا على هذه الصفة حين أووا، و لكنه أبرز الضمير لبيان أنهم شبان ليسوا بكثيري العدد فليست [لهم -[8]] أسنان استفادوا بها من التجارب و التعلم ما اهتدوا إليه من الدين و الدنيا. ١٥

(١-١) من مد، وفي الأصل وظ: كان حين (٢) من مد والبحر، وفي الأصل وظ: يغلطوا (٣) من البحر، و في الأصل ومد: عددهم، و في ظ: عدهم. (٤) من البحر، و في النسخ: ذكر (٥) من ظ و مد و البحر، و في الأصل: بمدينة (٦) من البحر، و في النسخ: ان (٧) في معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ١٦٧/٤ (٨) زيد من ظ ومد (٩) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في ظ و مد و المعالم فحذفناها (١٠) زيد من ظ و مد و المعالم.

و لا كثرة حفظوا بها ممن يؤذيهم أيقاظا و رقودا فقال تعالى:
﴿ الفتية ﴾ و هم أصحاب الكهف المسؤل عنهم، و الشبان أقبل للحق
و أهدى للسبيل من الشيوخ ﴿ الى الكهف ﴾ المقارب لقريتهم
[1] المشهور بيلدتهم[1] فرارا بدينهم كما أويت[2] أنت و الصديق إلى غار ثور
٥ فرارا بدينكما[3] ﴿ فقالوا ﴾ عقب[4] استقرارهم فيه: ﴿ ربنآ اٰتنا ﴾ و لما
كانت الموجودات - كما مضى عن الحرالى فى آل عمران - على ثلاث
رتب: حكميات جارية على قوانين العادات، و عنديات خارقة للطردات،
و لدنيات مستغرقــة[5] فى الأمور الخارقات، طلبوا أعلاها فقالوا:
﴿ من لدنك ﴾ أى من[6] مستبطن الأمور التى عندك و مستغربها
١٠ /٣٥٤ ﴿ رحمــة ﴾ [1] أى إكراما تكرمنا به كما يفعل / الراحم بالمرحوم[1]
﴿ و هيئ لنا ﴾ [1] أى جميعا لا تخيب منا أحدا[1] ﴿ من امرنا رشدا ٥ ﴾
[1] أى وجها ترشدنا فيه إلى الخلاص فى الدارين[1]، لاجرم صارت قصتهم
على حسب ما أجابهم ربهم [7] بديعة الشأن[7] فردة فى الزمان، يتحدث
بها فى سائر البلدان، فى كل حين و أوان .

١٥ و لما أجابهم سبحانه، عبر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ فضربنا ﴾ أى
عقب هذا القول و بسببه ﴿ علىٓ اٰذانهم ﴾ أى سددناها و أمسكناها عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل و مد: تاوى.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بدينك (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ
و مد (٥) من مد، و فى الأصل وظ: مستعربة (٦) سقط من مد (٧-٧) من
ظ و مد، و فى الأصل: يدفعه الثانى.

السمع

السمع ، وكان أصله : ضربنا عليها حجابا بنوم ثقيل [1]لا تزعج منه الأصوات ، لأن من كان مستيقظا أو نائما نوما خفيفا وسمعه صحيح سمع الأصوات [1] ﴿ في الكهف ﴾ أي المعهود [2] .

[1]ولما كانت مدة لبثهم نكرة بما كان لأهل ذلك الزمان من الشرك ، عبر بما يدل على النكرة فقال تعالى[1]: ﴿سنين﴾ : [2]ولما كان ربما ظن ٥ أنه [3] ذكر السنين للمبالغة لأجل بعد هذا النوم عن[4] العادة ، حقق الأمر بأن قال مبدلا منها معرفا لأن[5] المراد بجمع القلة هنا الكثرة: ﴿عددا ﴾ أي[5] متكاثرة ؛ [6]قال الزجاج[7] كل [8]شيء مما[8] يعد إذا ذكر فيه العدد ووصف أريد كثرته لأنه إذا قل فهم مقدار عدده بدون التقدير فلم يحتج إلى أن يعد . ﴿ ثم بعثنهم ﴾ أي[5] نبهناهم من[9] ذلك النوم ١٠ ﴿ لنعلم ﴾ علما مشاهدا[10] لغيرنا كما كنا نعلم غيبا [11]ما جهله من يسأل فيقول[11] : ﴿ اى الحزبين ﴾ هم أو من عثر عليهم من أهل زمانهم ﴿ احصى ﴾ [1]أي حسب وضبط[1] ﴿ لما ﴾ [11]أي لأجل [علم -[12]] ما

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « هنا الكثرة » ساقطة من ظ (٣) في مد : ان (٤) في مد : على (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « إلى أن يعد » ساقطة من ظ (٧) وذكر قوله أيضا في الكشاف ١/٥٦٤ مختصرا .
(٨-٨) من مد . وفي الأصل : منها (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : بعد .
(١٠) من مد ، وفي الأصل وظ : إشاهدا (١١) العبارة من هنا إلى « علم ما » ساقطة من ظ (١٢) زيد من مد .

﴿لبثوآ امدا ع﴾ أى وقع إحصاءه لمدة[1] لبثهم [فانهم هم أحصوا لبثهم -[2]]
فقالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ، ثم تبرأوا من [علم -[2]] ذلك [و ردوه
إلى عالمه و أهل البلد ، أحصوا ذلك بضرب النقد الذى وجد معهم
أو غير ذلك -[2]] من القرائن التى دلتهم عليه ، و لكنهم و إن صادق
٥ قولهم ما فى نفس الأمر أو[3] قريبا منه فعلى سبيل الظن و التقريب ،
لا القطع و التحديد ، بقوله تعالى " قل الله اعلم بما لبثوا "[4] فاذا علم
- بجهل كل من الحزبين بأمرهم - [أن -[5]] الله هو المختص بعلم ذلك ،
علم أنه المحيط بصفات الكمال ، و أنه لم يتخذ ولدا ، و لا له شريك فى
الملك ، و أنه أكبر من كل ما يقع فى الوهم .
١٠ و لما كان الكلام على اختلاف وقع فى مدتهم ، و[6] كان الحزبان
معا هم و من خالفهم متقاربين فى الجهل باحصائه على سبيل القطع ،
و كان اليهود[7] الذين أمروا قريشا بالسؤال عن أمرهم تشكيكا فى
الدين لا يعلمون أمرهم على الحقيقة ، نبه على ذلك بقوله - جوابا لمن
كأنه قال : أيهما أحصاه ؟- : ﴿ نحن ﴾ أو يقال : [و -[2]] لما أخبر الله[8]
١٥ سبحانه عن مسألة قريش الثانية . و هى قصة أهل الكهف ، مجملا لها
بعض الإجمال بعد إجمال الجواب عن المسألة الأولى ، و هى الروح ،

---

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : مدة (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٤) العبارة من هنا إلى « فى مدتهم » ساقطة من ظ .
(٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : لما (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) سقط من ظ و مد .

كان السامع جديرا بأن تستشرف نفسه إلى بيان أكثر من ذلك فيضيق[١] صدره خشية الاقتصار على ما وقع من ذلك من الأخبار ، فقال جوابا لمن كأنه قال: اسأل الإيضاح[٢] و بيان الحق من خلاف الحزبين[٢] : نحن ﴿ نقص ﴾ [٢] أى نخبر إخبارا تابعا لآثارهم قدما فقدما[٢] ﴿ عليك ﴾ على وجه التفصيل ﴿ نبأهم بالحق[٤] ﴾ [٢] أى خبرهم العظيم[٢] [و ليس أحد غيرنا ٥ يقصه إلا ـ [٣]] قصا ملتبسا بباطل : زيادة أو نقص ، فكأنه قيل : ما كان نبأهم ؟ فقال تعالى: ﴿ انهم فتية ﴾ أى شبان ﴿ آمنوا بربهم ﴾ [٤] المحسن إليهم الناظر فى مصالحهم الذى تفرد بخلقهم و رزقهم ، و هداهم بما وهب لهم فى أصل الفطرة من العقول الجيدة النافعة[٥] .

و لما[٦] دل على الإحسان باسم الرب ، و كان فى فعله معهم من ١٠ باهر القدرة ما لا يخفى ، التفت إلى مقام العظمة فقال[٢] تعالى عاطفا على ما تقديره : فاهتدوا / بايمانهم[٢] : ﴿ و زدنهم ﴾ بعد أن آمنوا ﴿ هدى ﴾ /٢٥٥ بما قذفنا فى قلوبهم من المعارف ، و شرحنا لهم صدورهم من المواهب التى حملتهم على ارتكاب المعاطب ، و الزهد فى الدنيا و الانقطاع إليه ﴿ و ربطنا ﴾ [٢] بما لنا من العظمة[٢] ﴿ على قلوبهم ﴾ [٢] أى قويناها[٢] ، ١٥ فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد ، فكانت حالهم فى الجلوة كحالهم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيشق (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : السامعة (٦) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فى الخلوة ﴿ اذ قاموا ﴾ [١] لله تعالى حق القيام [١] فى ذلك [الجيل - [٢]] الكافرين بين يدى طاغيتهم دقيانوس ﴿فقالوا﴾ مخالفين لهم: ﴿ربنا﴾ الذى يستحق أن نفرده بالعبادة لتفرده بتدبيرنا ، هو ﴿رب السمٰوت و الارض﴾ أى [١] موجدهما و [١] مدبرهما ﴿ لن ندعوا من دونه الٰهًا ﴾ بعد أن ثبت

٥ عجز كل من سواه ، و الله ! ﴿ لقد قلنآ اذاً ﴾ [أى - [٢]] إذا دعونا من دونه غيره ﴿ شططا ه ﴾ أى قولا ذا بعد مفرط [٣] عن الحق جدا [٤] ؛ ثم شرعوا يستدلون على كونه شططا بأنه لا دليل عليه ، و يجوز أن يكونوا لما قالوا ذلك عرض لهم الشيطان بشبهة التقليد فقالوا مجيبين عنها [٥]: ﴿ هٰؤلآء ﴾ [٦] و أن يكونوا [٧] قالوا ذلك للملك إنقاذا له من شرك

١٠ الجهل ، و بين المشار إليهم بقولهم : ﴿ قومنا ﴾ أى [٣] و إن كانوا أسن منا [١] و أقوى [١] و أجل فى [٨] الدنيا ﴿ اتخذوا ﴾ [١] أى مخالفين مع منهاج العقل داعى الفطرة الأولى [١] ﴿من دونـه الٰهة [٤] ﴾ أشركوهم [معه - [٢]] لشبهة واهية استغواهم بها الشيطان ؛ ثم استأنفوا على طريق التخصيص ما ينبه على أنهم من حين عبادتهم [٩] إلى الآن لم يأتوا على ذلك بدليل ،

١٥ فقالوا [١] منبهين على فساد التقليد فى أصول الدين و أنه لا مقنع فيه بدون القطع [١] : ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ يأتون ﴾ الآن .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) من مد، و فى الأصل و ظ : حسدا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : عن .
(٦) العبارة من هنا إلى « إليهم بقولهم » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد : لما .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) زيدت الواو فى ظ .

و لما

[١] و لما كانوا بعبادتهم لهـم قد أحلوهم محل العلماء، قال تعالى[١]: ﴿ عليهم ﴾ [١] أى على عبادتهم إياهم، و حققوا ما أرادوا من الاستعلاء بقولهم[١]: ﴿ بسلطن ﴾ أى دليل قاهر[٢] ﴿ بين ﴾ مثل ما نأتى نحن على تفرد معبودنا بالأدلة الظاهرة، و البراهين الباهرة، فان مثل هذا الأمر لا يقنع [فيه - [٣]] بدون ذلك، و قد جمعنا الأدلة كلها فى[٤] الاستدلال ٥ على تفرد الله باستحقاقه للعبادة بأنه[٥] تفرد بخلق الوجود، فتسبب عن عجزهم عن دليل أنهم أظلم الظالمين لافتعالهم الكذب عن ملك الملوك و مالك الملك، فلذلك قالوا: ﴿ فمن اظلم ممن افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ [١] أى الملك الأعظم [١] ﴿ كذبا ﴾ [١] فالآية دالة على فساد التقليد فى الوحدانية[١]. ١٠

و لما استدلوا على معتقدهم، و علموا سفه من خالفهم، و هم قوم لايدان لهم بمقاومتهم، لكثرتهم و قلتهم[٦]، تسبب عن ذلك هجرتهم ليسلم لهم دينهم، [١] فقال تعالى شارحا لما بقى من أمرهم، عاطفا على ما تقديره[٧]: [٧]و قالوا[٧] أو من شاء الله منهم [٨]حين خلصوا من قومهم نجيا: لا ترجعوا إلى قومكم أبدا ما داموا على ما هم عليه، هذا إن كان المراد ١٥ قيامهم [بين يدى دقيانوس، و إن كان المراد من القيام - [٩]] الانبعاث بالعزم الصادق لم يحتج إلى هذا التقدير: ﴿ و اذ ﴾ [١] أى حين[١] ﴿ اعتزلتموهم ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لانه.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لقلتهم (٧-٧) فى ظ: فقالوا (٨) العبارة من هنا إلى « إلى هذا التقدير » ساقطة من ظ (٩) زيد من مد.

أي قومكم ﴿ و ما ﴾ أي و اعتزلتم ما ﴿ يعبدون الا الله ﴾ [1]أي الذى له صفات الكمال[1]، و هذا دليل على أنهم[2] كانوا يشركون ، و يجوز أن يكونوا سموا الانقياد كرها لمشيئته و الخضوع بزعمهم لأقضيته عبادة ﴿ فاوٓا ﴾ [1]أي بسبب هذا الاعتزال[1]، و هذا دليل[3] العامل فى " اذ[4] "

٥ ﴿ الى الكهف ﴾ أي الغار الذى فى الجبل ﴿ ينشر ﴾[1] أي يحيي و يبعث[1] ﴿ لكم ربكم ﴾ [5]الذى لم يزل يحسن إليكم ﴿ من رحمته ﴾ ما يكفيكم به المهم من أمركم ﴿ و يهيئ لكم من امركم ﴾[5] الذى / من شأنه أن يهمكم ﴿ مرفقا ﴾ ترتفقون به[6]. [1]و هو بكسر الميم و فتح الفاء فى قراءة الجماعة، و بفتحها و كسر الفاء للنافع و ابن عامر[1]، و هذا الجزم من آثار الربط

١٠ على قلوبهم بما علموا من قدرته على كل شيء، و حمايته من لاذ به و لجأ إليه و عبده و توكل عليه، ففعلوا ذلك ففعل[7] الله ما رجوه[8] فيه، فجعل لهم أحسن مرفق بأن أنامهم ثم أقامهم بعد [مضى -[9]] قرون و مرور دهور[10]، و هدى بهم ذلك[11] الجيل الذى أقامهم فيه ﴿ و ترى ﴾ لو رأيت كهفهم ﴿ الشمس اذا طلعت ﴾.

١٥ و لما كان حالهم خفيا، وكذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه،

/٣٥٦

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : انما (٣) فى ظ : هو (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اذا (٥) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : بفعل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : رجوا (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد فى الأصل : دهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) سقط من ظ .

أدغم تاء التفاعل نافع و ابن كثير و أبو عمرو ، و أسقطها عاصم و حمزة و الكسائي ، فقال تعالى[1]: ﴿ تزٰور ﴾ أى تمايل [2]و تتحرف ، و لعل قراءة ابن عامر و يعقوب تزور بوزن تحمر ناظرة إلى الحال عند[3] نهاية الميل ﴿ عن كهفهم ﴾ [4]بتقلص شعاعها[4] بارتفاعها [5] إلى أن تزول ﴿ذات اليمين﴾ إذا كنت[6] مستقبلا القبلة و أنت متوجه إليه [5]أو مستقبلا ٥ الشمس[5] فيصيبهم[7] من حرها ما يمنع عنهم التعفن و يمنع سقف الكهف شدة الحرارة المفسدة[8] فى بقية النهار ﴿و اذا غربت﴾ [5] أى أخذت فى الميل إلى الغروب[5] ﴿تقرضهم﴾ أى تعدل فى مسيرها عنهم ﴿ذات الشمال﴾ كذلك[9] ، لئلا يضرهم[10] شدة الحرارة ، و يصيبهم من منافعها[11] مثل ما كان عند الطلوع ، [5]فلا يزال كهفهم رطبا ، و يأتيه من الهواء الطيب ١٠ و النسيم الملائم ما يصونهم عن التعفن و الفساد[5]. فتحرر بذلك[12] أن باب الغار مقابل لبنات نعش ، و أن الجبل الذى هم فيه شمالى مكة المشرفة ، [13]و يجوز أن يكون المراد يمين من يخرج من الكهف و شماله ، فلا يلزم ذلك ، [و -[14]] قال الأصبهانى : قيل : إن [باب -[14]] ذلك كان مفتوحا

---

(١) العبارة من « و لما كان » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « نهاية الميل » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : عنه (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : تتقلص بشعاعها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتصيبهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل: المفيدة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل: لذلك (١٠) فى ظ : لئلا تضرهم (١١) فى ظ و مد : نافعها (١٢) فى مد: ذلك (١٣) العبارة من هنا إلى « على شماله » ساقطة من ظ (١٤) زيد من مد .

إلى جانب الشمال إذا طلعت الشمس عن يمين الكهف، و إذا غربت كانت على شماله .

و مادة " قرض " - و ليس لها إلا هذا التركيب - تدور على القطع، و يلزمه[1] الميل عن الشيء و العدول و الازورار عنه، قرضت الشيء - بالفتح - أقرضه - بالكسر : قطعته بالمقراض أو بغيره - لأنك إذا وصلت إليه [2] فقد حاذيته[2] فاذا قطعته تجاوزته فانحرفت عنه، و القرض : قول الشعر خاصة - لأنه لا شيء من الكلام يشبهه فهو مقطوع منه مائل عنه[3] بما خص به من الميزان، [4]و هل مررت بمكان كذا ؟ فتقول : قرضته ذات اليمين ليلا ، أى كان عن يمينى ، و القرض : ما تعطيه من المال لتقضاه - لأنك قطعته من مالك ، و القرض - بالكسر : لغة فيه عن الكسائى ، و القرض : ما سلفت من إحسان أو إساءة - على[5] التشبيه ، و التقريض : المدح و الذم - لأنه يميز الكلام[6] فيه تمييزا ظاهرا ، و هما يتقارضان كذا - كأن كلا منهما مقرض لصاحبه و موف له على ما أقرضه[7]، و المقارضة : المضاربة - لأن صاحب المال قطع من ماله ، و العامل قطع من عمله حصة[8] لهذا المال ، و[9] قرض فلان الرباط - إذا مات ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يلزم (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقاد حاديته (٣) سقط من ظ (٤) و قبله فى التاج : قال الجوهرى : و يقول الرجل لصاحبه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٦) فى ظ : المتكلم (٧) من مد ، وفى الأصل وظ : اقترضه (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : قصة (٩) زيد فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

لأنه

لأنه إذا انقطعت حياته انقطع كل رباط له فى الدنيا ، و جاء فلان و قد قرض رباطه - إذا جاء مجهودا قد أشرف على الموت - كأنه أطلق عليه ذلك للمقاربة ، و المقارضة : المشاتمة - [1] لقطعها العرض [1] و ما بين المتشاتمين [2] ، و الاقتراض : الاغتياب - من ذلك و من القرض أيضا ، لأن من اغتاب اغتيب ، و قرض - بالكسر - إذا زال من شيء إلى ٥ شيء - لأنه بوصل الثانى /قطع الأول ، و قرض - إذا مات ، و المقارض : /٣٥٧ الزرع القليل - إما للازالة على الضد من الكثير ، أو تشبيه بمواضع الاستقاء [3] فى البئر القليلة الماء ، فان المقارض [أيضا - [4]] المواضع التى يحتاج المستقى إلى أن يقرض منها الماء ، أى يميح ، أي يدخل الدلو فى البئر فيملأها لقلة الماء - لأنها مواضع قطع الماء برفعه [5] عن البئر ، ١٠ و المقارض أيضا : الجرار الكبار - كأنها لكبرها و قطعها كثيرا من الماء هى التى قطعت دون الصغار ، و ما عليه قراض ، أى ما يقرض عنه العيون فيستره [6] لتعدل عنه العيون - لعدم نفوذها إلى جلده ، و القرض فى السير [7] هو أن تعدل عن الشيء فى مسيرك ، فاذا عدلت عنه فقد [8] قرضته ، و المصدر القرض و أصله من القطع ، و ابن مقرض - كمنبر : ١٥ دويبة تقتل الحمام - كأنها سميت لقطعها حياة الحمام ، و قرض البعير جرته :

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتقطعها القرض (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشاتمين (٣) فى مد : الاستسقاء (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : برفعها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيسره (٧) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) فى مد : عنده.

مضغها فهي[1] قريض - لتقطيعها بالمضـغ و لقطعها من[2] بطنه بردها إلى خنكه للضغ[3] .

و لما بين تعالى أنه حفظهم من حر الشمس ، بين أنه أنعشهم بروح الهواء ، و ألطفهم بسعة الموضع في فضاء الغار فقال : ﴿و هم في فجوة منه[4]﴾ أي في وسط الكهف و متسعه . و لما شرح هذا الأمر الغريب ، و النبأ العجيب ، وصل به نتيجته فقال تعالى : ﴿ ذلك ﴾ أي المذكور العظيم من هدايتهم ، و ما دبروا لأنفسهم ، و ما دبر لهم من هذا الغار المستقبل[4] للنسيم الطيب المصون عن كل مؤذ ، و ما حقق به رجاءهم مما[5] لا يقدر عليه سواه ﴿من ءايٰت الله[6]﴾ [6] أي الملك الأعلى المحيط بكل شيء علما و قدرة[6] ، و إن كان إذا قيس إلى هذا القرآن القيم[7] و غيره مما خصت به هذه الأمة كان يسيرا .

و لما كان انفرادهم بالهدى عن أهل ذلك القرن كلهم عجبا ، وصل به ما إذا تؤمل زال عجبه فقال تعالى : ﴿من يهد[8]﴾ [6] و لو أيسر هداية - بما دل عليه حذف الياء في الرسم[6] ﴿ الله[9] ﴾ [[6] أي الذي له الأمر كله[6] بخلق الهداية في قلبه للنظر في آياته التي لا تعد و الانتفاع بها ﴿فهو﴾

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : فهو (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : بمن . (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : بالمضغ (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : المستقل (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : العظيم (٨) في الأصل فقط : يهدى (٩) وقع في الأصل و ظ بعد « من يهد » و الترتيب من مد .

خاصة ﴿ المهتد ج ﴾ فى أى زمان كان ، فلن تجد له مضلا مغويا ﴿ و من يضلل ﴾ [1] إضلالا ظاهريا بما دل عليه الإظهار - [2]] باعمائه عن طريق الهدى ، فهو لا غيره الضال ﴿ فلن تجد له ﴾ أصلا من دونه ، لأجل أن الله الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه أضله ﴿ وليا مرشداع ﴾ فتجده يرى الآيات بعينه ، و يسمعها بأذنه . و يحسها بجميع حواسه ، ٥ و لا يعلم أنها آيات فضلا عن أن يتدبرها و ينتفع بها ، فالآية من الاحتباك : ذكر الاهتداء أولا دليلا على حذف الضلال ثانيا ، و المرشد ثانيا دليلا على حذف المضل أولا .

و لما نبه سبحانه هذا التنبيه تسلية للنبي صلى الله عليه و على آله و سلم و تثبيتا أن يبخع نفسه . عطف على ما مضى بقية أمرهم [فقال - [2]] : ١٠ ﴿ و تحسبهم ايقاظا ﴾ لانفتاح أعينهم للهواء ليكون أبقى لها ، و لكثرة حركاتهم ﴿ و هم رقود ق صلے و نقلبهم ﴾ بعظمتنا [3] فى حال نومهم تقليبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم ﴿ ذات ﴾ [4] أى فى الجهة التى هى صاحبة [4] ﴿ اليمين ﴾ منهم ﴿ و ذات الشمال ق صلے ﴾ لينال روح النسيم جميع أبدانهم و لايتأثر ما يلى الأرض منها بطول المكث ﴿ و كلبهم باسط ﴾ ١٥ [4] و أعمل اسم الفاعل هذا ، لأنه ليس بمعنى الماضى بل هو حكاية حال ماضية فقال [4] : ﴿ ذراعيه بالوصيد ط ﴾ أى بباب الكهف [4] و فنائه [4] كما هى عادة الكلاب ، و ذكر هذا الكلب على [طول - [3]] الآباد

---

(١) العبارة من هنا إلى « طريق الهدى » ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بجميل هذا الرقاد[1] من بركة صحبة الأمجاد[2] .

/٣٥٠/ و لما / كان هذا مشوقا[3] إلى رؤيتهم ، وصل به ما يكف عنه بقوله تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ و هم على تلك الحال ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ أي[4] حال وقوع بصرك عليهم ﴿ و لملئت ﴾ [1]في أقل وقت بأيسر ٥ أمر[1] ﴿ منهم رعبا ه ﴾ لما ألبسهم الله من الهيبة ، و جعل لهم من الجلالة ، تدبيرا منه لما أراد منهم ﴿ و كذلك ﴾ [أي - [5]] [6] فعلنا بهم[7] هذا من آياتنا [1]من النوم و غيره[1] ، و مثل ما فعلناه بهم ﴿ بعثنهم ﴾ [1] بما لنا من العظمة [1] ﴿ ليتساءلوا ﴾ [1] و أظهر بالافتعال إشارة إلى أنه في غاية الظهور . و لما كان المراد تساؤلا عن أخبار لاتعدوهم قال ١٠ تعالى[6]: ﴿ بينهم[6] ﴾ أي[4] عن أحوالهم في نومهم و يقظتهم [1] فيزدادوا إيمانا ، و ثباتا و إيقانا ، بما ينكشف لهم من الأمور العجيبة ، و الأحوال الغريبة [1] فيعلم[8] أنه لاعلم لأحد غيرنا ، و لا قدرة لأحد سوانا ، و أن قدرتنا تامة ، و علمنا شامل ، فليعلم ذلك من أنكر قدرتنا على البعث و سأل اليهود البعداء البغضاء عن نبيه[9] الحبيب الذى أتاهم بالآيات ، ١٥ و أراهم البينات . فان كانوا يستنصحون اليهود فليسئلوهم عما قصصنا[10]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) في ظ : الاخيار (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : مشوق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « ومثل ما » متكررة في الأصل فقط (٧) زيد في العبارة المتكررة من الأصل : من (٨) من ظ ، وفي الأصل ومد : و يعلم (٩) زيد في ظ : العرب - كذا (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : قصصناهم .

من هذه القصة ، فان اعترفوا [به - [1]] لزمهم جميعا[2] الإيمان و الرجوع عن الغي و العدوان ، و إن لم يؤمنوا علم قطعا أنه لايؤمن إلا من أردنا هدايتــه بالآيات البينات كأهل الكهف و غيرهم ، لا بانزال الآيات المقترحات .

و لما كان المقام مقتضيا لأن يقال : ما كان تساؤلهم ؟ أجيب بقوله ٥ تعالى : ﴿ قال قآئل منهم ﴾ [3] مستفهما من إخوانه [3] : ﴿ كم لبثتم [4] ﴾ نائمين [3] فى هـذا الكهف [3] من ليلة أو يوم ، [4] و هذا يدل على أن هذا [5] القائل استشعر طول لبثهم بما رأى من هيئتهم أو لغير ذلك من الأمارات ؛ ثم وصل [به فى - [1]] ذلك الأسلوب أيضا قوله تعالى : ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾ [3] و دل على أن هذا الجواب مبنى على الظن بقوله دالا حيث أقرهم عليه ١٠ سبحانه على جواز الاجتهاد و القول بالظن المخطئ ، و أنه لا يسمى كذبا و إن كان مخالفا للواقع [3] ﴿ او بعض يوم [4] ﴾ كما تظنون أنتم عند قيامكم من القبور إن لبثتم إلا قليلا ، لأنه لا فرق بين صديق و زنديق فى الجهل بما غيبه الله تعالى ، فكأنه قيل : على أى شيء استقر أمرهم فى ذلك ؟ فأجيب بأنهم ردوا الأمر إلى الله بقوله [6] : ﴿ قالوا ﴾ أى قال ١٥ بعضهم [3] إنكارا على أنفسهم [3] و وافق الباقون بما عندهم [من - [1]] التحاب فى الله و التوافق [فيه - [1]] فهم فى الحقيقة إخوان الصفا [7]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بـذلك (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الأمارات » ساقطة من ظ . (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعالى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الضعفاء .

وخلان الألفة والوفا ﴿ ربكم ﴾ المحسن إليكم ﴿ اعلم ﴾ [١]أى من كل أحد[١] ﴿ بما لبثتم فابعثوا ﴾ أى فتسبب عن إسناد العلم إلى الله تعالى أن يقال : اتركوا الخوض[٢] فى هذا واشتغلوا بما ينفعكم بأن تبعثوا ﴿ احدكم بورقكم ﴾ أى فضتكم ﴿ هذه ﴾ [١] التى جمعتموها لمثل هذا[١]

٥ ﴿ الى المدينة ﴾ التى خرجتم منها وهى طرسوس[٣] [١]ليأتينا بطعام فانا جياع[١] ﴿ فلينظر ايها ﴾ [٢]أى أى أهلها[٢] ﴿ ازكى ﴾ أى أطهر [١]وأطيب[١] ﴿ طعاما فلياتكم ﴾ [١]ذلك الأحد[١] ﴿ برزق منه ﴾ لنأكل ﴿ وليتلطف ﴾ فى التخفى بأمره حتى لا يتفطنوا له ﴿ ولا يشعرن ﴾ أى[٤] هذا المبعوث منكم فى هذا الأمر ﴿ بكم احداه ﴾ أن فطنوا [له -[٥]]

١٠ فقبضوا عليه ، [٦]وإن المعنى : لا يقولن ولا يفعلن ما يؤدى من غير قصد منه إلى الشعور بكم فيكون قد أشعر بما كان منه من السبب ، وفى قصتهم دليل على أن حمل المسافر ما يصلحه من المنفعة رأى المتوكلين لا المتآكلين المتكلين على الإنفاقات على ما فى أوعية[٧] القوم من النفقات ، وفيها صحة الوكالة؛ ومادة 'ورق' بجميع تراكيبها الخمسة عشر / قد تقدم فى سورة /٣٥٩

١٥ سبحان وغيرها أنها [تدور -[٨]] على الجمع ، [٩]فالورق مثلثة وككتف

(١-١) سقط مابين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الخواض. (٣) وكان اسمها يوم خرجوا منها أفسوس - كما فى روح المعانى ٥/٢٦ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « صحة الوكالة » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : اوطية (٨) زيد من ظ ومد (٩) العبارة من هنا إلى « أول الجمع » ساقطة من مد .

و جبل : الدراهم المضروبة - تشبيها بالورق فى الشكل و فى الجمال ، و بها جمع حال الإنسان، [١]و حالها مقتض للجمع[١]، و الورّاق : الكثير الدراهم و هو أيضا مورّق الكتب ، و حرفته الوراقة ، و ما زلت منك موارقا ، أى قريبا مدانيا - أى كالذى يساجلك فى قطاف الورق من شجرة واحدة فهو يأخذ من ناحية و أنت من أخرى ، و المداناة : أول الجمع ٥ و الورق - محركة : جمال الدنيا و بهجتها - لأنها تجمع ألوانا و أنواعا ، و لعل منه الورقة ، قال [فى -[٢]] مختصر العين : إنها سواد فى غبرة. و حمامة ورقاء - أى منه ، و فى القاموس : و الأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد ، و رأى رجل الغول على جمل أورق فقال : جاء[٣] بأم الربيق على أريق ، [أى -[٤]] بالداهية العظيمة ، صغر الأورق ١٠ كسويد فى أسود ، و الأصل وريق فقلبت واوه همزة ، و الأورق أيضا : الرماد و عام [٥]لا مطر[٥] فيه ، و اللبن ثلثاه ماء - كل ذلك جامع للونين فأكثر ، و الورق [٦]محركة أيضا[٦] من الكتاب و الشجر[٧] معروف - لأنك لا [تكاد -[٢]] تجد واحدة منه على لون واحد ، و لأنه يجمع الواحدة منه إلى الأخرى و يجمع معنى [ما -[٨]] يحمله ، قال فى مختصر العين : ١٥ و الورق : أدم [رقاق -[٢]] منه ورق المصحف ، و الورق أيضا : الخبط -

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى القاموس : جاءنا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس (٥-٥) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل: امطر (٦-٦) فى ظ : ايضا محركة (٧) زيد بعده فى الأصل: أيضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من مد .

لأنه لما كانت الإبل تعلفه كان كأنه هو الورق لا غيره ، و الورق : الحى من كل حيوان - لأن الحياة هى الجمال ، و بها جماع الأمور ، و لأن الورق[1] دليل على حياة الحى من الشجر ، فهو من إطلاق اسم الدال على المدلول ، و الورق أيضا : ما استدار من الدم على الأرض ، أو ما ٥ سقط من الجراحة - لأن الاستدارة أجمع[2] الأشكال ، و هو تشبيه بورق الشجر فى[3] الشكل ، و الورق : المال من إبل و دراهم و غيرها - لأن جماع حياة الإنسان و كمالها بذلك كما أن كمال حياة الشجر بالورق ، و لرعى المال من الحيوان الورق ، و الورق : حسن القوم و جمالهم - من ذلك ، لأنه يجمع أمرهم و يجمع إليهم غيرهم ، و الورق [من ١٠ القوم -[4]] : [5]أحداثهم أو الضعاف[5] من الفتيان - تشبيه بالورق لأنه لا يقيم [غالبا -[6]] أكثر من عام ، و لأنه ضعيف فى نفسه ، و ضعيف النفع بالنسبة إلى الثمر[7] ، و الورقة - بهاء : الخسيس[8] و الكريم ، ضد - للنظر[9] تارة إلى كونه نافعا[10] للرعى و دالا على الحياة ، و إلى كونه غير مقصود بالذات أخرى ، و[11] رجل ورق و امرأة ورقة : خسيسان ١٥ أى لا ثمرة لهما ، و من ذلك أورق الصائد - إذا رمى فأخطأ أى لم يقع

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ورق (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجم. (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٤) زيد من ظ و مد و القاموس . (٥-٥) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : احوالهم و الورق (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الاصل : الشجر (٨) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الحشيش (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : النظير (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) فى مد : او .

على

على غير الورق ، أى لم تحصل له ثمرة ، بل وقع على شجرة غير مثمرة ، و كذا أورق القوم :[1]أخفقوا فى حاجتهم ، أى رجعوا بلا[2] ثمرة ، و من ذلك أيضا أورقوا : كثر[3] مالهم و دراهمهم - ضد ، هذا بالنظر إلى أن فى الورق جمال الشجر و حياته ، و التجارة مؤرقة للمال كمجلبة أى مكثرة ؛ و منه قول القزاز فى ديوانه : هذا رجل مؤرق له دراهم[4] ، و المؤرق : الذى ٥ لاشىء له - ضد ، أو أنه تارة يكون للايجاب و الصيرورة نحو أغدّ البعير ، و تارة للسلب نحو أشكيته[5] ، و الوراق - ككتاب : وقت خروج [الورق -[6]] من الشجر ، و شجرة وريقة و ورقة[7] : كثيرة الورق ، و الوارقة[8] : الشجرة الخضراء[9] الورق الحسنته[9] ، و الوراق - كسحاب : خضرة الأرض من الحشيش ، و ليس من الورق فى شىء ، و ذلك أن تلك الخضرة لا تخلو[10] عن لون ١٠ آخر ، و الرقة - كعدة : أول نبات النصى و الصليان و هما نباتان أفضل مراعى الإبل ، لأنهما سبب لجمع المال للرعى ، و الرقة : الأرض / التى /٣٦٠ يصيبها المطر فى الصفرية[11] - أى[12] أول الخريف - أو فى القيظ فتنبت

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثرت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدراهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : شكيته (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : ورقيه (٨) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الوراقة (٩-٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الورقة الخشنة - كذا (١٠) زيد فى مد : لانهما سبب بجمع المال للرعى و الرقة الأرض عن لون آخر - كذا (١١) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الصفريه (١٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فتكون خضراء - كأن ذلك النبات يكون أقل خضرة من نبات الربيع ، و يكون اختلاطه لغيره من الألوان أكثر مما في الربيع ، و في القوس ورقة - بالفتح : عيب ، [1] و الورقاء : الذئبة [1] - من أجل أن الورق الخالي عن الثمر تقل الرغبة في شجره و هو دون المثمر ، و لأن الورق مختلط
٥ اللون ، و الاختلاط في كل شيء عيب بالنسبة إلى الخالص ، و تورقت الناقة : أكلت الورق . و قار الرجل يقور : مشى على أطراف قدميه لئلا يسمع صوتها - لأن فاعل ذلك جدير بالوصول إلى ما أراد مما يجمع شمله ، و منه قار [2] الصيد : ختله [2] - لأن أهل الخداع أولى بالظفر ، ألا ترى الأسود تصاد به [3] ، و لو غولبت عز أخذها ، و قار الشيء : قطعه
١٠ من وسطه خرقا مستديرا كقوّره - لأن الثوب يصير بذلك الخرق يجمع [ما يراد - [4]] منه ، و الاستدارة أجمع [5] الأشكال كما سلف ، و القوارة - كثمامة : ما قور من الثوب و غيره ، أو يخص [6] بالأديم ، و ما قطعت من جوانب الشيء ، و الشيء الذي قطع [7] من جوانبه - ضد ، و هو من تسميه [موضع - [4]] الشيء باسمه ، و القارة : الجبل [8]
١٥ الصغير الصلب المنقطع عن الجبال - لشدة اجتماع أجزائه بالصلابة

(١ - ١) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : الورقة الدينية (٢ - ٢) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : المصيد خلته (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ ومد ، و في الأصل : جم (٦) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : تحصى (٧) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : قطعت .
(٨) في القاموس : الجبيل .

و اجتماعه فى نفسه بانقطاعه عن غيره مما لو خالطه لفرقه ، و لم يعرف حده على ما هو ، و القارة[1] : الصخرة العظيمة ، و الأرض ذات الحجارة السود - لاجتماعها فى نفسها بتميزها عن غيرها [بتلك الحجارة -[2]] ، و دار قوراء : واسعة - تشبيها بقوارة الثواب ، و لأنها كلما[3] اتسعت كانت أجمع ، و القار : الإبل أو[4] القطيع الضخم منها ، و الاقورار : تشنج الجلد ٥ و انحناء الصلب هزالا و كبرا - لأن كلا من التشنج و الا نحناء اجتماع ، و الاقورار[5] : الضمر - لأن الضامر اجتمعت أجزاؤه ، و الاقورار : السمن - ضد ، لأن السمين جمع اللحم و الشحم ، و الاقورار : ذهاب نبات الأرض - لأنها تصير بذلك قوراء فتصير[6] أجدر بأن تسع الجموع ، و يمكن أن يكون الاقورار كله من السلب إلا ما للسمن ، و القور : ١٠ القطن الحديث أو ما زرع من عامه - [لأنه - [2]] يلبس فيجمع[7] البدن ، و لقيت منه الأقورين - بكسر الراء ، و الأقوريات أى الدواهى القاطعة - تشبيها بما قور من الثوب ، فهى[8] للسلب ، و القور - محركة : العين[9] - لأن محلها يشبه القوارة ، و المقور[10] - كمعظم : المطلى بالقطران - لاجتماع أجزائه بذلك ، و اقتار : احتاج ، أى صار أهلا لأن يجمع ، ١٥

---

(١) زيد فى ظ : هو (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر فى مد (٤) من ظ و مد والقاموس ، و فى الأصل «و» (٥) فى مد : الاقوار (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيصير (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيجتمع (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : فهو (٩) فى مد : الغنى ، و فى القاموس : العور (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : المقورة .

و تقور الليل[1]: تهور ، أى مضى ، من القطع ، و تقورت الحية : تثنت أى تجمعت ، و القار : شجر مر - كأنه الذى تطلى به السفن ، و هذا أقير من هذا : أشد مرارة[2] - لأن المرارة تجمع اللهوات عند الذوق ، و القارة قبيلة - لأن [3]ابن الشداخ[3] أراد أن يفرقهم[4] فقال شاعرهم :

٥ دعونا قارة لا تذعرونا[5] فنجفل مثل إجفال الظليم

فسموا القارة بهذا[6] و كانوا رماة ، و فى المثل : قد أنصف القارة من راماها .

و الرقوة : [7]فويق الدعص[7] من الرمل ، و يقال رقو ، بلاهاء - كأنه لجمعه[8] الكثير من الرمل ، أو لجمعه من يطلب الإشراف على الأماكن

١٠ البعيدة بالعلو عليه لترويح النفس - و الله الموفق .

و لما نهوا رسولهم عن الإشعار بهم عللوا ذلك فقالوا : ﴿انهم﴾ أى أهل المدينة ﴿ان يظهروا﴾ [9]أى يطلعوا عالين[9] ﴿عليكم يرجموكم﴾ أى يقتلوكم [10]أخبث قتلة[10] إن استمسكتم بدينكم ﴿او يعيدوكم﴾ قهرا[11]

---

(١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس فحذفناها .
(٢) زيدت الواو فى ظ و مد (٣ - ٣) من مد و تاج العروس ، و فى الأصل وظ : من السداخ (٤) فى بنى كنانة و قريش - كما صرح فى التاج ، وفى الأصل : يقرهم ، والتصحيح من ظ ومد والتاج (٥) من التاج ، و فى النسخ : لا تجفلونا ، و فى اللسان و المستقصى ٢/١٨٩ ، لا تنفرونا (٦) تكرر فى مد (٧-٧) من مد و القاموس ، و فى الأصل : فريق الدعص ، و فى ظ : فريق الدعص (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : بجمعه (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل : خبث قتله ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (١١) سقط من ظ .

فى

﴿فى ملتهم﴾ إن لنتم لهم ﴿و لن تفلحوآ اذآ﴾ أى إذا عدتم فيها [1]مطمئنين بها، لأنكم و إن / أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة[1] ﴿ابدا ه﴾ [أى -[2]] فبعثوا أحدهم فنظر الأزكى و تلطف فى الأمر، فاسترابوا منه لأنهم أنكروا ورقه لكونها من ضرب ملك لايعرفونه فجهدوا[3] به فلم[4] يشعر بهم أحدا[5] من المخالفين، و إنما أشعر بهم[6] الملك لما رآه موافقا ٥ لهم فى الدين لأنه لم يقع النهى عنه ﴿و كذلك﴾ أى فعلنا[7] بهم ذلك[1] الأمر العظيم[1] من الربط على قلوبهم، و الستر لأخبارهم و الحماية من الظالمين و الحفظ لأجسامهم [8]على مر الزمان، و تعاقب الحدثان، و مثل ما فعلنا بهم ذلك ﴿اعثرنا﴾ اى أظهرنا [1]إظهارا اضطراريا[1]، أهل البلد [9]و أطلعناهم، و أصله أن الغافل عن الشىء ينظر إليه إذا عثر به نظر ١٠ إليه فيعرفه[10]، فكان العثار سببا لعلمه به فأطلق اسم السبب على المسبب ﴿عليهم ليعلموآ﴾ أى أهل البلد بعد أن كان حصل لبعضهم شك فى حشر [الأجساد -[2]] [1]لأن اعتقاد اليهود و النصارى أن البعث إنما هو للروح فقط[1] ﴿ان وعد الله﴾ [1] الذى له صفات الكمال بالبعث للروح و الجسد معا[1]

/ ٣٦١

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: فجهلوا (٤) فى ظ: و لم؛ و العبارة فيه من «فاسترابوا» إلى ما قبل هذه الكلمة ساقطة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: احد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: به (٧) زيد بعده فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٨) وقد طرأ الانطماس على نسخة مد من هنا إلى ما سننبه عليه (٩) العبارة من هنا إلى «المسبب» ساقطة من ظ (١٠) و العبارة يعتورها بعض الغموض.

﴿ حق ﴾ لأن قيامهم بعد نومهم نيفا و ثلاثمائة سنة مع خرق العادة بحفظ أبدانهم عن الفناء من غير أكل و لا شرب مثل قيام من مات بجسمه الذى كان سواء على أن مطلق النوم دال على ذلك كما قال بعض العارفين « علمك باليقظة بعد النوم علم بالبعث بعد الموت ، و البرزخ واحد ٥ غير أن للروح[1] بالجسم فى النوم تعلقا لا يكون بالموت ، و تستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه » .

و لما كان من الحق ما قد يداخله شك قال تعالى : ﴿ و ان ﴾ أى و ليعلموا أن ﴿ الساعة لا ريب فيهاج ﴾ مبينا أنها ليست موضع شك[2] أصلا لما قام عليها من أدلة العقل ، المؤيد فى كل عصر بقواطع النقل ، ١٠ [3]و من طالع تفسير " الزيتون " من كتابى هذا حصل له هذا ذوقا[3] ؛ ثم بين أن هذا الإعثار أتاهم بعلم نافع حال تجاذب و تنازع فقال : ﴿ اذ ﴾ أى ليعلموا ذلك ، [4]و أعثرنا حين[4] ﴿ يتنازعون ﴾ أى أهل المدينة .

و لما كان التنازع فى الغالب إنما يكون بين الأجانب ، و كان تنازع هؤلاء مقصورا عليهم كان الأهم بيان محله فقدمه فقال تعالى : ١٥ ﴿ بينهم امرهم ﴾ أى أمر أنفسهم فى الحشر فقائل يقول : تحشر الأرواح مجردة ، و قائل يقول[5] : بأجسادها . أو أمر الفتية فقائل يقول : ناس[6] صالحون ، و [7]ناس يقولون[7] : لا ندرى من أمرهم غير أن الله تعالى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الروح (٢) فى ظ : ريب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) فى ظ : اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : الناس (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : قائل يقول .

أراد هدايتنا[1] بهم ﴿ فقالوا ﴾ أى فتسبب عن هذا الإعثار أو التنازع أن قال أكثرهم : ﴿ ابنوا عليهم ﴾ على كل حال ﴿ بنيانا[5] ﴾ يحفظهم، و اتركوا التنازع فيهم؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ ربهم ﴾ [2] أى المحسن إليهم بهدايتهم و حفظهم و هداية الناس بهم[2] ﴿ اعلم بهم[4] ﴾ أن كانوا صالحين أو لا ، و أما أنتم فلا طريق لكم إلى علم ذلك؛ ثم استأنف على ٥ طريق الجواب لمن كأنه قال : ما ذا فعلوا ؟ فقال : ﴿ قال الذين غلبوا على[2] ﴾ [2]أى وقع أن كانوا غالبين على[2] ﴿ امرهم ﴾ أى ظهروا [عليه - [3]] و علوا أنهم ناس صالحون[4] فروا بدينهم من الكفار [2]و ضعفت من ينازعهم[2]؛ و يجوز - و هو أحسن - أن يكون الضمير لأهل البلد أو للغالبين أنفسهم ، إشارة إلى أن الرؤساء منهم و أهل القوة كانوا ١٠ أصلحهم [إيماء - [3]] إلى أن الله تعالى أصلح بهم [أهل - [3]] ذلك[6] الزمان ﴿ لنتخذن عليهم ﴾ ذلك البنيان الذى / اتفقنا عليه ﴿ مسجدا ﴾ / ٣٦٢ و هذا دليل على أنهم حين ظهروا عليهم و كلموهم أماتهم الله بعد أن علموا أن لهم مدة طويلة لا يعيش مثلها أحد فى ذلك الزمان ، و قبل أن يستقصوا جميع أمرهم ، و فى قصتهم ترغيب فى الهجرة . ١٥

و لما ذكر تعالى تنازع أولئك الذين هداهم [الله - [3]] بهم ، ذكر [2]ما يأتى من[2] إفاضة من علم قريشا أن تسأل النبى صلى الله عليه و على آله و سلم منهم فى[6] الفضول الذى ليس لهم إليه سبيل . و لا يظفرون

(١) من ظ ، و فى الأصل : هذا تثبتا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : صالحين (٥) من ظ . و فى الأصل : بذلك (٦) من ظ ، و فى الأصل : « و » .

فيه [بدليل -[1]] [2]علما من أعلام النبوة[2] فقال تعالى : ﴿ سيقولون ﴾ [3] أى أهل الكتاب و من وافقهم فى الخوض فى ذلك بعد اعترافهم بما قصصت عليك من نبأهم [2]بوعد لا خلف فيه[2]: هم ﴿ ثلثة ﴾ أشخاص ﴿ رابعهم كلبهم ج ﴾ و لا علم لهم بذلك ، [2]و لذلك أعراه عن الواو فدل إسقاطها على أنهم

٥ ليسوا ثلاثة و ليس الكلب رابعا[2] ﴿ و يقولون ﴾ أى و سيقولون أيضا : ﴿ خمسة سادسهم كلبهم ﴾ .

و لما تغير قولهم حسن جدا قوله تعالى : ﴿ رجما بالغيب ج ﴾ أى رميا[4] بالأمر الغائب[5] عنهم الذى لا اطلاع لهم عليه بوجه ﴿ و يقولون ﴾ أيضا دليلا على أنه لا علم لهم بذلك : ﴿ سبعة و ثامنهم كلبهم ط ﴾ و تأخير

١٠ هذا عن الرجم - و إن كان ظنا[6] - مشعر بأنه حق[7]، و يؤيده [8]هذه الواو التى تدخل[8] على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل الواو حالا عن المعرفة فى نحو " الا و لها كتب معلوم[9] " فان فائدتها[10] توكيد لصوق الصفة بالموصوف ، و الدلالة على أن اتصاف الموصوف بالصفة أمر ثابت مستقر ، فدلت هذه الواو على أن أهل هذا القول

١٥ قالوه عن ثبات علم و طمأنينة نفس ، و لم يرجموا[11] بالظن ، و فى براءة ،

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « فى ذلك » ساقطة من ظ ، و من هنا استأنفت نسخة مد (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : الغالب (٦) فى ظ : منه (٧) العبارة من هنا إلى « مجردا عنها » ساقطة من ظ (٨ - ٨) فى مد : هذا الواو الذى يدخل .
(٩) سورة ١٥ آية ٤ (١٠) من مد ، و فى الأصل : فائدة (١١) من مد ، و فى الأصل : لم يرجعوا .

كلام

كلام نفيس عن[١] اتباع الوصف تارة بواو و تارة مجردا عنها . فلما ظهر كالشمس أنه لاعلم لهم[٢] بذلك كان كأنه قيل[٣] : ما ذا يقال لهم ؟ فقيل : ﴿قل ربيّ﴾ [٤]أي المحسن إليّ باعلامي بأمرهم و غيره[٤] ﴿اعلم بعدتهم﴾ [أي -[٥]] التي لا زيادة فيها و لا نقص، فكان كأنه قيل : قد فهم من صيغة ' أعلم ' أن[٦] من الخلق من يعلم أمرهم فقيل : ﴿ما يعلمهم الا قليلٌ﴾ ٥ أي[٢] من الخلق [٤]و هو مؤيد لأنهم أصحاب القول الغالب، و هو قول ابن عباس رضى الله عنهما ، و كان يقول : أنا من ذلك القليل[٤] . ﴿فلا﴾ أي فتسبب عن ذلك أن يقول لك على سبيل البت الداخل تحت النهي عن قفو ما ليس لك به علم : لا ﴿ تمار ﴾ [٤]أي تجادل و تراجع[٤] ﴿فيهم﴾ أحدا ممن يتكلم بغير ما أخبرتك به ﴿ الا مرآء ظاهرا ﴾ أدلته ، [٤]و هو ١٠ ما أوحيت إليك به[٤] و لا تفعل فعلهم من الرجم بالغيب ﴿و لا تستفت﴾ [٤]أي تسأل سؤال مستفيد[٤] ﴿ فيهم ﴾ أي أهل الكهف ﴿ منهم ﴾ أي من الذين يدعون العلم من بني إسرائيل أو غيرهم ﴿ احدا ﴾ .

و لما كان نهيه عن استفتائهم موجبا لقصر همته على ربه سبحانه فكان من المعلوم أنه إذا سئل عن شيء ، التفتت نفسه إلى[٦] تعرفه من ١٥ قبله ، فربما قال لما يعلم[٧] من إحاطة علم الله سبحانه و كرمه لديه : سأخبركم به [غدا -[٨]] ، كما وقع من هذه القصص ، علمه الله ما يقول في كل أمر

---

(١) في مد : على (٢) سقط من ظ (٣) زيد في الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من مد .
(٦) من ظ ومد ، و في الأصل : ان (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا يعلم .
(٨) زيد من ظ و مد .

مستقبل يعزم عليه بقوله تعالى : ﴿ و لاتقولن لشائ ﴾ [١]أى لأجل شيء[١] من الأشياء [١]التى يعزم عليها[١] جليلها و حقيرها ، عزمت على فعله : عزما صادقا من غير تردد و إن كنت عند نفسك فى غاية القدرة عليه : ﴿ انى فاعل ذلك ﴾ أى[٢]الشيء [٢]و إن كان / مهما[٢] ﴿ غدا ﴾ أى فيما يستقبل /٣٦٣

٥ [١]فى حال من الأحوال[١] ﴿ الآ ﴾ قولا كائنا معه ﴿ ان يشآء ﴾ [١]فى المستقبل ذلك الشيء[١] ﴿ الله ﴾ أى مقرونا بمشيئة[٣] الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه[٣] سبحانه تعظيما لله أن يقطع شيء دونه و[٤] اعترافا بأنه لاحول و لاقوة إلا به ، [٥]و لأنه إن قيل ذلك دون استثناء فات قبل الفعل أو عاقه[٦] عنه عائق كان كذبا منفرا عن القائل .

١٠ و لما كان النسيان من شأن الإنسان و هو غير مؤاخذ به قال تعالى : ﴿ و اذكر ربك ﴾ أى المحسن إليك برفع المؤاخذة حال النسيان ﴿ اذا نسيت ﴾ الاستثناء بالاستعانة و التوكل عليه و تفويض الأمر كله إليه بأن تقول: إن شاء الله ، و نحوها فى أىّ وقت تذكرت ؛ و أخرج الطبرانى فى معجمه الأوسط فى ترجمة محمد بن الحارث الجبيلي - بضم الجيم و فتح الموحدة - عن

١٥ ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا خاص برسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و ليس [٧]لأحد منا[٧] أن يستثنى إلا بصلة اليمين . ثم عطف

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بمشيئته . (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : او (٥) العبارة من هنا الى « عن القائل » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : عاق (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لأحد ، و فى روح المعانى ٥/٤١ حيث ذكر هذه الرواية : لأحدنا .

على

على ما أفهمه الكلام و هو : فقل إذا نسيت : إنى فاعل [ذلك - [1]] غدا إن شاء الله - و نحو ذلك من التعليق بالمشيئة المؤذن بأنه لاحول و لاقوة إلا بالله و لامشيئة لأحد معه [قوله - [2]] : ﴿ و قل عسىٓ ان يهدين ربى ﴾ أى[3] المحسن إلىّ ﴿ لاقرب ﴾ أى إلى أشد قربا ﴿ من هذا ﴾ أى الذى عزمت على فعله و نسيت الاستثناء فيه فقضاء الله و لم يؤاخذنى ، أو[4] ٥ فاتنى أو[4] تعسر علىّ لكونى لم أقرن العزم عليه[5] بذكر الله ﴿ رشدا ﴾ أى من جهة الرشد بأن يوفقنى للاستثناء[6] فيه عند العزم عليه مع كونه أجود أثرا و أجل عنصرا فأكون كل يوم فى ترق بالأفعال الصالحة فى معارج القدس[7] ، و " اقرب " أفعل تفضيل من قرب - بضم الراء - من الشيء ، لازم ، لا من المكسور الراء المتعدى نحو[8] " و لاتقربوا الزنى[9] " ، " و لا تقربوا ١٠ مال اليتيم[10] " - الآية ، و الأقرب من رشد الاستدلال بقصة أهل الكهف التى الحديث عنها على صحة نبوة النبى صلى الله عليه و على آله و سلم ، و نحو ذلك الاستدلال على وحدانية الصانع و قدرته على البعث و غيره بالأمور[11] الكلية أو الجزئيات القريبة المتكررة ، لا بهذا الأمر الجزئى النادر المتعب و نحو هذا من المعارف الإلٰهية . ١٥

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٥) زيد فى مد : مع كونه اجود اثرا و اجل عنصرا . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستثناء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القدير (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحرف (٩) سورة ١٧ آية ٣٢ . (١٠) سورة ٦ آية ١٥٢ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالامر .

و لما فرغ من هذه التربية فى أثناء القصة و ختمها بالترجية فى الهداية للأرشد، وكان علم مدة لبثهم أدق و أخفى من علم عددهم، شرع فى إكمالها مبينا لهذا الأخفى، عاطفا على قوله " قالوا ربكم اعلم بما لبثتم " أو على «فاووا إليه» الذى أرشد إلى تقديره[1] قولهم " فأوٗا الى الكهف "

٥ كما مضى، [2]المختوم بنشر الرحمة و تهيئة المرفق بعد قوله تعالى " اذ اوى الفتية " المختوم بقولهم " و هيّئ لنا من امرنا رشدا " فقال بيانا لإجمال " سنين عددا " محققا لقوله تعالى " قل الله اعلم بما لبثوا[2] ": ﴿ و لبثوا فى كهفهم ﴾ نياما ﴿ ثلث ﴾ [أى ـ[3]] مدة ثلاث ﴿ مائة سنين ﴾ شمسية بحساب اليهود الآمرين بهذا السؤال، و عبر بلفظ السنة إشارة إلى ذمها بما وقع

١٠ فيها من علو أهل الكفر[4] و طغيانهم بما أوجب خوف الصديقين و هجرتهم و إن كان وقع فيها خصب فى النبات و سعة فى الرزق، [2]و ذلك يدل على استغراق الكفر لمدة نومهم[2].

و لما كان المباشرون للسؤال هم العرب قال: ﴿ و ازدادوا تسعا ه ﴾ [أى ـ[3]] من السنين القمرية [2]إذا حسب الكل بحساب القمر[2]، لأن

١٥ تفاوت ما بين السنة الشمسية و القمرية عشرة أيام و إحدى و عشرون ساعة و خمسا / ساعة كما تقدم فى النسىء من برآءة[5]. فاذا حسبت زياده [6]السنى القمرية على الثلاثمائة الشمسية[6] باعتبار نقص أيامها ٣٦٤/

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: تقريره (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الكهف (٥) راجع نظم الدرر ٨/ ٤٦١ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: السنين الثلاثمائة الشمسية على القمرية.

عنها

عنها كانت تسع سنين، و كأن[1] مدة لبثهم كانت عند اليهود أقل من ذلك أو أكثر، فقال على طريق الجواب لسؤال[2] من يقول: فان قال أحد غير هذا فما يقال له؟: ﴿ قل الله ﴾ [3] أى الذى له الإحاطة الكاملة[3] ﴿ اعلم ﴾ منكم ﴿ بما لبثوا ج ﴾ ثم علل ذلك بقوله تعالى: ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ غيب السمٰوٰت و الارض[4] ﴾ يعلمه كله على ما هو عليه، ٥ و لا ينسى شيئا من الماضى و لا يعزب عنه شيء من الحاضر، و لا يعجز عن شيء من الآتى، فلا ريب فيما يخبر به.

و لما كان السمع و البصر مناطى العلم، و كان متصفا منهما بما لا يعلمه حق علمه غيره، عجب [من ذلك -[4]] بقوله تعالى: ﴿ ابصر به و اسمع[4] ﴾ و لما كان القائم [بشيء - [4]] قد يقوم غيره مقامه[5] إما بقهر أو شرك، ١٠ نفى ذلك فانسد باب العلم[6] عن غيره إلا من جهته[7] فقال تعالى: ﴿ ما لهم ﴾ أى لهؤلاء السائلين و لا المسؤلين الراجمين بالغيب فى أصحاب الكهف ﴿ من دونه ﴾ [3] و أعرق بقوله تعالى[3]: ﴿ من ولىّ ﴾ يجيرهم منه أو يخبرهم بغير ما أخبر به ﴿ و لا يشرك ﴾ أى الله ﴿ فى حكمه احدا ﴾ فيفعل شيئا بغير أمره أو يخبر بشيء من غير طريقه. ١٥

و لما تقرر أنه لا شك فى قوله: و لا يقدر أحد أن يأتى[8] بما

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: كانت (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: السوال (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مقاومة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: القلم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: جهة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يقدر.

يماثله فكيف بما ينافيه مع كونه مختصا بتمام العلم و شمول القدرة، حسن تعقيبه بقوله عطفا على " قل الله اعلم ": ﴿ و اتل ﴾ [١]أى اقرأ على وجه الملازمة[١] ﴿ مآ اوحى اليكَ ﴾ [١]و بنى الفعل للمجهول لأن الخطاب مع النبى صلى الله عليه و على آله و سلم و هو على القطع بأن الموحى إليه هو الله سبحانه و تعالى[١] ﴿من كتاب ربكَ ﴾ الذى أحسن تربيتك فى قصة أهل الكهف و غيرها، على من رغب فيه غير ملتفت إلى غيره و اتبعوا ما فيه واثقين بوعده و وعيده و إثباته و نفيه [١]و على غيرهم[١].

و لما كان الحامل على الكف عن إبلاغ رسالة المرسل[٢] وجدان من ينقضها أو عمى على المرسل، قال تعالى: ﴿ لا مبدل لكلمٰته ﴾ فلا شك فى وقوعها فلا عذر فى التقصير فى إبلاغها، [١]و النسخ ليس بتبديل بهذا المعنى بل هو غاية لما كان[١] ﴿ و لن تجد ﴾ [١]أى بوجه من الوجوه[١] ﴿ من دونه ﴾ [١]أى أدنى منزلة من رتبته الشماء إلى آخر المنازل[١] ﴿ ملتحدا ﴾ أى ملجأ [١]و متحيزا[١] تميل إليه فيمنعك منه إن قصرت فى ذلك.

و لما كان صلى الله عليه و على آله و سلم شديد الحرص على إيمانهم كثير[٣] الأسف على توليهم عنه يكاد يبخع نفسه حسرة عليهم وكانوا يقولون [له -[٤]] إذا رأوا مثل هذا الحق الذى لا يجدون له مدفعا:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الرسل.
(٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و مد.

لو طردت هؤلاء الفقراء و أبعدتهم عنك مثل عمار و صهيب و بلال فانه[1] يؤذينا ريح جبابهم و نأنف[2] من مجالستهم جلسنا إليك و سمعنا منك و رجونا أن نتبعك ، قال رغبه فى أتباعه مزهدا فيمن عداهم كائنا من كان ، معلما أنه ليس فيهم ملجأ لمن خالف أمر الله و أنهم لا يريدون إلا تبديل كلمات الله فسيذلهم عن قريب و لا يجدون لهم ملتحدا : ٥
﴿ و اصبر نفسك ﴾ أى احبسها و ثبتها[3] فى تلاوته و تبيين معانيه ﴿مع الذين يدعون ربهم ﴾ شكرا لإحسانه . و اعترافا بامتنانه ، و كنى عن المداومة [بما -[4]] يدل على البعث الذى كانت قصة أهل الكهف دليلا [عليه -[4]] فقال تعالى[5] : ﴿بالغدوة﴾ [6] أى [التى -[4]] الانتقال فيها من النوم إلى اليقظة كالانتقال من الموت إلى الحياة ﴿ و العشى ﴾ [7] أى ١٠ [التى -[4]] الانتقال فيها من اليقظة إلى [النوم كالانتقال من الحياة إلى -[4]] الموت ؛ ثم مدحهم بقوله [8] تعالى معللا لدعائهم[8] : / ﴿ يريدون ﴾ أى بذلك ٣٦٥ / ﴿ وجهه ﴾ لا غير ذلك من رجاء ثواب أو خوف عقاب [9] و إن كانوا[10] فى غاية الرثاثة ؛ و أكد ذلك بالنهى عن ضده فقال [8] مؤكدا للمعنى لقصر الفعل و تضمينه فعلا آخر[8] : ﴿ و لا تعد عيناك ﴾ [8] علوا و نبوءا و تجاوزا[8] ١٥

---

(١) تكرر فى مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تانق (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) العبارة من « وكنى عن » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «الحياة» ساقطة من ظ (٧) العبارة من هنا إلى «الموت» ساقطة من ظ (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « غاية الرثاثة » ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل : كان .

﴿ عنهم ج ﴾ [1] إلى غيرهم ، أى لا تعرض عنهم [1] ، حال كونك ﴿ تريد زينة الحيوٰة الدنيا ج ﴾ التى قدمنا فى هذه السورة أنا زينا بها [2] الأرض لنبلوهم بذلك ، فانهم و إن كانوا اليوم عند [3] هؤلاء مؤخرين [4] فهم عند [4] الملك الأعلى مقدمون [5] ، و ليكون عن قريب - إذا بعثنا
٥ من نريد من العباد بالحياة من برزخ الجهل - فى [6] الطبقة العليا من أهل العز ، و أما بعد البعث الحقيق فلتكونن لهم مواكب يهاب الدنو منها كما كان لأهل الكهف بعد بعثهم من هذه الرقدة بعد أن كانوا فى حياتهم قبلها هاربين مستخفين فى غاية الخوف و الذل . [7] و أما إن عدت العينان أحدا لما غفل عنه من الذكر ، و أحل به من الشكر ، فليس ذلك
١٠ من النهى فى شىء لأنه لم يرد [به - [8]] إلا الآخرة .

و لما بالغ فى أمره صلى الله عليه و على آله و سلم بمجالسة المسلمين [9] ، نهاه عن الالتفات إلى الغافلين ، و [10] أكد الإعراض عن الناكبين فقال تعالى : ﴿ و لا تطع من اغفلنا ﴾ بعظمتنا [11] ﴿ قلبه ﴾ أى جعلناه غافلا ، [11] لأن الفعل فيه لنا لا له [11] ﴿ عن ذكرنا ﴾ بتلك الزينة .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : بهما .
(٣) من مد ، وفى الأصل وظ : عنه (٤-٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : فعند .
(٥) فى ظ : مقدمين (٦) فى مد « و » (٧) العبارة من هنا إلى « إلى الغافلين » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، و فى الأصل : المجالسين .
(١٠) فى ظ : ثم (١١) سقط من ظ .

و لما

[1]و لما كان التقدير: فغفل، لأن عظمتنا لا يغلبها شيء فلا يكون إلا ما نريد، عطف على فعل المطاوعة قوله تعالى[1]: ﴿و اتبع هونه﴾ بالميل إلى ما استدرجناه به منها[2] و الأنفة من مجالسة أوليائنا الذين أكرمناهم بالحماية منها لأن ذكر الله مطلع الأنوار، فاذا أفلت[3] الأنوار تراكمت الظلمة فجاء الهوى فأقبل على الخلق[4] ﴿و كان امره فرطاه﴾ أي متجاوزا ٥ للحد مسرفا فيه متقدما على الحق، فيكون الحق منبوذا به [وراء -[5]] الظهر [6]مفرطا فيه بالتقصير[6] فان ربك سبحانه سينجي [أتباعك -[5]] على ضعفهم منهم كما أنجى أصحاب الكهف، و يزيدك بأن يعليهم عليهم و يدفع الجبابرة في أيديهم[7] [1]لأنهم مقبلون على الله معرضون عما سواه، و غيرهم مقبل على غيره معرض عنه[1]. ١٠

و لما رغبه[8] في أوليائه، و زهده في أعدائه، ترضية بقدره[9] بعد [أن -[10]] قص الحق من قصة أهل الكهف للتعنتين، [1]علمه ما يقول لهم[1] على وجه يعمهم و يعم غيرهم و يعم القصة و غيرها فقال[11] تعالى مهددا و متوعدا - كما نقل عن علي رضي الله عنه و كذا عن غيره[12]:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: بها (٣) من مد، وفي الأصل: قلت (٤) العبارة من «و الأنفة» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد قبله في مد: عما لا يحق له (٧) في ظ و مد: يديهم.
(٨) من ظ و مد، و في الأصل: رغب (٩) من ظ و مد، و في الأصل: في قدره (١٠) زيد من مد (١١) من مد، و في الأصل و ظ: قال (١٢) زيد في ظ: فقال.

﴿و قل﴾ أى لهم[1] و لغيرهم: هذا الذى جئتكم به من هذا الوحى العربى العرى عن العوج، الظاهر الإعجاز، الباهر[2] الحجج ﴿الحق﴾ [3] كائنا ﴿من ربكم قف﴾ المحسن [إليكم -[4]] فى أمر أهل الكهف [و غيرهم -[5]] من صبر نفسى مع المؤمنين، و الإعراض عمن سواهم و غير ذلك، لا

٥ ما قلتموه فى أمرهم، و يجوز أن يكون الحق مبتدأ[6] ﴿فمن شآء﴾ [7] أى منكم و من غيركم[7] ﴿فليؤمن﴾ [8] بهذا الذى قصصناه فيهم و فى غيرهم[8]، فهو مقبول مرغوب فيه و إن كان فقيرا زرىء[9] الهيئة [8] و لم ينفع إلا نفسه[8] ﴿و من شآء﴾ منكم[8] و من غيركم[8] ﴿فليكفر ج﴾ فهو أهل لأن[10] يعرض عنه و لا يلتفت إليه و إن كان أغنى الناس و أحسنهم هيئة، و إن تعاظمت

١٠ هيبته لما اشتد من أذاه، و أفرط من ظلمه، و سنشفى قلوب المؤمنين [8] فى الدارين[8] بالانتقام منه[11]، و الآية[12] دالة على أن كلا من الكفر و الإيمان موقوف على المشيئة بخلق[13] الله تعالى، لأن الفعل الاختيارى يمتنع حصوله بدون القصد إليه و ذلك القصد إن كان بقصد آخر يتقدمه / لزم أن /٣٦٦

(١) زيد فى ظ: هذا كله، و العبارة من هنا إلى «الباهر الحجج» ساقطة منه. (٢) من مد، و فى الأصل: الباهرة (٣) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦) العبارة من «فى أمر» إلى هنا ساقطة من ظ (٧-٧) فى ظ: منهم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: زوى (١٠) من ظ، و فى الأصل: ان لا، و فى مد: لا - كذا (١١) العبارة من هنا إلى «التهديد تفصيلا» ساقطة من ظ.
(١٢) من مد، و فى الأصل: لانه (١٣) من مد، و فى الأصل: خلق.

يكون كل قصد مسبوقا بقصد آخر إلى غير النهاية و هو محال، فوجب أن تنتهى [تلك - [1]] القصود إلى قصد يخلقه الله فى العبد على سبيل الضرورة يجب به الفعل[2]، فالإنسان مضطر فى صورة مختار، فلا دليل للمعتزلة فى هذه الآية.

و لما هدد السامعين بما حاصله : ليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا ٥ عند الله تعالى، اتبع هذا التهديد - تفصيلا لما أعد للفريقين من الوعد [و الوعيد - [3]] لفا و نشرا مشوشا - بما يليق بهذا الأسلوب المشير إلى أنه لا كفوء له من نون العظمة فقال تعالى : ﴿ انآ اعتدنا ﴾ [4]أى هيأنا بما لنا من العظمة تهيئة قريبة جدا، و أحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير[4] ﴿ للظلمين ﴾ أى لمن لم يؤمن، و لكنه وصف إشارة إلى تعليق الحكم به ١٠ ﴿ نارا ﴾ [4]جعلناها معدة لهم[4] ﴿ احاط بهم ﴾ كلهم ﴿ سرادقها ﴾ أى حائطها الذى يدار حولها كما يدار الحظير حول الخيمة [4]من جميع الجوانب[4].

و لما كان المحرور شديد الطلب للماء قال تعالى : ﴿ و ان يستغيثوا ﴾ من حر النار فيطلبوا الغيث - و هو ماء المطر - و الغوث باحضاره[5] لهم؛ ١٥ و شاكل استغاثتهم تهكما بهم فقال تعالى[6] : ﴿ يغاثوا بمآء ﴾ ليس كالماء الذى قدمنا الإشارة إلى أنا نحيي به الأرض بعد صيرورتها صعيدا جرزا،

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل : الا الفعل (٣) زيد من ظ و مد.
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد، و فى الأصل : باحضار.
(٦) العبارة من « و الغوث » إلى هنا ساقطة من ظ.

[بل - ١] ﴿ كالمهل ﴾ و هو القطران الرقيق و ما ذاب من صفر أو حديد
[و الزيت - ٢] أو دردية ٣ - قاله فى القاموس. و شبهه به من أجل تناهى
الحر مع كونه ثخينا ، و بين وجه الشبه بقوله تعالى : ﴿ يشوى الوجوه ٤ ﴾
أى إذا قرب إلى الفم ٤ فكيف بالفم و الجوف ! ثم وصل بذلك ذمه
٥ فقال تعالى : ﴿ بئس الشراب ٥ ﴾ أى هو ، فانه أسود منتن غليظ حار ،
و عطف عليه ذم النار المعدة [لهم - ١] فقال تعالى : ﴿ و سآءت مرتفقا ﴾
٥ أى منزلا يعد للارتفاق ٦ . فكأنه قيل : فما لمن آمن ؟ فقال تعالى :
﴿ ان الذين ءامنوا ﴾ و لما كان الإيمان هو الإذعان للأوامر ، عطف
عليه ما يحقق ذلك فقال تعالى : ﴿ و عملوا الصلحت ﴾ ثم ٧ عظم جزاءهم
١٠ بقوله تعالى : ﴿ انا لانضيع ﴾ ٨ أى بوجه من الوجوه لما يقتضيه عظمتنا ٨
﴿ اجر من احسن عملا ج ﴾ مشيرا باظهار ضميرهم إلى أنهم استحقوا
بذلك الوصف بالإحسان . فكأنه قيل : فما لهم ؟ فقال ٨ مفصلا لما أجمل
من وعدهم ٨ : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ لهم جنت عدن ﴾ أى
إقامة ، فكأنه قيل : ما لهم فيها ؟ فقيل ٩ : ﴿ تجرى من تحتهم ﴾ أى ١٠
١٥ تحت منازلهم ﴿ الانهر ﴾ فكأنه قيل : ثم ما ذا ؟ فقيل : ﴿ يحلون فيها ﴾

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من القاموس (٣) من القاموس ، و فى الأصول : دردية
- كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفهم (٥) العبارة من هنا إلى « فكأنه قيل »
متكررة فى مد بعد « الذين ءامنوا » (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الارتفاق .
(٧) سقط من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) من ظ و مد ، و فى
الأصل : قيل (١٠) زيد فى ظ : من .

و بى

[1] و بنى الفعل للجهول لأن القصد وجود التحلية ، و هى لعزتها إما[2] يؤتى ،
بها من الغيب فضلا من الله تعالى .

و لما كان [الله - [3]] أعظم من كل شيء ، فكانت نعمه لا يحصى
نوع منها ، قال تعالى مبعضا : ﴿من اساور﴾ جمع أسورة جمع سوار ،
[4] كما يلبس ذلك ملوك الدنيا من جبارة الكفرة فى بعض الأقاليم كأهل ٥
فارس . و لما كان لمقصودها نظر إلى التفضيل و الفعل بالاختيار على
الإطلاق ، وقع الترغيب فى طاعته بما [هو - [3]] أعلى من الفضة فقال
مبعضا أيضا : ﴿ من ذهب ﴾ أى ذهب هو فى غاية العظمة . و لما كان
اللباس جزاء [العمل -[3]] و كان موجودا عندهم ، أسند الفعل إليهم فقال
تعالى[5] : ﴿و يلبسون ثيابا خضرا﴾ ثم وصفها بقوله تعالى : ﴿من سندس﴾ ١٠
و هو ما رقّ من الديباج ﴿و استبرق﴾ و هو ما غلظ منه ؛ ثم استأنف
الوصف عن حال جلوسهم فيها[6] بأنه جلوس الملوك المتمكنين من النعيم[6]
فقال تعالى : ﴿متكئين فيها﴾ [6] أى لأنهم / فى غاية الراحة[6] ﴿على الارآئك[1]﴾ /٣٦٧
أى الأسرة عليها[7] [الحجل - [3]] ، ثم مدح هذا فقال تعالى : ﴿نعم الثواب[1]﴾
أى هو لو[8] لم يكن لها وصف غير ما سمعتم فكيف و لها من الأوصاف ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « قال تعالى مبعضا » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى «مبعضا أيضا» ساقطة من ظ (٥) العبارة من « هو فى غاية » إلى هنا ساقطة من ظ (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد . و فى الأصل : عليهم ، و الكلمة ساقطة من ظ . (٨) سقط من مد .

ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ! و إلى ذلك أشار بقوله تعالى : ﴿ وحسنت ﴾ [1] أى الجنة كلها ، و ميز ذلك بقوله تعالى [1] : ﴿ مرتفقا ﴾ .

و لما كان إنما محط حال المشركين العاجل ، و كان قد تقدم قولهم "او يكون لك جنة من نخيل و عنب" - الآية ، و قوله تعالى "انا جعلنا ٥ ما على الارض زينة لها" - الآية ، و قوله تعالى فى حق فقراء [2] المؤمنين الذين تقذروهم [3] "و لا تعد عينك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا" - الآية ، و استمر إلى أن ختم بأن جنات المؤمنين عظيم حسنها من جهة الارتفاق ، عطف على قوله تعالى "و قل الحق من ربكم" [4] قوله تعالى كاشفا بضرب المثل أن ما فيه الكفار من الارتفاق العاجل ليس أهلا لأن يفتخر به ١٠ لأنه إلى زوال [4] : ﴿ و اضرب لهم ﴾ أى لهؤلاء [4] الضعفاء [5] و المتجبرين الذين يستكبرون على المؤمنين ، و يطلبون طردهم لضعفهم و فقرهم : ﴿ مثلا ﴾ لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا ، فاعتمدوا عليه و ركنوا إليه و لم يشكروا [6] من آتاهم إياه عليه ، بل أداهم إلى الافتقار و التكبر على من زوى ذلك [عنه - [7]] إكراما له و صيانة عنه ﴿ رجلين ﴾ ١٥ فكأنه قيل : فما [8] مثلهما ؟ فقيل : ﴿ جعلنا ﴾ [1] أى بما لنا من العظمة [1] ﴿ لاحدهما ﴾ [1] و هو المجعول مثلا لهم [1] ﴿ جنتين ﴾ [9] أى بساتين يستر ما

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فقر . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقذروهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : احوال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ . و فى الأصل و مد : لم يشركوا (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد . و فى الأصل و ظ : ما (٩) العبارة من هنا الى « من يدخلها » ساقطة من ظ .

فيهما[1] من الأشجار من يدخلهما على أي وضع من الأوضاع كانتا . و من جملة الأوضاع أن تكون إحداهما فى السهل و الأخرى فى الجبل ، ليبعد عموم عاهة لهما لأنها إما من برد أ، حر ﴿ من اعناب ﴾ لأنها من أشجار البلاد الباردة و تصبر على الحر ، [2]و هى فاكهة و قوت بالعنب و الزبيب و الخل و غيرها[2] ﴿ و حففنهما ﴾ [3]أى حطناهما بعظمتنا[3] ﴿ بنخل ﴾ ٥ لأنها [من - [3]] أشجار البلاد الحارة ، و تصبر على البرد ، و ربما منعت عن الأعناب بعض أسباب العاهات ، [4]و ثمرها فاكهة بالبسر و الرطب و قوت بالتمر و الخل . فكأن النخل كالإكليل من وراء العنب ، و [هو - [5]] مما يؤثره الدهاقين لأنه فى غاية البهجة و المنفعة ﴿ و جعلنا بينهما ﴾ أى أرضى[6] الجنتين ﴿ زرعا[4] ﴾ لبعد شمول الآفة للكل ، لأن زمان ١٠ [7]الزرع و مكانه غير زمان[7] أثمار الشجر المقدم و مكانه ، [2]و ذلك هو العمدة فى القوت ، فكانت الجنتان أرضا جامعة لخير الفواكه و أفضل الأقوات ، و عمارتهما متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها و يفصل بينها ، مع سعة الأطراف ، و تباعد الأكناف ، و حسن الهيئات و الأوصاف[2] .

و لما كان الشجر قد يكون فاسدا من جهة أرضه ، نفى ذلك بقوله ١٥ تعالى ، جوابا لمن كأنه قال : ما حال أرضهما المنتج لزكاء[8] ثمرهما[9] ؟ :

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بينهما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) زيد من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « البهجة و المنفعة » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ارض (٧-٧) تكرر فى مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازكا - كذا (٩) زيد فى الأصل : اوجنته ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

﴿كلتا﴾ [١]أى كل واحدة من[١] ﴿الجنتين﴾ المذكورتين ﴿اٰتت اكلها﴾ [٢]أى ما يطلب منها و يؤكل من ثمر و حب[٢]، كاملا غير منسوب شيء منها إلى نقص[٣] و لا رداءة[٣]، و هو معنى: ﴿و لم تظلم﴾ [١]أى تنقص حسا و لامعنى كمن يضع الشيء فى غير موضعه[١] ﴿منه شيئا لا﴾.

٥ و لما كان الشجر ربما أضر بدوامه قلة السقى قال تعالى: ﴿و فجرنا﴾ [١]أى تفجيرا يناسب عظمتنا[١] ﴿خللهما نهرا ۙ﴾ [٤]أى يمتد فيتشعب فيكون كالأنهار[٥] لتدوم طراوة[٦] الأرض و يستغنى عن المطر عند القحط؛ ثم زاد[٧] فى ضخامة هذا الرجل فبين أن له غير هاتين الجنتين [و الزرع -[٨]] بقوله تعالى: ﴿و كان له﴾ أى صاحب الجنتين ﴿ثمرج﴾ أى مال

١٠ مثمر غير ما /[تقدم -[٨]] كثير، [١]ذو أنواع ليكون متمكنا من العمارة /٣٦٨ بالأعوان و الآلات و جميع ما يريد[١] ﴿فقال﴾ [١]أى هذا الكافر[١] ﴿لصاحبه﴾ [١]أى المسلم المجعول مثلا لفقراء المؤمنين[١] ﴿و هو﴾ أى صاحب الجنان ﴿يحاورة﴾ [٩]أى يراجعه الكلام. [من -[١٠]] حار يحور - إذا رجع. افتخارا عليه و تقبيحا لحاله[١١] بالنسبة إليه، و المسلم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: رادة - كذا (٤) العبارة من هنا إلى «كالأنهار» ساقطة من ظ.
(٥) من مد، وفى الأصل: بالابصار (٦) من مد. و فى الأصل و ظ: حلاوة.
(٧) من ظ و مد، و فى الاصل: اراد (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى «إلى الدنيا» ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١) من مد، و فى الأصل: له.

يحاوره

يحاوره بالوعظ و تقبيح[1] الركون إلى الدنيا: ﴿ انا اكثر منك مالا ﴾ لما ترى من جناني و ثماري ﴿ و اعز نفرا ﴾ [2]أي ناسا يقومون معي في المهمات، و ينفرون عند الضرورات[2]، لأن ذلك لازم لكثرة المال ﴿ و دخل جنته ﴾ وحد لإرادة الجنس [3]و دلالة على ما أفاده[4] الكلام من أنهما لاتصالهما كالجنة الواحدة، و إشارة إلى أنه لاجنة له غيرها ٥ لأنه لا حظ له في الآخرة ﴿ و هو ﴾ [2]أي و الحال[2] [أنه -[5]] ﴿ ظالم لنفسه ج ﴾ بالاعتماد على ماله و الإعراض عن ربه؛ ثم استأنف [6]بيان ظلمه بقوله[6]: ﴿ قال ﴾ [7]لما استولى عليه من طول أمله و شدة حرصه و تمادي غفلته و اطراحه للنظر في العواقب بطول المهلة و سبوغ النعمة[7]: ﴿ مآ اظن ان تبيد ﴾ أي تهلك [7]هلاكا [ظاهرا -[5]] مستوليا ﴿ هذة ابدا لا ﴾ ثم زاد[8] في ١٠ الطغيان و البطر بقصر النظر على الحاضر فقال[9]: ﴿ و مآ اظن الساعة قآئمة ﴾ استلذاذا بما هو فيه و إخلادا [إليه -[10]] و اعتمادا عليه.

[11]و لما كان الإنسان مجبولا على غلبة الرجاء عليه، فاذا حصل له من دواعي الغنى و طول الراحة و بلوغ المأمول[12] و الاستدراج بالظفر بالسؤل ما يربيه، و يثبت أصوله و يقويه، اضمحل الخوف [13]فلم يزل[13] ١٥ يتضاءل حتى يتلاشى فكان عدما. فقال تعالى حاكيا عن هذا الكافر

---

(١) من مد، وفي الاصل: يفتح (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « في الآخرة » ساقطة من ظ (٤) من مد. و في الأصل: اعاده. (٥) زيد من مد (٦-٦) في ظ: قوله (٧) العبارة من هنا إلى «مستوليا» ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد، و في الأصل: ازداد (٩) زيد في الأصل: تعالى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة من هنا إلى « القدر مقسما» ساقطة من ظ (١٢) من مد. و في الأصل: الامل. (١٣-١٣) من مد، و في الأصل: فلم.

ما أثمر له الرجاء من أمانه من سوء ما يأتي بـه القدر مقسما : ﴿ و لئن رددت ﴾ [أى ردنى راد - ١] ﴿ الى ربى ﴾ المحسن إلى فى هـذه الدار ، فى الساعة على تقدير قيامها الذى يستعمل فى فرضه أداة الشك ﴿لاجدن خيرا منها﴾ أى هذه الجنة ؛ ٢و قرأ ٣ابن كثير و ابن ٥ عامر ٣ بالتثنية للجنتين ﴿ منقلبا ﴾ ٢ ٤أى من جهة الانقلاب و زمانه و مكانه ٤ ، لأنه ما أعطانى ذلك إلا باستحقاق ٥ ، و هو وصف لى غير منفك فى الدارين ، ٦و إن لم يقولوا [نحو - ١] ٧هذا بألسنة٧ مقـالهم فان ألسنة أحوالهم ناطقة بـه ، فكأنه قيل : إن هذا لفى عداد البهـائم حيث قصر النظر على الجزئيات ، و لم يجوز أن يكون التمويل استدراجا ، ١٠ فما قال له الآخر ؟ فقيل : ﴿ قال له صاحبه و هو ﴾ أى ٤و الحال إن٩ ذلك الصاحب ﴿ يحاوره ﴾ منكرا٨ [عليه - ١] : ﴿ اكفرت ﴾ .

٤و لما كان كـفره بانـكار البعث . دل عليـه بقوله تعـالى٤ : ﴿ بالذى خلقك من تراب ﴾ ٩بخلق أصلك ﴿ ثم من نطفة ﴾ متولدة من أغذية١٠ أصلها تراب ﴿ ثم سوىك ﴾ بعد١١ أن أولدك ٤و طورك فى أطوار النشأة٤

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « للجنتين » ساقطة من ظ (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : ابن عامر و ابن كثير (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاستحقاق (٦) العبارة من هنا إلى «ناطقة به» ساقطة من ظ (٧-٧) من مد، وفى الأصل . هذه السنة (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : غذايه (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم .

﴿رجلا ۵﴾ حيث نفيت إعادته لمن ابتدأ خلقهم على هذا الوجه تكذيبا للرسل و استقصارا للقدرة ، و لم تثبت[1] لها فى الإعادة ما ثبت لها بعلمك فى الابتداء ، ثم لم تجوزها[2] بعد القطع بالنفى إلا على سبيل الفرض بأداة الشك ، و هى[3] من دعائم أصول الدين الذى لا يقتنع [فيه -[4]] إلا بالقطع، [5]و نسبته إلى العبث الذى لا يرضاه عاقل إذ[6] جعلت غاية هذا الخلق ٥ البديع فى هذا التطوير العظيم الموت [الذى -[7]] لو كان غاية - كما[8] زعمت - لفوّت على المطيع الثواب ، و على العاصى العقاب .

و لما أنكر على صاحبه ، أخبر عن اعتقاده بما[9] يضاد اعتقاد صاحبه ، فقال [10]مؤكدا لأجل إنكار صاحبه مستدركا لأجل كفرانه[10] : ﴿لـٰكنا﴾ [10]لكن أنا . و لما كان سبحانه لا شيء أظهر منه و لا شيء أبطن منه ، ١٠ أشار إلى ذلك جميعا بإضماره قبل الذكر فقال تعالى[10] : ﴿هو﴾ [11]أى الظاهر أتم ظهور / فلا يخفى أصلا ، و يجوز أن يكون الضمير للذى[12] خلقك ﴿الله﴾ [11]أى المحيط بصفات الكمال[11] ﴿ربى﴾ وحده ، لم يحسن إلىّ [13]خلقا و رزقا أحـــد[13] غيره ، هذا اعتقادى فى الماضى و الحال

/ ٣٦٩

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يثبت (٢) من مـد ، و فى الأصل و ظ : لم يجوزها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) زيد من ظ ومد (٥) العبارة من هنا إلى « العاصى العقاب » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : اذا . (٧) زيد من مد (٨) من مـد ، و فى الأصل : لما (٩) من مد ، و فى الأصل : عما ، و فى ظ : لما (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى « للذى خلقك » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، و فى الأصل : الذى (١٣-١٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : و يرزقنى - كذا .

﴿ و لآ اشرك بربى ﴾ المحسن إلىّ فى عبادتى ﴿ احدا ه ﴾ كما لم يشاركه فى إحسانه إلىّ أحد ، فان الكل خلقه و عبيده ، و أنىّ يكون العبد شريكا للرب ! [١]فانى لا أرى الغنى و الفقر إلا منه ، و أنت - لما اعتمدت على مالك - كنت مشركا به[١] .

٥ و لما كان المؤمنون على طريق الأنبياء فى إرادة[٢] الخير و الإرشاد إلى سبيل النجاة و عدم الحقد على أحد بشر[٣] أسلفه و[٤] جهل قدمه ، قال له مصرحا بالتعليم بعد أن لوح له[٥] به فيما ذكره عن نفسه مما يجب عليه : ﴿ و لولآ اذ ﴾ [١]أى و هلا حين[١] ﴿ دخلت جنتك قلت ﴾ ما يدل على تفويضك الأمر فيها و فى غيرها[٦] إلى الله تعالى كما تقدم الإرشاد[٧]

١٠ إليه فى آية "و لا تقولن لشيء" تاركا للافتخار بها ، و مستحضرا لأن الذى وهبكها قادر على سلبك إياها ليقودك[٨] ذلك إلى التوحيد و عدم الشرك ، فلا تفرح بها و لا بغيرها مما يفنى لأنه[٩] لا ينبغى الفرح إلا بما يؤمن عليه الزوال ﴿ ما شآء الله لا ﴾ [١]أى الذى له الأمر كله[١] ، كان ، [١]سواء كان حاضرا أو ماضيا أو مستقبلا ، و لذلك أعراها عن الجواب[١]،

١٥ لا ما يشاؤه غيره [و لا يشاؤه -[١٠]] [١]هو سبحانه[١]؛ [ثم -[١٠]] علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ لا قوة ﴾ أى لأحد [١]على بستان و غيره[١] ﴿ الا بالله ج ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اراة . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او . (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : غيره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاشارة (٨) فى ظ : ايقود (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (١٠) زيد من مد .

أى

[أى -[1]] [2]المتوحد بالكمال، فلا شريك له ، و أفادت هذه الكلمة إثبات القوة لله و براءة العبد منها ، و التنبيه على أنه لا قدرة [لأحد -[1]] من الخلق إلا بتقديره ، فلا يخاف من غيره ، و التنبيه على فساد قول الفلاسفة فى الطبائع [3]من أنها[3] مؤثرة بنفسها .

و لما قدم[4] ما يجب عليه فى نفسه منبها به لصاحبه، ثم ما يجب ٥ عليه [من -[5]] التصريح بالإرشاد فى أسلوب مقرر أن الأمر كله لله، لا شىء لأحد غيره ، أنتج قوله تعالى : ﴿ ان ترن ﴾ أى أيها المفتخر بماله على ! ﴿انا﴾ [6]و لما ذكر ضمير الفصل ، ذكر مفعول "ترى" الثانى فقال[6] : ﴿ اقل منك ﴾ [6]و ميز القليل[6] بقوله : ﴿ مالا و ولدا ﴾ أى من جهة المال و الولد الذى هو أعز نفر الإنسان . ١٠

و لما أقر هذا المؤمن بالعجز و الافتقار ، فى نظير ما أبدى الكافر من التقوى و الافتخار ، سبب عن ذلك ما جرت به[7] العادة [فى -[1]] كل جزاء ، داعيا[8] بصورة التوقع فقال تعالى[9] : ﴿فعسىٰ ربى﴾ المحسن إلى ﴿ ان يؤتين ﴾ من خزائن رزقه ﴿ خيرا من جنتك ﴾ فيحسن إلى بالغنى كما أحسن إلى بالفقر المقترن بالتوحيد ، المنتج للسعادة ﴿ويرسل عليها﴾ ١٥

(١) زيد من مد (٢) العبارة من بعده إلى « مؤثرة بنفسها » ساقطة من ظ .
(٣-٣) من مد ، و فى الأصل : بانها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقدم .
(٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) سقط من مد .
(٨) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٩) العبارة من « و لما أقر » إلى هنا ساقطة من ظ .

أى جنتك ﴿ حسبانا ﴾ أى مرامى من الصواعق [1]و البرد الشديـد[1] ﴿ من السمآء ﴾ .

[1]و لما كانت المصابحة بالمصيبة أنكى ما يكون ، قال تعالى[1] : ﴿ فتصبح ﴾ بعد كونها قرة للعين[2] بما تهتز به من الأشجار و الزروع ﴿ صعيدا زلقا ﴾ ٥ [3]أى أرضا يزلق عليها لملاستها[3] باستئصال نباتها ، فلا ينبت فيها نبات ، و لا يثبت فيها قدم ﴿ او يصبح مآؤها غورا ﴾ وصف بالمصدر لأنه أبلغ ﴿ فلن تستطيع ﴾ أنت ﴿ له طلبا ﴾ .

[4]و لما كان من المعلوم أن هذا المؤمن المخلص بعين الرضى ، كان من المعلوم أن التقدير[1] : فاستجيب لهذا الرجل المؤمن ، [1]أو : لحقق له ١٠ ما توقعه لخيب ظن المشرك ، فعطف عليه قوله[1] : ﴿ و احيط ﴾ [4]أى أوقعت الإحاطة بالهلاك ، [بنى للفعول -[5]] لأن الفكر حاصل باحاطة الهلاك من غير نظر إلى فاعل مخصوص ، و للدلالة على سهولته ﴿ بثمره ﴾ أى الرجل المشرك[6] كله ، فاستؤصل هلاكا [ما -[7]] فى السهل منه و ما فى الجبل ، و ما يصبر منه على [8]البرد و الحر[8] و ما لا يصبر ١٥ ﴿ فاصبح / يقلب كفيه ﴾ ندما ، و يضرب إحداهما على الأخرى /٣٧٠ تحسرا ﴿ على مآ انفق فيها ﴾ لعمارتها[9] و نمائها ﴿ و هى خاوية ﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : العين .
(٣-٣) فى ظ : ارضا ملساء (٤) العبارة من هنا إلى «على سهولته» ساقطة من ظ .
(٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشترك (٧) زيد من ظ ومد (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحر و البرد (٩) فى مد : بعمارتها .

(١٦) ساقطة

ساقطة [١]مع الخلو[١] ﴿على عروشها﴾ أى دعائمها التى كانت تحملها فسقطت على الأرض و سقطت هى فوقها ﴿و يقول﴾ تمنيا لرد ما فات لحيرته وذهول عقله و دهشته: ﴿يٰليتنى﴾[١] تمنيا لاعتماده على الله من غير إشراك بالاعتماد على الفانى[١] ﴿لم اشرك بربى احداً﴾ كما قال له صاحبه، فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط فى الماضى لأجل ما فاته من الدنيا، ٥
لا حرصا على الإيمان لحصول الفوز فى العقبى، لقصور عقله و وقوفه مع المحسوسات المشاهدات ﴿و لم تكن له فئة﴾ أى جماعة لا من نفره الذين[٢] اعتز بهم و لا من غيرهم ﴿ينصرونه﴾ مما وقع فيه[٣] ﴿من دون الله﴾ [أى بغير عون من -[٤]] الملك الأعظم ﴿و ما كان﴾ هو ﴿منتصراً ﴾ بنفسه، بل ليس الأمر[٥] فى ذلك إلا لله وحده. ١٠

و لما أنتج هذا[٦] المثل قطعا أنه لا أمر لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم، و لإغنائهم بعد فقرهم، [و لإذلال أعدائه بعد عزهم و كبرهم -[٤]]، و إفقارهم[٧] بعد إغنائهم وجبرهم[٨]، و أن غيره إنما هو كالخيال لا حقيقة له، صرح بذلك فى قوله تعالى: ﴿هنالك﴾ أى فى مثل هذه الشدائد العظيمة ﴿الولاية﴾ أى النصرة - على قراءة الفتح، و السلطان - على الكسر، [و هى قراءة حمزة ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى.
(٣) زيد فى الأصل: أى يهرعون عون - كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كما مر.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: هنا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: افتقارهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: حصرهم.

و الكسائى ، و الفتح لغيرهما ، و هما بمعنى واحد ، و هو المصدر كما صدر به فى القاموس -[1]] . ﴿ لله ﴾ [أى -[1]] [2]الذى له الكمال كله[2] ﴿ الحق[3] ﴾ [أى -[1]] الثابت الذى لا يحول يوما و لا يزول ، و لا يغفل ساعة و لا ينام ، [3]و لا ولاية لغيره بوجه - هذا على قراءة الجماعة بالجر
٥ [على الوصف -[4]] و هو فى قراءة أبى عمرو و الكسائى بالرفع على الاستئناف و القطع تقليلا ، تنبيها على أن فزعهم[5] فى مثل هذه الأزمات[6] إليه دون غيره برهان قاطع على أنه الحق و ما سواه باطل ، و أن الفخر بالعرض الزائل من أجهل الجهل ، و أن المؤمنين لا يعيبهم فقرهم و لا يسوغ[7] طردهم لأجله[8] ، و أنه[9] يوشك أن يعود فقرهم غنى و ضعفهم قوة .
١٠ و لما علم من ذلك أنه آخذ بأيدى عبيده [الأبرار -[10]] و على أيدى عصاته[11] الأشرار ، قال تعالى : ﴿ هو خير ثوابا ﴾ لمن أثابه[12] ﴿ و خير عقبا ع ﴾ أى عاقبة [2]عظيمة ، فان فعلا - بضمة و بضمتين - من صيغ جموع الكثرة فيفيده ذلك مبالغة و إن لم يكن جمعا[2] ، و المعنى

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «و القطع تقليلا» متكررة فى الأصل فقط بعد «فى القاموس» و ساقطة من ظ .
(٤) زيد من مد و العبارة المتكررة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فروعهم .
(٦) فى ظ بعلامة النسخة : أى الشدائد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يشوع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاجل (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : انما هو (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : عصابة .
(١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثابه .

أنه

أنه - [أى ثوابه -[1]] - لأوليائه خير ثواب و عقباه[2] خير عقبى .

و لما أتم المثل لدنياهم الخاصة [بهم التى - [1]] أبطرتهم ، فكانت سبب إشقائهم و هم يحسبون أنها عين إسعادهم ؛ ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس فى[3] قلة بقائها و سرعة فنائها ، و أن من تكبر بها[4] كان أخس منها فقال تعالى : ﴿و اضرب لهم﴾ [5]أى لهؤلاء الكفار المغترين ٥ بالعرض الفانى ، المفتخرين بكثرة الأموال و الأولاد و عزة النفر[6] ﴿ مثل الحيوٰة الدنيا ﴾ [7]أى التى صفتها - التى هم بها ناطقون - تدل على [8]أن ضدها[8] الأخرى ، فى ينوعها[9] و نضرتها ، و اختلابها[10] للنفوس ببهجتها[11] ، و استيلائها على الأهواء بزهرتها ، و اختداعها لذوى الشهوات بزينتها ، ثم اضمحلالها و سرعة زوالها ، أفرح ما كانوا بها ، و أرغب ما ١٠ كانوا [فيها -[12]] مرة بعد أخرى ، على مر الأيام و [كر -[12]] الشهور ، و توالى الأعوام و تعاقب الدهور ، بحيث نادت على نفسها بالتحذير منها و التنفير عنها للعاقل اللقن ، [13]و الكيس الفطن ، رغبة إلى الباقى الذى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عداه (٣) من مد ، و فى الأصل : من ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى «أخس منها» ساقطة من ظ . (٤) من مد ، و فى الأصل : فيها (٥) العبارة من هنا إلى « عزة النفر » ساقطة من ظ (٦) فى مد : المفخرة (٧) العبارة من هنا إلى « الأخرى » ساقطة من ظ . (٨ - ٨) من مد ، و فى الأصل : صدتها - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنوعها (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : اختلاسها (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : و بهجتها (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) بهامش ظ : اللقن : الذى فى غاية الفطنة .

يدوم سروره، و يبقى نعيمه و حبوره، و ذلك المثل ﴿ كمآء انزلنه ﴾ بعظمتنا و اقتدارنا[١] بعد / يبس الأرض و جفاف ما فيها و زواله، و بقلعه[٢] كما تشاهدونه و استئصاله، و قال: ﴿ من السمآء ﴾ تنبيها على بليغ القدرة في إمساكه في العلو و إنزاله في وقت الحاجة. على الوجه النافع ﴿ فاختلط ﴾ أي فتعقب و تسبب عن[٣] إنزاله أنه اختلط ﴿ به نبات الارض ﴾ [٤]أي التراب الذي كان نباتا ارفتّ بطول العهد[٤] في بطنها، [٥]فاجتمع بالماء و التفّ[٦] و تكاثف، فهيأناه بالتخمير و الصنع الذي لا يقدر عليه سوانا حتى أخرجناه من الأرض أخضر يهتز على ألوان مختلفة و مقادير متفاوتة ثم أيبسناه ﴿ فاصبح هشيما ﴾ [٤]أي يابسا[٤] مكسرا مفتتا[٧] ﴿ تذروه ﴾ أي [٤]تثيره و[٤] تفرقه [٤]و تذهب به[٤] ﴿ الريح ﴾ حتى يصير عما قليل كأنه بقدرة الله تعالى لم يكن ﴿ و كان الله ﴾ [٤]أي المختص بصفات الكمال[٤] ﴿ على كل شيء ﴾ من ذلك و غيره إنشاء و إفناء و إعادة ﴿ مقتدرا ﴾ أزلا و أبدا، فلا تظنوا أن ما تشاهدونه من قدرته حادث.

و لما تبين بهذين المثلين و غيرهما أن الدنيا - التي أوردت أهلها [الموارد -[٨]] و أحلتهم أودية المعاطب - سريعة الزوال، وشيكة الارتحال،

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: قدرتنا (٢) من ظ و مد، و في الأصل: تقلعه (٣) من ظ و مد، و في الأصل: على (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٥) العبارة من هنا إلى «و تكاثف» ساقطة من ظ (٦) من مد، و في الأصل: النعت (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و مد.

مــع كثرة الأنكاد، و دوام الأكدار، من الكد[1] و التعب، و الخوف و النصب[2] كالزرع سواء، تقبل أولا فى غاية النضرة و البهجة، تتزايد نضرتها و بهجتها شيئا فشيئا. ثم تأخذ فى الانتقاص و الانحطاط إلى[3] أن تنتهى إلى الفناء، فهى جديرة لذلك بالزهد فيها و الرغبة عنها، [4]و أن لايفتخر بها عاقل فضلا عن أن يكاثر بها غيره[4]، قال[5] تعالى: ﴿ المال و البنون ﴾ [4]الفانيان الفاسدان[4] و هما أجلّ ما فى هذه الدار من متاعها ﴿ زينة الحيوٰة الدنياج ﴾ التى لو عاش الإنسان جميع أيامها لكان حقيقا لصيرورة ما هو فيه [منها -[6]] إلى زوال بالإعراض عنها و البغض[7] لها، و أنتم تعلمون ما [فى -[6]] تحصيلهما من التعب، و ما لهما بعد الحصول من سرعة العطب، و هما مع ذلك قد يكونان[8] خيرا إن عمل فيهما بما يرضى الله، و قد يكونان [9]شرا و يخيب الأمل[9] فيهما، [4]و قد يكون كل منهما سبب هلاك صاحبه و كدره، و سوء حياته و ضرره[4] ﴿ و البٰقيٰت الصّٰلحٰت ﴾ [4]و هى أعمال الخير المجردة التى يقصد بها وجه الله تعالى[4] التى رغبنا فيها بقولنا "لنبلوهم ايهم احسن عملا" و ما بعده ﴿خير﴾ [4]أى من الزينة الفانية[4]. و لما كان أهم ما إلى من حصل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: النكد (٢) العبارة من هنا إلى «إلى الفناء» ساقطة من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: فقال (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: النقص (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: سرا و تخييبا لامل لا - كذا.

النفائس لكفايته من يحفظها[1] له لوقت حاجته قال: ﴿ عند ربك ﴾ أي[2] الجليل المواهب، العالم بالعواقب، [3]و خير[3] من المال و البنين في العاجل و الآجل ﴿ثوابا و خير ﴾ [3]من ذلك كله[3] ﴿ املا ه﴾ [3] أي من جهة ما يرجو فيها من الثواب و يرجو فيها من الآمل[3]، لأن ثوابها
٥ إلى بقاء، و أملها كل ساعة في تحقق و علو و ارتقاء، [4]و أمل[5] المال و البنين يختان أحوج ما يكون إليهما .

و لما ذكر المبدأ و نبه على زواله. و ختم بأن المقصود [6]منه الاختبار[6] للرفعة بالثواب أو الضعة[7] بالعقاب، و[8]كان الخزي و الصغار، أعظم شيء ترهبه النفوس الكبار، لاسيما إذا عظم الجمع و اشتد الأمر، فكيف
١٠ إذا انضم[9] إليه الفقر[10]! فكيف إذا صاحبهما الحبس! و كان يوم الحشر يوما يجمع[11] فيه[12] الخلائق. فهو بالحقيقة المشهود، و تظهر فيه العظمة فهو وحده المرهوب، عقب ذكر الجزاء ذكره. لأنه أعظم يوم يظهر فيه. فقال تعالى عاطفا على "و اضرب": ﴿و يوم﴾ أي و اذكر[13] لهم يوم ﴿ تسير[14] الجبال ﴾ عن وجه الأرض بعواصف القدرة كما
١٥ يسير[15] نبات الأرض - بعد أن صار هشيما - بالرياح " فترى الجبال

(١) من ظ و مد، و في الأصل: يحفظ (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « بالعقاب » ساقطة من ظ (٥) من مد، وفي الأصل: لعل (٦-٦) تكرر في مد (٧) من مد. وفي الأصل: الصحة - كذا.
(٨) زيد في ظ: لما (٩) من ظ و مد. و في الأصل: ضم (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: الفقير (١١) في مد: تجمع (١٢) زيد في ظ: جميع (١٣) في مد: ذكرهم.
(١٤) هذه قراءة ابن كثير و أبي عمرو و ابن عامر، و قرأ الباقون بالنون - راجع نثر المرجان ٤/٤٥؛ (١٥) من ظ و مد، و في الأصل: يصير .

تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب" ﴿و ترى الارض﴾ / بـكمالها ٣٧٢ /
﴿بارزةً﴾ لا غار فيها و لا صدع و لا جبل و لا نبت و لا شجر[١] و لا ظل
﴿و﴾ الحال أنا قد ﴿حشرنهم﴾ [٢]أى الخلائق بعظمتنا قبل التسيير[٢]
بتلك الصيحة، قهرا إلى الموقف الذى[٣] ينكشف فيه المخبآت، و تظهر
الفضائح و المغيبات، و يقع الحساب فيه على النقير و القطمير، و النافذ ٥
فيه بصير، فينظرون و يسمعون[٤] زلازل الجبال عند زوالها، و قعاقع
الأبنية و الأشجار فى هدها و تباين أوصالها، و فنائها بعد عظيم مرآها
و اضمحلالها ﴿فلم نغادر﴾ أى نترك [٢]بما لنا من العظمة[٢] ﴿منهم﴾
[٢]أى الأولين و الآخرين[٢] ﴿احداً ج﴾ لأنه لا ذهول و لا عجز.

[٥]و لما ذكر سبحانه حشرهم[٦]، و كان من المعلوم أنه للعرض، ذكر ١٠
كيفية ذلك العرض، فقال بانيا الفعل للفعول على طريقة كلام القادرين،
و لأن المخوف العرض لا كونه من معين: ﴿و عرضوا على ربك﴾
أى[٧] المحسن إليك برفع أوليائك و خفض أعدائك ﴿صفاً ط﴾ لاتساع
الأرض و المسابقة إلى داره، لعرض أذل شىء و أصغره، و أطوعه
و أحقره، يقال لهم تنبيها على مقام العظمة: ﴿لقد جئتمونا﴾ أحياء سويين ١٥
حفاة عراة غرلا ﴿كما خلقنكم﴾[٢] بتلك العظمة[٢] ﴿اول مرة ز﴾ منعزلين من

(١) فى مد: شجرة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: التى.
(٤) زيد فى الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) العبارة من
هنا إلى « من معين » ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: حشرناهم.
(٧) سقط من ظ.

كل شيء كنتم تجمعونه و تفاخرون[1] به منقادين مذعنين فتقولون " هذا ما
وعد الرحمن و صدق المرسلون " فيقال لكم : ﴿بل زعمتم﴾ أي ادعيتم
جهلا بعظمتنا ﴿ان﴾ [2]أي أنا[2] ﴿لن نجعل لكم﴾ [2]على ما لنا من العظمة[2]
﴿موعداه﴾ [2]أي مكانا و وقتا[2] نجمعكم فيه هذا الجمع [2]فننجز ما وعدناكم
٥ به على ألسنة الرسل[2] ﴿ووضع﴾ [2]بأيسر أمر[2] بعد العرض المستعقب للجمع
[2]بأدنى إشارة[2] ﴿الكتب﴾ المضبوط فيه دقائق الأعمال و جلائلها على وجه
بين لا يخفى على قارئ و لا غيره شيء منه ﴿فترى المجرمين﴾ لتقر عينك منهم
بشماتة لا خير بعدها [[3] ﴿مشفقين مما فيه﴾ من قبائح أعمالهم ، و سيئ أفعالهم
و أقوالهم [2]أي خائفين دائما خوفا عظيما من عقاب الحق و الفضيحة عند
١٠ الخلق[2] ﴿و يقولون﴾ [2]أي يجددون] و يكررون قولهم[2] : ﴿يويلتنا﴾
كناية عن[4] أنه لا نديم لهم إذ ذاك إلا الهلاك ﴿مال هذا الكتب﴾ [2]أي أي
شيء له حال كونه[2] على غير حال الكتب في الدنيا ، [5]و رسم لام الجر
وحده إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب و شدة الكرب يقفون
على بعض الكتب ، و فسروا حال الكتاب التي أفظعتهم[6] و سألوا عنها
١٥ بقولهم : ﴿لا يغادر﴾ [7]أي يترك [أي يقع -[8]] منه غدر ، أي عدم وفاء

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : تتفاخرون (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : على (٥) العبارة من هنا إلى « عنها بقولهم » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و في الأصل : قطعتهم (٧) العبارة من هنا إلى « تركها الراعي » ساقطة من ظ .
(٨) زيد من مد .

[و هو من غادر الشيء: تركه - كأن كلا منهما يريد غدر الآخر ، أى عدم الوفاء به ، من الغدير - لقطعة من -[1]] الماء يتركها السيل كأنه لم يوف لها بأخذ ما معه ، و كذا الغديرة - لناقة تركها الراعى ﴿صغيرة﴾ أى[2] من أعمالنا .

و لما هالهم إثبات[3] جميع الصغائر ، بدأوا بها ، و صرحوا بالكبائر ٥ - و إن كان إثبات الصغائر يفهمها - تأكيدا لأن المقام للتهويل و تعظيم التفجع ، [4]و إشارة إلى أن الذى جرهم إليها هو الصغائر - كما قال الفضيل ابن عياض رضى الله عنه[4] - فقالوا[5] : ﴿و لا كبيرة الآ احصٰها ج﴾ و لما كان الإحصاء قد لا يستلزم اطلاع صاحب الكتاب و جزاءه عليه ، نفى ذلك بقوله تعالى : ﴿و وجدوا ما عملوا حاضرا ط﴾ كتابة[6] و جزاء ١٠ من غير أن يظلمهم [سبحانه -[7]] أو يظلم من عادوهم فيه ﴿و لا يظلم ربك﴾ [4]الذى رباك بخلق القرآن[4] ﴿احدا ع﴾ منهم و لا من غيرهم فى كتاب و لا عقاب و لا ثواب ، بل يجازى الأعداء بما يستحقون ، تعذيبا لهم و تنعيما لأوليائه الذين عادوهم فيه للعدل بينهم : روى الإمام أحمد فى المسند[8] عن جابر [9]بن عبد الله[9] رضى الله عنهما أنه سافر إلى عبد الله ١٥ ابن أنيس رضى الله عنه مسيرة شهر فاستأذن عليه قال : فخرج يطأ ثوبه فاعتنقنى و اعتنقته ، قلت : حديث[10] بلغنى عنك أنك سمعته من

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثباته . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : فقال (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كناية (٧) زيد من ظ و مد (٨) ٣ / ٤٩٥ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠) فى المسند : حديثا .

رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فى القصاص. فخشيت أن تموت[١]
قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله / صلى الله عليه و على آله و سلم ٢٧٣/
يقول : يحشر[٢] الله عز و جل[٢] الناس[٣] - أو قال: العباد - حفاة عراة
بهما، قلت: و ما بهما؟ [قال - [٤]] : ليس معهم شىء، ثم يناديهم
٥ بصوت يسمعه [٥]من بعد كما يسمعه[٥] من قرب: أنا الملك أنا الديان،
لا ينبغى لأحد [من أهل النار أن يدخل النار و له عند أحد من أهل
الجنة حق [٥]حتى أقصه منه[٥]، و لا ينبغى لأحد من أهل الجنة - [٤]]
أن يدخل الجنة و له عند أحد من أهل النار حق حتى أقصه منه
[حتى اللطمة - [٤]]، قال: قلنا: كيف و إنما [نأتى الله - [٤]] حفاة
١٠ عراة بهما؟ قال: بالحسنات و السيئات.

و لما ذكر البعث و ختمه[٦] باحسانه بالعدل المثمر لإعطاء كل أحد
ما يستحقه، أتبعه - [٧]بما له من الفضل[٧] - بابتداء[٨] الخلق الذى هو دليله،
فى سياق مذكر بولايته الموجبة للاقبال عليه، و عداوة الشيطان الموجبة
للادبار عنه، مبين لما قابلوا بـه عدله فيهم و فى عدوهم من الظلم [٩]بفعلهم
١٥ كما فعل من التكبر على آدم عليه السلام بأصله، فتكبروا على فقراء
المؤمنين بأصلهم و أموالهم و عشائرهم، فكان فعلهم فعله[١٠] سواء، فكان

---

(١) زيد فى المسند: أو أموت (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من المسند (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد و المسند (٥-٥) ليس ما بين الرقمين فى ظ ومد.
(٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ما نبدا (٩) العبارة من هنا إلى « الناس بـه » ساقطة من ظ (١٠) من مد، و فى الأصل: فعل.

قدوتهم و هو عدوهم، و لم يقتدوا بخير خلقه و هو وليهم و هم أعرف الناس به، فقال تعالى عاطفا على "و اضرب": ﴿و اذ﴾ أى و اذكر لهم إذ ﴿قلنا﴾ [1]بما لنا من العظمة[1] ﴿للملئكة﴾ الذين هم أطوع شيء لاوامرنا و إبليس فيهم، قال ابن كثير: و ذلك أنه كان قد ترسم بأفعال الملائكة و تشبه بهم و تعبد و تنسك. و لهذا دخل فى خطابهم ٥ و عصى بالمخالفة ﴿اسجدوا لآدم﴾ أبيهم[2] نعمة منا عليه[3] يجب عليهم شكرنا فيها ﴿فسجدوآ﴾ كلهم ﴿الآ ابليس[4]﴾ فكأنه قيل: ما له لم يسجد؟ فقيل: ﴿كان﴾ [أى لأنه كان -[4]] ﴿من الجن﴾ المخلوقين من نار، و لعل النار [لما -[5]] كانت نيرة و إن كانت نورانيتها مشوبة بكدورة و إحراق، عد من الملائكة لاجتماع العنصرين فى مطلق النور، ١٠ مع ما كان غلب عليه من العبادة، فقد روى مسلم فى صحيحه[6] عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم: خلقت الملائكة من نور، و خلق الجان - و فى رواية: إبليس - من مارج من نار، و خلق آدم مما وصف لكم. [1]و فى مكائد الشيطان لابن أبى الدنيا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن كانت قبيلة ١٥ من الملائكة[1].

و لما كان أكثر الجن مفسدا، رجوعا إلى الأصل[7] الذى هو

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: ابيكم (٣) زيد فى الأصل: عليهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) باب فى أحاديث متفرقة - كتاب الزهد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الارض.

النار المحرقة لما لاصقها، المفسدة له، سبب فسقه عن كونه منهم فقال تعالى: ﴿ ففسق ﴾ أى خرج، يقال: فسقت الفأرة من جحرها - إذا خرجت للعيث[1] و الفساد. ﴿ عن امر ربه ﴾ أى سيده و مالكه المحسن إليه بإبداعه، و غير ذلك من اصطناعه، فى شأن أبيكم، إذ تكبر

٥ عليه فطرده ربه من أجلكم، فلا تستنوا به فى الافتخار و التكبر على الضعفاء، [2]فان من كانت[3] خطيئته فى كبر لم يكن صلاحه مرجوا، و من كانت خطيئته فى معصية كان صلاحه مرجوا، ثم سبب عن هذا ما هو جدير بالإنكار فقال تعالى [فى أسلوب الخطاب لأنه أدل على تناهى الغضب و أوجع فى التبكيت، و التكلم لأنه أنص على المقصود من

١٠ التوحيد -[4]]: ﴿ افتتخذونه ﴾ أى أيفسق باستحقاركم فيطرده لأجلكم [5]فيكون ذلك سببا لأن تتخذوه[5] ﴿ و ذريته ﴾ شركاء لى ﴿ اوليآء ﴾ لكم ﴿ من دونى ﴾ [6]أى [7] اتخاذا مبتدئا من غيرى [8]أو من أدنى[8] رتبة من رتبتى، ليعم الاتخاذ استقلالا و شركة، و لو كان المعنى: من دون - أى غير - اتخاذى، لأفاد الاستقلال فقط، و لو كان الاتخاذ مبتدئا منه بأن

١٥ كان هو الآمر به لم [9]يكن ممنوعا، و أنا وليكم المفضل عليكم

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: للبعث (٢) العبارة من هنا إلى « صلاحه مرجوا » ساقطة من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: كان (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد، إلا أنه ورد فى ظ بعد " وهم لكم " (٥-٥) فى ظ: فتتخذونه. (٦) العبارة من هنا إلى «لم يكن ممنوعا» ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد: غيرى. (٨-٨) من مد، و فى الأصل: لادى (٩) من مد، و فى الأصل: لمن.

﴿ وهم لكم ﴾ [و لما كان بناء فعول للمبالغة و لا سيما و هو شبيه بالمغالاة
فى نحو القول ، أغنى عن صيغة الجمع فقال -[1]] : ﴿ عدو ﴾[2] إشارة
[إلى أنهم -[1]] فى شدة العداوة على قلب واحد . و لما كان هذا / الفعل /٣٧٤
أجدر شيء بالذم ، وصل به قوله تعالى : ﴿ بئس ﴾ [3]و كان الأصل[3] :
لكم ، و لكنه[4] أبرز هذا الضمير لتعليق الفعل بالوصف [3]و التعميم[3] فقال ٥
تعالى : ﴿ للظلمين بدلا ه ﴾ إذا استبدلوا من ليس لهم شيء من الأمر و هم
لهم[5] عدو بمن له الأمر كله و هو لهم ولى .

و لما كان الشريك لا يستأثر بفعل أمر عظيم فى المشترك فيه من
غير علم لشريكه به ، قال معللا للذم على هذا الظلم بما يدل على[6] حقارتهم
عن هذه الرتبة ، عادلا فى أسلوب التكلم [3]إلى التجريد[3] عن مظهر العظمة ١٠
لئلا يتعنت من أهل الإشراك متعنت [3]كما عدل فى " دونى " لذلك[3] :
﴿ مآ اشهدتهم ﴾ أى إبليس و ذريته ﴿ خلق السموت و الارض ﴾
نوعا من أنواع الإشهاد ﴿ و لا خلق انفسهم ص ﴾ إشارة إلى أنهم مخلوقون
و أنه لا يصح فى عقل عاقل أن يكون مخلوق شريكا لخالقه أصلا
﴿ و ما كنت ﴾ [3]أى أزلا و أبدا[3] متخذهم . هكذا الأصل و لكنه أبرز ١٥
إرشادا إلى أن المضل لا يستعان به ، لأنه مع عدم نفعه[7] يضر ، فقال
تعالى : ﴿ متخذ المضلين عضدا ه ﴾ إشارة إلى أنه لا يؤسف على فوات

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) العبارة من هنا إلى «قلب واحد» ساقطة من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : انما (٥) فى مد : له .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبعه .

إسلام أحد، فان من علم الله فيه خيرا أسمعه، و من لم يسمعه فهو مضل ليس أهلا لنصرة الدين •

و لما أقام البرهان القاطع على بعد رتبتهم عن المنزلة التى أحلوهم بها من الشرك، أتبعه التعريف بأنهم مع عدم نفعهم لهم فى الدنيا يتخلون[١]
٥ عنهم فى الآخرة أحوج ما يكونون إليهم تخييبا لظنهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، فقال تعالى عاطفا على "اذ قلنا" عادلا إلى مقام الغيبة، إشارة إلى بعدهم عن حضرته الشماء و تعاليه عما قد يتوهم من قوله تعالى "و عرضوا على ربك صفا[٢] لقد جئتمونا" فى حجب الجلال و الكبرياء، [٣]و جرى حمزة فى قراءته بالنون على أسلوب التكلم الذى كان فيه مع
١٠ زيادة العظمة[٣]: ﴿و يوم﴾[٢] أى و اذكر يوم[٢] ﴿يقول﴾ الله لهم تهكما بهم: ﴿نادوا شركآءى﴾ [٣]و بين أن الإضافة ليست على حقيقتها، بل هى توبيخ لهم فقال تعالى[٣]: ﴿الذين زعمتم﴾ أنهم شركاء ﴿فدعوهم﴾ تماديا فى الجهل و الضلال ﴿فلم يستجيبوا لهم[٤]﴾ أى لم يطلبوا و يريدوا أن يجيبوهم[٥] إعراضا عنهم استهانـــة بهم و اشتغالا بأنفسهم فضلا عن
١٥ أن يعينوهم •

و لما كانوا فى غاية الاستبعـاد لأن يحال بينهم و بين معبوداتهم، قال فى مظهر العظمة: ﴿و جعلنا بينهم﴾ أى المشركين و الشركاء ﴿موبقا﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يتخلفوك (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: لكم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تجيبهم •

أى

أى[1] هلاكا أو[2] موضع هلاك، فاصلا حائلا بينهم، مهلكا قويا عميقا ثابتا حفيظا، لا يشذ عنه منهم أحد. و إنما فسرته بذلك لأنه مثل قوله تعالى "فزيلنا بينهم" أى بالقلوب أى جعلنا ما كان بينهم من الوصلة عداوة، و مثل قوله تعالى "ربنا [3]هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار" "هؤلاء [شركاؤنا] الذين كنا ندعوا من دونك" و نحوه، لأن معنى ذلك كله أنه ٥ يبدل ما كان بينهم من الود فى الدنيا و الوصلة ببغض و قطيعة كما قال تعالى[4] "ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا" و أن كل فريق يطلب للآخر[5] الهلاك، فاقتضى ذلك اجتماع الكل فيه، هذا ما يرشد إلى المعنى من آيات الكتاب، و نقل ابن كثير عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما[6] أنه قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين ١٠ أهل الهدى و أهل الضلالة، و قال الحسن البصرى: [عداوة - [7]].

و أما أخذه من اللفظ فلأن مادة "وبق"[8] - يائية و واوية[9] مهموزة و غير مهموزة، و لها[10] أحد عشر تركيبا: [واحد - [11]] يائى: بقى، و ستة واوية: قبو، قوب، بقو، بوق، وقب، وبق، و أربعة مهموزة: قبأ، قأب، بأق، أبق - كلها تدور على الجمع. و خصوصا ترتيب وبق ١٥

(١) العبارة من هنا إلى «موضع هلاك» ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل «و». (٣) زيد فى ظ: حكاية (٤) سورة ٢٩ آية ٢٥ (٥) فى مد: الآخر. (٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦/١٣٧ (٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: موبق (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) فى ظ: لهذا (١١) زيد من ظ و مد.

يدور على الحائل بين شيئين ، و يلزمه القوة و الثبات و الحفظ و الهلاك
/ قوة أو فعلا ، لأن [1] من حيل [1] بينه و بين شيء فقد هلك بفقد ذلك /٣٧٥
الشيء بالفعل إن كان الحائل موتا ، و بالقوة إن كان غيره ، يقال : قبا
الشيء : جمعه [2] بأصابعه ، و البناء : رفعه ، و الزعفران : جناه ، و القبا - بالقصر :
٥ نبت - لأنه سبب الاجتماع لرعيه و الانتفاع به و هو يجمع أيضا ، و القبا :
تقويس [3] الشيء - لأنه أقرب إلى اجتماع بعض أجزائه ببعض ، و القبوة :
انضمام ما بين الشفتين ، و منه القباء من الثياب ، و قباه تقبية : عباه ،
أي جمعه حتى صار كأنه في مكان مقبو ، و قبي [عليه - [4]] تقبية : عدا عليه
في أمره - لأنه [كان - [5]] كأنه أوقعه في حفرة ، و الثوب : جعل منه قباه ،
١٠ و تقبى القباء : لبسه ، و زيدا : أتاه من قفاه - لأن من يريد رمي أحد
في حفرة كذلك يأتيه مخاتلة ، و تقبى الشيء : صار كالقبة ، و امرأة قابية [6] :
تلقط العصفر و تجمعه ، [و - [4]] القابياء : اللئيم - لأنه بناء مبالغة ، فيدل
على كثرة الجمع و الحرص اللازمين للؤم [7] ، و بنو قابياء : المجتمعون لشرب
الخمر - لأنها حالة تظهر لؤم اللئام ، و قباء - بالضم و يذكر و يقصر -

---

(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : معنى احتمل - كذا (٢) زيد في الأصل :
بالشيء ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و القاموس فحذفناها (٣) من ظ و مد
و القاموس ، و في الأصل : مقولش - كذا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس .
(٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد في الأصل : تجمع ، و لم تكن الزيادة في ظ
و مد و القاموس فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : اللوم - كذا .

موضع قرب المدينة الشريفة ، و موضع بين مكة و البصرة ، و انقبى : استخفى ، و قبّى قوسين و قباء قوسين - ككساء : قاب قوسين[1] ، و المقبى : الكثير الشحم - كأنه جمع لنفسه منه بالراحة ما صار كالبناء ، و القباية : المفازة - لأنها تجمع ما فيها كما تجمع القبة و القباء و الوقبة ما فيها .
و من مهموزه : قبأ الطعام - كجمع[2] : أكله ، و من الشراب : امتلأ ، ٥
و القباءة[3] : حشيشة ترعى[4] - لأن المال يجتمع على رعيها .

و من الواوى : قاب الأرض يقوبها و قوّبها[5] : حفر فيها شبه التقوير - لأن الدائرة أجمع ما يكون لغيرها و فى نفسها ، لأنه لا زوايا فيها فاصلة ، و قوبت الأرض : أثرت فيها ، و القوبة : ما يظهر فى الجسد و يخرج عليه - لأنه[6] يكون غالبا[6] على هيئة الدائرة ، و تقوب جلده : ١٠
تقلع عنه الجرب ، و انحلق عنه الشعر - إما من الإزالة ، و إما [لأن -[7]] آثاره تكون كالدوائر ، و قوب الشيء : قلعه من أصله - لأن أثره[8] إذا انقلع يكون حفرا مستديرا ، و تقوب هو : تقلع ، و القائبة و القابة : البيضة - لأنها لتدويرها[9] تشبه ذلك الحفر ، و القوب - بالفتح : فلق

---

(١) تكرر ما بين الرقمين فى مد (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : لجمع (٣) من ظ ومد و القاموس ، و فى الأصل : القبا (٤) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : مرعى (٥) زيد فى الأصل : الارض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : غالبا يكون (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشيء (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : كتدويرها .

الطير بيضه، و بالضم: الفرخ - لأنه[1] منها، و فى المثل: تخلصت قائبة من قوب - يضرب لمن انفصل من صاحبه، و القوبى: المولع بأكل الأقواب أى الفراخ، و القوب - كصرد: قشور البيض، و تقوبت البيضة: انقابت أى انحفرت، و أم قوب: الداهية - لجمعها ما تأتى عليه كأنه
٥ ابتلعه حفر، و قاب: قرب - لأن القرب مبدأ الجمع، و قاب: هرب، أى[2] سلب القرب - ضد. و قاب: فلق، أى شق[3] الجمع فهو من الإزالة أيضا، و قاب قوس و قيبه، أى قدره - لأن القوس شبه نصف دائرة من ذلك الحفر، و القاب: ما بين المقبض و السية - لأنه بعض ذلك، و لكل قوس قابان، و الأسود المتقوب: الذى انسلخ جلده من
١٠ الحيات - لتدوّر ذلك الجلد و شبهه بالحفرة، و اقتاب الشيء: اختاره، أى جمعه إليه، و رجل ملء[4] قوبة - كهمزة: ثابت الدار مقيم - من الثبات الذى هو لازم الجمع، و قوب من الغبار: اغبر - إما لأن من يحفر ذلك يغبر، و إما لأن الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك الحفرة. و من مهموزه: قأب الطعام - كمنع: أكله، و الماء: شربه
١٥ كقئبه - كفرح، أو شرب كل ما فى الإناء، و قئب من الشراب: تملأ، و هو مقأب[5] - كمنبر: كثير الشرب[6] للماء، و إناء قوأب: كثير الأخذ

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: لانها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الى. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: سيق (٤) من ظ و مد و تاج العروس، و فى الأصل: ملء (٥) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: مقتبا (٦) من مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: الشراب.

للماء

للماء - فهو كما ترى جمع مخصوص بالأكل / و الشرب ، أو أنه جمعه فى وقبة[1] بطنه . /٣٧٦

و من الواوى : بقاه بعينه : نظر إليه ـ فهو من الحفظ اللازم للجمع ، و ابقه بَقْوَتَك مالَك و بقاوتك مالك ، أى احفظه حفظك[2] مالك ، و بقوته : انتظرته - و هو يرجع إلى الثبات و المراقبة التى ترجع إلى الحفظ ، و يلزم ٥ الحفظ الثبات . و من اليائى : بقى الشىء بقاء : ثبت و دام ضد فنى ، و الاسم البقوى ـ كدعوى . و يضم ، و البقيا ـ بالضم و البقية ، و قد توضع الباقية موضع المصدر .

و من واويّه : البوقة : الجمع[3] و الدفعة من المطر الشديدة أو المنكرة تنباق - لأنها[4] نزلت من وقبة لشدتها ، و البوائق : العوائد ـ لأنها جامعة ١٠ لمن اعتادها ، و البوائق : الشر ـ لأنه مهلك ، فكأنه موقع فى المهالك ، و البوق - بالضم : شبه منقاب[5] ينفخ فيه الطحان ، أو[6] الذى ينفخ فيه مطلقا و يزمر - لأنه لتجويفه يشبه الوقبة ، و البوق أيضا : الباطل و الزور ـ لأن صوته أشبه شىء بذلك ، و المبوق[7] ـ كمعظم : الكلام الباطل ، و البوق ـ و يفتح : من لا يكتم السر - لأن البوق متى نفخ فيه صوّت ، و البوقة : ١٥ شجرة دقيقة ـ لأنها لدقتها يسرع إليها الهلاك كمن[8] وقع فى وقبة ،

---

(١) بهامش ظ : أى حفرة (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : حفظت (٣) و هذا المعنى لم يلم به ما عندنا من القواميس (٤) من ظ و مد ، فى الأصل : كانها (٥) فى مد : مثقاب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » . (٧) فى مد : الموبق (٨) من مد ، و فى الأصل : يكون ، و فى ظ : لمن .

و البائقة[1] : الداهية - كأنها تدفع من أتته[2] في الوقبة ، و انباقت عليه بائقة : انفتقت ، و باق : جاء بالشر و الخصومات - [من ذلك -[3]] ، و كذا باق ، أي[4] تعدّى على[4] إنسان ، و انباق به : ظلمه ، و البائقة القومَ : أصابتهم ، كانباقت[5] عليهم ، أي خرجت لشدتها من وقبة ، و الباقة :

٥ الحزمة[5] من بقل - لاجتماعها ، و باق بك : طلع عليك من غيبة[6] - كأنه كان في حفرة فخرج ، و منه باق فلان : هجم على قوم بغير إذنهم ، و باق القوم : سرقهم ، و باق به : حاق [به -[7]] ، أي أحاط كما تحيط الوقبة ، و باق القوم عليه : اجتمعوا فقتلوه ظلما ، و باق المال : فسد و بار كحال[8] من وقع في حفرة ، و منه متاع بائق : لا ثمن له ، و تبوّق في

١٠ الماشية : وقع فيها الموت و فشا ، و الحاق باق : صوت الفرج عند الجماع - لأنه من الجمع ، و لأن الفرج وقبة ، و من مهموزه : بأقتهم الداهية بؤوقا : أصابتهم ، و انبأق عليهم الدهر : هجم عليهم بالداهية .

و من الواوي ، الوقبة : كوة عظيمة فيها ظل ، و الوقب و الوقبة : نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ، و قيل : هي نحو البئر في الصفا تكون

١٥ قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء ، وكل نقر في الجسد وقب كنقر العين و الكتف[9] ، و الوقبان من الفرس : هزمتان[10] فوق عينيه ، و وقب

---

(١) في مد : الباقية (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : انت (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : بعد عن (٥) زيدت الواو في مد (٦) من مد و القاموس ، و في الأصل و ظ : غيبته (٧) زيد من مد و التاج (٨) من ظ ومد ، و في الأصل : لحال (٩) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : الكشف (١٠) في مد : لهزمتان .

المحالة : الثقب الذي يدخل فيه المحور ، و وقبة[1] الدهن : أنقوعته ، و كذا
وقبة الثريد ، و وقب الشيء : دخل [في الوقب ، و أوقب الشيء : أدخله[2]]
فيه ، و ركية وقباء : غامرة الماء ، و امرأة ميقاب : واسعة الفرج و بنو
الميقاب نسبوا إلى أمهم ، يريدون سبهم[3] بذلك ، و الميقاب : الرجل
الكثير الشرب للماء ، و الحمقاء أو[4] المحمقة ، و سير الميقاب : أن تواصل ٥
سير يوم و ليلة - كأن ذلك سير الأحمق الذي لا يبقي على ظهره ، و وقب
القمر وقوبا : دخل في الظل الذي يكسفه[5] - كأنه[6] حفرة ابتلعته ،
و وقبت الشمس وقوبا : غابت كذلك . و قيل : كل ما [غاب - [7]]
فقد وقب ، و وقب[8] الظلام : أقبل . أي فصار كالوقبة ، فابتلع الضياء
أو ابتلع ما في الكون لحجبه عن الضياء . و رجل وقب[9] : أحمق - كأنه ١٠
وعاء لكل ما يسمع ، لا أهلية له في تمييز جيده من رديئه ، و الأنثى :
وقبة ، و قال ثعلب : الوقب : الدنيء ، أي لأنه[10] يتبع نفسه هواها فيصير
كأنه الوقبة لا ترد شيئا مما يلقى فيها . / و وقب الفرس وقبا و هو صوت ٣٧٧ /
قنبه ، أي وعاء قضيبه ، و قيل : صوت تقلقل جردان الفرس في قنبه -
لأن وعاء جردانه كالوقبة ، فهو من اطلاق اسم المحل على ما فيه ، و القبة - ١٥

(١) من ظ و مد والقاموس ، وفي الأصل : وقب (٢) زيد لفظا من ظ و مد و معنى من القاموس (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : نسبهم (٤) من القاموس ، وفي الأصول : « و » (٥) من مد ، وفي الأصل وظ : يكشفه (٦) في ظ : لأنه (٧) زيد من ظ و مد (٨) في ظ و مد : وقت - كذا (٩) زيد في الأصل : أي ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و القاموس فحذفناها (١٠) في ظ : انه .

[كعدة - [1]] : الإنفحة إذا عظمت من الشاة[2] ، قال ابن الأعرابي :
و لا يكون ذلك في غير الشاء - لأن شبه الإنفحة بالوقبة ظاهر ، و الوقباء :
موضع بمد و يقصر . و الوقبي : ماء لبني مازن - لأنه يجمعهم كما تجمع
الوقبة [ما -[3]] فيها . و الأوقاب : قماش البيت كالبرمة و الرحيين و العمد -
٥ لأن البيت لها كالوقبة لجمعها[4] أو لأنها جامعة[5] لشمل من فيـه ،
و الميقب : الودعة ، و أوقب القوم : جاعوا ، أي تهيأوا لإدخال الطعام
في وقبة الجوف . و ذكر أوقب : ولّاج في الهنات - لأنها كالأوقاب أي
الحفر . و الوقب : الإقبال و المجيء ، و هو سبب الجمع .

و وبق[6] - كوعـد و وجل و ورث وبوقا [7]و موبقا[7] : هلك ، أي
١٠ وقـع في [وقبة ، أي - [3]] حفرة[8] كاستوبق ، و كمجلس : المهلك
و المحبس ، و واد في جهنم ، و كل شيء حال بين شيئين - لأن الوقبة
تحول بين ما فيها و بين غيره . و منه قيل للوعد : موبق ، و أوبقـه :
حبسه أو أهلكه[9] .

و من مهموزه : أبق العبد - كسمع و ضرب و منع[10] - أبقا

---

(١) زيد من ظ و مد و القاموس (٢) من مد و القاموس ، و في الأصل وظ : الشياه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، و في الأصل : جمعها ، و في مد : بجمعها (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : طامعة (٦) من مد و القاموس ، و في الأصل وظ : وقب (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : حفر (٩) في مد : هلكه (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : منه .

و يحرك

و يحرك - و إباقا - ككتاب : ذهب بلاخوف و لا كد عمل ، أو[1] استخفى ثم ذهب - و كل ذلك يرجع إلى جعله كأنه نزل[2] فى وقبة ، و من شأنه حينئذ أن يخفى ، و منه تأبق : استتر أو احتبس ، و تأبق الشىء : أنكره - لأن سبب الإنكار الخفاء . و تأبق : تأثم ، [أى جانب الإثم -[3]] ، فهو لسلب الجمع أو لسلب الهلاك فى الوقبة ، و الأبق - محركة : ٥ القنب - لشبهه لتجويفه بالوقبة ، و الأبق : قشره - لقوته اللازمة للجمع أو لأنه خيوط مجتمعة .

و لما قرر سبحانه [4]ما لهم[4] مع[5] شركائهم ، [ذكر حالهم -[6]] فى استمرار جهلهم ، فقال تعالى : ﴿ و رآ المجرمون ﴾ [7] أى العريقون فى الإجرام[7] ﴿ النار ﴾ أى و رأوا ، و لكنه أظهر للدلالة على تعليق الحكم ١٠ بالوصف ﴿ فظنوآ ﴾ ظنا ﴿ انهم مواقعوها و لم ﴾ أى و الحال أنهم [لم -[3]] ﴿ يجدوا عنها مصرفا ﴾ أى مكانا ينصرفون إليه ، فالموضع موضع التحقق ، و لكن ظنهم جريا على عادتهم فى الجهل كما قالوا "اتخذ الله ولدا" بغير علم "و ما اظن ان تبيد هذه ابدا" ، "و ما اظن الساعة قائمة" ، "ان نظن الا ظنا و ما نحن بمستيقنين" مع قيام الأدلة التى ١٥ لاريب فيها .

و لما كان الكلام فى قوة أن يقال : صرفنا هذه الأخبار بما[8] أشارت

---

(١) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل « و » (٢) من مد ، وفى الأصل : ترك ، و فى ظ : يزل (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) فى ظ : حالهم (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦) زيد من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ربما .

إليه من الأسرار الكبار، فقامت دلائل الشريعة الجلائل، و أضاءت بها جواهر المعاني الزواهر. عطف على ذلك: ﴿ و لقد صرفنا ﴾ [1]أي بما لنا من العظمة[1]. و لما كانت هذه السورة في وصف الكتاب، اقتضى الاهتمام به تقديمه في قوله تعالى: ﴿ في هذا القرآن ﴾ أي القيم

٥ الذي لاعوج فيه، [1]مع جمعه للمعاني و نشره الفارق بين الملبسات[1] ﴿ للناس ﴾ [1]أي المزلزلين فضلا عن الثابتين[1] ﴿ من كل مثل ﴾ أي حولنا الكلام و طرقناه في كل وجه[2] من وجوه المعاني و ألبسناه من العبارات الرائقة، و الأساليب المتناسقة، ما سار بها في غرابته كالمثل، يقبله كل من يسمعه، و تضرب به آباط[3] الإبل في سائر البلاد، بين

١٠ العباد، فتبشر به قلوبهم، و تلهج[4] به ألسنتهم، فلم يتقبلوه و جادلوا فيه؛ ثم نبه على الوصف المقتضى لذلك بقوله تعالى: ﴿ و كان الانسان ﴾ [1]الذي جعل خصيما و هو آنس بنفسه جبلة و طبعا[1] ﴿ اكثر شيء ﴾ [1]و ميز الأكثرية بقوله تعالى[1]: ﴿ جدلا ﴾ [1]لأنه لم ينته عن الجدل بعد هذا البيان، الذي أضاء جميع الأكوان[1].

١٥ و لما بين إعراضهم، بين موجبه عندهم فقال: ﴿ و ما منع ﴾ [1]و لما كان / الناس تبعا لقريش قال[1]: ﴿ الناس ﴾ أي الذين جادلوا بالباطل، [1]الإيمان - هكذا كان الأصل، و لكنه عبر عن هذا المفعول الثاني بقوله تعالى[1]:

/ ٣٧٨

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: وجوه.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: الاباط (٤) في ظ: يهيج.

أن

﴿ ان[1] يؤمنوآ ﴾ [2]ليفيد التجديد و ذمهم على الترك[2] ﴿ اذ ﴾ [3] أى حين[3] ﴿ جآءهم الهدى ﴾ بالكتاب على لسان الرسول . و عطف على المفعول الثانى - معبرا بمثل ما مضى [3]لما مضى[3] - قوله تعالى[4]: ﴿ و يستغفروا[5] ربهم ﴾ أى[6] المحسن إليهم .

[2]و لما كان الاستثناء مفرغا ، أتى بالفاعل فقال تعالى[2]: ﴿ الآ [2]ان ﴾ ٥ أى[2] طلب أن ﴿ تاتيهم سنة الاولين ﴾ فى إجابتهم إلى ما اقترحوه على رسلهم ، المقتضى للاستئصال لمن استمر على الضلال ، [7]و من ذلك طلبهم أن يكون النبى[8] ملكا ، و ذلك نقمة فى صورة[9] نعمة و[10]إتيان بالعذاب[10] دبرا ، أى مستورا ﴿ او ﴾ طلب أن ﴿ ياتيهم العذاب قبلا ۝ ﴾ أى مواجهة [11]و معاينة و مشاهدة من غير ستر له[12]، هو فى قراءة من كسر القاف و فتح ١٠ الباء[13] واضح ، من قولهم : لقيت فلانا قبلا ، أى معاينة ، و كذا فى قراءة من ضمهما[14] ، من قولهم : أنا آتيك قبلا لا دبرا ، أى[15] مواجهة

---

(١) فى ظ : من ان (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) العبارة من «وعطف على» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) فى ظ : من ان يستغفروا (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « أى مستورا » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : الشىء (٩) من مد ، و فى الأصل : وصول (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل : ايتاونا لعذاب - كذا (١١) العبارة من هنا إلى « الأولين فمعناه » ساقطة من ظ (١٢) زيد بعده فى الأصل و فى نسخة أخرى من مد - من نفس الكتيبة و نفس الخط و قد نرجع إليها عند اشتداد الحاجة - : فى سنة الاولين، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٣) راجع نثر المرجان ٤ / ١٠٥ (١٤) من مد ، و فى الأصل : ضمها (١٥) سقط من مد .

من جهة وجهك[1] لا من جهة قفاك، قال تعالى "ان كان قميصه قد من قبل[2]"، و يصح أن يراد بهذه القراءة الجماعة، لأن المراد بالعذاب [الجنس - [3]] أي[4] يأتيهم أصنافا مصنفة صنفا صنفا و نوعا نوعا، و قد مضى فى الأنعام بيانه، و هذا [5]الشق قسيم[5] الإتيان بسنة الأولين، فمعناه:

٥ من غير أن يجابوا إلى[6] ما اقترحوا كما تقدم فى التى قبلها "فابى اكثر الناس الا كفورا و قالوا لن نؤمن لك - إلى قوله تعالى: او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا[7]" - الآية؛ [8]و هذه الآية من[9] الاحتباك: ذكر "سنة الاولين" أولا يدل على ضدها ثانيا، و ذكر المكاشفة ثانيا يدل على المساترة أولا.

١٠ و لما كان ذلك ليس إلى الرسول، إنما هو إلى الإله، بينه[10] بقوله تعالى: ﴿ و ما نرسل ﴾ على ما لنا من العظمة التى لا أمر لأحد معنا فيها ﴿المرسلين الا مبشرين﴾ بالخير على أفعال الطاعة ﴿ و منذرين ج ﴾ بالشر على أفعال المعصية، فيطلب منهم الظالمون من أممهم ما ليس إليهم[10] من فصل الأمر ﴿ و يجادل الذين كفروا ﴾ أى يجددون الجدال كلما[11]

---

(١) زيد بعده فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) سورة ١٢ آية ٢٦ (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل: ان (٥-٥) من مد، و فى الأصل: الشق قيم - كذا (٦) زيد فى الأصل: غير، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) سورة ١٧ آية ٨٩-٩٢ (٨) العبارة من هنا إلى «المساترة أولا» ساقطة من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: لمن (١٠) سقط من مد (١١) فى مد: كما.

أتاهم

أتاهم أمر من قبلنا ﴿ بالباطل ﴾ من قولهم: لو كنتم صادقين لأتيتم بما نطلب[1] منكم، مع أن [ذلك - [2]] ليس كذلك لأنه ليس لأحد غير الله من الأمر شيء[3] ﴿ ليدحضوا ﴾ أى ليزلقوا فيزيلوا و يبطلوا ﴿ به الحق ﴾ الثابت من المعجزات المثبتة لصدقهم ·

و لما كان لكل مقام مقال، و لكل مقال [حد و - [4]] حال، فأتى فى ٥ الجدال بصيغة الاستقبال، و كان اتخاذ الاستهزاء أمرا واحدا، أتى به ماضيا فقال تعالى: ﴿ و اتخذوآ ﴾ أى كلفوا أنفسهم أن أخذوا ﴿ ءايٰتى ﴾ بالبشارات التى هى المقصودة بالذات لكل ذى روح ﴿ و مآ انذروا ﴾ من آياتى، [5] بنى للمفعول لأن الفاعل معروف و المخيف الإنذار[5] ﴿ هزوا ه ﴾ مع[6] بعدهما جدا عن ذلك، فلا بالرغبة أطاعوا. و لا للرهبة ارتاعوا، فكانوا شرا ١٠ من البهائم ·

و لما حكى عنهم هذا الجدال، و الاستهزاء و الضلال، وصفهم بما يوجب الخزى فقال - عاطفا على ما تقديره : فكانوا بذلك أظلم الظالمين: ﴿ و من أظلم ﴾ منهم - استفهاما على سبيل التقرير، و لكنه أظهر للتنبيه على الوصف الموجب للانكار على من شك فى أنهم أظلم. ١٥ فقال تعالى: ﴿ممن ذكر ﴾ أى من أىّ مذكر كان ﴿ بٔايٰت ﴾ أى علامات ﴿ ربه ﴾ المحسن إليه بها؛ قال الأصبهانى: و هذا من أفصح

---

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: يطلب (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى مد: شيئا.
(٤) زيد من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بعد.

التقرير أن يوقف الرجل على ما لا جواب له فيه إلا الذي يريد خصمه .

و لما كان التذكير سببا[١] للاقبال فعكسوا فيه / قال تعالى[٢] : /٣٧٩

﴿فاعرض عنها﴾ تاركا لما يعرف من تلك العلامات العجيبة[٣] و ما يوجبه

ذلك [الإحسان -[٤]] من الشكر ﴿و نسى ما قدمت يداه[٥]﴾ من الفساد

٥ الذى هو عارف - لو صرف عقله إلى الفكر فيما ينفعه - أن الحكمة تقتضى

جزاءه عليه ، و أفرد الضمير فى جميع هذا على لفظ "من" إشارة إلى

أن من فعل مثل هذا - و لو أنه واحد - كان هكذا ، و الأحسن أن يقال :

إنهم لما كانوا قد سألوا اليهود عنه صلى الله عليه و على آله و سلم كما

أشير إليه عند " و يسئلونك عن الروح[٦] " فأمروهم بسؤاله عما جعلوه

١٠ أمارة على صدقه ، فلم يؤثر ذلك فيهم ، و استمروا بعد إخباره بالحق على

التكذيب ، شرح حالهم بالتعقيب بالفاء ، فكان المعنى : من أظلم منهم ،

لأنهم ذكروا فأعرضوا و نسوا ما اعتقدوا أنه دليل الصدق ، و أنه

لاجدال بعده ، [٧]و سيأتى لموقع الفاء فى آخر السجدة مزيد[٨] بيان ،

و إسناد الفعل فى الإعراض و ما بعده إليهم حقيقة بما لهم من [الكسب

١٥ كما أن إسناد الجعل و ما بعده إلى الله حقيقة بما له من -[٩]] الخلق .

و لما كان كأنه قيل : ما لهم فعلوا ذلك ؟ أيجهل قبح هذا أحد ؟ قيل :

---

(١) فى مد : مسببا (٢) العبارة من « قال الأصبهانى » إلى هنا ساقطة من ظ .

(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه .

(٦) سورة ١٧ آية ٨٥ (٧) العبارة من هنا إلى « الخلق » ساقطة من ظ (٨) سقط من

مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من مد .

﴿ انا جعلنا ﴾ [1]بما لنا من القدرة[2] على إعماء البصائر و الأبصار ﴿على قلوبهم﴾ لجمع رجوعا إلى أسلوب "و اتخذوا ايتى" لأنه أنص على[3] ذم كل واحد ﴿ اكنة[4] ﴾ [5]أى أغطية[5] [6]مستعلية عليها استعلاء يدل سياق العظمة على أنه لايدع شيئا من الحيز يصل إليها، فهى لا تعى شيئا من آياتنا، و دل بتذكير الضمير على أن المراد بالآيات القرآن فقال تعالى: ٥ ﴿ان﴾ أى[6] كراهة أن ﴿يفقهوه﴾ أى يفهموه ﴿ و فى اذانهم وقرا[1] ﴾ أى ثقلا فهم لا يسمعون حق السمع، ولايعون حق الوعى ﴿و ان تدعهم﴾ أى تكرر دعاءهم[7] كل وقت ﴿ الى الهدى ﴾ لتنجيهم بما عندك من الحرص على ذلك و الجد ﴿ فلن يهتدوا ﴾ [6]أى كلهم بسبب دعائك[6] ﴿اذا﴾ أى إذا دعوتهم ﴿ ابدا ﴾ لأن من له العظمة التامة - و هو ١٠ الذى إذا عبر عن نفسه بنونها كانت على حقيقتها - حكم عليهم بالضلال، أى أنه[8] لا يكون الدعاء وحده هاديا لأكثرهم، بل لا بد معه من السيف كما سنأمرك به فتقطع الرؤوس فيذل غيرهم[9]، و قد يكون المراد أن من كان هكذا معاندا على هذا الوجه كان[10] مؤبد الشقاء، و قد نفى

(١) العبارة من هنا إلى «و الأبصار» ساقطة من ظ (٢) فى مد: العظمة.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: كل، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) تأخر مع الكلمتين التاليتين فى الأصل عن «من آياتنا» و الترتيب من ظ و مد.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد بعده فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لانه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: عزهم، و العبارة من بعده إلى «أو التفويض» ساقطة من ظ (١٠) من مد، و فى الأصل: كما.

آخر هذه الآية الفعل عن العباد و اثبته لهم اولها ، و قلما تجد فى القرآن آية تسند الفعل إليهم إلا قارنتها أخرى تثبته لله و تنفيه عنهم ، ابتلاء من الله لعباده ليتميز الراسخ - الذى ينسب للمكلفين الكسب[١] المفيد لأثر التكليف ، و لله الخالق المفيد لأنه سبحانه لا شريك له فى خلق ٥ و لا غيره - من الطائش[٢] الذى يقول بالجبر[٣] أو التفويض .

و لما كان هذا مقتضيا لأخذهم ، عطف على ما اقتضاه السياق مما ذكرته من العلة قوله تعالى : ﴿ و ربك ﴾ مشيرا بهذا الاسم إلى ما اقتضاه الوصف من الإحسان بأخذ من يأخذ منهم و إمهال غيره لحكم دبرها ؛ ثم أخبر عنه بما ناسب ذلك من أوصافه فقال : ﴿ الغفور ﴾ ١٠ أى هو وحده الذى يستر الذنوب إما بمحوها و إما بالحلم[٤] عنها إلى وقت ﴿ ذو الرحمة[٥] ﴾ أى[٥] [الذى -[٦]] يعامل - و هو قادر - مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالإكرام[٧] ؛ ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ أى هؤلاء الذين[٨] عادوك و آذوك ، و هو عالم بأنهم لا يؤمنون لو يعاملهم معاملة المؤاخذ ﴿ بما كسبوا ﴾ حين كسبهم ١٥ ﴿ لعجل لهم العذاب[٥] ﴾ واحدا بعد واحد ، و لكنه لا يعجل لهم ذلك ﴿ بل لهم موعد ﴾ يحله[٩] بهم فيه ، [١٠]و دل على أن موعده ليس كموعد غيره

---

(١) فى مد : الكسف - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : الطاش (٣) من مد ، و فى الأصل : بالخير (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالحكم (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : محله - كذا (١٠) العبارة من هنا =

من

من العاجزين بقوله دالا على كمال قدرته: ﴿ لن يجدوا من دونه ﴾ [أى -[1]] الموعد ﴿ موئلا ﴾ أى ملجأ ينجيهم منه، فاذا [جاء -[1]] موعدهم أهلكناهم فيه بأول ظلمهم و آخره.

و لما كانت هذه سنته[2] فى / القرون الماضية و الأمم الخالية، قال / ٣٨٠
تعالى عاطفا على قوله "لهم موعد" [3]مروعا لهم بالإشارة إلى ديارهم ٥
المصورة لدمارهم[3]: ﴿ و تلك القرى ﴾ [3]أى الماضية من عاد و ثمود
و مدين و قوم لوط و أشكالهم[3] ﴿ اهلكنهم ﴾ أى حكمنا باهلاكهم بما لنا
من العظمة ﴿ لما ظلموا ﴾ أى[4] أول ما ظلموا، أو[5] أهلكناهم بالفعل
حين ظلمهم لكن لا فى أوله. بل أمهلناهم إلى حين تناهيه و بلوغه
الغاية، [3]فليحذر هؤلاء مثل ذلك[3] ﴿ و جعلنا ﴾ [3]أى بما لنا من العظمة[3] ١٠
﴿ لمهلكهم ﴾ أى إهلاكهم بالفعل ﴿ موعدا ﴾ أى وقتا نحله[6] بهم فيه
و مكانا لم نخلفه[7]، كما أنا[8] جعلنا لهؤلاء موعدا فى الدنيا بيوم بدر و الفتح
و حنين و نحو ذلك. و فى الآخرة لن نخلفه[9]، و كذا كل أمر يقوله[10]
نبى من الأنبياء عنا لايقع[11] فيه خلف[11] [3]و إن كان يجوز لنا ذلك، بخلاف
ما يقوله من نفسه غير مسند إلينا فانه يمكن وقوع الخلف فيه[3]، كما ١٥

= إلى قوله «كمال قدرته» ساقطة من ظ.

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ستة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل «و».
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يخلد (٧) من مد، و فى الأصل: لم يخلفه.
(٨) من مد، و فى الأصل: ان (٩) العبارة من «و مكانا» إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) زيد فى مد: من نفسه غير مسند الينا (١١-١١) فى ظ: الخلف فيه.

وقع فى الوعد بالإخبار عن هذه المسائل التخلف أربعين ليلة أو ما دونها على حسب فهمهم أن " غدا " على حقيقته .

و لما قدم الكلام على البعث ، و استدل عليه بابتداء الخلق ، ثم ذكر بعض أحواله ، ثم عقبه بما ضرب لذلك و غيره من الأمثال ، و صرف ٥ من وجوه الاستدلال ، و ختم ذلك بأنه يمهل عند المساءة ، عقب ذلك بأنه كذلك يفعل عند المسرة ، فلكل شيء عنده كتاب ، و كل قضاء بقدر و حساب ، فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام و ما اتفق له فى طلبه ، و جعله سبحانه له الحوت آية و موعدا للقائه ، و لو أراد سبحانه لقرب المدى و لم يحوج[1] إلى عناء ، مع ما فيها من الخارق[2] الدال ١٠ على البعث ، و من الدليل على أن من ثبت فضله [و علمه -[3]] لا يجوز أن يعترض عليه إلا من كان على ثقة مما يقوله من ربه و[4] لا أن[4] يمتحن ، [و -[3]] من الإرشاد إلى ذم الجدل بغير علم ، و وجوب الانقياد للحق عند بيانه ، و ظهور برهانه ، و من إرشاد من استنكف أن يجالس فقراء المؤمنين بما اتفق لموسى عليه السلام من[5] أنه - و هو كليم الله - اتبع ١٥ الخضر عليه السلام ليقتبس من علمه ، و من تبكيت اليهود[6] بقولهم لقريش لما أمروهم بسؤال النبى صلى الله عليه و على آله و سلم «إن

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يخرج (٢) فى مد : الخوارق (٣) زيد من ظ ومد (٤-٤) فى مد : لان . و فى النسخة الأخرى من مد مثل ما فى الأصل . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

لم يخبركم فليس بنبي » الموهم للعرب الذين لا يعلمون شيئا أن من شرط النبي[1] [أن لا -[2]] يخفى عليه شيء، مع[3] ما يعلمون من أن موسى عليه السلام خفي عليه جميع[3] ما فعله الخضر عليه السلام، و إلى نحو هذا أشار الخضر عليه السلام بقوله إذ وقع العصفور على حرف السفينة و نقر من البحر نقرة أو نقرتين: ما نقص علمي و علمك يا موسى من علم الله ٥ إلا كما نقص هذا العصفور من البحر . و باعلامهم[4] بما يعلمونه من أن موسى عليه السلام جعل نفسه تابعا للخضر عليه السلام، تكذيبا لهم في ادعائهم أنه ليس أحد أعلى من موسى عليه السلام في وصف من الأوصاف، و أنه لا ينبغي لأحد اتباع غيره، و من جوابهم عما لعلهم يقولون للعرب بهتا[5] و حسدا « لو كان نبيا ما قال: أخبركم غدا، و تأخر عن ذلك » بما ١٠ اتفق لموسى في وعده الخضر عليهما السلام بالصبر، و بما خفي عليه مما اطلع عليه الخضر عليهما السلام، فقال تعالى عاطفا على قوله سبحانه " و اذ قلنا للملئكة ": ﴿ و اذ ﴾ أي و اذكر لهم حين[6] ﴿ قال موسى ﴾ أي[7] ابن عمران المرسل إلى بني إسراءيل، أي [قوله -[8]] الذي كان في ذلك الحين[9] ﴿ لفتٰه ﴾ يوشع بن نون عليهما السلام: ﴿ لآ ابرح ﴾ [10]أي لا أزال سائرا[10] في طلب ١٥ العبد الذي أعلمني ربي بفضله - كما دل عليه ما يأتي ﴿ حتى ابلغ مجمع البحرين ﴾

(١) زيد في الأصل: صلى الله عليه وسلم، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٤) في مد: باعلامه، وفي نسخة أخرى من مد مثل ما في الأصل و ظ (٥) من مد، وفي الأصل: تهما، وفي ظ : بهتنا - كذا (٦) في ظ : اذا (٧) سقط من ظ (٨) زيد من مد .
(٩) العبارة من « أي قوله الذي » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

/ ٣٨١

[1]أى ملتقاهما و موضع اختلاطهما الذى سبق / إليه فهمى، فتعينت البداءة به[1] فألقاه ثم ﴿ او امضى حقبا ﴾ إن لم أظفر بمجمع البحرين الذى جعله ربى موعدا [لى فى لقائه -[2]]؛ و الحقب - قال فى القاموس - ثمانون سنة أو أكثر و الدهر و السنة أو السنون - انتهى.[3] و ما أنسب التوقيت
٥ بمجمع بحرى الماء بمجمع بحرى العلم و تزودهما[4] بالنون الذى قرنه [الله -[5]] بالقلم و ما يسطرون، و عين الحياة لأن العلم حياة القلوب، فسارا وتزودا حوتا مشويا فى مكتل [1] كما أمرا به[1]، فكانا يأكلان منه إلى أن بلغا المجمع ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما ﴾ أى البحرين، [1]فلم يكن هناك بين أصلا لصيروتهما شيئا واحدا[1] ﴿ نسيا حوتهما ﴾ فلم يعلم موسى عليه السلام
١٠ شيئا من حاله و نسى أن يسأل عنه، و علم يوشع عليه السلام [1]بعض حاله[1] فنسى أن يذكر ذلك له ﴿ فاتخذ ﴾ أى[6] الحوت [1]معجزة فى معجزة[1] ﴿ سبيله ﴾ أى طريقه [1]الواسع الواضح[1] ﴿ فى البحر سربا ﴾ أى[7] خرقا فى الماء غير ملتئم، من السرب الذى [هو -[7]] جحر الوحشى، و الحفير[8] تحت الأرض، و القناة يدخل منها[9] الماء الحائط. و قد ورد فى
١٥ حديثه فى الصحيح[10] أن الله تعالى [11]أحياه و أمسك عن[11] موضع جريه فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى «حياة القلوب» ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: تزودها (٥) زيد من مد (٦) سقط من ظ (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من القاموس، و فى النسخ: الحفر (٩) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: منه. (١٠) راجع باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام - كتاب الانبياء. (١١-١١) من مد. وفى الأصل: احياه فامسك، و فى ظ: امسك عن الماء

الماء، فصار طاقا لا يلتئم . و يوشع عليه السلام ينظر ذلك، و كأن
المجمع كان ممتدا ، فظن موسى عليه السلام أن المطلوب أمامه [١]أو ظن
أن المراد بمجمع آخر فسار[١] ﴿ فلما جاوزا ﴾ [١]أى موسى و فتاه عليهما
السلام[١] ذلك الموضع [٢]من المجمع[٢] تعب ، و لم يتعب حتى جاوز المكان
الذى أمر به [١]معجزةً أخرى[١]، فلما جاع و تعب ﴿ قال لفتٰه اٰتنا ﴾ [١]أى ٥
أحضر لنا[١] ﴿غدآءنا﴾ أى لنتقوى [به -[٣]] على ما حصل لنا من الإعياء،
و لذلك وصل به قوله تعالى: ﴿لقد لقينا من سفرنا﴾ أى[٣] الذى سافرناه
فى هـذا اليوم خاصة ، و لذلك أشار إليه بأداة القرب فقال تعالى :
﴿هذا نصبا ه﴾ و كان الحوت زادهم فلم يكن معه ، فكأنه قيل : فما [٤]كان
عن أمره[٤]؟ فقيل : ﴿قال﴾ لموسى عليه السلام [١]معجبا له[١] : ﴿ ارءيت ﴾ ١٠
ما دهانى؟ ﴿اذ اوينآ الى الصخرة﴾ التى بمجمع البحرين ﴿فانى﴾ أى[٣]
[بسبب أنى -[٥]] ﴿نسيت الحوت ز﴾ أى نسيت أن أذكر لك أمره الذى
كان هناك؛ [١]ثم زاد التعجيب من هذا النسيان بالاعتراض بين الإخبار به
مجملا و بين تفصيل أمره و بايقاع النسيان عليه ثم على ذكره فقال تعالى[١]:
﴿ و مآ انسٰنيه ﴾ مع كونه عجيبا ﴿ الا الشيطٰن ﴾ بوساوسه . ١٥

و لما كان المقام للتدريب فى عظيم تصرف الله تعالى [فى القلوب -[٥]]
باثبات العلم و نفيه و إن كان ضروريا ، ذكر نسيانه، ثم أبدل من ضميره

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤-٤) فى ظ : قال (٥) زيد من مد .

قوله تعالى[١] : ﴿ ان اذكره ج ﴾ لك فانه عاش فانساب من المكتل فى البحر ﴿ واتخذ سبيله ﴾ [٢]أى طريقه الذى ذهب فيه[٢] ﴿ فى البحر صلى عجباه ﴾ وذكره [له -[٣]] الآن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا الإنساء ليس مفوتا لطاعة ، بل فيه ترقية لهما فى معارج المقامات
٥ العالية لوجدان التعب بعد المكان الذى فيه البغية ، و حفظ الماء منجابا على طول الزمان و غير ذلك من آيات الإيقان[٤] ، و قوله تعالى " انما سلطنه على الذين يتولونه[٥] " مبين أن السلطان الحمل على المعاصى ، و قد كان فى هذه [القصة -[٣]] خوارق حياة الحوت و إيجاد ما كان أكل منه ، و إمساك الماء عن مدخله ، و قد اتفق لنبينا صلى الله عليه و على
١٠ آله و سلم نفسه أو أتباعه ببركته مثل ذلك .

أما إعادة ما أكل من الحوت المشوى - و هو جنبه - فقد روى البيهقى[٦] فى أواخر دلائل النبوة عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم إلى الحجة التى حجها حتى إذا كنا ببطن الروحاء - فذكر قصة المرأة التى أبرأ / النبي صلى الله
١٥ عليه و على آله و سلم ولدها من الجنون إلى أن قال : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم حجته[٧] انصرف حتى إذا نزل ببطن[٨] الروحاء

/٣٨٢

(١) العبارة من « و لما كان المقام » إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : الايمان (٥) سورة ١٦ آية ١٠٠ .
(٦) بسند حسنه ابن حجر فى المطالب العالية - راجع الخصائص الكبرى ٢/٣٦ .
(٧) زيدت الواو فى النسخ كلها و لم تكن فى الخصائص فحذفناها (٨) فى ظ و مد : بطن .

أتته تلك المرأة بشاة قد شوتها[1] ، فأمر بأخذ تلك[2] الشاة منها ثم قال : يا أسيم - و كان إذا دعاه رخمه ! ناولني ذراعا[3] ، و كان أحب الشاة[4] إلى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم مقدمها ، ثم قال : يا أسيم ! ناولني ذراعا[5] ! فناولته ، [6]ثم قال[6] : [[7]يا أسيم[7] ! ناولني ذراعا ! فقلت : يا رسول الله ! إنما هما ذراعان و قد ناولتك ، فقال - [8]] : و الذي نفسي ٥ بيده لو سكتّ [ما زلت تناولني ذراعا ما قلت لك : ناولني ذراعا -[8]] . [فقد أخبر صلى الله عليه و سلم أنه لو سكت -[9]] أوجد الله لها ذراعا ثم ذراعا و هكذا ، و قوله الحق الذي لا فرق [بينه - [9]] و هو في عالم الغيب و بين ما وجد في عالم الشهادة .

و أما حياة [الحوت -[9]] المشوي فقد مضى عند[10] " و الله يعصمك ١٠ من الناس[11] " ما هو أكبر من ذلك في قصة الشاة المشوية[2] المسمومة ، و هو أن ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه و على آله و سلم [أنه مسموم -[9]] فهو أعظم من عود الحياة من غير نطق ، و كذا حنين الجذع[12] ، و سلام الحجر ، و تسبيـــح الحصا[13] ، و تأمين أسكفة [الباب - [9]] و حوائط

---

(١) و من هنا يطرأ بعض الاختلاف على سياق ما هنا و سياق الخصائص (٢) سقط من مد (٣) من الخصائص ، و في الأصول : ذراعها (٤) في ظ : الشياه (٥) من مد و الخصائص ، و في الأصل : ذراعها (٦-٦) في مد : فقال (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من الخصائص (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و الخصائص .
(٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : عنه (١١) سورة ٥ آية ٦٧ .
(١٢) راجع الخصائص الكبرى ٢/٧٥ (١٣) راجع الخصائص الكبرى ٢/ ٧٤ .

البيت[1] و نحو ذلك أعظم من عود الحياة إلى ما كان حيا، فقد روى البيهقي[2] في الدلائل عن عمرو بن سواد قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى؟ فقال: أعطى محمدا[3] صلى الله عليه و على آله
٥ و سلم [4]الجذع - [5]الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيئ له المنبر، فلما هيئ له المنبر[6] حن الجذع حتى سمع صوته - فهذا أكبر من ذاك[7] - انتهى. على أنه قد تقدم في آل عمران و في آخر البقرة[6] في قصة إبراهيم عليه السلام أشياء من إحياء الموتى له صلى الله عليه و على آله و سلم و لبعض أمته.

١٠ و أما آية الماء فرجعها إلى صلابته، و لا فرق بين جموده بعدم[8] الالتئام بعد الانخراق و بين جموده و صلابته بالامتناع من الانخراق، و قد روى البيهقي[9] في ذلك ما فيه آية من[10] الإحياء بسند منقطع عن

(١) راجع الخصائص الكبرى ٢/٧٧ (٢) و قد أخرجه السيوطي في خصائصه عن البيهقي - راجع ٢/ ٧٦ و ٧٧ (٣) من الخصائص، و في النسخ كلها: محمد. (٤) زيد في الخصائص: حنين (٥) العبارة من هنا إلى «سمع صوته» ليست في الخصائص (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ ومد فحذفناها. (٧) من ظ و الخصائص، و في الأصل و مد: ذلك (٨) من ظ و مد، و في الأصل: بعد (٩) والحديث أخرجه عنه السيوطي في باب آياته صلى الله عليه وسلم في إحياء الموتى و كلامهم - الخصائص الكبرى (١٠) من مد، و في الأصل و ظ: في.

أنس رضى الله عنه قال : كنا فى الصفة عند رسول الله صلى الله عليه
و على آله و سلم فأتته امرأة [مهاجرة -[١]] و معها ابن لها [قد بلغ -[٢]]
فأضاف المرأة إلى النساء و أضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء
المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبى صلى الله عليه و على آله و سلم
و أمر بجهازه ، [فلما -[٣]] أردنا أن نغسله قال : ائت أمه فأعلمها ، فجاءت ٥
حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ، ثم قالت : اللهم [إنى أسلمت لك
طوعا ، و خلعت[٤] الأوثان زهـدا ، و هاجرت إليك رغبة ، اللهم -[٣]]
لا تشمت بى عبدة الأوثان ، و لا تحملنى من هذه المصيبة ما لا طاقة لى
بحملها ، قال : فوالله ما تقضى كلامها حتى حرك قدميه ، و ألقى الثوب
عن وجهه ، [و عاش -[٣]] حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه و على ١٠
آله و سلم و حتى هلكت أمه ؛ ثم جهز عمر بن الخطاب رضى الله عنه -
يعنى جيشا ، و استعمل عليه العلاء بن الحضرمى ، قال : و كنت فى غزاته .
فأتينا مغازينا[٥] فوجدنا القوم قد تدروا بنا ، فعفوا آثار الماء ، قال :
و [كان -[١]] حر شديد ، فجهدنا العطش و دوابنا ، و ذلك يوم الجمعة
فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ، ثم مد يده و ما نرى فى ١٥
السماء شيئا ، فو الله ما حط [يده -[٣]] حتى بعث الله ريحا و أنشأ سحابا
فأفرغت[٦] حتى ملأت الغدر و الشعاب ، فشربنا و سقينا [٧] و استقينا[٧]

(١) زيد من الخصائص (٢) زيد من ظ و الخصائص (٣) زيد من ظ و مد و الخصائص (٤) فى مد: جعلت (٥) من الخصائص، و فى الأصل : مغازنا ، و فى ظ و مد: مغارنا (٦) فى مد: فرغت (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد .

ثم أتينا عدونا و قد جاوزوا خليجا فى البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج و قال: يا على يا عظيم يا حليم يا كريم! ثم قال: أجيزوا باسم الله! فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، [1] فأصبنا العدو غيلة فقتلنا و أسرنا و سبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته فأجزنا [2] ما يبل / الماء حوافر ٣٨٣ /

٥ دوابنا. وأخبرنا أبو الحسين ابن بشران أنا إسماعيل الصفار نا الحسن بن على بن عفان [أنبانا - [3]] ابن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه، قال: انتهينا إلى دجلة و هى مادة، و الأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: بسم الله، ثم أقحم فرسه فاندفع على الماء، فقال الناس: بسم الله بسم الله، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء، فلما نظر إليهم [الأعاجم - [4]]

١٠ قالوا: ديوان [5] ديوان، ثم ذهبوا على وجوههم، فما فقدوا إلا قدحا كان معلقا بعذبــة سرج، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها. أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى أنا أبو محمد عبد الله بن محمد السمذى [6] ثنا أبو العباس السراج ثنا الفضل بن سهل و هارون بن عبد الله قالا: ثنا سليمان بن المغيرة [7] أن أبا مسلم الخولانى جاء إلى الدجلة و هى ترمى بالخشب [8] من مدها،

١٥ فمشى على الماء و التفت إلى [9] أصحابه و قال: هل تفقدون من متاعكم شيئا

---

(١) ومن هنا يتغير السياق عما فى الخصائص (٢) فى ظ: و اجزنا (٣) زيد من ظ و مد إلا أن فى الأول: ثنا، و ابن نمير هو عبد الله بن نمير يروى عنه الحسن ابن على بن عفان العامرى (٤) زيد من مد (٥) كلمة فارسية معناها الشياطين - راجع الأخبار الطوال ١٢٦ (٦) من ظ ومد و الأنساب ٢١٦/٧، و فى الأصل: السميدى (٧) زيد فى الخصائص ٢ / ٢٨٣: عن حميد (٨) من الخصائص، و فى النسخ كلها: الحسب (٩) فى مد: فى.

فندعو الله[1] - قال البيهقي : [هذا -[2]] إسناد صحيح .

و في هذا الأمر من هذه القصة قاصمة للسائلين و الآمرين لهم بالسؤال ، لأن المراد - و الله أعلم - أن هذا الأمر وقع لنبي هؤلاء المضلين ، فمرْ قريشا[3] أن يسألوهم عن هذه القصة ، فان أخبروهم[4] عنها بمثل ما أخبرتهم فصدقوهم ، لزمهم أن يؤمنوا بالبعث لأمر هذا الحوت ٥ الذي أحياه الله بعد أن كان مشويا و صار كثير منه في البطون ، و إن [5]لم يصدقوهم[5] في هذا و صدقوهم في غيره مما يتعنتون به عليك فهو تحكم ، و إن كانوا يتهمونهم في كل أمر كان سؤالهم [لهم -[6]] عبثا ، ليس [من -[6]] أفعال من يعقل ، فكأنه قيل : [فما -[7]] قال موسى حينئذ ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ [8]منبها على أن ذلك ليس من الشيطان ، و إنما هو إغفال ١٠ من الله تعالى بغير واسطة ليجدا[9] العلامة التي أخبره الله بها كما قال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم «إني لأنسى - أي[10] ينسيني الله تعالى - لأسن[11]» : ﴿ ذلك ﴾ أي [12]الأمر العظيم من[12] فقد الحوت ﴿ ما كنا نبغ ﴾

---

(١) زيد في الخصائص : فيرده (٢) زيد من ظ (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : قريش (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : اخبرهم (٥ - ٥) من ظ و مد ، و في الأصل : تصدقوهم (٦) زيد من مد (٧) زيد من ظ و مد . (٨) العبارة من هنا إلى «لأسن» ساقطة من ظ (٩) من مد ، و في الأصل : ليجدوا . (١٠) من مد ، و في الأصل : ان ؛ و الحديث قد ذكره الإمام مالك في الموطأ في باب العمل في السهو من كتاب الصلاة و لفظه : إني لأنسى أو أنسى لأسن . (١١) زيد بعده في الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها . (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[1] أى نريد من هذا الأمر المغيب عنا [1]. فان الله تعالى جعله موعدا لى [2] فى لقاء الخضر ﴿ فارتدا على [3] اثارهما ﴾ يقصانها ﴿ قصصا [4] ﴾ و هذا يدل على أن الأرض كانت رملا، لا [3] علم فيها، فالظاهر - و الله أعلم - أنه مجمع النيل و الملح الذى عند دمياط، أو رشيد من بلاد مصر، و يؤيده

٥ نقر العصفور فى البحر الذى ركبا فى سفينته للتغذية - كما فى الحديث، فان الطير لا يشرب من الملح، [1] و من المشهور فى بلاد رشيد أن الأمر كان عندهم. و أن عندهم سمكا ذاهب الشق يقولون: إنه من نسل تلك السمكة - و الله أعلم [1]. فاستمرا يقصان حتى انتهيا إلى موضع فقد الحوت ﴿ فوجدا عبدا من عبادنآ ﴾ [1] مضافا إلى حضرة عظمتنا [1] و هو الخضر

١٠ عليه السلام ﴿ اتينه ﴾ بعظمتنا [4] ﴿ رحمة ﴾ [5] أى وحيا و نبوة، وكونه نبيا قول [6] الجمهور ﴿ من عندنا ﴾ أى مما لم يجر على قوانين العادات غير أنه ليس بمستغرب عند أهل الاصطفاء [7] ﴿ و علمنه من لدنا ﴾ أى من الأمور المستبطنة المستغربة التى عندنا مما [8] لم يحدث عن الأسباب المعتادات، فهو مستغرب عند أهل الاصطفاء ﴿ علما ه ﴾ قذفناه فى قلبه بغير واسطة؛

١٥ [و - [9]] قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى: 'عند' فى لسان العرب لما ظهر، و 'لدن' لما بطن، فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، و بالعلم الباطن الخفى المعلوم قطعا أنه [10] خاص بحضرته سبحانه، [11] فأهل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الى (٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « الجمهور » ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل : قاله (٧) زيد فى ظ : نبوة ووحيا (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : بما. (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ : بانه (١١) العبارة من هنا إلى «هو العلم اللدنى» ساقطة من ظ.

التصوف

التصوف سموا العلم بطريق المكاشفة العلم اللدنى ، فاذا سعى العبد فى الرياضات يتزين[1] الظاهر بالعبادة ، و تتخلى النفس عن الأخلاق الرذيلة ، و تتحلى بالأخلاق / الجميلة ، و تصير القوى الحسية و الخيالية و الوهمية فى غاية /٣٨٤ القوة ، [و حينئذ تصير القوة -[2]] العقلية قوية[3] [صافية ، و ربما كانت النفس بحسب أصل الفطرة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق -[2]] بالحوادث ٥ البدنية ، شديدة الاستعداد لقبول الأمور الإلهية ، فتشرق فيها الأنوار الإلهية و تفيض عليها من عالم القدس على وجه الكمال فتحصل[4] المعارف و العلوم من غير تفكر و تأمل ، فهذا هو العلم اللدنى .

ثم أورد سبحانه و تعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير سؤال سائل عن كل كلام يرشد[5] إليه ما قبله ، و ذلك أنه من المعلوم ١٠ أن الطالب للشخص[6] إذا لقيه كلمه ، لكن لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كأنه سأل عن ذلك : ﴿قال له موسى﴾ [7]طالبا منه على سبيل التأدب و التلطف باظهار ذلك فى قالب الاستئذان[7] : ﴿ هل اتبعك ﴾ [7]أى اتباعا بليغا[7] حيث توجهت ؛ و الاتباع : الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد كونه [8] آتيا به[8] ؛ و بين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله[9] : ﴿على ان تعلمن﴾ ١٥

---

(١) زيد فى مد : من (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : القوية . (٤) من مد ، وفى الأصل : تحصل (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : يرسل . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتشخص (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨-٨) من مد ، وفى الأصل : اتيانه (٩) العبارة من « والاتباع الإتيان» إلى هنا ساقطة من ظ .

[١]و زاد فى التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال[١]: ﴿مما علمت﴾ [١]و بناه للفعول لعلم المخاطبين - لكونهم من الخلص - بأن الفاعل هو الله سبحانه و تعالى، و للاشارة إلى سهولة كل أمر على الله عز و جل[١] ﴿رشدا﴾ أى
٥ علما يرشدنى إلى الصواب فيما أقصده، و لا نقص فى تعلم نبى من نبى حتى يدعى أن موسى هذا ليس موسى بن عمران عليه السلام فانه قد ثبت كونه ابن عمران فى الصحيح. و أتى صلى الله عليه و على آله و سلم فى سؤاله [له -[٢]] بهذه الأنواع من الآداب و الإبلاغ فى التواضع لما[٣] هو عليه من الرسوخ فى العلم، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر،
١٠ كان علمه بما فيها من البهجة و السعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد. فكان تعظيمه[٤] لأرباب العلوم أكمل.

و لما أتم العبارة عن السؤال، استأنف جوابه [له -[٢]] بقوله تعالى[٥]: ﴿قال﴾ أى[٦] الخضر عليه السلام: ﴿انك لن تستطيع﴾ يا موسى ﴿معى صبرا﴾ أى[٦] هو من العظمة على ما أريد لما يحثك على عدم الصبر من ظاهر
١٥ الشرع الذى أمرت [به -[٧]]، فالتنوين للتعظيم بما تؤذن به[٦] [٨]تاء الاستفعال[٨]، و أكد لما فى سؤال موسى عليه السلام من التلطف المؤذن بأنه يصبر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى الأصل: كما (٤) من مد، وفى الأصل: تعظيما (٥) العبارة من «ولا نقص» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) سقط من مد (٧) زيد من ظ ومد، والعبارة من بعده إلى «من التعلم» ساقطة من ظ (٨-٨) من مد، وفى الأصل: بالاستفعال.

عليه و لا يخالفه فى شيء أصلا . و يؤخذ منه أن العالم إن رأى فى التغليظ على المتعلم[1] ما يفيده نفعا و إرشادا إلى الخير كان عليه ذكره ، فان السكوت عنه يوقع المتعلم فى الغرور و النخوة ، و ذلك يمنعه من التعلم .

و لما كان المقام صعبا جدا لأنه بالنسبة إلى أوامر الله تعالى ، بينه ٥ على وجه أبلغ من نفى الأخص ، و هو الصبر البليغ ، بالتعجيب من مطلق [الصبر -[2]] معتذرا عن موسى فى الإنكار ، و عن نفسه فى الفعل ، بأن ذلك بالنسبة إلى الظاهر و الباطن ، فقال[3] عاطفا على ما تقديره : فكيف تتبعنى الاتباع البليغ[3] : ﴿ وكيف تصبر ﴾ يا موسى ﴿ على ما لم تحط به خبرا ﴾ [4] أى من جهة العلم به ظاهرا و[5] باطنا ، فأشار بالإحاطة إلى أنه كان يجوز أن ١٠ يكون على صواب ، و لكن تجويزا لا يسقط عنه وجوب الأمر ،[6] و يجوز أن يكون هذا تعليلا لما [قبله -[7]] ، فيكون الصبر الثانى هو الأول ، و المعنى أنك لا تستطيع [الصبر الذى أريده -[7]] لأنك لا تعرف[8] فعلى على[8] ما هو عليه فتراه فاسدا ﴿ قال ﴾ أى[9] موسى[3] عليه السلام ، آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ، إرشادا لما ينبغى فى طلب العلم رجاء تسهيل الله له[3] ١٥

---

(١) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد من ظ ومد . (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « و باطنا » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : او (٦) العبارة من هنا إلى « فتراه فاسدا » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨-٨) من مد ، و فى الأصل : فعل (٩) سقط من ظ .

/٣٨٥ [1]و النفع / به[1] : ﴿ ستجدنىٓ ﴾ فأكد الوعد بالسين ؛ ثم أخبر عنه سبحانه أنه قوى تأكيده[2] بالتبرك بذكر الله تعالى [1]لعلمه بصعوبة الأمر[1] على الوجه الذى تقدم الحث[3] عليه فى هذه [السورة ـ[4]] فى قوله تعالى "و لاتقولن لشیء [5]انى فاعل[5]" ـ الآية ، ليعلم أنه[6] منهاج الأنبياء و سبيل ٥ الرسل ، فقال تعالى : ﴿ ان شآء الله ﴾ [1]أى الذى له صفات الكمال[1] ﴿ صابرا ﴾ على ما يجوز الصبر عليه ؛ [ثم ـ[4]] زاد التاكيد بقوله [1]عطفا بالواو على "صابرا" لبيان التمكن فى كل من الوصفين[1] : ﴿ و لآ اعصى ﴾ [1]أى و غير عاص[1] ﴿ لك امرا ﴾ تأمرنى به غير مخالف [7]لظاهر أمر[7] الله ﴿ قال ﴾ أى[8] الخضر عليه السلام : ﴿ فان اتبعتنى ﴾ يا موسى [1] اتباعا بليغا [1] ١٠ ﴿ فلا تسئلنى عن شیء ﴾ أقوله أو أفعله ﴿ حتىٓ احدث لك ﴾ خاصة[8] ﴿ منه ذكرا ﴾ يبين لك وجه صوابه ، فانى لا أقدم على شیء إلا و هو صواب جائز فى نفس الأمر و إن كان ظاهره غير ذلك .

[1]و لما تشارطا وتراضيا على الشرط سبب قوله تعالى[1] : ﴿ فانطلقا[وقفة] ﴾ [1]أى موسى و الخضر عليهما السلام[1] على الساحل ، يطلبان سفينة يركبان ١٥ فيها و استمرا ﴿ حتىٓ اذا ركبا فى السفينة ﴾ [1]و أجاب الشرط بقوله تعالى[1] : ﴿ خرقها[ط] ﴾ و عرفها لإرشاد السياق بذكر مجمع البحرين إلى أن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: توكيده .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : البحث (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انها (٧-٧) فى ظ : لامر (٨) سقط من ظ .

انطلاقهما

انطلاقهما [كان - [1]] لطلب سفينة، فكانت لذلك كأنها مستحضرة فى الذهن، و لم يقرن " خرق " بالفاء لأنه لم يكن مسببا عن الركوب و لا كان فى أول أحيانه ؛ [2]ثم استأنف قوله تعالى[2] : ﴿قال﴾ أى[3] موسى عليه السلام، منكرا لذلك لما فى ظاهره من الفساد بإتلاف المال المفضى إلى فساد أكبر منه بإهلاك النفوس. [ناسيا - [1]] لما عقد على نفسه لما دهمه ٥ مما عنده من الله - و هو الإله العظيم - من العهد الوثيق المكرر فى جميع أسفار التوراة بعد إثباته فى لوحى الشهادة فى العشر كلمات[4] التى نسبتها من التوراة كنسبة الفاتحة من القرآن بالأمر القطعى أنه[5] لا يقر على منكر، و من المقرر أن النهى واجب على الفور، على أنه لو لم ينس لم يترك الإنكار، كما فعل عند قتل الغلام، لأن مثل ذلك غير داخل ١٠ فى الوعد، لأن المستثنى شرعا كالمستثنى وضعا، ففى الأولى نسى الشرط، و فى الثانية نسى - لما دهمه من فظاعة القتل الذى لم [يعلم - [1]] فيه من الله أمرا - أنه[6] ينبغى تقليده لثناء الله تعالى عليه[7] : ﴿اخرقتها﴾ و بين عذره فى الإنكار بما فى غاية الخرق[8] من الفظاعة فقال: ﴿لتغرق اهلهاج﴾ و الله ! ﴿لقد جئت شيئا امراه﴾ أى عظيما [منكرا عجيبا شديدا - [9]] ١٥ ﴿قال﴾ أى[10] الخضر عليه السلام: ﴿الم اقل انك﴾ يا موسى !

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ .
(٤) فى مد : الكلمات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لأنه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٧) زيد فى ظ : قال (٨) من مد ، و فى الأصل : الحريق .
(٩) زيد من مد (١٠) سقط من ظ و مد .

﴿لن تستطيع معي صبرا ه﴾ فذكره بما قال له عند الشرط ﴿قال﴾ موسى : ﴿لا تؤاخذني﴾ يا خضر ﴿بما نسيت﴾ من ذلك الاشتراط ﴿و لا ترهقني﴾ أي تلحقني[1] بما لا أطيقه و تعجلني عن مرادي باتباعك على وجه القهر ناسيا لي إلى[2] السفه و الخفة و ركوب الشر ﴿من امري عسرا ه﴾

٥ بالمؤاخذة على النسيان ، فكل منهما صادق فيما قال ، موف بحسب ما عنده ، أما موسى عليه السلام فلأنه ما خطر [له -[3]] قط أن يعاهد على أن لا ينهى عما يعتقده [منكرا -[3]] ، و أما الخضر فانه عقد على ما في نفس الأمر لأنه لا يقدم على منكر ، و مع ذلك فنافى [إلا -[3]] الصبر البليغ الذي دل عليه بزيادة تاء الاستفعال ، و قد حصل ما يطلق عليه

١٠ صبر . لأنه لما ذكره كف عنه لما تذكر بثناء الله عليه أنه لا يفعل باطلا ، و لم يحصل الصبر البليغ الذي / في نفس الخضر بالسكوت في أول الأمر و آخره ﴿فانطلقا وقفة﴾ بعد نزولها من السفينة و سلامتها من الغرق و الغصب ﴿حتى اذا لقيا غلما﴾ لم يبلغ الحلم[4] و هو في غاية القوة[4] ﴿فقتله لا﴾ حين لقيه - كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط .[5] ثم

١٥ أجاب[5] الشرط بقوله مشعرا بأن شروعه في الإنكار في هذه أسرع[6] : ﴿قال﴾ أي[7] موسى عليه السلام : ﴿أقتلت﴾ يا خضر ﴿نفسا زاكية[8]﴾

/٣٨٦

(١) العبارة من هنا إلى « ركوب الشر » ساقطة من ظ (٢) سقط من مد .
(٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٦) العبارة من « ثم أجاب » إلى هنا ساقطة من ظ .
(٧) سقط من ظ (٨) و أما قراءة ابن عامر و الكوفيين فهي على زنة فعيلة ، و قال البيضاوي : قال أبو عمرو : الزاكية التي لم تذنب قط ، والزكية التي =

بكونها على الفطرة الأولى من غير أن تدنس بخطيئة توجب القتل ﴿بغير نفس[٤]﴾ قتلتها ليكون قتلك[١] لها قودا؛ [٢]و هذا يدل على أنه كان بالغا حتى إذا قتل قتيلا أمكن قتله به إلا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ؛ ثم استأنف قوله[٢]: ﴿لقد جئت﴾ فى قتلك إياها ﴿شيئا﴾ و صرح [بالإنكار -[٣]] فى قوله: ﴿نكرا ه﴾ لأنه مباشرة. و الخرق ٥ تسبب [٢]لا يلزم منه الغرق[٢].

و لما كانت هذه ثانية ﴿[٤]قال﴾ الخضر عليه السلام: ﴿الم اقل﴾ و زاد قوله: ﴿لك انك﴾ يا موسى ﴿لن تستطيع معى﴾ [٢]اى خاصة[٢] ﴿صبرا ه قال﴾ موسى عليه السلام حياء منه لما أفاق بتذكره بما[٥] حصل من فرط الوجد لأمر الله فذكر أنه ما تبعه إلا بأمر الله: ١٠ ﴿ان سالتك عن شىء بعدها﴾ يا أخى! [٢]و أعلم بشدة ندمه على الإنكار بقوله[٢]: ﴿فلا تصحبنى ج﴾ بل فارقنى؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿قد بلغت﴾ [٢]و أشار إلى أن ما وقع منه من الإخلال بالشرط من أعظم الخوارق التى اضطر إليها فقال[٢]: ﴿من لدنى عذرا ه﴾ باعتراضى مرتين [٢]و احتمالك لى فيهما[٢]. و قد أخبرنى الله بحسن حالك[٦] فى غزارة علمك ﴿فانطلقا وقفة﴾ ١٥ بعد قتله ﴿حتىٰٓ اذآ اتيآ اهل قرية﴾ [٢]عبر عنها هنا بالقرية دون المدينة[٢]

= أذنبت ثم غفرت له - راجع نثر المرجان ٤/١٧٠.

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: قتلها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) و من هنا يبتدئ الجزء السادس عشر من القرآن الكريم. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تهلك.

[١] لأنه أدل على الذم، لأن مادة " قرا" تدور على الجمع الذى يلزمه الإمساك كما تقدم فى آخر سورة يوسف عليه السلام [١]؛ ثم وصفها [٢] ليبين [أن -[٣]] لها مدخلا فى لوم أهلها بقوله تعالى: ﴿ استطعمآ ﴾ و أظهر و لم يضمر فى قوله: ﴿ اهلها ﴾ لأن [٤] الاستطعام لبعض من أتوه،

٥ أو كل [٥] من الإتيان و الاستطعام لبعض و لكنه غير متحد، و هذا هو [٦] الظاهر، لأنه هو الموافق للعادة.

قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل: و لتكرار الأسماء بالإظهار و الإضمار بيان سنين [٧] الأفهام فى [٨] القرآن: اعلم أن لوقوع الإظهار و الإضمار فى بيان القرآن وجهين:

١٠ أحدهما يتقدم فيه الإظهار و هو خطاب المؤمنين بآيات الآفاق و على نحوه هو خطاب الخلق [٩] بعضهم لبعض لا يضمرون إلا بعد أن يظهروا، و الثانى يتقدم فيه الإضمار و هو خطاب الموقنين بآية الأنفس، و لم يصل إليه تخاطب الخلق. فاذا كان البيان عن إحاطة، تقدم الإضمار "قل هو الله احد" و إذا كان عن اختصاص، تقدم [الإظهار -[١٠]] "الله الصمد"

١٥ و إذا رد عليه بيان على حدة أضمر "لم يلد [و لم يولد و لم يكن له كفوا احد -[١١]]"، أى هذا الذى عم بأحديته و خص بصمديته، و إذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « لوم أهلها » ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « الموافق للعادة » ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: لكل (٦) سقط من مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: متين (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٩) فى ظ: الاظهار. (١٠) زيد من مد، و موضعه فى ظ: الاضمار (١١) زيد من ظ و مد و القرآن.

أحاط

أحاط البيان بعد اختصاص استؤنف له إحاطة باستئناف إظهار محيط أو باضمار، أو بجمع المضمر و المظهر[1] "يٰايها الذين اٰمنوا لا تقدموا بين يدى الله و رسوله و اتقوا الله ان الله سميع عليم[2]"، "ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ و يعيد[3]"، "هو الله الذى لا اٰله الا هو عٰلم الغيب و الشهادة[4]" و التفطن لما اختص به بيان القرآن[5] عن بيان الإنسان من هذا النحو من ٥ مفاتيح أبواب الفهم، و من نحوه "اتيا اهل قرية استطعما / اهلها" استأنف / ٢٨٧ للمستطعمين[6] إظهارا[7] غير إظهار عموم المأتيين[8]- انتهى. [و جعل السبكى الإتيان للبعض، و الاستطعام للكل، لأنه أشد ذما لأهل القرية و أدل على شر طبعها، و من قال بالأول مؤيد بقول الشافعى فى كتاب الرسالة[9] فى باب ما نزل من الكتاب عاما[10] يراد به العام و يدخلها الخصوص ١٠ و هو بعد البيان الخامس فى قول الله عز و جل "حتى اذا اتيا قرية استطعما اهلها": و فى هذه الآية أدل[11] دلالة على أنه[12] لم يستطعما كل أهل القرية و فيها خصوص - انتهى. و بيان ذلك أن نكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى، و إذا أعيدت معرفة كانت عينا فى الأغلب . و لما أسند

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: المضمر (٢) سورة ٤٩ آية ١ (٣) سورة ٨٥ آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ٥٩ آية ٢٢ (٥) زيد بعده فى الاصل: أى المحش المذكور، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٦) من مد، وفى الأصل وظ: المستطعمين (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اظهار (٨) العبارة من هنا إلى « المستطعمون » ص ١١٦ س ٦ ساقطة من ظ (٩) ص ١١ (١٠) من الرسالة، وفى مد: على ما (١١) ليس فى الرسالة (١٢) من الرسالة، و فى مد: ان.

الإتيان إلى أهل القرية كان ظاهره تناول الجميع ، فلو قيل : استطعماهم لكان المراد بالضمير عين المأتيين ، فلما عدل عنه - مع أنه أخصر - إلى الظاهر و لاسيما إن جعلناه نكرة كان غير الأولى و إلا لم يكن للعدول فائدة ، و قد كان الظاهر أن الأول للجميع فكان الثاني للبعض ، ٥ و إلا لم يكن غيره و لا كان للعدول فائدة -[1]]. ﴿فابوا[2]﴾ أى فتسبب عن استطعامهما أن أبى المستطعمون [3]من أهل القرية ﴿ان يضيفوهما﴾ [4]أى ينزلوهما و يطعموهما[4] فانصرفا عنهم ﴿ فوجدا فيها ﴾ أى القرية ، [4]و لم يقل : فيهم ، إيذانا بأن المراد وصف القرية بسوء الطبع[4] ﴿جدارا﴾ مشرفا على السقوط ، و كذا[5] قال مستعيرا لما لا يعقل صفة ما[6] يعقل : ١٠ ﴿يريد ان ينقض﴾ [4]أى يسقط سريعا[4] فمسحه الخضر[7] بيده ﴿فاقامه﴾ .

[4]و لما انقضى وصف القرية و ما تسبب عنه أجاب 'إذا' بقوله[4] : ﴿قال﴾ [2]أى له موسى عليه السلام: ﴿لو شئت لتخذت﴾ لكوننا لم يصل إلينا منهم شيء ﴿ عليه ﴾ [4]أى على إقامة الجدار[4] ﴿ اجرا ه ﴾ نأكل به ، فلم يعترض عليه فى هذه المرة لعدم ما ينكر فيها ، و إنما ساق ما يترتب ١٥ عليها من ثمرتها مساق العرض و المشورة غير أنه يتضمن السؤال ﴿قال﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) تأخر فى الأصل عن « المستطعمون » والترتيب من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل: اى ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « أهل القرية » ساقطة من ظ .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : لذا ، و العبارة فيه من بعده إلى « ما يعقل » ساقطة (٦) زيد فى مد : لا (٧) سقط من مد .

الخضر عليه السلام: ﴿هذا﴾ أى الوقت [١]أو السؤال. و لما كان ذلك سبب الفراق أو محله، سماه به مبالغة فقال[١]: ﴿فراق بينى و بينك ج﴾ يا موسى! [٢]بعد أن كان البينان بينا واحدا لاتصالهما فلا[٣] بين، فهو فى الحقيقة فوق ما كان متصلا من بينهما، أو فراق التقاول الذى كان بيننا، أى الفراق الذى سببه السؤال، و إذا نزل[٤] على الاحتباك ازداد ظهورا، ٥ تقديره: فراق بينى من بينك كما أخبرت، و فراق بينك من بينى كما شرطت، و قد أثبتت هذه العبارة [الفراق -[٥]] على أبلغ وجه، و ذلك أنه إذا وقع فراق بينى من بينك بحائل يحول بينهما فقد وقع منك بطريق الاولى، و حقيقته أن البين هو الفراغ المنبسط الفاصل بين الشيئين و هو موزع بينهما، فبين كل منهما من منتصف[٦] ذلك الفراغ إليه، فاذا دخل ١٠ فى ذلك الفراغ شىء فصل بينهما، و صار بين كل منهما ينسب إليه، لأنه صار[٧] بين ما ينسب إلى كل منهما من البينين، و حينئذ يكون بينهما مباينة، أى أن [بين -[٥]] كل منهما غير بين الآخر، و من قال: إن معنى "هذا فراق[٨] بيننا" زوال الفصل و وجود الوصل، كذبه أن معنى «هذا اتصال بيننا» المواصلة. فلو كان هذا معنى ذاك أيضا لاتحد ١٥ معنى ما يدل على الوصل بمعنى ما يدل على الفصل. و قد نبه الله سبحانه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «يدل على الفصل» ساقطة من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: فلما (٤) من مد، و فى الأصل: ترد. (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفى الأصل: متصف (٧) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) سقط من مد.

و تعالى موسى عليه السلام - [1] كما فى تفسير الأصبهانى [2] و غيره - بما فعل الخضر عليه السلام على ما وقع له هو [3] من مثله سواء بسواء، فنبهه - بخرق [4] السفينة الذى ظاهره هلك و باطنه نجاة من يد الغاصب - [على التابوت الذى أطبق عليه و ألقى فى اليم خوفا عليه من فرعون الغاصب - [5]] فكان [6] ظاهره [هلكا - [5]] و باطنه نجاة، و بقتل الغلام على أنه كان معصوم الحركة فى نفس الأمر فى قتله [7] القبطى و إن لم يكن إذ ذاك يعلم لكونه [8] لم ينبأ، و باقامة الجدار من غير أجر على سقيه لبنات شعيب عليهم السلام من غير أجر مع احتياجه [9] لذلك.

و لما كان من المعلوم شدة استشراف موسى عليه السلام إلى الوقوف على باطن هذه الأمور، قال مجيبا له عن هذا السؤال: ﴿ سانبئك ﴾ يا موسى! [10] بوعد لا خلف فيه إنباء عظيما [10] ﴿ بتأويل ﴾ أى بترجيع ﴿ ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ - لمخالفته عندك الحكمة - [إلى الحكمة - [5]] [10] و هو أن عند تعارض الضررين يجب ارتكاب الأدنى لدفع الأقوى بشرط التحقق [10]، و أثبت تاء الاستفعال [11] هنا و فيما قبله إعلاما بأنه

(١) العبارة من هنا إلى «و غيره» ساقطة من ظ (٢) هو العلامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ - كشف الظنون ١/٤٤٢ و ٤٤٣ (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: هذا (٤) فى ظ: بخرقه (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى مد: من (٧) فى ظ: قتل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بكونه (٩) فى ظ: فقره (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(١١) سقط من ظ.

ما

ما نفى إلا القدرة البليغة على الصبر[1]، إشارة / إلى صعوبة ما حمل موسى / ٣٨٨
من ذلك، لامطلق القدرة على الصبر ﴿ اما السفينة ﴾ التى أحسن إلينا
[أهلها - [2]] بخرقتها ﴿ فكانت لمسكين ﴾ [3]و هو دليل للشافعى على
أن الفقير أسوأ حالا من المسكين، لأن هؤلاء يملكون سفينة[3]
﴿ يعملون فى البحر ﴾ ليستعينوا بذلك على معاشهم . ٥
و لما كان التعييب من فعله، أسنده إليه [4]خاصة، تأدبا مع الله
تعالى[3] فقال: ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾ [4]فان تفويت منفعتها [بذلك - [5]]
ساعة من نهار و تكليف[6] أهلها لوحا يسدونها به أخف ضررا من تفويتهم
منفعتها أخذا و رأسا بأخذ الملك لها، و لم أرد إغراق أهلها كما هو
المتبادر إلى الفهم؛ ثم عطف على ذلك علة فعله فقال: ﴿ و كان ورآءهم ﴾ ١٠
أى أمامهم، [و لعله - [2]] عبر بلفظ 'وراء' كناية عن الإحاطة بنفوذ
الأمر فى كل وجهة وارتهم و[7] واروها، و فسره الحرالى فى سورة البقرة[8]
بأنه وراءهم فى غيبته عن علمهم و إن كان أمامهم فى وجهتهم، لأنه
فسر الوراء بما لايناله الحس و لا العلم حيثما[9] كان من المكان، قال:
فربما اجتمع أن يكون الشىء وراء من حيث أنه لايعلم، و يكون أماما ١٥
فى المكان . ﴿ ملك ياخذ ﴾ فى ذلك الوقت ﴿ كل سفينة ﴾ ليس
فيها عيب ﴿ غصبا ﴾ من أصحابها[10] و لم يكن عند أصحابها علم[11] به .

---

(١) زيد فى الأصل و مد: لا مطلق القدرة على الصبر، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « الملك لها » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفى الأصل: تكلف (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: او (٨) راجع نظم الدرر ٢/٤٧ و ٤٨ . (٩) من النظم، وفى النسخ: حيث (١٠) العبارة من هنا إلى « علم به » ساقطة من ظ (١١) من مد، و فى الأصل: علما .

و لما كان كل من الغصب و المسكنة سببا لفعله، قدمها على الغصب، إشارة إلى أن أقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة بالمساكين ﴿و اما الغلٰم﴾ [1]أي الذى قتلته[1] ﴿فكان ابواه مؤمنين﴾ وكان هو مطبوعا على الكفر - كما [2]يأتى فى[3] حديث أبى رضى الله عنه .

٥ و لما كان يحتمل عند الخضر عليه السلام أن يكون هذا الغلام مع كفره فى نفسه سببا لكفر أبويه إن كبر، و كان أمر الله له بقتله مثل[4] فعل من يخشى ذلك، أسند الفعل إليهما[5] فى قوله : ﴿فخشينآ ان يرهقهما﴾ [1]أى يغشيهما[1] و يلحقهما إن كبر بمحبتهما له[6] أو بجراءته[7] و قساوته ﴿طغيانا﴾ أى تجاوزا فى الظلم[8] و إفراطا فيه[9] ﴿وكفراج﴾ لنعمتهما

١٠ فيفسد دنياهما أو يحملهما حبهما له على الطغيان و الكفر بالله طاعة فيفسد دينهما، روى مسلم فى القدر[10] و أبو داود فى السنة[11] و الترمذى فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنه » وقعت فى ظ على النمط الآتى : رواه مسلم و أبو داود و الترمذى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم (٣) من مد ، و فى الأصل : من (٤) زيد فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى « قساوته » ساقطة من ظ (٧) من مد . وفى الأصل : بخرابه (٨) زيد فى الأصل : لهما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل : عليهما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة و حكم موتى أطفال الكفار و أطفال المسلمين (١١) باب فى القدر .

التفسير[1] عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضى الله عنهم أن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم قال: إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ، و لو عاش لأرهق أبويه طغيانا و كفرا . و هذا وحديث « الله أعلم بما كانوا عاملين[2] » يدل على أن العذاب - على ما [3] لو وجد شرطه لوقع[3] - إنما يكون على ما كان جبلة و طبعا ، لا ما كان عارضا ، و إلا لعذب ٥ الأبوان[4] [5]على تقدير أن يكون المعلوم من الكفر منهما[5] .

و لما ذكر ما يلزم [5]على تقدير[5] بقائه من الفساد ، سبب عنه قوله : ﴿ فاردنآ ﴾ [5]أى بقتله و إراحتهما من شره[5] . و لما كان التعويض[6] عن هذا الولد لله وحده[7] ، أسند الفعل إليه فى قوله : ﴿ ان يبدلهما ربهما ﴾ أى[7] المحسن إليهما باعطائه و أخذه ﴿ خيرا منه زكوٰة ﴾ ١٠ طهارة[8] و بركة ، [أى - [9]] [5]من جهة كونه كان ظاهر الزكاء فى الحال ، و أما فى المآل فلو عاش كان فيه خبيثا ظاهر الخبث ، و هذا البدل يمكن أن يكون الصبر ، و يمكن أن يكون ولدا آخر ، و هو المنقول و أنها كانت بنتا[5] ﴿ و اقرب رحما ﴾ برا بهما وعطفا عليهما و رحمة لهما [10]فكان الضرر اللاحق لهما بالتأسف عليه أدنى[11] من الضرر اللاحق لهما / عند ١٥ / ٣٨٩

---

(١) ٢ / ٣٨٣ (٢) راجع كتاب القدر من الصحيحين (٣-٣) فى ظ : سيقع .
(٤) من مد ، و فى الأصل وظ : الابوين (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التعريض (٧) سقط من ظ (٨) فى مد : طاهرة (٩) زيد من مد (١٠) العبارة من هنا إلى « أودنياهما » ص ١٢٢ س ١ ساقطة من ظ (١١) من مد ، و فى الأصل : اذى .

كبره بافساد دينهما أو دنياهما ﴿ و اما الجدار ﴾ الذى أشرت بأخذ الأجر عليه ﴿ فكان لغلمين ﴾ [١]و دل على كونهما دون البلوغ بقوله [١]: ﴿ يتيمين ﴾ .

[٢]و لما كانت القرية لا تنافى التسمية بالمدينة ، و كان التعبير بالقرية[٣] أولاً أليق ، لأنها مشتقة من معنى الجمع ، فكان أليق بالذم فى ترك الضيافة لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع ، و بمحبتهم للجمع و الإمساك ، و كانت المدينة بمعنى الإقامة ، فكان التعبير بها أليق للاشارة به إلى أن الناس يقيمون فيها ، فينهدم[٤] الجدار و هم مقيمون فيأخذون[٥] الكنز ، قال: ﴿ فى المدينة ﴾ فلذلك أقته احتسابا ﴿ و كان تحته كنز ﴾ [١]أى مال مدخور[١] ﴿ لهما ﴾ لو وقع لكان أقرب إلى ضياعه ﴿ و كان ابوهما صالحا ج ﴾ ينبغى مراعاته و خلفه فى ذريته بخير .

و لما كان الإبلاغ إلى حد البلوغ و الاستخراج فعل الله وحده ، أسند إليه خاصة فقال : ﴿ فاراد ربك ﴾ أى[٦] المحسن إليك بهذه التربية ، إشارة إلى ما فعل بك من مثلها قبل النبوة كما بين ﴿ ان يبلغآ ﴾ [٢]أى الغلامان[٢] ﴿ اشدهما ﴾ أى رشدهما [١]و قوتهما[١] ﴿ و يستخرجا كنزهما ق صلے ﴾ لينتفعا به و ينفعا الصالحين ﴿ رحمة ﴾ بهما ﴿ من ربك ج ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «الكنز قال» ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : لقرية (٤) من مد ، و فى الأصل : فهدم . (٥) من مد ، و فى الأصل : فياخذوا (٦) سقط من ظ .

أى

أى[1] الذى أحسن تربيتك و أنت فى حكم [اليتيم -[2]] [3]فكان التعب فى إقامة الجدار مجانا أدنى من الضرر اللازم من سقوطه لضياع الكنز و فساد الجدار ، و قد دل هذا على أن صلاح الآباء داع إلى العناية بالأبناء ، روى عن الحسن[4] بن على رضى الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج [فى كلام -[5]] جرى بينهما: بم[6] حفظ الله كنز الغلامين ؟ ٥ قال: بصلاح أبيهما ، قال: فأبى و جدى خير منه ، قال: أنبأنا الله أنكم قوم خصمون . ﴿ و ما فعلته﴾ أى شيئا من ذلك ﴿ عن امرى ؕ ﴾ بل عن أمر [7]من له الأمر ، و هو[7] الله .

[8]و لما بان سر تلك القضايا ، قال [9]مقدرا للأمر[9]: ﴿ ذٰلك ﴾ [7]أى الشرح العظيم[7] ﴿ تاويل ما لم تسطع ﴾ يا موسى ﴿عليه صبرا ؕ ﴾ ١٠ و حذف تاء الاستطاعة هنا لصيرورة ذلك - بعد كشف الغطاء - فى حيز ما يحمل[10] فكان منكره غير صابر أصلا لو كان عنده مكشوفا من أول[11] الأمر ، و سقط - و لله الحمد - بما قررته فى هذه القصة ما يقال من أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم أخبر فى قول سليمان

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى « قوم خصمون » ساقطة من ظ (٤) فى الكشاف ١/٥٧٨: الحسين (٥) زيد من مد و الكشاف. (٦) من مد و الكشاف ، و فى الأصل : ثم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) العبارة من هنا إلى « مقدرا للأمر » ساقطة من ظ (٩ - ٩) من مد ، و فى الأصل : معذر كال لامر - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : عمل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر .

عليه السلام المخرج في[1] الصحيحين[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «لأطوفن الليلة على مائــة امرأة كلهن تلد فارسا [يجاهد - [3]] في سبيل الله ، فلم تلد منهن إلا واحدة جاءت[4] بشق آدمي» أنه[5] لو قال: إن شاء الله ، لجاهدوا فرسانا أجمعون . فأفهم ذلك أن كل نبي استثنى في

٥ خبره صدقه الله تعالى كما وقع للذبيح أنه قال "ستجدني ان شاء الله من الصٰبرين[6]" فوفى ، فما لموسى عليه السلام - و هو من أولي العزم - فعل مع[7] الاستثناء ما فعل؟ فان[8] الذبيح صبر على ما هو قاطع بأنه بعينه أمر الله ، بخلاف موسى عليه السلام فانه كان ينكر ما ظاهره منكر قبل العلم بأنـــه من أمر الله ، فاذا نبه صبر ، و أما قول النبي صلى الله

١٠ عليه و على آله و سلم «يرحم الله أخي موسى! وددنا [9]لو أنه[9] صبر حتى[10] يقص علينا من أمرهما[11]» فمعناه: صبر عن الإذن للخضر عليــه السلام في مفارقته في قوله "فلا تصحبني" و يدل عليه أن في رواية لمسلم «رحمة الله علينا و على موسى! لولا أنه عجل لرأى العجب و لكنه

---

(١) تكرر في ظ (٢) راجع باب من طلب الولد للجهاد - كتاب الجهاد من صحيح البخاري و اللفظ له ، و باب الاستثناء في اليمين و غيرها - كتاب الأيمان من صحيح مسلم ، و الحديث فيه بعض المفارقات بالنسبة لما هنا (٣) زيد من ظ و مد و صحيح البخاري (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣٧ آية ١٠٢ (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : من (٨) في ظ : بان (٩ - ٩) من ظ و مد ، و في الأصل : انه لو (١٠) في ظ : حين (١١) رواه الكثيرون بما فيهم البخاري - راجع باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام كتاب الأنبياء .

أخذته [من صاحبه -[1]] ذمامة " قال ان / سالتك عن شيء بعدها [2] / ٣٩٠
فلا تصحبنى ". فتحرر أنه و فى بمقام الشرع الذى أقامه الله [فيه -[3]]
فلم يخل بمقام الصبر الذى [ليس -[3]] فيه ما يخالف ما يعرف و يستحضر
من الشرع ، و كيف لا و هو من أكابر أولى العزم الذين قال الله تعالى
لأشرف [خلقه -[3]] فى التسليك بسيرهم " فاصبر كما صبر اولوا العزم من ٥
الرسل[4] " و قال تعالى " اولئك الذين هدى الله فبهدٰهم اقتده[5] " و قال
عليه السلام فيما خرجه الشيخان[6] عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه و على آله و سلم أوذى من بعض من كان معه فى حنين
فلوّن وجهه و قال: يرحم الله أخى موسى! لقد أوذى بأكثر من هذا
فصبر . و علم أن فى قصته هذه حثا كثيرا على المجاهرة بالمبادرة بالأمر ١٠
بالمعروف و النهى عن المنكر و المصابرة عليه ، و أن لا يراعى فيه
[7]كبير و لا صغير [7] إذا كان الإمرء على ثقة من أمره فى الظاهر بما
عنده فى ذلك من العلم عن الله و رسوله و أئمة دينه[8] ، و تنبيها على أنه
لا يلزم من العلم اللدنى - سواء كان صاحبه نبيا أو وليا - معرفة كل شيء
كما يدعيه أتباع بعض الصوفية ، لأن الخضر سأل موسى عليهما السلام: ١٥

(١) زيد من صحيح مسلم - كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢) تقدم فى الأصل على « عن شيء » و الترتيب من مد و القرآن الكريم ، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سورة ٤٦ آية ٣٥ (٥) سورة ٦ آية ٩٠ (٦) أما البخارى فخرجه فى عدة المناسبات و أما مسلم فخرجه فى أبواب الزكاة (٧ - ٧) فى ظ : صغير و لا كبير (٨) العبارة من هنا إلى « كما سيأتى » ص ١٢٦ س ١ ساقطة من ظ .

من أنت؟ و هل هو موسى نبي[١] بني إسراءيل - كما سيأتي . [٢] روى البخاري في التفسير[٣] من روايات مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبي بن كعب رضي الله عنه حدثه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : موسى رسول الله - عليه و على آله و سلم - ذكر ٥ الناس [يوما -[٤]] حتى إذا فاضت العيون و رقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال : أي رسول الله ! هل في الأرض [أحد -[٤]] أعلم منك ؟ قال[٥] : لا ! فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، [٦] فأوحى إليه : بلى[٧] ! عبد من عبادي بمجمع البحرين ، قال : أي رب ! كيف السبيل إليه ؟ [قال -[٤]] : تأخذ حوتا في مكتل فحيث ما فقدته فاتبعه - و في رواية : خذ نونا ميتا ١٠ حيث ينفخ فيه الروح - فخرج و معه فتاه يوشع بن نون حتى[٨] انتهيا إلى الصخرة ، فوضع موسى رأسه [٩] فنام في ظل الصخرة[١٠] في مكان ثريان[١١] إذ تضرب الحوت - و في رواية : [و -[٤]] في أصل تلك الصخرة عين يقال له[١٢] الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حي ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فانسل من المكتل فدخل البحر - فأمسك الله عنه جرية

(١) سقط من مد (٢) زيدت الواو في ظ (٣) و يبتدئ السياق برواية يعلى بن مسلم عن ابن عباس عن أبي بن كعب (٤) زيد من ظ و مد والصحيح (٥) من ظ و مد و الصحيح ، و في الأصل : فقال (٦) و من هنا يرجع السياق إلى حديث قتيبة بن سعيد (٧) من مد و الصحيح ، و في الأصل و ظ : بل (٨) في ظ : حين (٩) و من هنا يرجع السياق إلى الحديث الأول (١٠) زيد في الأصل : فنام ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و الصحيح فحذفناها (١١) بهامش ظ : ندى (١٢) من ظ و مد و الصحيح ، و في الأصل : لها .

البحر حتى كان أثره فى حجر ، فقال فتاه : لا أوقظه ، حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره ، فذكر سفرهما و[1] قول موسى عليه السلام "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" قال : قد قطع الله عنك النصب ، فرجعا فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى[2] بثوبه ، قد جعل طرفه تحت رجليه ، و طرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى فكشف[3] عن وجهه ٥ و قال : هل بأرضى من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى ! قال : موسى بنى إسراءيل ؟ قال : نعم ! قال : فما شأنك ؟ قال : جئت لتعلمنى ، قال : أما يكفيك أن التوراة بيديك[4] و أن الوحى [يأتيك -[5]] ؟ يا موسى ! إن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه ، و إن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه - أى لا ينبغى لك أن تعمل بالباطن و لا ينبغى [لى أنا -[6]] أن أقف مع[7] الظاهر ، أطلق ١٠ العلم على العمل لأنه سببه - فانطلقا يمشيان على الساحل ، فوجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل[8] هذا الساحل الآخر ، فعرف الخضر فقالوا : عبد الله الصالح ! لا تحمله بأجر ، فحملوهم فى سفينتهم بغير نول[9] - يقول : بغير أجر - فركبا السفينة ، و وقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره فى البحر ؛ [10]و فى رواية[10] : فأخذ / بمنقاره[11] من البحر ، ١٥ / ٣٩١

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٢) فى مد : مثجى (٣) من ظ و مد و الصحيح ، وفى الأصل : و كشف (٤) من الصحيح ، وفى النسخ : بيدك .
(٥) زيد من ظ و مد و الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : قول (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) من مد =

و فى رواية : فنقر نقرة أو نقرتين فقال : و الله ما نقص علمى و علمك
من علم الله إلا كما نقص هذا من البحر ، فلم يفجأ[١] موسى إلا الخضر عمد[٢]
إلى قدوم فخرق السفينة و وتد فيها وتدا فذكر[٣] إنكاره و جوابه ثم قال :
و كانت الأولى من موسى نسيانا ، و الوسطى شرطا ، و الثالثة عمدا -
٥ فذكر القصة ، و قال فى آخرها : فقال رسول الله صلى الله عليه و على
آله و سلم : وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما .

و لما فرغ من هذه القصة التى حاصلها أنها طواف فى الأرض
لطلب العلم ، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد ، و قدم الأولى
إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة ، و قوام كل أمر ،
١٠ فقال عاطفا على "و يجادل الذين كفروا بالباطل" : ﴿و يسئلونك عن﴾
الرجل الصالح المجاهد ﴿ذى القرنين﴾ [٤]سمى لشجاعته أو لبلوغه قرنى
مغرب الشمس و مشرقها ، أو لانقراض قرنين من الناس فى زمانه ،
أو لأنه كان له ضفيرتان من الشعر أو[٥] لتاجه [قرنان -[٦]] ، و هو
الإسكندر الأول - نقل ابن كثير عن الأزرقى[٧] أنه كان على زمن
١٥ الخليل عليه السلام ، و طاف معه بالبيت ، و من المناسبات الصورية

= و الصحيح ، و فى الأصل و ظ : منقاره .
(١) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : ظ تفجا (٢) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : غدا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فذكره (٤) العبارة من هنا إلى « لتاجه قرنان » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل « و » (٦) زيد من مد و البحر المحيط ٦/١٥٨ (٧) فى ظ : الازربى .

أن في قصة[1] كل منهما ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لاسقف له ، و إنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف المفسد ، و صدّرها بالإخبار عن سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التى قبلها على ما فيها من العجائب و اللطائف ، و الأسرار و المعارف ، تبكيتا لليهود فى إغفال الأمر بالسؤال عنها إن كان مقصودهم [الحق -[2]] ، و إن لم يكن مقصودا لهم ٥ كانوا بالتبكيت أجدر ، أو تكون معطوفة على مسألتهم الأولى و هى الروح ، و صدرها بالإخبار بالسؤال تنبيها على ذلك لطول الفصل ، إشارة إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك .

و لما كان من المعلوم أنه يقول صلى الله عليه و على آله و سلم : [3]فيما ذا أجيبهم[3]؟ قال : ﴿قل﴾ [4]أى لهم[4] : ﴿ساتلوا﴾ [4]أى أقص قصا ١٠ متتابعا فى مستقبل الزمان إن أعلمنى الله به[4] ﴿عليكم﴾ [4]أيها المشركون و أهل الكتاب المعلمون لهم[4] مقيدا بان شاء الله كما سلف لك الأمر به ﴿منه ذكرا ﴾ كافيا لكم فى تعرف أمره ، جامعا لمجامع ذكره .

و لما كانت قصته من أدل دليل على عظمة الله ، جلاها فى ذلك المظهر فقال : ﴿انا﴾ [4]مؤكدا لأن المخاطبين بصدد التعنت و الإنكار[4] ١٥ ﴿مكنا﴾ [5]أى بما لنا من العظمة ، قيل[6] : بالملك وحده ، و قيل : مع

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيما اذا اجبتهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « بمظهر العظمة» ص ١٣٠ س ٢ ساقطة من ظ (٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦/١٥٩ .

النبوة ، لأن ما ينسب إلى[1] الله تعالى على سبيل الامتنان و الإحسان جدير بأن يحمل على النهاية لاسيما إذا عبر عنه بمظهر العظمة ﴿له فى الارض﴾ مكنة يصل بها إلى جميع مسلوكها ، و يظهر بها على سائر ملوكها ﴿و اتينـٰه﴾ بعظمتنا[2] ﴿من كل شىء﴾ يحتاج إليه فى ذلك ﴿سببا لا﴾

٥ قال أبو حيان[3]: و أصل السبب الحبل . ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به إلى المقصود . فأراد بلوغ المغرب ، [4]و لعله[4] بدأ به لأن باب التوبة فيه ﴿فاتبع﴾ [5]أى بغاية جهده - هذا على قراءة ابن كثير و نافع و أبى عمرو بالتشديد ، و المعنى على قراءة الباقين بقطع الهمزة و إسكان الفوقانية: ألحق بعض الأسباب ببعض ، و ذلك تفسير

١٠ لقراءة التشديد[5] ﴿سببا ۵﴾ يوصله إليه ، و استمر متبعا له ﴿حتىٓ اذا بلغ﴾ [5]فى ذلك المسير[5] ﴿مغرب الشمس﴾ أى[6] الحد الذى لا يتجاوزه آدمى فى جهة الغرب ﴿وجدها﴾ فيما يحس بحاسة لمسه ﴿تغرب﴾ كما أحسه بحاسة / بصره من حيث أنه متصل بما وصل إليه بيده ، لا حائل بينه و بينه ﴿فى عين حمئة﴾ أى ذات حمأة أى طين أسود ، و هى مع

١٥ ذلك حارة [5]كما ينظر من فى وسط البحر أنها تغرب فيه و تطلع منه و عنده القطع بأن الأمر ليس كذلك[5] ﴿و[7] وجد عندها﴾ أى على الساحل المتصل بتلك العين ﴿قوما ط﴾ كفارا [5]لهم قوة على ما يحاولونه و منعة[5] ،

/ ٣٩٢

(١) من مد ، وفى الأصل: مع (٢) سقط من ظ (٣) فى البحر المحيط ١٥٩/٦ .
(٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فلعله (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) فى مد : الى (٧) ليست الواو فى الأصل نقط .

فكأنه

فكأنه قيل : ما ذا أمر فيهم ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قلنا ﴾ [1]بمظهر العظمة[1]: ﴿ يٰذا القرنين ﴾ إعلاما بقربه من الله و أنه لا يفعل إلا ما أمره به ، إما بواسطة الملك إن كان نبيا - [1]و هو أظهر الاحتمالات[1]، أو بواسطة نبي زمانه ، أو باجتهاده فى شريعته الاجتهادَ المصيب ﴿ امآ ان تعذب ﴾ أى هؤلاء القوم ببذل السيف فيهم بكفرهم ﴿ و امآ ان تتخذ ﴾ [1]أى بغاية جهدك[1] ﴿ فيهم حسناه ﴾ أمرا[2] له حسن عظيم ، و ذلك هو البداءة بالدعاء ، إشارة إلى أن القتل و إن كان جائزا فالأولى أن لا يفعل إلا بعد اليأس من الرجوع عن موجبه ﴿ قال اما من ظلم ﴾ باستمراره على الكفر فانا نرفق به حتى نيأس منه [ثم - [3]] نقتله ، و إلى ذلك أشار بقوله : ﴿ فسوف نعذبه ﴾ [1]بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء و الترفق[1] ﴿ ثم يرد ﴾ بعد الحياة بالموت ، أو بعد البرزخ بالبعث ، ردا[4] هو فى غاية السهولة ﴿ الى ربه ﴾ الذى تفرد بتربيته ﴿ فيعذبه عذابا نكراه ﴾ شديدا جدا لم يعهد مثله لكفره لنعمته . و بذل خيره فى عبادة غيره ، و فى ذلك إشارة بالتهديد الشديد لليهود الغارين[5] لقريش ، و إرشاد لقريش إلى أن يسألوهم عن قوله هذا ، ليكون قائدا [لهم - [3]] إلى الإقرار بالبعث ﴿ و اما من امن و عمل صالحا ﴾ تصديقا لما أخبر به من تصديقه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد ، و فى الأصل : ردله ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « غاية السهولة » (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفازين - كذا .

﴿ فله ﴾ فى الدارين ﴿ جزآء [1] ﴾ طريقته ﴿ الحسنى ج ﴾ منا و من الله بأحسن [2] [منها - [3]] ﴿ و سنقول ﴾ [4] بوعد لا خلف فيه بعد اختباره بالأعمال الصالحة [4] ﴿ له ﴾ أى لأجله ﴿ من امرنا ﴾ الذى نأمر به فيه ﴿ يسرا ﴾ أى قولا غير شاق [4] من الصلاة و الزكاة و الخراج

٥ و الجهاد و غيرها، و هو ما يطيقه و لا يشق عليه مشقة كبيرة [4] ﴿ ثم اتبع ﴾ [4] لإرادته بلوغ مشرق الشمس [5] ﴿ سببا ﴾ من جهة الجنوب يوصله إلى المشرق و استمر فيه لا يمل و لا تغلبه أمة مر عليها ﴿ حتى اذا بلغ ﴾ [4] فى مسيره ذلك [5] ﴿ مطلع الشمس ﴾ أى الموضع الذى تطلع عليه أولا من المعمور من الأرض ﴿ وجدها تطلع على قوم ﴾

١٠ على ساحل البحر [5] لهم قوة شديدة [4] ﴿ لم نجعل لهم ﴾ [و لما كان المراد التعميم، أثبت الجار فقال - [3]] : ﴿ من دونها ﴾ [4] أى من أدنى الأماكن إليهم [4] أول ما تطلع ﴿ سترا ﴾ يحول بينهم و بين المحل الذى [يرى - [5]] طلوعها منه [من البحر - [5]] من جبل [4] و لا أبنية و لا شجر [4] و لا غيرها [6] .

١٥ و لما كان أمره مستغربا فى نفسه و فى الاطلاع عليه لا سيما عند القرب [7] ، قال تعالى : ﴿ كذلك ﴾ أى أمره كما ذكرنا [8] لكم على

---

(١) راجع لاختلاف القراءة فيه نثر المرجان ٤ / ١٤٨ (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : غيره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الغرب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرناه .

سبيل الاقتصار ﴿ و قد احطنا ﴾ [١] بما لنا من العظمة! ﴿ بما لديه ﴾
أي [٢] كله من الأمور التي [هي -[٣]] أغرب المستغرب ﴿ خبراء ﴾
[١] أي من جهة بواطن أموره فضلا عن ظواهرها [١]. فلا يستغرب إخبارنا
عن ذلك و لا عن أمر أصحاب الكهف، و لا يظن أن تفصيل أمر
الروح خفي عنا، لأنا مطلعون على خفايا الأمور و ظواهرها، شواهدها ٥
و غوائبها، [١] و كيف لا و نحن أوجدناها [١] و لكنا لا نذكر [٤] من
ذلك [٤] إلا [ما نريد على -[٥]] ما تدعو إليه الحكمة، فلو شئنا لبسطنا
هذه القصة و قصة أهل الكهف و فصلنا أمر الروح [تفصيلا -[٣]]
يعجز عن حفظه الألباء ﴿ ثم اتبع ﴾ [١] في إرادته ناحية السد مخرج
ياجوج و ماجوج [١] ﴿ سبباء ﴾ من جهة الشمال، و استمر آخذاً فيه ١٠
﴿ حتىٰ اذا بلغ ﴾ [١] في مسيره ذلك [١] ﴿ بين السدين ﴾ أي الجبلين
المانعين من وراءهما من الوصول منهما [١] إلى من أمامهما [١] و هما بمنقطع /٣٩٣
أرض الترك مما يلي [٦] بلاد أرمينية و آذربيجان، أملسان يزلق عليهما
كل شيء؛ [١] قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حفص عن عاصم بفتح السين،
و الباقون بضمها، فقيل: هما بمعنى واحد، و قيل: المضموم من فعل ١٥
الله، و المفتوح من فعل الناس [١]. ﴿ وجد من دونهما ﴾ أي بقربهما [٢]
من الجانب الذي هو أدنى منهما إلى الجهة التي أتى منها ذو القرنين

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد.
(٤-٤) في ظ: منه (٥) زيد من ظ (٦) زيد في الأصل: من. و لم تكن
الزيادة في ظ و مد و البحر المحيط ٦ / ١٦٣، فحذفناها.

﴿ قوما لا ﴾ [١] أى أقوياء [١] لغتهم فى غاية البعد من لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد، فهم لذلك ﴿ لا يكادون يفقهون قولا ه ﴾ أى [٢] لا يقربون من أن يفهموه ممن مع ذى القرنين فهما جيدا كما يفهم غيرهم، و دل وصفهم بما يأتى على أنهم يفهمون فهما ما [٢] بعد بُعد ٥ و محاولة طويلة، لعدم ماهر بلسانهم ممن مع ذى القرنين، و عدم ماهر منهم بلسان أحد ممن معه، و هذا يدل على أن بينهم و بين بقية سكان الأرض غير ياجوج و ماجوج برارى شاسعة، و فيافى واسعة، منعت من اختلاطهم بهم، [٣] و أن تطبّعهم بلسان غيرهم بعيد جدا لقلة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال، أو لغير ذلك، و يلزم من ١٠ ذلك أنهم لا يكادون يفهمون غيرهم شيئا من كلامهم، و ذلك معنى قراءة حمزة و الكسائى بضم التحتانية و كسر القاف [٤]؛ و دل على [أن - [٥]] عدم فهمهم و إفهامهم مقيد بما مضى قولُه [٦]: ﴿ قالوا ﴾ أى مترجموهم أو جيرانهم - الذين من دونهم [٧] - كما فى مصحف ابن مسعود [٨] ممن يعرف بعض كلامهم، [١] أو بالإشارة كما يخاطب إليكم [١]: ﴿ يٰذا القرنين ﴾ مسنا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) موضع ما بين الرقمين فى ظ: لا يفهمونه ممن مع ذى القرنين إلا (٣) العبارة من هنا إلى «بما مضى قوله» ساقطة من ظ (٤) راجع نثر المرجان ٤ / ١٨٦ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ: فكأنه قيل: هل قالوا له شيئا؟ فقيل: نعم (٧) فى مد: دونه (٨) و فى روح المعانى أيضا ما يقارب ما عندنا: و لعل هذا المترجم كان من قوم بقرب بلادهم و يؤيد ذلك ما وقع فى مصحف ابن مسعود «قال الذين من دونهم».

الضر

الضر ﴿ ان ياجوج و ماجوج ﴾ و هما قبيلتان من الناس من أولاد يافث ، لايطاق أمرهم ، و لا يطفأ جمرهم ، و قد ثبت فى الصحيح[١] فى حديث بعث النار أنهم من ذرية آدم عليه السلام ﴿ مفسدون فى الارض ﴾ بأنواع الفساد ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ نخرجه لك من أموالنا - [٢]هذا على قراءة الجماعة ، و زاد حمزة و الكسائى ألفا[٣] ، فقيل[٤] : هما بمعنى واحد ، ٥ و قيل : بل الخرج ما تبرعت بـه ، و الخراج بالألف ما لزمك . ﴿ على[٢] ان تجعل ﴾ [٥]فى جميع ما[٥] ﴿ بيننا و بينهم ﴾ [٥]من الأرض التى يمكن توصلهم إلينا منها[٥] بما آتاك الله من المكنة ﴿ سدا ، ﴾ يصل بين هذين الجبلين ﴿ قال ﴾ بعفة و ديانة و قصد للخير : ﴿ ما مكنى ﴾ .

[٦]و لما كان لمكنته حالتان : إحداهما ظاهرة ، و هى ما شوهد من ١٠ فعله بعد وقوعه ، و باطنة و لا يقع احـد عليها بحدس و لا توهم ، لأنها مما لم يؤلف مثله ، فلا يقع المتوسم عليه ، قرأ ابن كثير[٧] باظهار النون فى "مكننى" و غيره بالإدغام ، إشارة إليهما . و لما كان النظر إلى ما يقع المكنة [فيه -[٨]] أكثر ، قدم ضميره فقال : ﴿ فيه ربى ﴾ أى[٩] المحسن إلىّ بما ترون من الأموال و الرجال ، [٥]و الفهم فى إتقان[٥] ١٥

---

(١) كتاب الأنبياء - قصة ياجوج و ماجوج حديث إسحاق بن نصر (٢) العبارة من هنا إلى « ما لزمك » ساقطة من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٤/١٨٨ (٤) وهو قول أبى عمرو - راجع معالم التنزيل (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) العبارة من هنا إلى « ضميره فقال » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد : وقدم ضميره فقال (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ .

[1] الامور، و التوصل إلى جميع الممكن للمخلوق[1] ﴿ خير ﴾ أى[2] من خرجكم الذى تريدون بذله لمكنتى كما قال سليمان عليه السلام " فما اٰتٰنِىَ الله خير مما اٰتٰكم[3] " ﴿ فاعينونى بقوة ﴾ أى آلات و عمال أتقوى بها فى فعل ذلك. فان [1] أهل البلاد أخبر بما يصلح فى هذا العمل من بلادهم و[1] ما معى إنما هو للقتال و ما يكون من أسبابه، لا لمثل[4] هذا ﴿ اجعل بينكم ﴾ [5] أى بين ما تختصون به ﴿ و بينهم ردما ﴾ أى حاجزا حصينا موثقا[5] بعضه فوق بعض، مع التلاصق[6] المتلاحم الموجب لأن لا يميز بعضه من بعض [1] و هو أعظم من السد[1]؛ قال البغوى[7] لحفر[8] له الأساس حتى بلغ الماء / [و -[9]] جعل حشوه الصخر و طينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض. ﴿ اٰتونى ﴾ بفتح الهمزة و مدها على قراءة الجماعة[10] [أى أعطونى -[11]] و بهمزة وصل و همزة بعدها ساكنة، أى جيئونى و تعالوا إلىّ فقد أجبتكم إلى سؤالكم[12]، ثم ابتدأ مغريا على هذه القراءة فقال[13]: ﴿ زبر الحديد ﴾ أى [1] عليكم به فأحضروا إلىّ [1] قطعة، فأتوه

/٣٩٤

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٢٧ آية ٣٦.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مثل (٥) العبارة من هنا إلى « تختصون به » ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.
(٧) فى معالم التنزيل - راجع اللباب ٤/١٨٨ (٨) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: حفر (٩) زيدت الواو من المعالم (١٠) راجع نثر المرجان ٤/١٨٩.
(١١) زيد من مد (١٢) فى مد: سولكم (١٣) العبارة من « بفتح الهمزة » إلى هنا ساقطة من ظ.

بذلك فردم [١]ما فوق الأساس[١] بعضه على بعض صفا من الحديد[٢] وصفا من الحطب ، قال البغوي[٣] : فلم يزل يجعل قطع[٤] الحديد على الحطب والحطب على الحديد . ﴿ حتىٓ اذا ساوى ﴾ [١] أي بذلك البناء[١] ﴿ بين الصدفين ﴾ أي أعلى[٥] منقطع الجبلين الموصوفين ، سميا لتصادفهما - أي تقابلهما وتقاربهما - بالبناء على تلك الحالة عرضا ٥ وطولا ، [٦]وقراءة من فتح الصاد والدال[٧] - وهم نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم - [دالة - [٨]] على أن تقابلهما في غاية الاستقامة ، فكأنهما[٩] جدار فتح فيه باب ، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بضمهما دالة على أنه مع ذلك في غاية القوة حتى أن أعلاه وأسفله سواء[١٠] ، وقراءة شعبة عن عاصم بالضم وإسكان ١٠ الدال دالة على أشد ثبات وأتقنه في كل منهما ، فلا ينتخر شيء منهما على طول الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين برخاوة من سياخ أو غيره ﴿ قال ﴾ أي[٥] للصناع : ﴿ انفخوا[٦] ﴾ في الأكوار فنفخوا[١١] فأضرم فيه النار ، واستمر كذلك ﴿ حتىٓ اذا جعله ﴾[١٢]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : حديد .
(٣) في معالم التنزيل - راجع اللباب ٤/١٨٩ (٤) ليس في المعالم (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « سياخ أو غيره » ساقطة من ظ (٧) راجع نثر المرجان ٤/١٩٠ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، وفي الأصل : فكانه (١٠) زيد في الأصل : فلا يعحر شيء - كذا ، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (١١) من ظ ومد ، وفي الأصل : فانفخوا (١٢) زيد في الأصل : نارا ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها .

أي[1] كله ﴿نارا لا قال﴾ للقوم: ﴿ءاتونى﴾ بالنحاس ﴿افرغ عليه﴾ [2]أي الحديد المحمى[2] ﴿قطرا ﴾ منه بعد إذابته، فان القطر: النحاس الذائب، [3]هذا في قراءة حمزة و أبي بكر عن عاصم باسكان الهمزة، و قراءة الباقين بفتح الهمزة و مدها بمعنى أعطونى النحاس[3]. ففعلوا ذلك
٥ فاختلط[3] و التصق بعضه ببعض و صار جبلا صلدا، ثم قال الله تعالى: ﴿فما﴾ أي فتسبب عن ذلك أنه[4] لما أكمل عمله و أحكمه ما ﴿اسطاعوآ﴾ أي ياجوج و ماجوج و غيرهم ﴿ان يظهروه﴾ أي يعلو ظهره لعلوه و ملاسته ﴿و ما استطاعوا له نقبا ﴾ [2]لثخنه و صلابته[2]، و زيادة التاء هنا تدل على أن العلو عليه أصعب من نقبه[5] لارتفاعه
١٠ و صلابته و التحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد و نحاس فى علو الجبل، و قد حكى ابن خرداذبه[6] عن سلام[7] الترجمان الذى أرسله أمير المؤمنين الواثق إليه حتى رآه أن ارتفاعه مد البصر[8].

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: واختلط، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى «قال الله تعالى» ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لانه (٥) فى ظ: ثقبه (٦) من الأعلام للزركلي ٤/٣٤٣، و فى الأصول: خزداربه - كذا، و راجع الأعلام أيضا للعثور على الاختلاف الدائر حول تحقيق ضبطه (٧) زيد فى الأصل: ابن، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و روح المعانى ٥/١٤٠ فحذفناها (٨) و فى روح المعانى ما ملخصه: وأما ما ذكره بعضهم من أن الواثق بالله العباسى أرسل سلاما الترجمان للكشف عن هذا السد فتفقت المؤرخين على تضعيفه. و ذكر فى غرائب القرآن للنيسابورى أن الواثق رأى فى المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم إليه - راجع هامش الطبرى ١٦/٢١ و راجع أيضا تاريخ الإسلام ٢/٤٧.

و لأنهم

و لأنهم[1] لو احتالوا ببناء درج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهروا عليه لم ينفعهم [ذلك -[2]] لأنه لا حيلة لهم على النزول من الجانب الآخر ، و يؤيده أنهم إنما يخرجون فى آخر الزمان بنقبه لا بظهوره[3]، و لا ينافى نفى الاستطاعة لنقبه ما رواه الإمام أحمد[4] و الترمذى فى التفسير[5] و ابن ماجه فى الفتن[6] عن أبى رافع عن أبى هريرة رضى الله ٥ عنه عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم قال: إن ياجوج و ماجوج ليحفرن[7] السد كل يوم حتى إذا كادوا[8] يرون شعاع الشمس قال الذى[9] عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا ، فيعودون إليه كأشد ما كان حتى [إذا -[10]] بلغت مدتهم و أراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى [إذا -[10]] كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى[9] عليهم : ارجعوا ١٠ فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون إليه و هو كهيئته حين تركوه فيحفرونه و يخرجون على الناس - الحديث . و فى حديث الصحيحين[11] عن زينب بنت جحش رضى الله عنها عن النبى صلى الله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لوانهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يظهوره (٤) فى المسند ٢/٥١٠ (٥) ص ٣٨٣ (٦) باب فتنة الدجال و خروج عيسى ابن مريم و خروج ياجوج و ماجوج ، و أغلب السياق لمسند أحمد و ابن ماجه (٧) من المسند ، و فى الأصل و ابن ماجه : يحفرون ، و فى ظ ومد : ليحفرون (٨) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه ، و فى الأصل : كادون - كذا (٩) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه ، و فى الأصل :الذين (١٠) زيد من ظ و مد و المسند و ابن ماجه (١١) البخارى=

عليه و على آله و سلم : فتح اليوم من ردم ياجوج و ماجوج مثل هذا[1]، و حلق رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم . و روياه عن أبي هريرة رضى الله عنه و فيه[2]: مثل / هذا[1] و عقد تسعين . فكأنه قيل : فما قال حين أفرغه ؟ قيل: ﴿ قال هـذا ﴾ [3]أى السد[3] ﴿رحمة من ربى ج﴾ المحسن إلىّ باقدارى عليه و منع الفساد به ﴿ فاذا جآء وعد ربى ﴾ بقرب قيام الساعة ﴿جعله دكآء ج﴾ باقدارهم على نقبه و هدمه و تسهيل ذلك عليهم ، [4]و التعبير بالمصدر المنون فى قراءة الجماعة للبالغة فى دكه هو الذى أشارت إليه قراءة الكوفيين[5] بالمد ممنوعا من الصرف .

/٣٩٥

و لما كان هذا أمرا مستعظما خارقا للعادة، علله بقوله: ﴿ و كان وعد ربى ﴾ الذى وعد به فى خروج ياجوج و ماجوج و اختراقهم الأرض و إفسادهم لها ثم قيام الساعة ﴿ حقا ط﴾ كائنا لا محالة ، فلذلك أعان على هدمه ، و عن قتادة[6] قال : ذكر لنا أن

= فى عدة مناسباته بما فيها الفتن و مسلم فى أوائل الفتن .

(١) فى بعض الروايات : هذه (٢) فى ظ : منه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الصرف » ساقطة من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٤/١٩٢ (٦) ذكر فى المعالم قول قتادة على وجه الاختصار - راجع اللباب ٤/١٨٩ ، و الحديث أخرجه فى روح المعانى ٥ / ١٤٠ عن ابن جرير و ابن مردويه ، و ذكره فى روح المعانى ٦ / ١٦٤ أيضا كما ذكره فى الكشاف ١/٥٨٠ .

رجلا - و فى رواية : عن رجل من أهل المدينة قال : يا رسول الله ! قد رأيت سد ياجوج و ماجوج ، قال : انعته لى ، قال : كالبرد المحبر : طريقة سوداء و طريقة حمراء ، و فى رواية : طريقة حمراء من حديد و طريقة سوداء من نحاس ، و فى رواية أنه قال : انتهيت إلى أرض ليس لهم إلا الحديد يعملونه[1] - رواه الطبرى و ابن أبى عمر و الطبرانى ٥ فى مسند الشاميين و ابن مردويه عنه و البزار من وجه آخر من طريق أبى بكرة رضى الله عنه - ذكر ذلك شيخنا ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف ، و فى حديث فتح الباب من سيرة الحافظ أبى الربيع ابن سالم[2] الكلاعى و شيخه ابن حبيش[3] - و كان أميرُ تلك الجيوش التى بها عبدَ الرحمن بن ربيعة فى أيام عمر رضى الله عنه - ما نصه[4] : و حدث ١٠ مطر بن ثلج التميمى قال : دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب و شهر براز عنده - يعنى : و كان ملك الباب من جهة آل كسرى - فأقبل رجل عليه شحوبة[5] حتى جلس إلى شهر براز فتساءلا ، ثم إن شهر براز قال لعبد الرحمن : أيها الأمير ! أ تدرى من أين جاء هذا الرجل ؟ إنى[6] بعثته منذ سنين نحو السد لينظر لى ما حاله و من دونه ، ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعلمونه (٢) هو سليمان بن موسى بن سالم المتوفى سنة ٦٣٤ ، و اسم سيرته « الاكتفا بسيرة المصطفى و الثلاثة الخلفا » - راجع الأعلام ٣ / ١٩٩ و تذكرة الحفاظ ١٤١٧ (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الأنصارى الأندلسى المتوفى سنة ٥٨٤ راجع الأعلام ٤ / ١٠٤ و التذكرة. (٤) راجع أيضا تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥٨ بالإضافة إلى تاريخ الإسلام ٢ / ٤٦ (٥) من الطبرى ، وفى الأصل و مد : محبوب ، و فى ظ : محوت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .

و زودته مالا عظيما ، و كتبت له إلى من يليني [1] و أهديت له و سألته
أن يكتب إلى من وراءه ، و زودته لكل ملك هدية ، ففعل ذلك بكل
ملك [2] بيني و بينه حتى انتهى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه ، فكتب
له إلى عامله على ذلك [3] البلد ، فأتاه فبعث معه بازياره و معه عقابه ، فذكر
٥ أنه أحسن إلى البازيار ، قال : فتشكر [4] لي البازيار ، فلما انتهينا إذا جبلان
بينهما سد مسدود حتى ارتفع على [5] الجبلين بعد ما استوى بهما ، و إذا
دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده ، فنظرت إلى ذلك
و تفرست فيه ، ثم ذهبت لأنصرف فقال لي البازيار : على رسلك !
أكافيك أنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله تعالى بأفضل ما عنده
١٠ من الدنيا فيرمي به في هذا اللهب ، فشرح [6] بضعة [لحم - [7]] معه فألقاها في
ذلك الهواء و انقضت عليها العقاب و قال : إن أدركتها قبل أن تقع
فلا شيء ، و إن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء ، فخرجت علينا باللحم في
مخالبها و إذا فيه [8] ياقوتة فأعطانيها ، وهي هذه ، فتناولها منه شهربراز
و هي حمراء فناولها عبد الرحمن فنظر [9] إليها ثم ردها إليه فقال شهر براز :
١٥ هـذه خير من هذه البلدة - يعني الباب - و أيم الله ! لأنتم أحب
إليّ ملكة [10] من / آل كسرى ، و لو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها

(١) من ظ و مد و الطبري ، وفي الأصل : ينبغي (٢) من ظ و مد و الطبري ، و في الأصل : مكث (٣) من ظ و مد و الطبري ، و في الأصل : تلك (٤) من مد و الطبري ، وفي الأصل وظ : فشكر (٥) من مد و الطبري ، وفي الأصل وظ : الى (٦) من ظ ومد و الطبري ، و في الأصل : فشدخ (٧) زيد من الطبري.
(٨) من الطبري ، و في الأصول : فيها (٩) من ظ و مد و الطبري . وفي الأصل : فنزر (١٠) من ظ و مد و الطبري ، و في الأصل : مكة .

لاتنزعوها[1] منى ، و أيم الله ! لايقوم لكم شيء ما وفيتم أو وفى ملككم الأكبر ، فأقبل عبد الرحمن[2] على الرسول و قال : ما حال الردم[3] و ما [4]شبهه ؟ فقال[4]: هذا الثوب الذى على هذا الرجل ، و أشار إلى مطر بن ثلج وكان عليه قباء برود يمنية [5]أرضه حمراء و وشيه[5] أسود ، أو وشيه أحمر و أرضه سوداء ، فقال مطر : صدق و الله الرجل ! لقد نفذ و رأى ، قال ٥ عبد الرحمن : أجل ! و وصف صفة الحديد و الصفر و قرأ "اٰتونى زبر الحديد" إلى آخر الآية ، و قال عبد الرحمن لشهربراز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مائة ألف فى بلادى هـــذه ، و ثلاثة آلاف [ألف -[6]] أو[7] أكثر فى تلك البلدان - انتهى . و قد ظهر أن [ما -[8]] تعنتوا به - من [9]قصتى أصحاب[9] الكهف و ذى القرنين و ما أدرج بينهما تبكيتا لليهود ١٠ الآمرين بذلك - دال [من قصة موسى عليه السلام -[8]] على قيام الساعة فصار كله أعظم ملزم لهم[10] إن قبلوه ، و أوضح فاضح لعنادهم إن تركوه .

و لما انقضى ما سألوا عنه على أحسن وجه فى أبلغ سياق و أبدع تناسب ، و أدرج فى خلاله ما أدرج من التذكير و الوعظ ، و الأمر و النهى ، ١٥

---

(١) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : الا تنزعوها (٢) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : عبدا (٣) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : الرى.
(٤ - ٤) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : شبهه قال (٥-٥) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : حمراء ارضه دوسه (٦) زيد من ظ و مد و الطبرى .
(٧) من الطبرى ، و فى الأصول «و» (٨) زيد من ظ ومد (٩-٩) من مد ، و فى الأصل : قصص اهل ، و فى ظ : قصصى اهل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : له .

و الوعد و الوعيد، و الترغيب و الترهيب، و التبكيت للكاتمين لما عندهم من العلم، [١]الناكبين عما[١] استبان لهم من الطريق اللاحب و المنهج الواضح صنع القادر الحكيم الذى لا يستخفه ضجر فيستعجل، و لا يعييه أمر فيستمهل، و ختمه بما هو علم عظيم للساعة، ذكر ٥ ما يكون إذ ذاك و ما يكون بعده إلى حصول كل من الفريقين فى داره و محل استقراره؛ و لما كان ذلك أمرا عظيما، دل عليه بالنون فقال[٢] عاطفا على ما تقديره: فقد بان أمر ذى القرنين أى بيان، و صدق فى قوله "فاذا جاء وعد ربى" فانه إذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا التى نؤتيها لياجوج و ماجوج دكاء فأخرجناهم على الناس بعد خروج ١٠ الدجال[٢]: ﴿ و تركنا بعضهم ﴾ أى بعض من خلف السد و من أمامه ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ جعلنا السد دكاء [٣]و خرجوا مقدمتهم بالشام[٤] و ساقطتهم بخراسان. و هم - كما قال الله تعالى - من كل حدب ينسلون[٣] ﴿ يموج ﴾ [٢]أى يضطرب[٢] ﴿ فى بعض ﴾ كما يموج البحر، فأهلكوا ما مروا عليه من شيء إلا ما[٥] أراد الله، ثم أبادهم الذى خلقهم ١٥ و بقرب ذلك أفنى الخلائق أجمعين ﴿ و نفخ فى الصور ﴾ أى النفخة الثانية لقوله: ﴿ فجمعنهم ﴾ و يجوز أن تكون هذه الفاء الفصيحة فيكون المراد النفخة الأولى، أى و نفخ [فى الصور -[٦]] فمات الخلائق

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: العاملين على ما (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «حدب ينسلون» ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: الشام (٥) فى ظ: من (٦) زيد من ظ.

كلهم، فبليت أجسامهم، و تفتتت[1] عظامهم، كما كان من تقدمهم، ثم نفخ [فيه -[2]] النفخة الثانية فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه، و تفرقهم فى أقطار الأرض[3] بالسيول و الرياح[3] و غير ذلك ﴿جمعا ۝﴾ فأقمناهم دفعة واحدة كلمح البصر، و حشرناهم إلى الموقف للحساب ثم العقاب أو الثواب ﴿و عرضنا﴾ أى أظهرنا ﴿جهنم يومئذ﴾ أى إذ[4] ٥ جمعناهم لذلك ﴿للكفرين عرضا ۝﴾ ظاهرا لهم كل ما فيها من الأهوال و هم لا يجدون عنها مصرفا؛ ثم وصفهم / بما أوجب سجنهم فيها /٣٩٧
[5] و تجهمها لهم[5] فقال: ﴿الذين كانت﴾ [5] كونا كأنه جبلة لهم[5] ﴿اعينهم﴾ الوجهية و القلبية ﴿فى غطآء عن ذكرى﴾ بعدم النظر فيما جعلنا على الأرض من زينة دليلا على الساعة بافنائه[6] إثر إحيائه ١٠ و إعادته بعد إبدائه ﴿وكانوا﴾ [5] بما جبلناهم عليه[5] ﴿لا يستطيعون﴾ [5] أى استطاعة عظيمة تسعدهم[5]، لضعف عقولهم، و غرق استبصارهم فى فضولهم ﴿سمعا ۝﴾ لآياتى[7] التى تسمع الصم و تبصر الكمه، و هو أبلغ فى التبكيت بالغباوة[8] و التقريع بالبلادة من مجرد نفى البصر و السمع، [5] لأن ذلك لاينفى الاستطاعة[5]؛ ثم عطف على ما أفهمه ذلك ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: تفتت (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى ظ: فى حواصل الطيور و بطون السباع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اذا. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بافناء. (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: كما يأتى - كذا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بالعبارة.

قوله [1]موبخا لهم و مبكتا[1]: ﴿ افحسب ﴾ أي أغطوا أعينهم عن آياتي و أصموا أسماعهم عن كلماتي، و عبدوا عبادي فحسبوا [1]لضعف عقولهم[1]، و إنما قال: ﴿ الذين كفروا ﴾ دلالة على الوصف الذي أوجب لهم ذلك ﴿ ان يتخذوا ﴾ [1]أي و لو بذلوا الجهد[1] ﴿ عبادي ﴾ من الأحياء

٥ كالملائكة و عزير و المسيح، و الأموات كالأصنام.

[1]و لما كان كل شيء دونه سبحانه، و كان لا يستغرق شيء من الأشياء جميع ما دون رتبته من المراتب، أثبت الجار فقال[1]: ﴿ من دوني اولياء ﴾ [1]أي مبتدئين اتخاذهم من دون إذني، و المفعول الثاني لـ "حسب" محذوف تقديره[1]: ينصرونهم و يدفعون عنهم و يجعلون بعضهم

١٠ ولدا لي و [2]لا أعذبهم[2]. و لما كانت غاية اتخاذ الولي أن يفعل ما يفعل القريب من النصر و الحماية من كل مؤذ، جاز كون هذا سادا مسد مفعولي "حسب" لأن معناه: أحسبوا اتخاذهم مانعهم مني؟ و لما كان معنى الاستفهام الإنكاري: ليس الأمر كذلك، بل أصلد زندهم، و خاب جدهم، و غاب سعدهم، حسن جدا قوله مؤكدا [1]لأجل إنكارهم[1]:

١٥ ﴿ انا اعتدنا جهنم ﴾ التي تقدم أنا عرضناها[3] لهم ﴿ للكفرين نزلا ﴾ نقدمها لهم أول قدومهم[4] كما يعجل للضيف، فلا يقدر أحد على منعها عنهم، و لهم وراءها ما يحتقر بالنسبة إليه كما هو شأن ما بعد النزل بالنسبة إليه.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من مد، وفي الأصل: لاعذبهم، و العبارة من هنا إلى «مانعهم مني» ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد، و في الأصل: عرضنا (٤) من ظ و مد، و في الأصل: قدمهم.

و لما

و لما تبين بذلك الذى لا مرية فيه أنهم خسروا خسارة لا ربح معها ، و خاب ما كانوا يؤملون ، أمره أن ينبههم[1] على ذلك فقال : ﴿ قل هل ننبئكم[2] ﴾ [3] أى نخبركم أنا و كل عبد لله[4] ليست عينه فى غطاء عن الذكر ، و لا فى سمعه عجز عن الوعى ، إخبارا عظيما أيها التاركون من لا خالق و لا رازق لهم سواه ، و المقبلون[5] على من ليس ٥ بيده شيء من خلق و لا رزق و لا غيره ﴿ بالاخسرين ﴾ و لما كانت أعمالهم مختلفة ، فمنهم من يعبد الملائكة ، و منهم من يعبد النجوم ، و منهم من يعبد بعض الأنبياء ، و منهم من يعبد الأوثان ، و منهم من كفر بغير ذلك ، جمع المميز فقال : ﴿ اعمالا ﴾ ثم وصفهم بضد ما يدعونه لأنفسهم من نجاح السعى[6] و إحسان الصنع فقال : ١٠ ﴿ الذين ضل سعيهم ﴾ أى حاد[7] عن القصد فبطل ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بالإعراض عن[8] لا ينفعهم و لا يضرهم إلا هو ، و الإقبال على ما لا نفع / فيه و لا ضر ﴿ وهم ﴾ أى و الحال أنهم مع ظهور ذلك كالشمس ٢٩٨ / ﴿ يحسبون ﴾ [9] لضعف عقولهم[9] ﴿ انهم يحسنون صنعا ﴾ [9] أى فعلا هو فى غاية الإحكام وهم فى غاية الدربة به[9] ؛ و روى البخارى فى ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينبئهم (٢) فى ظ : انبئكم (٣) العبارة من هنا إلى « إخبارا عظيما » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : الله (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المبتلون (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : السي (٧) فى ظ و مد : جار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التفسير عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن الأخسرين اليهود و النصارى، قال : أما اليهود فكفروا [١] بمحمد صلى الله عليه و سلم ، و أما النصارى فكفروا [١] بالجنة و قالوا : لا طعام [فيها - [٢]] و لا شراب - انتهى . قلت : وكذا قال اليهود لأن الفريقين أنكروا الحشر الجسماني ٥ و خصوه بالروحاني .

و لما كانوا ينكرون أنهم على ذلك ، لملازمتهم لكثير من محاسن الأعمال ، البعيدة عن الضلال ، بين لهم السبب في بطلان سعيهم بقوله : ﴿ اولٓئك ﴾ [أي - [٣]] [٤] البعداء البغضاء [٤] ﴿ الذين كفروا ﴾ [٤] أي أوقعوا الستر و التغطية لما من حقه أن يظهر و يشهر ، مستهينين [٤] ﴿ بايٰت ربهم ﴾ ١٠ من كلامه و أفعاله ، و بين سبب هذا [٥] الكفر بقوله : ﴿ و لقآئه ﴾ أي فصاروا لا يخافون فلا يردهم شيء عن أهوائهم ﴿ فحبطت ﴾ أي سقطت [٤] و بطلت و فسدت بسبب جحدهم للدلائل [٤] ﴿ اعمالهم ﴾ لعدم بنائها على أساس الإيمان ﴿ فلا ﴾ أي فتسبب عن سقوطها أنا لا ﴿ نقيم لهم ﴾ بما لنا من [٦] الكبرياء و العظمة [٦] المانعين من اعتراض أحد علينا أو شفاعته [٧] ١٥ بغير إذننا لدينا ﴿ يوم القيٰمة وزنا ه ﴾ [٤] أي لا نعتبرهم [٤] لكونهم جهلوا أمرنا الذي لا شيء أظهر منه ، و آمنوا مكرنا و لا شيء أخطر منه .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) زيد من ظ و الصحيح (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) من ظ و مد، وفي الأصل : العظمة و الكبرياء (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : شفاعة .

و لما كان هذ السياق فى الدلالة على أن لهم جهنم أوضح من الشمس قال: ﴿ذلك﴾ [1]أى الأمر العظيم الذى بيناه من وعيدهم[1] ﴿جزآؤهم﴾ لكن لما كان حاكما بضلالهم و غباوتهم، بين الجزاء بقوله: ﴿جهنم﴾ و صرح بالسببية بقوله: ﴿بما كفروا﴾ [1]أى أوقعوا التغطية للدلائل[1] ﴿و اتخذوآ ايٰتى﴾ التى هى مع إنارتها أجد الجد و أبعد شىء عن ٥ الهزل ﴿و رسلى﴾ المؤيدين بباهر أفعالى مع ما لهم من الشهامة و الفضل ﴿هزوا ه﴾ فلم يكتفوا بالكفر الذى هو طعن فى الإلٰهية حتى ضموا إليه الهزء الذى هو أعظم احتقار.

و لما بين[2] ما لأحد قسمى أهل[3] الجمع [1]تنفيرا عنهم[1]، بين ما للآخر على تقدير الجواب لسؤال تقتضيه الحال [1]ترغيبا فى اتباعهم ١٠ و الاقتداء بهم[1]، فقال: ﴿ان الذين امنوا﴾ [1]أى باشروا الإيمان[1] ﴿و عملوا﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿الصٰلحٰت﴾ [1]من الخصال[1] ﴿كانت لهم﴾ لبناء أعمالهم على الأساس ﴿جنٰت﴾ [4]أى بساتين[4] ﴿الفردوس﴾ أى [1]أعلى الجنة، و أصله[1] البستان الذى هو الجنة بالحقيقة لانخفاض ما دونه عنه، [1]و ستر من يدخله بكثرة أشجاره[1] ﴿نزلا ﻻ﴾ ١٥ كما كان السعير و الأغلال لأولٰئك نزلا، [1]بعد لهم حين الدخول[1] ﴿خٰلدين فيها﴾ بعد دخولهم ﴿لايبغون﴾ [1]أى يريدون أدنى إرادة[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: ذكر (٣) فى ظ: احد - كذا.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ، و زيد بعده فى الأصل: اشجارها. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

﴿عنها حولا﴾ [أى تحولا -[1]] [2]لأنه لا مزيد عليها[2]، دفعا لما قد يتوهم [2]من أن الأمر كما فى الدنيا من[2] أن [2]كل أحد فى أىّ نعيم كان يشتهى ما هو أعلى / منه لأن[2] طول الإقامة قد يورث[3] السآمة، بل هم فى غاية /٣٩٩ الرضى بها، لما فيها من أنواع الملاذ التى لا حصر لها و لا انقضاء، لا يشتهى ٥ أحد منهم غير ما عنده سواء كان فى الفردوس أو فيما دونه، و هو تعريض بالكفرة[4] فى أنهم يصطرخون فى النار "ربنا اخرجنا منها[5]" و ذلك عكس ما كان فى الدنيا من ركون الكفار إليها، و محبتهم فى طول البقاء فيها، و عزوف المؤمنين عنها، و شوقهم إلى ربهم بمفارقتها.

و لما تم الجواب عن أسئلتهم على أحسن الوجوه مخللا بما تراه ١٠ من [7]الحجج البينة[7] و النفائس الملزمة[6] لهم بفصل النزاع، و[7] اتبع ذلك بقص الأمر الذى باغفاله تجرأوا على الكفر. و هو أمر البعث إلى أن ختمه بما يقتضى أن معلوماته لا تحد، لأن مقدوراته فى تنعيم أهل الجنة لا آخر لها فلا تعد، و كان اليهود قد اعترضوا على قوله فى أولها[8] "و ما اوتيتم من العلم الا قليلا[9]" بأنهم أوتوا التوراة، و كان ١٥ لكل ما[10] سألوا عنه من الفصول الطويلة الذيول أمور تهول، [و كان ربما -[11]] قال قائل: ما له لا يزيد ذلك شرحا؟ قال تعالى آمرا

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يودى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الكفرة (٥) سورة ٢٣ آية ١٠٧ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الملازمة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل « او » (٨) بهامش ظ: أى الأسئلة (٩) سورة ١٧ آية ٨٥ (١٠) فى ظ: مما (١١) زيد من ظ و مد.

بالجواب

بالجواب عن ذلك كله، معلما لهم بأنهم لا يمكنهم الوقوف على تمام شرح شيء من معلوماته، وآخر استفصال شيء من مقدوراته، قطعا لهم عن السؤال، و تقريبا إلى أفهامهم بضرب من المثال[1]: ﴿قل﴾ أى يا أشرف[2] الخلق لهم[1]: ﴿لو كان البحر﴾ [1]أى ماؤه[1] على عظمته عندكم ﴿مدادا﴾ [1]و هو اسم لما يمد به الدواة من الحبر[1] ﴿لكلمت﴾ أى لكتب ٥ كلمات ﴿ربى﴾ أى[3] المحسن إلىّ فى وصف ذلك و[3] غيره مما تعتمونه فى السؤال عما سألتم عنه أو غير ذلك ﴿لنفد﴾ أى فنى [1]مع الضعف فناء لا تدارك له[1] ﴿البحر﴾ لأنه جسم متناه.

[4]و لما كانت المخلوقات - لكونها ممكنة - ليس لها من ذاتها إلا العدم، و كانت الكلمات من صفات[5] الله، و صفات الله واجبة الوجود، فكان ١٠ نفادها محالا، فكان نفاد الممكن من البحر و ما يمده بالنسبة إليها مستغرقا للأزمنة كلها، جرد الظرف من حرف الجر فقال: ﴿قبل ان تنفد﴾ [4]أى تفنى و تفرغ[1] ﴿كلمت ربى﴾ لأنها لا تتناهى لأن معلوماته و مقدوراته لاتتناهى، و كل منها له شرح طويل، و خطب جليل؛ [6]و لما لم يكن أحد غيره يقدر على إمداد[7] البحر قال: ﴿ولو جئنا﴾ ١٥ أى[8] بما لنا من العظمة التى لا تكون لغيرنا ﴿بمثله مددا﴾ أى[8] له يكتب منه [9]لنفد أيضا، و هذا كله كناية عن عدم النفاد، لأنه تعليق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ: او.
(٤) العبارة من هنا إلى «الجر فقال» ساقطة من ظ (٥) فى مد: صفة (٦) العبارة من هنا إلى «البحر قال» ساقطة من ظ (٧) من مد، وفى الأصل: مداد (٨) سقط من ظ (٩) العبارة من هنا إلى «و نحو هذا» ص ١٥٢ س ٢ ساقطة من ظ.

على محال عادة كقولهم : لا تزال على كذا ما بل بحر صوفة[1] و ما دجى الليل ، ونحو هذا ، ولعله عبر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه ، و ذلك أمر لا يدخل تحت وصف ،[2] و عبر بالقبل دون أن يقال « ولم تنفد » ونحوه ، لأن ذلك كاف فى
٥ قطعهم عن الاستقصاء فى السؤال و لأن التعبير بمثل ذلك ربما فتح بابا من التعنت و هو أن يجعلوا الواو للحال فيجعلوا النفاد مقيدا / بذلك ، /٤٠٠
و أما سورة لقمن[3] فاقتضى سياقها فى تأسيس ما فيها على "الغنى[4] الحميد"[5] و مقصودها أن يكون التعبير فيها بغير ما ههنا ، فما فى كل سورة أبلغ بالنسبة إلى سياقه ، مع أنه ليس فى إفصاح واحدة منهما ما يدل على
١٠ نفاد الكلمات ولا[5] عدمه ، [و - [6]] فى إفهام كل منهما بتدبر القرائن فى السياق[7] و غيره ما يقطع بعدم نفادها ، و لا تخالف بين الآيتين و إن كان التعبير فى هذه السورة أدخل فى التشابه[8] ، و يجاب عنه بما قالوا فى مثل قول الشاعر « على لاحب[9] لا يهتدى بمناره » ، من أن ما فى حيز السلب لا يقتضى الوجود ، و لعل التعبير بمثل ذلك من الفتن المميزة بين
١٥ من فى قلبه مرض و بين الراسخ الذى يرد المتشابه إلى المحكم ، و هو ما دل عليه البرهان القاطع من أن الله تعالى لا نهاية لذاته ، و لا لشىء من

---

(١) من مد و اللسان [صوف] ، و فى الأصل : صفونه (٢) العبارة من هنا إلى « والله أعلم » ص١٥٣ س١ ساقطة من ظ (٣) آية ٢٧ (٤) من مد و سورة لقمان آية ٢٦ ، و فى الأصل : معنى (٥) من مد ، و فى الأصل : ما (٦) زيد من مد. (٧) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل : الثناء (٩) من مد - و هو الطريق الواسع ، و فى الأصل : النصب .

صفاته ، بل هو الأول[١] و الآخر الباقي بلا زوال - و الله أعلم .

و لما كانوا ربما قالوا : ما لك لا تحدثنا من هذه الكلمات بكل ما نسألك عنه حيثما سألناك[٢] ؟ و كانوا قد استنكروا[٣] كون النبي بشرا ، و جوزوا كون الإله[٤] حجرا ، [٥]و غيوا إيمانهم به بأمور سألوه في الإتيان بها كما تقدم بعد أول مسائلهم ، و هي الروح آخر سبحٰن ، و كان قد ٥ ثبت بإجابتهم عن المسائل على هذا الوجه أنه رسول[٥] ، أمره سبحانه أن[٦] يجيبهم عن ذلك كله[٧] بما يرد عليهم [٨]غلطهم ، و يفضح شبههم[٨] ، إرشادا لهم إلى أهم ما يعنيهم [٩]من الحرف الذى النزاع كله دائر عليه و هو التوحيد[٩] فقال : ﴿ قل انمآ انا ﴾ [٩]أى فى الاستمداد بالقدرة على إيجاد المعدوم و الإخبار[١٠] بالمغيب ﴿ بشر مثلكم ﴾ [١١]أى لا أمر لى و لا قدرة ١٠ إلا على ما يقدرنى عليه ربى ، و لا استبعاد لرسالتى من الله فان ذلك سنته فيمن قبلى[١١] ﴿ يوحىٓ الىّ ﴾ [أى -[١٢]] من الله الذى خصنى بالرسالة كما أوحى إلى الرسل قبلى ما لا غنى لأحد عن علمه و اعتقاده ﴿ انمآ الٰهكم ﴾

---

(١) من مد ، وفى الأصل : الايق له (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سالتك . (٣) فى ظ : استذكروا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : آلهة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٧) سقط من ظ و مد (٨ - ٨) فى ظ : الامرين معا (٩) العبارة من هنا إلى « بالمغيب » ساقطة من ظ (١٠) زيد فى الأصل : و لاستبعاد ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها . (١١ - ١١) تكرر ما بين الرقمين فى مد بعد « قل انما انا » (١٢) زيد من مد .

[1]و أشار إلى أن إلهيته بالإطلاق لا بالنظر إلى[2] جعل جاعل و لا غير ذلك فقال: ﴿الـٰه واحد ج﴾ أى[3] لا ينقسم بمجانسة و لا غيرها ، قادر على ما يريد ، لا منازع له ، لم يؤخر جواب ما سألتمونى عنه من عجز و لا جهل و لا[4] هوان [بى - [5]] عليه - هذا هو الذى يعنى كلّ أحد
٥ علمه ، و أما ما سألتم عنه من أمر الروح و القصتين تعنتا فأمر لو جهلتموه ما ضركم جهله ، و إن اتبعتمونى علمتموه الآن و ما دل عليه من أمر الساعة إيمانا بالغيب علم اليقين ، و علمتموه بعد الموت بالمشاهدة عين اليقين ، و بالمباشرة حق اليقين ، و إن لم تتبعونى لم ينفعكم علمه ﴿فمن﴾ أى فتسبب عن وحدته المستلزمة لقدرته أنه من ﴿كان يرجوا ﴾
١٠ [6]أى يؤمن بمجازاته له على أعماله فى الآخرة برؤيته وغيرها[6] ، و إنما قال : ﴿لقآء ربه﴾ تنبيها على أنه هو المحسن إلى كل أحد بالتفرد بخلقه و رزقه ، لا شريك له فى شىء من ذلك على قياس ما نعلمه من أنه لا مالك إلا و هو قاهر لمملوكه على لقائه ، مصرف له فى أوامره فى صباحه و مسائه.

/٤٠١ / [6]و لما كان الجزاء من جنس العمل ، كان الواجب على العبد
١٥ الإخلاص فى عمله ، كما كان عمل ربه فى تربيته بالإيجاد و ما بعده ، فقال[6] : ﴿فليعمل﴾ [6]و أكده الاعلام بأنه لا بد مع التصديق من الإقرار فقال[6] : ﴿ عملا ﴾ أى[3] و لو كان قليلا ﴿صالحا﴾ و هو ما [7]يأمره به[7]

---

(١) العبارة من هنا إلى «ذلك فقال» ساقطة من ظ (٢) زيد فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) سقط من ظ (٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ ومد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : يومن ربه - كذا .

من

[١]من أصول الدين و فروعه من التوحيد و غيره من أعمال القلب و البدن و المال[١] ليسلم من عذابه ﴿ و لايشرك ﴾ أى و ليكن ذلك العمل مبنيا على الأساس و هو أن لايشرك و لو بالرياء ﴿ بعبادة ربه احدا ﴾ فاذا عمل [ذلك -[٢]] فاز لحاز علوم الدنيا و الآخرة، و قد انطبق آخر السورة على أولها بوصف كلمات الله ثم ما يوحى إليه، وكل منهما أعم ٥ من الكتاب بالأقومية للدعاء إلى الحال الأسلم، فى الطريق الأقوم، وهو التوحيد عن الشريك الأعم من الولد و غيره، و الإحسان فى العمل، مع البشارة لمن آمن، و النذارة لمن أعرض عن الآيات و الذكر، فبان بذلك أن الله[٣] تعالى - بوحدانيته و تمام علمه و شمول قدرته صفات - الكمال، فصح أنه المستحق لجميع الحمد - و الله الموفق، [٤]و الحمد لله على إتمام ١٠ سورة الكهف من كتاب نظم الدرر من تناسب الآى و السور[٤] .



(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الله (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ، و موضعه فى مد «تم الجزء الثانى من المناسبات للبقاعى آخر سورة الكهف، و يتلوه أول الثالث سورة مريم عليها السلام، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، و حسبنا الله و نعم الوكيل».

سورة[1] مريم عليها السلام[2]

[3]مقصودها بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بافاضة[4] النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه لجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرب، المستلزم [لتمام القدرة -[5]] الموجب للقدرة على البعث و التنزه[6] عن الولد [لأنه لا يكون إلا لمحتاج، و لا يكون إلا مثل الوالد -[5]]، و لا سميّ له سبحانه فضلا عن مثيل[7]، و على هذا دلت تسميتها بمريم. لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة و شمول العلم، لأن أغرب ما فى المخلوقات و أجمعه خلقا الآدمى، و أعجب أقسام توليده [الاربعة -[8]] - بعد [9]كونه آدميا[9] - ما كان من أنثى بلا توسط ذكر، لأن ذلك أضعف الأقسام، و أغرب ذلك أن يتولد منها على ضعفها أقوى النوع و هو الذكر، و لاسيما إن أوتى قوة الكلام و العلم و الكتاب فى حال الطفولية، و أن يخبر بسلامته الكاملة فيكون الأمر كذلك، لم يقدر أحد - مع كثرة الأعداء - على[10] أن يمسه بشىء من أذى، هذا إلى[11] ما جمعته[12] من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: السورة التى يذكر فيها (٢) هى التاسعة عشرة من سور القرآن، مكية مع الاختلاف الدائر حول استثناء بعض الآيات، و عدد آيها ثمان و تسعون عند العراقيين و الشاميين، و تسع و تسعون عند المكيين، و أما المدنيون فلهم قولان - راجع روح المعانى ٥ / ١٥١ (٣) زيد قبله فى الأصل: بسم الله الرحمن الرحيم و به الإعانة. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: باضافة (٥) زيد من ظ و مد. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الفترة (٧) فى مد: مثيله (٨) زيد من ظ. (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اذا (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: جمعه.

إخراج الرطب فى غير حينه من يابس الحطب، و من إنباع الماء فى غير موضعه، و على مثل ذلك أيضا دلت تسميتها بما فى أولها من الحروف، بيان ذلك أن مخرج الكاف من أقصى اللسان مما يلى الحلق و يحاذيه من أسفل الحنك، و هى أدنى من مخرج القاف قليلا إلى مقدم الفم، و لها من الصفات الهمس و الشدة و الانفتاح و الاستفال، و مخرج ٥ الهاء من أقصى الحلق لكنها أدنى من الهمزة إلى جهة اللسان قليلا، و لها من الصفات [الهمس و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال و الخفاء. و مخرج الياء من وسط اللسان و وسط الحنك الأعلى، و لها من الصفات الجهر و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال، و هو أغلب صفاتها، و مخرج العين من وسط الحلق، و لها من الصفات -[1]] / الجهر و بين الشدة و الرخاوة ١٠ / ٤٠٢ و الانفتاح و الاستفال. و مخرج الصاد من طرف رأس اللسان و بين أصول الثنيتين السفليين، و له من الصفات الهمس و الرخاوة و الإطباق و الاستعلاء و الصفير، فالافتتاح بهذه الأحرف هنا إشارة - و الله أعلم - إلى أن أهل الله عامة - من ذكر منهم فى هذه السورة و غيرهم - يكون أمرهم عند المخالفين أولا - كما تشير إليه الكاف - ضعيفا مع شدة ١٥ و انفتاح كما كان حال النبى صلى الله عليه و سلم أول ما دعا، فانه اشتهر أمره و لكنه كان ضعيفا بانكار قومه إلا أنهم لم يبالغوا فى الإنكار، ثم يصير الأمر فى أوائل العراك - كما تشير إليه الهاء - إلى[2] استفال[3]،

---

(١) زيد مابين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى مد: مع (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: استقبال.

ثم يزداد بتمالؤ المستكبرين عليهم ضعفا و خفاء ، و إلى هذا تشير قراءتها بالإمالة ، و لابد مع ذلك من نوع ظهور - كما يشير إليه انفتاح الهاء و إليه تشير قراءة الفتح ، و هذا كما كان النبي صلى الله عليه و على آله و سلم حين صرح بسب آلهتهم و تسفيه أحلامهم و تضليل آبائهم فقاموا عليه ٥ إلبا واحدا ، فهاجر[1] أكثر الصحابة رضى الله عنهم إلى الحبشة ، و خاف أبو طالب دهماء العرب فقال قصيدته اللامية[2] فى ذلك ، و تمادى الحال حتى ألجأتهم قريش إلى الشعب ، و[3] تكون فى وسط أمرهم - كما يشير إليه الياء و قراءتها بالفتح - لهم قوة مع رخاوة و اشتهار و استفال ، و هو الأغلب عليهم ظاهرا كما تشير إليه قراءة الإمالة ، فيكون ذلهم من ١٠ وراء عز و عزهم فى ثوب ذل ، يعرف ذلك من عاناه ، و نظر إليه بعين الحقيقة و اجتلاه ، و هذا كما كان عند قيام من قام من قريش فى نقض الصحيفة الظالمة و إخراجهم من الشعب ، ثم عند موت خديجة رضى الله عنها و أبى طالب ، و خرج صلى الله عليه و سلم إلى الطائف فردوه - بأبى هو و أمى و نفسى و ولدى و عينى ، فلما قرب من مكة ١٥ المشرفة لم يستطع دخولها بغير جوار ، فاختفى فى غار حراء و أرسل [إلى - [4]] من يجيره ، ثم أرسل حتى أجاره المطعم بن عدى ، و لبس السلاح هو و من أطاعه و أدخله صلى الله عليه و سلم حتى طاف بالبيت ، ثم قضى سبحانه أن قتل المطعم فى بدر كافرا - بعد اجتهاد النبي صلى الله عليه و سلم [فى سلامته - [4]] و الإيصاء به أن لايقتل - ليعلم أنه سبحانه

(١) من ظ ، ومد وفى الأصل : فهم (٢) راجع سيرة ابن هشام ١/١٩١ (٣) سقطت الواو من مد (٤) زيد من ظ و مد .

مختار

مختار فى عموم رحمته و خصوصها، لئلا ييأس عاصٍ أو يأمن طائع؛
ثم إذا علا أمرهم عن الوسط صاعدا قوى - كما تشير إليه العين، فصار
بين الشدة و الرخاوة، و فيه انفتاح بشهرة مع استفال فى بعض الأمر
كما كان حاله صلى الله عليه و سلم عند مبايعة الأنصار رضوان الله
عليهم، و أما آخر أمرهم فهو و إن كان فيه نوع من الضعف، و ضرب ٥
من الرخاوة و اللين كما كان فى غزوة حنين و الطائف، فانه تعقبه
قوة عظيمة بالإطباق، و استعلاء[1] و اشتهار بملأ الآفاق، كما يشير إليه
الصفير - هذا فى أهل الله عامة المذكورين فى هذه السورة و غيرهم،
و أما ما يخص عيسى عليه الصلاة و السلام الذى هو صورة سورتها
و مطمح إشارتها [و سيرتها -[2]] فجعل الحروف / اللسانية من هذه ١٠ / ٤٠٣
الحروف أغلبها ثلاثة أحرف منها إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام
بما أعطى فى نفسه و فى ذريته و لسان الصدق المذكور به هو لسان
هذا الوجود، و أن دولة آله الذين [عيسى عليه السلام من أعيانهم
هى وسط هذا الوجود حقيقة و خيارا -[3]]. فموسى[4] عليه السلام أول
أصحاب شرائعهم بمنزلة القاف التى هى من أقصى اللسان و له حظ كبير ١٥
منها، فانه من أجله قتل أبناء[5] بنى إسراءيل و ولد فى سنة القتل، و كان سبب
هجرته و ابتداء سيره إلى الله تعالى قتله القبطى، و قرب نجيا، و من

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاستعلاء (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: موسى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انبياء.

صفاتها الجهر و الشدة و الانفتاح، و[١] الاستعلاء و القلقلة[١] ، و هو عريق في كل من خيرات ذلك ، و داود عليه السلام ثاني ذوي كتبهم بمنزلة الهمزة التي هي أبعد من مخرج الهاء إحدى هذه الحروف ، و هو أول من جمع من بني إسرائيل بين الملك و النبوة ، و له حظ من[٢] صفاتها :
٥ الجهر و الشدة و الانفتاح، بما كان فيه من الملك و الظهور ، و النصر على الأعداء و عجائب المقدور ، و له حظ من وصفها بالاستفال في أول أمره و في آخره بما كان من بكائه و تواضعه[٣] و إخباته لربه و صلاحه ، فالكاف هنا إشارة إلى أن عيسى عليه الصلاة و السلام هو ثاني الشارعين[٤] في الوجود ، و الهاء عبارة عن أنه من عقب داود عليهما السلام ، و كل
١٠ منهما له حظ من صفات الحرف المشير إليه الدال عليه ، و الصاد التي هي من طرف اللسان و هي خاتمة هذه الحروف إشارة بما فيها من الإطباق المشير [إلى تطبيق الرسالة لجميع الوجوه، و من الاستعلاء المشير -[٥]] إلى نهاية العظمة ، و الصفير المشير إلى غاية الانتشار و الشهرة إلى محمد صلى الله عليه و سلم و إلى مقرر دينه و مجدده عيسى عليه السلام ،
١٥ [و تشير الكاف أيضا بما فيها[٦] من الصفات إلى أن أول أمر عيسى عليه السلام -[٥]] يكون فيه مع الشدة ضعف ، ثم تشير أيضا الهاء - التي هي[٧] من أقصى الحلق - إلى أن أمره يبطن بعد ذلك الظهور و يخفى بارتفاعه إلى السماء ، و يدل الاستفال على أنها قريبة إلى[٨] السفلى ، و هو

(١-١) في مد : الغلظة (٢) من ظ و مد . و في الأصل : في (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : نواحه (٤) في ظ : السارحين (٥) زيد من ظ و مد (٦) في مد : فيه (٧) سقط من مد (٨) زيد في الأصل : الذي هو ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

كذلك فإنه فى[1] الثانية بدلالة[2] رتبة الكاف و الهاء فى مخرجيهما، و تشير الياء بجهرها إلى ظهوره بنزوله ، و تدل بكونها من وسط اللسان على تمكنه فى أموره ، و باعتلائها على شيء فى ذلك و هو ضعف الأتباع و حصرهم[3] فى ذلك الوقت ، و تدل بانفتاحها و رخاوتها على ظهوره على الدجال فى أولئك القوم الذين قد جهدهم البلاء عند نزوله ، و مسهم ٥ الضر قبل حلوله ، و [4]تليح غلبة[4] الاستفال عليها إلى أمر ياجوج و ماجوج لما يوحيه الله إليه « إنى قد[5] أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بهم ، فحرز عبادى إلى الطور » و تدل العين بكونها من وسط الحلق على[6] انحصارهم ، و بجهرها على أنه لا سبيل للعدو عليهم و لا وصول بوجه إليهم ، و بما[7] فيها من البينية[8] و الاستفال على جهدهم مع[9] حسن ١٠ العاقبة ، و تبشر[10] - بما فيها من الانفتاح - بحصول الفتح الذى ليس وراءه فتح ، و تدل الصاد بمخرجها على القوة الزائدة ، و بالهمس و الرخاوة على أنها قوة لا بطش فيها ، و بالإطباق و الاستعلاء على عموم الدين جميع الناس ، و بالصفير على أنه ليس وراء ذلك إلا النفخ فى الصور لعموم الهلاك لكل موجود مفطور . ثم لبعثرة القبور ، و تحصيل ما فى ١٥ الصدور ، وكل هذا من ترتيب سنته سبحانه فى المصطفين من عباده على

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدليل .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصره (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمليح عليه (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٨) من ظ و مد . و فى الأصل : التنبيه (٩) فى مد : من (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تشير .

/٤٠٤ هذا النحو البديع . و ترتيب هذه الحروف على هذا / النظم الدال عليه دائر على القدرة التامة و العلم الشامل و الحكمة الباهرة ، رحمهم سبحانه بان نكبهم[1] طريقَ الجبارين التى أوصلتهم إلى القسوة ، و جنّبهم سنَنَ المستكبرين التى تلجئ و لا بد إلى الشقوة ، فجعل نصرهم فى لوامع انكسار ،
٥ وكسرهم فى جوامع انتصار ، و حماهم من فخامة دائمة تجر إلى بذخ و علو و استكبار ، و من رقة ثابتة تحمل على ذل و سفول و صغار ، فلقد انطبق الاسمان[2] على المسمى ، و اتضحا غاية الاتضاح[3] فى أمره و نما ، [4]و هذا معنى ما قال الكلبى : هو ثناء أثنى الله به على نفسه[4] . ﴿بسم الله﴾ المنزه عن كل شائبة نقص ، القادر على كل ما يريد ﴿ الرحمن ﴾ الذى
١٠ عم[5] نواله سائر مخلوقاته ﴿ الرحيم ﴾ الذى اختص الصالحين من عباده ، بما يسعد من مراده .

لما كان مقصود التى[6] قبلها الدلالة على أن القرآن قيم لا عوج فيه ، و به تمام الانتظام فى نعمة الإبقاء الأول ، و دل على ذلك بأنه ساق المسؤل عنه من القصص أحسن سوق ، وكشف عن مخبأته
١٥ القناع[7] أبدع كشف - إلى غير ذلك مما خلله[8] به من بدائع الحكم وغرائب

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : الاسماء (٣) من مد . وفى الأصل وظ : الايضاح (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و تأخر فى الأصل عن « كل ما يريد » و الترتيب من مد ؛ و أما قول الكلبى هذا فذكره بصيغة المجهول فى المعالم - راجع اللباب ٤/ ١٩٣ . (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : يعم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى . (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : الفتاح (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : جلاه .

المعانى

المعانى فاضحةً لمن ادعى لله سبحانه ولدا ، و ختمها بمثل ذلك من وصف الكتاب و التوحيد - النافى لقبول التعدد بولد أو غيره بكل اعتبار - و العمل الصالح ، ابتدأ هذه بالكشف عن أغرب من تلك القصص ، تحقيقا[1] لآية "ام حسبت ان اصحٰب الكهف و الرقيم كانوا من ءايٰتنا عجبا" بسياق غير ما تقدم فيما مضى من السور ، و جزئيات لم تذكر إلا فيها مع عدم ٥ المخالفة لما مضى ، تأييدا لأن كلماته لا تنفد ، و عجائبه لا تعد و لا تحد ، و أنه لوكان من عند غيره لاختلف ، مع أن أهلها سادة الموحدين ، و قادة المصلحين المتقين الذين عملوا الصالحات ، و نفوا الشرك و شرعوا ذلك للناس ، فرحمهم ربهم سبحانه ، و كلهم ممن يعتقده اليهود الآمرون لقريش بالسؤال عن أصحاب الكهف و ذى القرنين تعنتا . أما من عدا عيسى عليه ١٠ الصلاة و السلام فواضح ، و أما عيسى عليه السلام فيعتقدون أنه ما أتى بعد و أنه سيأتى ، و يكون الناس فى أيامه على دين واحد تصديقا لوعد التوراة الآتى بيانه ، و ذلك على وجه مستلزم فى أكثرها تنزهه تعالى عن الولد ، و قدرته على البعث ، و بدأها بقصة من خرق له العادة فى الولد على وجه مبين أنه لا يحتاجه إلا فانٍ حسا أو معنى يريد أن يخلفه فيما تعسر ١٥ عليه فعله أو تعذر ، و كان تقديم قصته اولى لأن التبكيت به أعظم لمباشرتهم لقتله و قتل ابنه يحيى عليهما الصلاة و السلام ، و إشارة إلى أن العمل الصالح المؤسس[2] على التوحيد ضامن لإجابة الدعاء و إن كان فيه خرق العادة ، و ثنى بأمر من نسبوه إليه و افتروه[3] عليه و قصدوا قتله على

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تصديقا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الموسر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : افتروا .

وجه معرب عن شأنه غاية الإعراب، مبين فيه وجه الصواب، متمما لتبكيت اليهود الآمرين لقريش بالتعنت بالسؤال بالإشارة إلى قتل زكريا و يحيى عليهما الصلاة و السلام و ادعاء صلب[1] المسيح الذى بشرت به التوراة، و هم الآن ينتظرونه و يدعون أنهم /أخص الناس به، و قذف ٤٠٥/
٥ أمه - و حاشاها - دالا بذلك على القدرة على البعث؛ قال فى التوراة فى آخر السفر الأول[2]: إن يعقوب عليه الصلاة و السلام أخبر بقرب وفاته و قال لبنيه: اجتمعوا إلىّ فأبين لكم ما هو كائن من أمركم فى آخر الأيام، اجتمعوا و اسمعوا يا بنى يعقوب! أنصتوا لإسرائيل أبيكم! ثم قال: يا يهوذا! الك يعترف[3] إخوتك بتعالى يدك على رقاب أعدائك، و ليسجد[4]
١٠ لك بنو أبيك، شبل الليث يهوذا، كما أنه خلص ابنى من القتل، ربض و جثم مثل الضرغام و مثل شبل الليث، من ذا يقيمه عن فريسته، لا يزول[5] القضيب من آل يهوذا، لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا و أنخاذه نبيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - و فى نسخة: الكل - و إياه تنتظر الشعوب، يربط[6] بالحبلة[7] جحشه، عيناه أشد شهولة من الخمر،
١٥ و أسنانه أشد بياضا من اللبن - هذا نصه، و عند اليهود أنه المسيح، و يسمونه مع ذلك المنتظر و المهدى، و عندهم أنه ينصرهم و يخلصهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لصلب (٢) راجع الأصحاح التاسع و الأربعين (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تقرف (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لتسجد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يزال (٦) فى مد: تربط (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

مما هم فيه من الذل ، فقلت لبعضهم : أشهد أنه المسيح ابن مريم الذي
أتى و تبعه النصارى و عاديتموه حتى رفعه الله تعالى ، [فقال - [1]]
الذي في التوراة أنه [2] يكون له الكل ، و عيسى ما كان كذلك ، فقلت :
إنه يكون له الكل حين ينزل تابعا لديننا من حيث أنه لا يقبل
إلا الإسلام ، فيطبق أهل الأرض على اتباعه عليه ، و يسعد به منكم ٥
من يتبعه ، و يزول عنه الذل ، و هذا لا ينافي كلام التوراة فانه لم يقيد
ذلك بساعة إتيانه . فلم يقبل ذلك ، ثم إنه أتى إلي يوما بكتاب من
كتبهم في شرح سفر الأنبياء فقال في الكلام على [3] البشائر المتعلقة بالمسيح
« و لا يبعد أن يبدو لإسرائيل ثم يختفي ثم يظهر فيكون له الكل »
فقلت له : انظر و تبصر ! هذا عين ما ذكرته لك من قبل . فبهت لذلك ١٠
فقلت : أطعني و أسلم ! ففكر ثم قال : حتى يريد الله تعالى .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه : لما قال تعالى "ام حسبت
ان اصحب الكهف و الرقيم كانوا من ءايتنا عجبا " ثم أورد خبرهم و خبر
الرجلين و موسى و الخضر عليهما السلام و قصة ذي القرنين ، اتبع سبحانه
ذلك بقصص تضمنت من العجائب [ما هو اشد عجبا - [1]] و أخفى سببا ، ١٥
فافتتح سورة مريم بيحيى بن زكريا و بشارة زكريا به بعد الشيخوخة
و قطع الرجاء و عقر [4] الزوج حتى سأل زكريا مستفهما و متعجبا " أنى
يكون لي غلم و كانت امراتي عاقرا و قد بلغت من الكبر عتيا "

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد في الأصل : الذي ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : في (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : عقد .

فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين ، و أنه يجعل ذلك آية للناس . و أمر
هذا اعجب من القصص المتقدمة ، فكان قد قيل : أم حسبت يا محمد
أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، نحن نخبرك [بخبرهم
و نخبرك -[1]] بما هو أعجب و أغرب و أوضح آية ، و هو قصة زكريا فى ابنه
٥ يحيى عليهما الصلاة و السلام ، و قصة عيسى[2] فى كينونته بغير أب ، ليُعلَم
أن الأسباب فى الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسبباتها إلا بحسب
سنة الله ، و إنما الفعل له سبحانه لا بسبب ، و إلى هذا أشار قوله تعالى
لزكريا عليه الصلاة و السلام " و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئا "
ثم[3] اتبع سبحانه / بشارة زكريا بيحيى بايتائه[4] الحكم صبيا ، ثم بذكر ٤٠٦/
١٠ مريم[5] و ابنها عليهما الصلاة و السلام ، و تعلقت الآى بعد إلى انقضاء
السورة - انتهى .

و لما كانت هذه السورة تالية[6] للسورة الواصفة للكتاب - الذى
به نعمة الإبقاء الأول - بالاستقامة البالغة . افتتحها بالأحرف المقطعة ،
كما افتتح السورة التى تلى أم الكتاب ، الداعيةَ إلى الصراط المستقيم ،
١٥ الواصفةَ[7] الكتابَ بالهدى الضامن للاستقامة ، و التى تلى واصفته ، و [التى -[8]]

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : و امه عليهما الصلاة و السلام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : باتيانه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمريم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خالية (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : و واصفة (٨) زيد من مد .

تلي الأنعام المشيرة إلى نعمة الإيجاد الاول، فقال: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ و هي خمسة أحرف على عددها مع تلك السور[1]، و هي جامعة النعم، و واصفة الكتاب، و ذات النعمة الأولى، و ذات النعمة الثانية، كما افتتحت الأعراف التالية لذات النعمة الأولى بأربعة على عددها مع [ما قبلها من -[2]] الأم [الجامعة -[2]] و الواصفه [و ذات النعمة الأولى، و كما افتتحت ٥ آل عمران التالية للواصفة بثلاثة على عددها مع الأم و الواصفة -[2]] ﴿ ذكر ﴾ أى هذا الذى أتلوه عليكم ذكر ﴿ رحمت ربك ﴾ [أى -[3]] المحسن إليك بالتأييد بكشف الغوامض و إظهار الخبء ﴿عبده﴾ منصوب برحمة[4]، لأنها مصدر بنى على التاء[5]، لا أنها دالة على الوحدة ﴿زكريا﴾ [أى -[3]] ابن ماثان[6]، جزاء له على توحيده و عمله الصالح الذى حمله ١٠ عليه الرجاء للقاء ربه، و الرحمة منه سبحانه المعونة و الإجابة و الإيصال[7] إلى المراد و نحو ذلك من ثمرات الرحمة المتصف بها العباد ﴿اذ نادى﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: السورة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) فى مد: برحمته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الياء (٦) فى الكشاف: و كان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق، و قيل: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا، و قيل: يعقوب هذا و عمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود. و فى روح المعانى ١٥٣/٥: و زكريا عليه السلام من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، و أخرج الحاكم و صححه عن ابن مسعود أنه آخر أنبياء بنى إسرائيل و هو ابن آزر بن مسلم من ذرية يعقوب، و أخرج إسحاق بن بشر و ابن عساكر عن ابن عباس أنه ابن دان (٧) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

ظرف الرحمة ﴿ربه﴾ .

و لما قدم تشريفه بالذكر و الرحمة و الاختصاص بالإضافة إليه فدل ذلك[١] على كمال القرب ، قال : ﴿نداء خفيا ه﴾ أي كما يفعل المحب القريب مع حبيبه المقبل عليه في قصد[٢] خطاب السر الجامع بين شرف المناجاة[٣] ٥ و لذاذة الانفراد بالخلوة ، فاطلع سبحانه عليه لأنه يعلم السر و أخفى ، فكأنه قيل : ما ذلك النداء ؟ [٤] فقيل : ﴿قال رب﴾ بحذف الأداة للدلالة على غاية القرب ﴿اني وهن﴾ أي ضعف جدا ﴿العظم منى﴾ [٥] أي هذا الجنس الذي[٥] هو أقوى ما في بدني ، [٦] و هو أصل بنائه[٦] ، فكيف بغيره ! [و لو جمع لأوهم أنه وهن مجموع عظامه لا جميعها - [٧]] ١٠ ﴿و اشتعل الراس﴾ أي شعره[٨] مني ﴿شيبا و لم اكن﴾ فيما مضى قط مع صغر السن ﴿بدعآئك﴾ [٦] أي بدعائي إياك[٦] ﴿رب شقيا ه﴾ فأجرني[٩] في هذه المرة[١٠] أيضا على عوائد فضلك ، [١١] فان المحسن ربي[١٢] أول إحسانه بآخره [١٣] و إن[١٣] كان ما ادعوا به في غاية البعد في العادة ، لكنك فعلت مع أبي إبراهيم عليه السلام مثله ، [٦] فهو دعاء و شكر و استعطاف[٦] ؛ ثم عطف

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : تلك (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : قصده (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : المناداة (٤) زيد بعده في الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥-٥) في ظ « و » (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و في الأصل و ظ : فاخبرني (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : المدة . (١١) العبارة من هنا إلى « بآخره » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، و في الأصل : ربي (١٣-١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : فان .

على " اني وهن" قوله: ﴿ و انى خفت الموالى ﴾ أى فعل[1] الأقارب أن يسيئوا الخلافة ﴿ من ورآءى ﴾ أى [2]فى بعض الزمان الذى [3]بعد موتى[3] ﴿ و كانت امرأتى عاقرا ﴾ لاتلد [أصلا - بما دل عليه فعل الكون -[4]] ﴿ فهب لى ﴾ أى فتسبب - عن شيخوختى و ضعفى و تعويذك[5] [لى -[4]] بالإجابة، و خوفى من سوء خلافة أقاربى، و يأسى ٥ عن الولد عادة بعقم امرأتى، و بلوغى من الكبر حدا لاحراك بى معه - أنى أقول لك يا قادرا على كل شيء: هب لى ﴿ من لدنك ﴾ أى من الأمور المستبطنة المستغربة التى عندك، لم تجرها على مناهج العادات و الأسباب المطردات، لا من جهة سبب أعرفه، فان أسباب ذلك / عندى معدومة. و قد تقدم فى آل عمران لذلك مزيد بيان ﴿ وليا ﴾ ١٠ / ٤٠٧ [أى -[4]] من صلبى بدلالة "ذرية" فى السورة الآخرى[6] ﴿ يرثنى ﴾ فى جميع ما أنا فيه من العلم و النبوة و العمل ﴿ و يرث ﴾ زيادة على ذلك ﴿ من آل يعقوب ﴾ جدنا مما خصصتهم به من المنح. و فضلتهم به من النعم، من محاسن الأخلاق و معالى الشيم، و خص اسم يعقوب اقتداء به نفسه إذ قال ليوسف عليهما الصلاة و السلام "و يتم نعمته عليك ١٥ و على آل يعقوب[7]" و لأن إسرايل صار علما على الأسباط كلهم،

---

(١) من مد، و فى الأصل: فعلة، و الكلمة ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا الى «بعد موتى» ساقطة من ظ (٣ - ٣) فى مد: بعدى (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل: يعويدك، و فى ظ: تعويذى (٦) راجع سورة ٣ آية ٣٨ . (٧) آية ٦ .

و كانت قد غلبت عليهم الأحداث ؛ و قد استشكل القاضى العضد[1] فى «الفوائد الغياثية» كونَ "يرث" على قراءة الرفع صفة بأنه يلزم عليه عدم إجابة دعائه عليه الصلاة و السلام لأن يحيي عليه السلام قتل فى حياته، و لا يكون وارثا إلا إذا تخلف بعده، و قد قال تعالى "فاستجبنا له و وهبنا له يحيى[2] " قال: فتجعل[3] استئنافية، و لا يلزم حينئذ إلا خلف ظنه ٥ عليه السلام - هكذا نقل لى عنه، و أنا أجلّه[4] عن ذلك، لأنه [لا -[5]] يلزم تخلف دعائه، و لا يتجرأ على على[6] مقامه باخلا فـظنه، لأن الإخبار عن قتله قبله إن كان عن النبى صلى الله عليه و سلم وصح السند، كان [تسمية -[5]] العلم الذى أخذه عنه فى حياته إرثا مجازا مرسلا باعتبار ١٠ ما يؤل إليه فى الجملة، لاسيما مع جواز أن يكون يحيي عليه السلام علّمه لمن عاش بعد أبيه عليهما الصلاة و السلام. و ذلك لأن النبى صلى الله عليه و سلم سمى العلم إرثا على وجه الاستعارة التبعية بقوله عليه الصلاة و السلام «العلماء ورثة الأنبياء[7]»، و لا شك أن[8] من ضرورة تعلم العلم حياة المأخوذ عنه. و لم يرد منعٌ من تسميته إرثا حال الأخذ. هذا إذا صح

(١) هو القاضى عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦، و كتابه منسوب إلى غياث الدين وزير سلطان محمد خدا بنده - راجع كشف الظنون.
(٢) سورة ٢١ آية ٩٠ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: فيجعل (٤) فى هامش ظ: الضمير فى «أجله» يرجع إلى القاضى العضد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: علو (٧) و الحديث من الاستفاضة بحيث لا يفتقر إلى تعليق.
(٨) من مد، و فى الأصل و ظ: أنه.

أن

أن يحي عليه السلام مات قبل زكريا عليه السلام ، و حينئذ يأول " من وراءى " بما غاب عنه ، أى عجزت عن تتبع[1] أفعال الموالى بنفسى فى حال الكبر ، و خفت سوء فعلهم إذا خرجوا من عندى و غابوا عنى ، فهب لى ولدا يكون متصفا بصفاتى ، فكان ما سأله ، و إن لم يصح موته قبله بالطريق المذكور[2] لم يصح أصلا ، و ينتفى الاعتراض رأسا ، فان ٥ التواريخ القديمة إنما هى عن اليهود فهى لا شىء ، مع أن البغوى نقل فى أول [تفسير[3]] سورة بنى إسراءيل[4] ما يقتضى موت زكريا قبل يحي عليهما الصلاة و السلام فانه قال : آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا و يحي و عيسى عليهم الصلاة و السلام ، و كانوا من بيت آل داود عليه السلام فمات زكريا عليه السلام ، و قيل : قتل ، فلما رفع الله ١٠ عيسى عليه الصلاة و السلام من بين أظهرهم و قتلوا يحي ابتعث[5] الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش[6] فسار إليهم[7] بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤس جنوده يدعى بيوزردان[8] صاحب الفيل فقال : إنى كنت قد حلفت بالهى : لئن أنا ظهرت[9]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسع (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) راجع معالم التنزيل على هامش اللباب ٤/١٠٦ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انبعث ، و فى المعالم : بعث (٦) من المعالم ، و فى النسخ كلها : خردوس (٧) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : فيهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيوزوان ، و فى المعالم : بيورزاذان . (٩) فى المعالم : ظفرت .

على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى إلا أن لا أجد أحدا أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، و أن بيوزردان[1] دخل بيت المقدس فقام فى البقعة / التى كانوا يقربون فيها ٤٠٨/ قربانهم ، فوجد فيها دما يغلى فقال : يا بنى إسراءيل ! ما شأن هذا الدم [يغلى -[2]] ؟ قالوا : هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا ، فقال : ٥ ما صدقتمونى ، قالوا : لو كان كأول[3] زماننا لتقبل منا ، و لكن قد انقطع منا الملك و الوحى فلذلك لم يقبل منا ، فذبح منهم بيوزردان على ذلك الدم سبعمائة[4] و سبعين رجلا[5] من رؤسهم فلم يهدأ ، فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شيبهم[6] و أزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى بيوزردان أن الدم ١٠ لا يهدأ قال لهم : يا بنى إسراءيل ! ويلكم ! اصدقونى و اصبروا على[7] أمر ربكم . فقد طال ما ملكتم الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار أنثى و لا ذكر إلا قتلته ، فلما رأوا الجد و شدة القتل [صدقوا الخبر - [8]] فقالوا : إن هذا دم نبى كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله عز و جل ، فلو أطعناه[9] فيها لكان أرشد لنا ، ١٥

(١) هنا و فيما يأتى من المعالم: بيورزاداد (٢) زيد من ظ ومد والمعالم (٣) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : اول (٤) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل :ماية (٥) من المعالم ، و فى الأصل ومد : زوجا ، و فى ظ : رجلا - كذا (٦) من المعالم ، و فى النسخ كلها : سبيهم (٧) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٨) زيد من مد و المعالم (٩) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : طعناه - كذا .

وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه[١] فهذا دمه ، فقال لهم بيوزردان : ما كان اسمه؟ قالوا : يحي بن زكريا ، قال : الآن صدقتمونى ، بمثل هذا ينتقم[٢] منكم ربكم ، فلما رأى بيوزردان أنهم صدقوه خر ساجدا[٣] و قال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة و أخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش ، و[٤]خلا فى بنى إسرائيل[٤] ، ثم قال : يا يحي بن زكريا ! قد علم ربى و ربك ما قد أصاب قومك من أجلك و ما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ الدم باذن الله تعالى ، و رفع بيوزردان عنهم القتل و قال : آمنت بالذى[٥] آمن به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره . و قال لبنى إسراءيل : إن خردوش[٦] أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، و إنى لست أستطيع أن أعصيه[٧] ، قالوا له[٨] : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقا و أمر بأموالهم من الخيل و البغال و الحمير و الإبل و البقر و الغنم ، فذبحها حتى سال الدم فى العسكر ، و أمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ، فلم يظن خردوش إلا أن ما فى الخندق من بنى إسراءيل ، فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيوزردان أن ارفع عنهم القتل ، ثم انصرف إلى بابل و قد أفنى بنى إسراءيل أو كاد .

---

(١) سقط من ظ (٢) فى المعالم : انتقم (٣) زيد فى الأصل : لله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٤-٤) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : خلى من بنى (٥) من المعالم ، و فى النسخ : بما (٦) من المعالم ، و فى النسخ هنا و فيما يأتى : خردوس (٧) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : اغضبه (٨) سقط من مد .

فهذا كما ترى ظاهر فى أن يحيى تخلف بعد أبيه عليهما الصلاة و السلام وكذا ما تقدم فى آل عمران عن الإنجيل فى قصة ولادته .

و لما ختم دعاءه بقوله : ﴿ و اجعله رب ﴾ [أى أيها المحسن إلى - [1]] ﴿ رضيا ه ﴾ أى [2]بعين الرضا منك[2] دائما حتى يلقاك على ذلك ، قيل فى

٥ جواب من كأنه قال : ما ذا قال له ربه الذى أحسن الظن به ؟ : ﴿ يٰزكريآ انا ﴾ أى[3] على ما لنا من العظمة ﴿ نبشرك ﴾ إجابة لدعائك ؛ و قراءة[4] الجماعة غير حمزة بالتشديد أوفق من قراءة حمزة للتأكيد الذى جىء به ، لأن المبشر به لغرابته جدير بالإنكار ﴿ بغلٰم ناسمه يحيى[لا] ﴾ ثم وصفه بما عرف به أن مما شرفه به أن ادخر له هذا الاسم فقال : ﴿ لم نجعل له ﴾

١٠ فيما مضى ، [2]و لعله أتى بالجار الدال على التبعيض تخصيصا لزمان بنى / إسراءيل قومه[2] [فقال - [5]] : ﴿ من قبل سميا ه ﴾ فكأنه قيل : ما قال ٤٠٩ / فى جواب هذه البشارة العظمى ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ عالما بصدقها طالبا لتأكيدها ، و التلذيذ بترديدها ، و هل ذلك من امرأته أو غيرها ؟ و هل إذا كان منها[6] يكونان على حالتهما من الكبر أو غيرها غير طائش

١٥ و لا عجل : ﴿ رب ﴾ أى[7] المحسن إلىّ باجابة دعائى دائما ﴿ انىّ ﴾ أى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد ، و العبارة من هنا بما فيها « أى » إلى « من العظمة » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : قرأ ، و العبارة من هنا بما فيها « و قراءة » إلى « جدير بالإنكار » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : فهل (٧) سقط من مد ، و العبارة من هنا بما فيها « أى » إلى « دائما » ساقطة من ظ .

من

من أين [1]وكيف و على أيّ حال[1] ﴿ يكون لى غلم ﴾ يولد لى [2] على غاية القوة و النشاط و الكمال فى الذكورة[2] ﴿ وكانت ﴾ [أى – [3]] و الحال أنه كانت ﴿ امراتى ﴾ إذا [4] كانت شابة ﴿ عاقرا ﴾ غير قابلة للولد عادة [5]و أنا و هى شابان فلم يأتنا ولد لاختلال أحد السببين[5] فكيف بها و قد أسنت ! ﴿ و قد بلغت ﴾ أنا ﴿ من الكبر عتيا ﴾ أى أمرا ٥ [فى اليبس – [6]] مجاوزا للحد هو غاية [7]فى الكبر[7] ما بعدها غاية ، و قد حصل من ذلك من [8]الضعف و يبس[8] الأعضاء و قحلها ما يمنع فى العادة من حصول الولد [5]مطلقا لاختلال السببين معا فضلا عن أن يصلح لأن يعبر عنه بغلام[5]؛ قال [البغوى – [3]] فى آل عمران[9]: و قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما: كان ابن عشرين و مائة سنة ، ١٠ وكانت امرأته بنت ثمان و تسعين سنة[10]؛ و قال الرازى فى اللوامع: إن هذا على الاستخبار [11]أيعطيه[11] الله الولد بتلك الحال أم يقلبه شابا؟ ولله تعالى فى كل صنع تدبيران: أحدهما المعروف الذى يسلكه الناس من

(١–١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و تأخر فى الأصل عن «يولد لى» و الترتيب من مد (٢–٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «يكون لى» و الترتيب الذى رتبناه هو الأوفق للسياق (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : اذ (٥–٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧–٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكبر (٨–٨) من مد ، و فى الأصل : الياس و الضعف فى ، و فى ظ : يبس (٩) راجع المعالم على هامش اللباب ١/٢٩٠ (١٠) سقط من مد (١١–١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعطيه .

توجيه الأسباب إلى المسببات ، و الآخر يتعلق بالقدرة المحضة ، و لا يعرفه إلا أهل الاستبصار - انتهى . ﴿قال كذلك ج﴾ أى[١] الأمر ؛ ثم علله[٢] بقوله : ﴿قال ربك﴾ [أى -[٣]] الذى عودك بالإحسان ، [و ذكر مقول القول فقال -[٣]] : ﴿هو﴾ [٤]أى [٥]خلق يحيى منكما على هذه الحالة[٥] [٦]﴿علىّ﴾ أى خاصة ﴿هين﴾ لا فرق عندى بينه و بين غيره ﴿و قد خلقتك﴾ أى قدرتك[٦] و صورتك [و أوجدتك -[٣]] .

و لما كان القصد تشبيه حاله بالإتيان منه بولد على ضعف السبب بتقديره من النطفة على ضعف سببيتها [لكونها -[٣]] تارة تثمر و تارة لا ، و هو الأغلب ، أتى بالجار إشارة إلى ذلك فقال : ﴿من قبل﴾ [أى قبل -[٧]] [٨]هذا الزمان[٨] ﴿و لم﴾ أى و الحال أنك لم . و لما كان عليه السلام شديد التشوف لما يلقى عليه من المعنى فى هذه البشرى ، أوجز له حتى بحذف النون [و ليثبت أنه ليس له من ذاته إلا العدم المحض ، و ينفى أن يكون له من ذاته وجود و لو على أقل درجات الكون لاقتضاء حاله فى هذا التعجب لتذكيره فى ذلك فقال -[٩]] : ﴿تك شيئا ه﴾

(١) سقط من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : علل (٣) زيد من مد .
(٤) العبارة من هنا إلى « ذلك فقال » ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين ورد فى الأصل قبل « من قبل » . و فيه « بخلق » موضع « خلق » . و الترتيب من مد .
(٦-٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « ذلك فقال » و الترتيب من مد .
(٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) فى ظ : وجودك (٩) زيد ما بين الحاجزين من مد ، و زيد فى ظ : فقال - فقط .

أى[1] [يعتد به -[2]]، [3]ثم أبرزتك[3] على ما أنت عليه حين أردت ، فتحقق بهذا أنه من امرأته هذه العاقر فى حال كونهما شيخين ، ثم قيل جوابا لمن كأنه قال : ما قال بعد علمه بذلك ؟ : ﴿ قال رب ﴾ [4]أى [أيها -[2]] المحسن إلىّ بالتقريب ! ﴿ اجعل لىٓ ﴾ على ذلك ﴿ ءاية ﴾ [5]أى علامة[5] تدلنى على وقوعه ﴿ قال ﴾ [5]أى الله[5]: ﴿ ءايتك ﴾ على وقوع ذلك ٥ ﴿ الا تكلم الناس ﴾ أى لا تقدر على كلامهم .

[5]و لما بدئت السورة بالرحمة ، و كان الليل محل تنزلها « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول » - الحديث ، قال :[5] ﴿ ثلٰث ليال ﴾ [أى بأيامها - كما دل عليه التعبير بالأيام[6] فى آل عمران - [2]] حال كونك ﴿ سويا ﴾ من غير خرس و لا مرض و لا حبسة عن مطلق الكلام ، بل تناجى ١٠ ربك فيها بتسبيحه و تحميده و تلاوة كتابه و كل ما أردت من مثل ذلك و كذا من عدا الناس من الملائكة و غيرهم من صالح عباد الله ، [7]و جعلت الآية الدالة عليه سكوتا عن[8] غير ذكر الله دلالة على إخلاصه و انقطاعه بكليته إلى الله دون غيره ﴿ فخرج ﴾ عقب إعلام الله له بهذا ﴿ على قومه ﴾ [أى عاليا على العلية منهم - [2]] ﴿ من المحراب ﴾ [9]الذى كان[9] / فيه ١٥ / ٤١٠ و هو صدر الهيكل و أشرف ما فيه ، و هو منطلق اللسان بذكر الله منحبسه

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم ابرزبك (٤) العبارة من هنا إلى « بالتقريب » ساقطة من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) آية ٤١ (٧) العبارة من هنا إلى « دون غيره » ساقطة من ظ .
(٨) من مد ، و فى الأصل : من (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .

عن كلام الناس ﴿ فاوحىٓ اليهم ﴾ أى اشار بشفتيه من غير نطق؛ قال الإمام أبو الحسن الرمانى فى آل عمران : و الرمز : الإيماء بالشفتين ، و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين و العينين و اليدين ، و الأول أغلب ؛ قال : و أصله الحركة . و سبقه إلى ذلك الإمام أبو جعفر ابن جرير

٥ الطبرى[١] فقال : و أما الرمز فان الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفتين ، و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين و العينين أحيانا ، و ذلك غير كثير فيهم ، و قد يقال للخفى من الكلام الذى مثل الهمس بخفض الصوت [الرمز - [٢]] . ثم نقل أن المراد به هنا تحرك الشفتين عن مجاهد - انتهى . و هو ظاهر أيضا فى الوحى لأنه مطلق الإشارة و الكناية و الكلام الخفى ،

١٠ فيجوز أن يكون وحيه بكل منها[٣] لا يقدر على غير ذلك فى مخاطبته للناس ، فاذا توجه[٤] إلى مناجاة ربه سبحانه انطلق أحسن انطلاق ﴿ ان سبحوا ﴾[٤] أى أوجدوا التنزيه و التقديس لله تعالى بالصلاة و غيرها[٤] ﴿ بكرة و عشيا ﴾ فحملت امرأته كما قلنا فولدت ولدا فسماه يحي كما بشرناه به[٥] فكبر حتى ميز فقلنا : ﴿ يٰيحيي خذ الكتٰب ﴾ أى التوراة

١٥ ﴿ بقوة[٥] ﴾ .

و لما كانت النبوة لا يستضلع بأمرها و يقوى على حملها إلا عند استحكام العقل ببلوغ الأشد . و كان التطويق على أمرها قبل ذلك من العظمة بمكان . دل عليه بالنون فى قوله : ﴿ و اٰتينٰه ﴾ بما[٦] لنا من

---

(١) راجع جامع البيان ٦/٣٨٨ طبعة دار المعارف (٢) زيد من جامع البيان (٣) من مد ، وفى الاصل وظ : تركه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد. (٦) فى مد : بمناسبة ما . و العبارة من هنا - بما فيها «بما» - ساقطة من ظ إلى «العظمة».

العظمة ﴿ الحكم ﴾ أى النبوة [و الفهم للتوراة -[1]] ﴿صبيا[2]﴾ لغلبة الروح عليه . [3]و هذه الخارقة لم تقتض الحكمة أن تكون لنبينا صلى الله عليه و سلم لأن قومه لا عهد لهم بالنبوة ، فكانوا إذا كذبوا لا يكون لهم من أنفسهم ما يلزمهم [4]من التناقض ، فعُوِّض[4] أعظم من ذلك بغرائز الصدق التى أوجبت لهم تسميته بالأمين[5] ليكونوا بذلك مكذبين ٥ لأنفسهم فى تكذيبهم له . و بمزيد إبقاء معجزته القرآنية بعده تدعو الناس إلى دينه [دعاء لامرد له -[1]] ﴿و﴾ آتيناه ﴿حنانا ﴾ أى رحمة و هيبة و وقارا و رقة قلب و رزقا و بركة ﴿ من لدنا ﴾ من[6] مستقرب المستغرب من عظمتنا بلا واسطة تعليم و لا تجربة ﴿ و زكوٰة ﴾ أى طهارة فى نيته تفيض على أفعاله و أقواله ﴿و كان﴾ [7]أى جبلة و طبعا[7] ١٠ ﴿ تقيا ﴾ خوافا لله تعالى ﴿ و برا ﴾ أى واسع الأخلاق محسنا[8] ﴿ بوالديه و لم يكن﴾ [7]جبلة و طبعا[7] ﴿جبارا﴾ عليهما[9] و لا على غيرهما ؛ ثم قيده بقوله : ﴿ عصياه ﴾ إشارة إلى أنه يفعل فعل الجبارين من الغلظة و القتل و البطش بمن يستحق ذلك كما قال تعالى لخاتم النبيين صلى الله عليه و سلم "جاهد الكفار و المنفقين و اغلظ عليهم[10]" فكان مطيعا ١٥ لله قائما بحقوقه و حقوق عباده على ما ينبغى ، فهنيئا له ما أعطاه من

---

(١) زيد من مد (٢) تأخر فى الأصل عن « إلى دينه » والترتيب من ظ و مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « إلى دينه » ساقطة من ظ (٤-٤) فى مد : التناقض بعوض (٥) من مد ، و فى الاصل : الامين (٦) فى مد : فى ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « من عظمتنا » (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ (٩) سقط من مد (١٠) سورة ٩ آية ٧٣ .

هذه الخلال القاضية بالكمال . [١]و التعبير بصيغة المبالغة يفهم أن المنفى
/٤١١ الجبل[٢] عليها ، و ما دونها يذهبه الله[٣] بغسل / القلب أو غيره ﴿ و سلٰم ﴾
[أى -[٤]] أىّ سلام[٥]﴿ عليه ﴾ منا ﴿ يوم ولد ﴾ من كل سوء يلحق بالولادة
و ما بعدها فى شىء من أمر الدين ﴿ و يوم يموت ﴾ من كرب الموت
٥ و ما بعده ، و لعله نكر[٦] السلام لأنه قتل فما سلم بدنه بخلاف ما يأتى فى
عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ و يوم يبعث ﴾ من كل ما يخاف بعد
ذلك ﴿حيا ع﴾ حياة هى الحياة للانتفاع بها ، إجابة لدعوة أبيه فى أن
يكون رضيا ، [٧]و خص هذه الأوقات لأن من سلم فيها[٨] سلم فى غيرها
لأنها أصعب منه ؛ أخرج الطبرانى[٩] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :
١٠ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : كل بنى آدم يلقى [الله -[١٠]] يوم
القيامة بذنب وقد[١١] يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا عليهما
السلام فانه كان سيدا و حصورا و نبيا من الصالحين ، و أهوى النبى
صلى الله عليه و سلم إلى قذاة من الأرض فأخذها و قال : ذكره مثل هذه
القذاة . قال الهيثمى : و فيه حجاج بن سليمان الرعينى وثقه ابن حبان
١٥ [و غيره و ضعفه أبو زرعة و غيره ، و بقية رجاله ثقات -[١٠]] ، و أخرجه
أيضا عن عبد الله بن عمرو و ابن عباس رضى الله عنهم ، لكن ليس فيه

---

(١) العبارة من هنا إلى « أو غيره » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : الجهل (٣) زيد فى مد : بالعظمة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سلامه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر (٧) العبارة من هنا إلى « أصعب منه » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : منها (٩) راجع مجمع الزوائد ٨/٢٠٩ (١٠) زيد من ظ و مد و المجمع (١١) زيد فى النسخ : أذنبه ، و لم تكن الزيادة فى المجمع فحذفناها .

ذكر الذكر ، و لفظ ابن عباس رضى الله عنهما : كنت فى حلقة [فى -[1]]
المسجد نتذاكر فضائل الأنبياء - فذكره حتى قال : فقال رسول الله صلى الله
عليه و سلم : ما ينبغى أن يكون أحد خيرا من يحيى بن زكريا ، قلنا :
يا رسول الله ! وكيف ذاك ؟ قال : ألم تسمعوا الله[2] كيف نعته فى
القرآن؟ «ينيحيى خذ الكتب - إلى قوله : [حيا -[1]] » ، «مصدقا بكلمة من الله ٥
و سيدا و حصورا و نبيا من الصلحين » لم يعمل سيئة و لم يهم بها . و رواه
أيضا البزار و فيه على بن زيد بن جدعان ضعفه الجمهور - و قد [وثق -[3]] ،
و بقية رجاله ثقات . و أشار سبحانه بالتنقل فى هذه الأطوار إلى موضع
الرد على من ادعى لله ولدا من حيث أن ذلك قاض على الولد نفسه
و على أبيه بالحاجة ، [4]و ذلك مانع لكل من الولد و الوالد من الصلاحية ١٠
لمرتبة الإلهية المنزهة عن الحاجة[4] ، [5]و قد مضى فى آل عمران ما تجب مراجعته[5] .

و لما كان حاصل القصة أنه ولد أخرجه الله تعالى عن سبب هو فى
ضعفه قريب من العدم ، أما من جهته فلبلوغه[6] إلى حد من السن و حال
فى المزاج لا يقبل حركة الجماع عادة ، و أما من جهة[7] زوجته[8] فلزيادتها
مع يأسها ببلوغها إلى نحو ذلك[9] السن بكونها عاقرا[10] لم تقبل حبلا قط ، ١٥

---

(١) زيد من ظ و مد و المجمع (٢) ليس فى المجمع (٣) زيد من ظ و مد .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من
ظ و مد ، و فى الأصل : فبلوغه (٧) سقط من مد (٨) فى ظ و مد : زوجه .
(٩) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ،
و فى الأصل : عاقر .

اتبعه[1] بقصة هي أغرب من قصته بكونها ليس فيها إلا سبب واحد و هو المرأة، و عدم فيها سبب الذكورية أصلا ، إشارة إلى أنه تعالى يخلق ما يشاء تارة بسبب قوي ، و تارة بسبب ضعيف ، و تارة بلا سبب ، و من كان كذلك كان مستغنيا عن الولد؛ و لما كان على اليهود الآمرين ٥ بالسؤال تعنتا عن قصتي أصحاب الكهف و ذي القرنين أن ينصحوا العرب بالإعلام بأن دينهم باطل لشركهم[2]، فلم يفعلوا فكانوا جديرين بالتبكيت . و كانت قصة زكريا أعظم في[3] تبكيتهم بمباشرتهم لقتله و قتل ولده يحيى عليهما السلام ، قدمها في الذكر ، و توطئة لأمر عيسى عليه السلام كما مضى بيانه في آل عمران إلزاما لهم بالاعتراف[4] به ، ١٠ و للنصارى بالاعتراف بأنه عبد ، كما اعترف كل منهما[5] بأمر يحيى عليه السلام ، و ذلك بما جمع بينهما من خرق العادة / . و كانت قصة يحيى أولى من قصة إسحاق عليهما السلام لما تقدم ، و لمشاهده[6] الذين[7] اختلفوا في عيسى عليه السلام من الفريقين لأمره و أمر يحيى عليهم الصلاة و السلام لما لهما من الاتحاد في الزمن مع ما لهما من قرب النسب . ١٥ و لما كانت قصة عيسى[8] عليه السلام أغرب ، أشار إلى ذلك بتغيير السياق [9]فقال عاطفا على ما تقدير : اذكر هذا لهم[9] : ﴿و اذكر﴾ - بلفظ الأمر ﴿في الكتب مريم﴾ ابنة عمران خالة يحيى - كما في الصحيح

/٤١٢

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : تبعه (٢) من ظ و مد . و في الأصل : بشركهم . (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الاعتراف (٥) في ظ : منهم (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : اما هذه (٧) في ظ : اللذين (٨) من مد . و في الأصل و ظ : يحيى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

من

من حديث أنس بن مالك [عن مالك - [1]] بن صعصعة الأنصارى رضى الله عنهما فى حديث الإسراء: فلما خلصت [2] فاذا يحي و عيسى و هما ابنا خالة. [3] ثم أبدل من "مريم" بدل اشتمال قوله [3]: ﴿ اذ ﴾ أى اذكر ما اتفق لها حين [4] ﴿ انتبذت ﴾ أى [3] كلفت نفسها أن [3] اعتزلت [3] وانفردت [3] ﴿ من اهلها ﴾ حالة [5] ﴿ مكانا شرقيا ﴾ عن مكانهم، [3] فكان انفرادها ٥ فى جهة مطالع الأنوار إشارة إلى ما يأتيها من الروح الإلهى [3] ﴿ فاتخذت ﴾ أى [3] أخذت بقصد و تكلف، و دل على قرب المكان بالإتيان بالجار فقال [3]: ﴿ من دونهم ﴾ [3] أى أدنى مكان من مكانهم [3] لانفرادها [5] للاغتسال أو غيره ﴿ حجابا ﴾ يسترها ﴿ فارسلنآ ﴾ [3] لأمر يدل على عظمتنا [3] ﴿ اليها روحنا ﴾ جبرءيل عليه السلام ليعلمها بما [6] يريد الله بها من الكرامة ١٠ بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، لئلا يشتبه عليها الأمر، [و - [7]] يتشعب بها الفكر، فتقتل نفسها غما ﴿ فتمثل لها ﴾ أى تشبح و هو روحانى بصورة الجسمانى ﴿ بشرا سويا ﴾ فى خلقه حسن الشكل لئلا تشتد نفرتها [و روعها - [8]] منه؛ ثم أخرج القصة مخرج الاستئناف فقال [3] دالا على حزمها و خلوص تعبدها لله و التجائها إليه و شهودها له بحيث لا تركن ١٥ إلى سواه [3]: ﴿ قالت ﴾.

---

(١) زيد من ظ و مد و الصحيح - باب المعراج، بنيان الكعبة (٢) من ظ و مد و الصحيح، وفى الأصل: تخلصت (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) فى ظ: اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ما.
(٧) زيد من ظ ومد (٨) زيد من مد.

[1] و لما كان[2] على أنهى ما يكون من الجمال و الخلال الصالحة و الكمال ، فكان بحيث يستبعد غاية الاستبعاد أن يتعوذ منه أكدت فقالت : ﴿ انى اعوذ بالرحمٰن ﴾ ربى[3] الذى رحمته عامة لجميع عباده فى الدنيا و الآخرة[4] ، و له بنا خصوصية فى إسباغ الرحمة و إتمام النعمة ﴿ منك ﴾

٥ و لما تفرست فيه - بما أنار الله من بصيرتها و أصفى [من -[5]] سريرتها - التقوى ، ألهبته[6] و هيجته للعمل بمضمون هذه الاستعاذة بقولها : ﴿ ان كنت تقيا ه قال ﴾ جبرءيل عليه السلام مجيبا لها بما معناه : إنى لست ممن تخشين [أن يكون متهما -[7]] ، [8]مؤكدا لأجل استعاذتها[8] ، ﴿ انمآ انا رسول ربك ق صلے ﴾ [8]أى الذى عذت به[8] أى[9] فأنا [لست متهما -[7]] ،

١٠ متصف بما ذكرت و زيادة الرسلية ، و عبر باسم الرب المقتضى للاحسان لطفا بها ، و لأن هذه السورة مصدرة بالرحمة ، و من أعظم مقاصدها تعداد النعم على خلص عباده ﴿ لاهب ﴾ بأمره [8]أو ليهب هو على القراءة الأخرى[8] ﴿ لك ﴾ و قدم المتعلق تشويقا [10]إلى المفعول[10] ليكون أوقع فى النفس ؛ ثم بينه معبرا بما هو أكثر خيرا و أقعد فى باب البشرى

١٥ و أنسب لمقصود السورة مع أنه لا ينافى ما ذكر فى آل عمران بقوله :

---

(١) العبارة من هنا إلى « أكدت فقالت » ساقطة من ظ (٢) فى مد : كانت . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مربى (٤) بهامش ظ : أما المؤمن فواضح ، و أما الكافر فلكونه لا يعذب أحدا فوق ما يستحق ، و لذا جعل النار دركات لكل منها جزء (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التهلته . (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سقط من مد . (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفعول .

﴿ غلما ﴾ أى ولدا ذكرا فى [غاية -[1]] القوة و الرجولية ﴿ زكيا ه ﴾
طاهرا من كل ما يدنس البشر : ناميا على الخير و البركة ﴿ قالت ﴾
مريم : ﴿ انىّ ﴾ أى من أين [2] و كيف [2] ﴿ يكون لى غلم ﴾ ألده
﴿ و لم يمسسنى بشر ﴾ بنكاح أصلا حلال[3] و لاغيره بشبهة و لاغيرها .
و لما هالها هذا الأمر ، أداها الحال إلى غاية الإسراع فى إلقاء ما تريد[4] ٥
من المعانى لها [لعلها -[1]] تستريح / بما تصورتـــه ، فضاق عليها المقام ، / ٤١٣
فأوجزت حتى بحذف النون من ' كان ' و[2] لتفهم أن هذا المعنى منفى كونه
على أبلغ وجوهه[2] فقالت[5] ﴿ و لم اك ﴾ . و لما كان المولود سر من يلده ،
و كان التعبير عنه بما هو من مادة الغلبة دالا على[6] غايـــة الكمال فى[7]
الرجولية المقتضى لغاية القوة فى أمر النكاح نفت أن يكون فيها شيء ١٠
من ذلك فقالت : ﴿ بغياه ﴾ أى [ليكون -[8]] دأبى الفجور ، [2] و لم يأت
' بغية ' لغلبة إيقاعه على النساء ، فكان مثل حائض و عاقر فى عـــدم
الإلباس[2] [و لأن بغية ، لايقال إلا للتلبسة به -[8]] ﴿ قال ﴾ [أى -[8]]
[2] جبريل عليه السلام[2] ﴿ كذلك ج ﴾ [9] القول الذى قلت [لك -[1]] يكون .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد .
(٤) بهامش ظ : قوله « فى إلقاء ما تريد - الخ » لاينافيه قوله فى آل عمران داخل هذا الكلام خطرلها و لم تلفظ به ، فعلم الملك أنه شغل فكرها فأجابها عنه لتفريغ الفهم ، لأن ذاك احتمال حملا لها على الكمال و هذا الظاهر و لاينافى الكمال و الله أعلم تدبر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ « و » (٨) زيد من مد (٩) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان لسان الحال قائلا : كيف يكون بغير سبب ؟ أجاب بقوله : ﴿قال﴾ و لما بنيت هذه السورة على الرحمة و اللطف و الإحسان بعباد الرحمن ، عبر باسم الرب الذى صدرت به بخلاف سورة التوحيد آل عمران المصدرة بالاسم الأعظم فقال : ﴿ربك هو﴾ [1]أى المذكور و هو إيجاد الولد على هذه الهيئة[1] ﴿علىّ﴾ أى وحدى لا يقدر عليه [أحد غيرى -[2]] ﴿هين[4]﴾ [أى -[2]] خصصناك به ليكون شرفا به [لك -[2]] .

و لما كان [ذلك -[2]] من أعظم الخوارق ، نبه عليه بالنون فى قوله ، عطفا على ما قدرته مما أفهمه السياق : ﴿و لنجعلهٓ﴾ [بما لنا من العظمة -[2]] ﴿اٰية للناس﴾ [1]أى علامة[1] على كمال قدرتنا على البعث أدل من الآية فى يحيى عليه السلام . و به تمام القسمة الرباعية فى خلق البشر ، فانه أوجده من أنثى بلا ذكر ، و حواء من ذكر بلا أنثى ، و آدم عليه السلام لا من ذكر و لا أنثى ، و بقية أولاده من ذكر و أنثى معا ﴿و رحمة منا﴾ لمن آمن به فى أول زمانه ، و لأكثر الخلق بالإيمان و الإنجاء من المحن فى آخر زمانه ، [3]لا كآية[4] صالح عليه السلام لأنها كانت آية استئصال لأهل الضلال ﴿و كان﴾ ذلك كله ﴿امرا مقضيا﴾ [1]أى محكوما به مبتوتا[1] هو فى غاية السهولة لامانع منه أصلا ، [5]و نبه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى «لأهل الضلال» ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : كآنه (٥) العبارة من هنا إلى « هذه السورة » ساقطة من ظ .

على

على سرعة تسبيب[١] الحمل عن هذا القول و إن كان التقدير بما أرشد إليه فى غير هـــذه السورة : فنفخ فى درعها فوصل النفخ إلى جوفها ﴿ فحملته ﴾ [٢]و عقب بالحمل قوله[٢] : ﴿ فانتبذت به ﴾ أى فاعتزلت - و هو فى بطنها - حالة[٣] ﴿مكانا قصياه﴾ أى بعيدا [٤]من أهلها أو[٥] من المكان الشرقى ، و أشار إلى قرب الولادة من الحمل بفاء التعقيب فى ٥ قوله : ﴿فاجآءها﴾ أى فأتى بها و ألجأها ﴿المخاض﴾ و هو تحرك الولد فى بطنها للولادة ﴿ الى جذع النخلة ج﴾ و هو ما برز [منها - [٦]] من الأرض و لم يبلغ الأغصان . و كان تعريفها لأنه لم يكن فى تلك البلاد الباردة غيرها ، فكانت كالعلم لما فيها من العجب[٧] ، لأن النخل من أقل الأشجار صبرا[٨] على البرد ، و لعلها[٩] ألجئت إليها دون غيرها من الأشجار[١٠] ١٠ على كثرتها لمناسبة حال النخلة لها ، لأنها لاتحمل إلا بالقاح من ذكور النخل ، فحملها بمجرد هزها أنسب شيء لإتيانها بولد من غير والد ، فكيف إذا كان ذلك فى غير وقته ! فكيف إذا كانت يابسة ! مع ما لها فيها من المنافع بالاستناد إليها و الاعتماد عليها[٢] ، و كون رطبها خرسة للنفساء و غاية فى نفعها[٢] و غير ذلك . ١٥

---

(١) من مد ، و فى الأصل : تسبب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « المكان الشرقى » ساقطة من ظ (٥) من مد ، والأصل « و » (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى مد : العجيب (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل: بصيرا (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : لها (١٠) زيدت الواو بعدها فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان ذلك أمرا صعبا عليها جـــدا ، كان كأنه قيل : يا ليت شعري ! ما كان حالها ؟ فقيل : ﴿ قالت ﴾ لما حصل عندها من خوف العار : ﴿ يٰليتني مت ﴾ و[1]لما كانت تذلك[1] أشارت إلى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم الوجود فقالت من غير جار[2]: ﴿ قبل هذا ﴾ [أي -[3]]
٥ الأمر العظيم[4] ﴿ و كنت نسيا ﴾ أي شيئا من شأنه أن[5] ينسى ﴿ منسيا ه ﴾ [6]أي متروكا[6] / بالفعل لا يخطر على بال ، فولدته ﴿ فنادىٰها من تحتهآ ﴾ و هو عيسى عليه السلام ﴿ الا تحزني ﴾ قال الرازي في اللوامع : و الأصح أن مدة حملها [7]له و ولادته[7] ساعة لأنه كان مبدعا ، و لم يكن من نطفة تدور في أدوار الخلقة - انتهى . و نقله ابن كثير [8]و قال : غريب[8] عن
١٠ ابن عباس رضي الله عنهما ، و يؤيده أنه لم ينقل في كتابنا و لا عن نبينا صلى الله عليه و سلم أنهم أنكروا عليها زمن الحمل ، و لو علموا به لأنكروه [و لو أنكروه -[9]] لنقل كما نقل إنكار الولادة .

[6]و لما أنكروا الولادة[6] فكأنها قالت : لم لا أحزن ؟ [و توقعت ما يعلل به -[10]] ؟ قال[11] : ﴿قد جعل ربك﴾ [أي -[10]] المحسن إليك
١٥ ﴿تحتك﴾ [6]في هذه الأرض التي لا ماء جاريا بها[6] ﴿ سريا ه ﴾ جدولا من

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) العبارة من « و لما كانت » إلى هنا ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : أي متروكا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) من ظ ومد ، و في الأصل : و ولادتها له (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) زيد من ظ و مد .
(١٠) زيد من ظ (١١) في النسخ : فقال ؛ و هو جواب « لما » .

الماء جليلا [1] آية لك تطيب [2] نفسك ﴿ و هزىّ اليك ﴾ أى أوقعى الهز، و هو جذب بتحريك .

و لما كان المقصود التهويل لصرف فكرها عما دهمها من الهم جعله قاصرا فكأنها قالت : ما أهز ؟ إذ [3] لم يكن فى الجذع ما يتوقع نفعه بهزه ، فقال مصرحا بالمهزوز : ﴿ بجذع النخلة ﴾ [التى أنت تحتها مع ٥ يبسها و كون الوقت ليس وقت حملها فكأنها [4] قالت : و لم ذاك ؛ فقال -[5]] : ﴿ تسقط عليك ﴾ من أعلاها ﴿ رطبا جنيا ﴾ طريا آية أخرى عظيمة تطيب النفس و تذهب بالحزن ، و تدل على البراءة . [6] و التعبير بصيغة التفاعل [فى قراءة الجماعة و حمزة -[7]] للدلالة على [أن -[8]] التمر يسقط منها ، و من حقه أن يكون منتفيا لأنها غير متأهلة لذلك . فهو ظاهر ١٠ فى أنه على وجه خارق للعادة . و قراءة الجماعة بالإدغام تشير [مع ذلك -[8]] إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفى كونه [9] منها ليبسها و عدم إقنائها [10] ، و قراءة حمزة بالفتح و التخفيف تشير إلى سهولة تساقطه و كثرته ، و قراءة [11] حفص عن عاصم بالضم و كسر القاف من فاعل ،

---

(١) سقط من ظ (٢) فى مد : تطب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا .
(٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى «المعلوم أنها» ص ١٩٠ س ٢ ساقطة من ظ (٧) زيد من مد ، و الفرق بين قراءة الجماعة و حمزة أن الجماعة قرأوها بفتح التاء الفوقانية و تشديد السين و فتح القاف بينما قرأها حمزة بفتح التاء و القاف و تخفيف السين بحذف إحدى تائى التفاعل - راجع نثر المرجان ٤ / ٢١٨ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، و فى الأصل : بكونه (١٠) من مد ، و فى الأصل : اخفائها (١١) من مد ، و فى الأصل : قرا .

تدل على الكثرة و أنه ظاهر فى كونه من فعلها .

و لما كان من المعلوم أنها هزت[1] فتساقط الرطب . [2]سبب عنه قوله[2] : ﴿فكلى﴾ أى فتسبب عن الإنعام عليك بالماء و الرطب أن يقال لك [3]تمكينا من كل منهما[3] كلى من الرطب ﴿و اشربى﴾ من ماء السرى

٥ ﴿و قرى﴾ أى استقرى ﴿عيناً﴾ بالنوم ، فان المهموم لا ينام ، و العين لاتستقر ما دامت يقظى[4] ، و عن الأصمعى أن المعنى : و لتبرد دمعتك ، لأن دمعة [الفرح باردة و دمعة -[5]] الحزن حارة ، و اشتقاق "قرى" من القرور ، و هو الماء البارد - انتهى .

و قال الإمام أبو عبد الله القزاز[6] فى ديوانه : و حكى الفراء أن قريشا

١٠ و من حولهم يقولون : قررت به[7] عينا - أى بكسر العين -[8] أقر ، و أن أسدا و قيسا[8] و تميما يقولون : قررت به عينا - أى بالفتح - [أقر ، قال - يعنى الفراء : فمن قال : قررت - أى بالكسر - قرا ، و قرى عينا - أى بالفتح -[5]] ، و هى القراءة المعروفة ، و من قال : قررت ، - أى بالفتح قرا و قرى عينا - بكسر القاف أى و هى [الشاذة ، قال - أى القزاز : هى -[5]] لغة

١٥ [كل -[5]] من لقيت من أهل نجد ، و المصدر قرة[9] و قرور .

---

(١) فى ظ : فهزت (٢-٢) فى ظ : فقيل لها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تغطى ؛ و العبارة من بعده إلى «دما ينفع هنا» ص ١٩١ س ١ ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : البزار (٧) سقط من مد (٨-٨) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد .
(٩) زيد بعده فى الأصل : و قرى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

و سيأتى

و سيأتي في القصص ماينفع هنا ، و هو [على كل حال - [1]]
كناية عن طيب النفس و تأهلها[2] لأن تنام[3] بالكفاية في الدنيا بطعام
البدن و غذاء الروح بكونه آية باهرة ، و الآخرة بالكرامة[3] [و ذلك
على أنفع الوجوه ، قيل : ما للنفساء خير من الرطب و لا للمريض خير
من العسل ؛ ثم سبب عن ذلك قوله مؤكدا إيذانا بأن أكثر رؤيتها في ٥
تلك الأوقات الملائكة عليهم السلام - [1]] ﴿ فاما ترين ﴾ [أي - [1]]
يا مريم ﴿ من البشر احدا ﴾ [4]لا تشكين أنه من البشر[5] ينكر عليك
﴿ فقولي ﴾ لذلك المنكر جوابا له [6]مع التأكيد تنبيها على البراءة لأن
البريء يكون ساكنا لاطمئنانه و المرتاب يكثر كلامه و حلفه :
﴿ اني نذرت للرحمن ﴾ أي الذي عمت رحمته فأدخلني فيها على ضعفي ١٠
/و خصني بما رأيت من الخوارق ﴿ صوما ﴾ أي صمتا [ينجي من كل / ٤١٥
وصمة - [1]] [6]و إمساكا عن الكلام[6] ﴿ فلن ﴾ أي فتسبب عن النذر
أني لن ﴿ اكلم اليوم انسيا ﴾ فان كلامي يقبل الرد و المجادلة [و - [7]]
لكن يتكلم عني المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع ، و أما أنا [8]فأنزه
نفسي عن[9] مجادلة السفهاء فلا أكلم إلا الملائكة أو الخالق بالتسبيح و التقديس ١٥
و سائر أنواع الذكر . [10]قالوا : و من أذل الناس سفيها لم يجد مسافها ، و من

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : أهلها ، وزيدت الواو بعده في ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كلامه و حلفه » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : الذي (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) العبارة من هنا إلى « السفهاء » ساقطة من ظ (٩) زيد بعده في الأصل : كلام ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها .
(١٠) العبارة من هنا إلى « مجرد » ص ١٩٢ س ٢ ساقطة من ظ .

الدلالة عليه بالصمت عن كلام الناس مع ما تقدم الإشارة إلى أنه ردع
مجرد ﴿ فاتت ﴾ أي فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها، و زال حزنها،
و أتت ﴿به﴾ أي بعيسى ﴿قومها﴾ [و إن كان فيهم قوة المحاولة لكل
ما يريدونه إتيان البريء الموقن بأن الله معه - [1]] ﴿ تحمله[1] ﴾ [غير مبالية
بأحد و لا مستخفية -[1]] فكأنه قيل : فما قالوا لها؟ فقيل : ﴿ قالوا يمريم ﴾
[2]ما هذا[2]؟ [3]مؤكدين لأن حالها في إتيانها يقتضي إنكار كلامهم[3]﴿لقد جئت﴾
بما نراه ﴿شيئا فرياه﴾ قطيعا منكرا ﴿ يأخت هرون ﴾ في زهده و ورعه
و عفته [و هو صالح كان في زمانها أو أخو موسى عليه السلام - [4]]
﴿ ما كان ابوك ﴾ [أي - [1]] عمران [5]ساعة من الدهر[5] ﴿ امرا سوء ﴾
١٠ لتقول : نزعك عرق منه ﴿ و ما كانت امك[5] ﴾ [5]في وقت من الأوقات[5]
﴿ بغيا ﴾ [أي ذات بغي أي عمد -[1]] لتتأسى بها ﴿فاشارت﴾ امتثالا
لما أمرت به ﴿ اليه[6] ﴾ [أي عيسى ليكلموه فيجيب عنها - [7]]
﴿ قالوا كيف نكلم ﴾ يا مريم ﴿ من كان في المهد ﴾ أي قبيل إشارتك
﴿صبيا﴾ لم يبلغ سن [هذا - [1]] الكلام . [الذي لا يقوله إلا الأكابر
١٥ العقلاء بل الأنبياء - [1]] و التعبير بـ " كان " يدل على أنه حين[8] الإشارةإليه
لم يحوجهم إلى أن يكلموه، بل حين سمع المحاورة و تمت الإشارة بدا منه قول

---

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر في الأصل عن « إنكار كلامهم » و الترتيب من
مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد ؛ و بعده في البحر
المحيط ٦/١٨٦ : إذ كانت من نسله (٥) تأخر في الأصل عن « الأوقات »
و الترتيب من مد (٦) تكرر في الأصل فقط (٧) زيد من ظ و مد (٨) في
مد : عند .

خارق لعادة الرضعاء [و الصبيان ، و يمكن أن تكون تامة مشيرة إلى تمكنه
فى حال ما دون سن الكلام ، و نصب " صبيا " على الحال - [1]] ، فلما
كانت هذه العبارة مؤذنة بذلك استأنف قوله: ﴿ قال ﴾ [أى - [2]]
واصفا نفسه بما ينافى أوصاف الأخابث[3] ، مؤكدا لإنكارهم[4] أمره فقال[5] :
﴿ انى عبد الله ﴾ [6] أى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال لا أتعبد ٥
لغيره[6] ، إشارة إلى الاعتقاد الصحيح فيه ، و أنه لا يستعبده شيطان
و لا هوى ﴿ اتنى الكتب ﴾ أى التوراة و الإنجيل [6]و الزبور و غيرها
من الصحف[6] على صغر سنى ﴿ و جعلنى ﴾ [6] أى فى علمه[6] ﴿ نبيا ﴾
ينبوء[7] بما يريد فى الوقت الذى يريـــد ، و قيل فى ذلك[8] : فأنبئكم به
﴿ و جعلنى مبركا ﴾ بأنواع البركات ﴿ اين ما ﴾ فى أى مكان ﴿ كنت ﴾ فيه . ١٠
و لما سبق علمه سبحانه أنه[9] يدعى فى عيسى الإلهية أمره أن يقول :
﴿ و اوصنى بالصلوة ﴾ له طهرة للنفس ﴿ و الزكوة ﴾ طهرة للمال فعلا فى
نفسى و أمرا لغيرى ﴿ ما دمت حيا ﴾ ليكون ذلك حجة على من أطراه
لأنه لا شبهة فى أن من يصلى لإله ليس بإلـه ﴿ و برا ﴾ أى [و - [1]]
جعلنى برا ، أى واسع الخلق طاهره . ١٥

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الأحاديث ،
و العبارة من بعده إلى «أمره» ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : لانكار .
(٥) سقط من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل
و ظ : ينبئنى (٨) العبارة من فى الوقت إلى هنا ساقطة من ظ ؛ و تكرر بعده
فى الأصل فقط : الوقت الذى يريد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : أن .

[١] و لما كان السياق [١] براءتها فبين الحق فى وصفه ، صرح ببراءتها فقال[١] : ﴿ بوالدتى ﴾ أى[٢] التى أكرمها الله باحصان الفرج و الحمل بى من غير ذكر ، [١] فلا والد لى غيرها [١] ﴿ و لم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ بأن أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق ، إنما أفعل ذلك بمن يستحق ، و فيه ٥ إيماء إلى أن التجبر المذموم فعل أولاد الزنا ، و ذلك أنه يستشعر ما عنده من النقص فيريد أن يجبره بتجبره ، ثم أخبر بما له من الله من الكرامة الدائمة مشيرا إلى أنه لا يضره [عدو - [٣]] ، و إلى أنه عبد لا يصلح أن يكون إلها و إلى البعث فقال : ﴿ و السلم ﴾ أى جنسه ﴿ علىّ ﴾ فلا يقدر أحد على ضررى ﴿ يوم ولدت ﴾ [١] فلم يضرنى / الشيطان[١] و من يولد /٤١٦ ١٠ لا يكون إلها ﴿ و يوم اموت ﴾ كذلك أموت كامل البدن و الدين ، لا يقدر أحد على انتقاصهما[٤] متى كائنا من كان ﴿ و يوم ابعث حيا ﴾ يوم القيامة كما تقدم [فى - [٥]] يحيى عليه السلام ، إشارة إلى أنه فى البشرية مثله سواء لم يفارقه أصلا إلا فى كونه من [غير - [٣]] ذكر ، و إذا كان جنس السلام عليه كان اللعن على أعدائه ، فهو بشارة لمن صدقه فانه منه ، و نذارة ١٥ لمن كذبه ، [٦] و لم يكن لنبينا صلى الله عليه و سلم مثل هذه الخارقة لئلا يلتبس[٧] حاله بالكهان ، لأن قومه لا عهد لهم بالخوارق إلا عندهم ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتفاعهما (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى «اليابس و غيرها» ص ١٩٥ س ٤ ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : يلبس .

و إذا

و إذا تقرر ذلك فى نفوسهم من[1] الصغر صعب زواله ، و لم يكن هناك ما ينفيه حال الصغر ، فعوض عن ذلك إنطاق الرضعاء كمبارك اليمامة[2] و غيره ، و إنطاق الحيوانات العجم ، بل و الجمادات كالحجارة و ذراع الشاة المسمومة و الجذع [اليابس -[3]] و غيرها .

و لما كان فى ذلك من أقوال عيسى و أحواله - المنادية بالحاجة ٥ للتنقل فى أطوار غيره من البشر [4]و الكرامة من الله[4] - أعظم البيان عن بعده عما ادعى فيه النصارى من الإلهية و اليهود من أنه لغير رشده ، نبه على ذلك مشيرا إليه بأداة[5] البعد فقال مبتدئا[6] : ﴿ذٰلك﴾ أى [6]الولد العظيم الشأن ، العلى الرتبة ، الذى هذه أحواله و أقواله البعيدة عن صفة الإلٰه [و صفة من ارتاب فى أمره -[3]] ؛ ثم[7] بين اسم الإشارة أو أخبر فقال : ١٠ ﴿عيسى ابن مريم ع﴾ أى[6] وحدها ليس لغيرها فيه بنوة أصلا ، و هى من أولاد آدم ، فهو[8] كذلك ؛ ثم عظم هذا البيان تعظيما آخر فقال : ﴿ قول ﴾ أى هو - أى نسبته إلى مريم فقط - قول ﴿ الحق ﴾ أى الذى يطابقه الواقع ، أو يكون القول عيسى نفسه كما أطلق عليه فى غير هذا الموضع " كلمة " من تسمية المسبب باسم السبب و هو على هذه ١٥

(١) من مد ، وفى الأصل : فى (٢) قد مر عليه التعليق فيما مضى (٣) زيد من مد.
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد فى الأصل : الفعل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل « و » ، والعبارة من هنا بما فيها الواو ساقطة من ظ إلى «أخبر فقال » (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهى .

القراءة خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف[1]. [و على قراءة عاصم و ابن عامر بالنصب، هو اغراء، أى الزموا ذلك و هو نسبته إلى مريم عليها السلام وحدها - [2]] ثم عجب من ضلالهم فيه بقوله: ﴿الذى فيه يمترون﴾ أى يشكون [شكا - يتكلفونه و يجادلونه به -[3]] [4]مع أن أمره فى غاية الوضوح، ليس موضعا للشك أصلا[4]؛ ثم دل على ٥ كونه حقا فى كونه ابن مريم لا غيرها بقوله ردا على من ضل: ﴿ما كان﴾ [5]أى ما صح و لا تأتى و لا تصور فى العقول و لا يصح و لا يتأتى[6] لأنه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة ﴿لله﴾ الغنى عن كل شيء ﴿ان يتخذ﴾ و لما كان المقام يقتضى النفى العام، أكده ١٠ بـ "من" فقال: ﴿من ولد﴾.

و لما كان اتخاذ الولد من النقائص، أشار إلى ذلك بالتنزيه العام بقوله: ﴿سبحنه﴾ أى تنزه عن كل نقص من احتياج إلى ولد أو[7] غيره ثم علل ذلك بقوله: ﴿اذا قضى امرا﴾ [8]أى أمر كان ﴿فانما يقول له كن﴾ أى يريده و يعلق قدرته به ﴿فيكون﴾ من غير حاجة إلى شيء أصلا،

---

(١) العبارة من «وهو على هذه» ص ١٩٥ س ١٥ إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من مد، و زيد فى ظ: و يجادلون - فقط (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «منه الحاجة» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: لا يأتى (٧) فى ظ «و» (٨) بهامش ظ: المراد بالأمر هنا العموم لأن النكرة إذا وقعت فى سياق الشرط افادت ذلك فتنبه لهذا.

فكيف ينسب إلى الاحتياج إلى الأحبال و الإيلاد و التربية شيئا فشيئا - كما أشار إليه الاتخاذ[1] .

و لما كان لسان الحال ناطقا عن عيسى عليه الصلاة و السلام بأن يقول: و قد قضاني الله فكنت كما أراد ، فأنا عبد الله و رسوله فاعتقدوا ذلك و لا تعتقدوا سواه من الأباطيل ، عطف عليه [2]في قراءة الحرميين[3] و أبي ٥ عمرو قوله : ﴿ و ان الله ﴾ [4]أي الذي له الأمر كله[4] ﴿ربي و ربكم﴾ أي[5] ‎/٤١٧ أحسن إلى كل منا[6] بالخلق و الرزق ، لا فرق بيننا في أصل ذلك ﴿ فاعبدوه[4] ﴾ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده ، [7]و قراءة الباقين بالكسر على [أنه - [8]] مقول عيسى عليه السلام الماضي ، و يكون اعتراض ما تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد و الاهتمام . ١٠

و لما كان اشتراك الخلائق في عبادة الخالق بعمل القلب و الجوارح علما و عملا أعدل الأشياء ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ هذا ﴾ أي الذي أمرتكم به ﴿ صراط مستقيم ﴾ لأنا بذلنا الحق لأهله بالاعتقاد[9] الحق

(١) من مد ، و في الأصل : الايجاد ؛ و العبارة من « كما أشار » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « أبي عمرو » ساقطة من ظ (٣) من مد و البحر المحيط ٦ / ١٨٩ ، و في الأصل : الحرمي (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى « و الاهتمام » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) زيدت الواو في الأصل و ظ ، و لم تكن في مد فحذفناها .

و العمل الصالح، و لم يتفضل أحد منا فيه على صاحبه .

و لما كان المنهج تقويم بحيث[1] يكون سببا للاجتماع عند كل صحيح المزاج، عجب منهم فى استثمار غير ذلك منه فقال: ﴿فاختلف﴾ أى فتسبب عن هذا السبب للاجتماع أنه اختلف ﴿الاحزاب﴾ الكثيرون[2]. و لما كان الاختلاف لم يعم جميع المسائل التى[3] فى شرعهم [قال ـ[4]] : ﴿من بينهم ج﴾ أى بنى إسراءيل المخاطبين بذلك خاصة [5]لم تكن فيهم[5] فرقة من غيرهم فى هذه المقالة القويمة التى لا تنبغى لمن له أدنى مسكة أن يتوقف فى قبولها، فمنهم من علم أنها الحق فاتبعها و لم يحد عن صوابها، و منهم من أبعد فى الضلال عنها بشبه لا شىء أوهى منها؛ روى عن قتادة أنه اجتمع من أحبار بنى إسراءيل أربعة[6]: يعقوب و نسطور و ملكا و إسراءيل، فقال يعقوب: عيسى هو الله نزل[7] إلى الأرض فكذبه الثلاثة و أتبعه اليعقوبية، و قال نسطور عيسى ابن الله، فكذبه الاثنان و اتبعه النسطورية، و قال ملكا: عيسى أحد

(١) بهامش ظ: خبر «كان» إذ المعنى: كائنا بحيث (٢) بهامش ظ: إنما قال الشيخ: الكثيرون، مع أن الأحزاب جمع، فلو نظر إلى المفرد إذ «حزب» يصدق على الجماعة الكثيرة و الجمع فيه ما فى المفرد و زيادة ـ انتهى. و العبارة من بعده إلى «فى شرعهم» ساقطة من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: الذى. (٤) زيد من مد (٥ ـ ٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لم يكن فيه (٦) تقدم فى ظ على «من أحبار» (٧) من ظ و مد و البحر المحيط، و فى الأصل: نزل.

ثلاثة

ثلاثة[1] : الله إله، و مريم إله، و عيسى إله ، فكذبه الرابع و اتبعه طائفة ، و قال إسراءيل : عيسى عبد الله كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ، فاتبعه فريق من بني إسراءيل ، ثم اقتتل الأربعة فغلب المؤمنون و قتلوا[2] و ظهرت اليعقوبية على الجميع - ذكر معناه أبوحيان[3] و ابن كثير و رواه عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . ﴿ فويل ﴾ أي فتسبب عن اختلافهم أنا نقول : ويل ٥ ﴿ للذين كفروا ﴾ منهم و من غيرهم ﴿ من مشهد يوم عظيم ۞ ﴾ في جمعه لجميع[4] الخلائق ، و ما فيه من الأهوال و القوارع[5] .

و لما كان ذلك المشهد عظيم الجمع ، شديد الزحام ، مستوى الأرض ، بعيد الأرجاء ، كان حاله مقتضيا لئلا يطلعوا على غير ما يليهم من أهواله ، فقال في جواب من يقول : و ما عسى أن يسمعوا أو[6] يبصروا فيه ، [7]معلما ١٠ بأن حالهم في شدة السمع و البصر جديرة[8] بأن يعجب منها : ﴿ اسمع بهم و ابصر لا ﴾ أي ما أشد سمعهم و ما أنفذ بصرهم ! ﴿ يوم ياتوننا ﴾ سامعين لكل أهواله ، مبصرين لسائر أحواله ، فيطلعون بذلك على جميع ما أدى عمله[9] في الدنيا إلى ضرهم في ذلك اليوم ، و جميع ما كان ينفعهم لو عملوه ، فيندمون حيث لا ينفعهم الندم ، و يتمنون المحال من الرجوع ١٥ إلى الدنيا و نحوه ليتداركوا فلا يجابون إلى ذلك ، بل يسلك بهم في كل

(١) زيد في مد : يعني (٢) ليس في البحر (٣) راجع البحر ٦ / ١٩٠ (٤) من مد ، و في الأصل : الجميع . و هذه الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : القواع (٦) من ، و في الأصل و ظ « و » (٧) العبارة من هنا إلى « يعجب منها » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و في الأصل : كل جدير . (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : عمه .

/٤١٨ ما يؤذيهم و يهلكهم و يرديهم ، فيكونون بسلوك ذلك - و هم / يعلمون ضرره[1] عميا و بكما و صما ، لأنهم لا ينتفعون بمداركهم كما كانوا في الدنيا كذلك ، لكنهم - هكـذا كان الأصل ، و إنما[2] أظهر فقال : ﴿ لكن الظلمون ﴾ تنبيها عـلى الوصف الذي أحلهم ذلك المحل
٥ ﴿ اليوم في ضلل مبين ه ﴾ [لا -[3]] يسمعون و لا يبصرون .

و لما كان هذا [الذي -[4]] تقدم إنذارا بذلك المشهد ، كان التقدير : [5]أنـذر قومك[5] ذلك المشهد و ما يسمعونه فيه و يبصرونه ﴿ وانذرهم يوم الحسرة ﴾ نفسه في ذلك المشهد العظيم ، يوم تزل القدم ، و لا ينفع الندم ،[6] للمسيء على إساءته ، و للمحسن على عدم ازدياده
١٠ من الإحسان[6] .

[و لما كان " يوم " مفعولا ، لا ظرفا ، أبدل منه ، أو علل الإنذار فقال -[3]] : ﴿ اذ ﴾ أي حين ، أو لأنه [و عبر عن المستقبل بالماضي ، إيذانا بأنه أمر حتم لا بد منه فقال -[3]] : ﴿ قضى الامر ه ﴾ أي أمره و فرغ منه بأيسر شأن و أهون أمر ، و قطعنا[7] أنه لا بد من كونه ﴿ و هم ﴾
١٥ حال من " انذرهم[8] " أي و الحال أنهم [الآن -[3]] ﴿ في غفلة ﴾ عما قضينا [أن يكون في ذلك الوقت -[3]] من أمره ، لا شعور لهم بشيء منه ،

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : ضررهم (٢) في مد : لكنه (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد . و في الأصل : انذرهم للمسئ على اساءته و المحسن على ازديـاده من الاحسان في - كذا ، و سيأتي بفرق يسير . (٦-٦) سقط مابين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : قطعناه . (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : انذارهم .

بل يظنون أن الدهر هكذا حياة و موت بلا آخر[1] ﴿وهم لا يؤمنون ه﴾ بأنه لابد من كونه؛ [و في -[2]] الصحيح ما يدل على أن يوم الحسرة حين يذبح الموت فقد روى مسلم[3] عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؛ فيشرئبون[4] و ينظرون ٥ و يقولون: نعم! هذا الموت. و يقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون[4] و ينظرون و يقولون: نعم! هذا الموت، فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، و يا أهل النار! خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم - و في رواية: فذلك قوله[5] "و انذرهم يوم الحسرة [6]اذ قضى الامر[6]" الآية. و أما الغفلة ففي[7] ١٠ الدنيا. روى ابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه و سلم "اذ قضى الامر و هم في غفلة" قال: في الدنيا. قال المنذري: و هو في مسلم بمعناه في آخر حديث[8].

و لما كان الإرث[9] هو حوز الشيء بعد موت أهله، و كان سبحانه

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: آخرة (٢) زيد من ظ و مد (٣) باب جهنم - أعاذنا الله منها، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها (٤) في مد: فيسرئبون. (٥) من ظ و مد وصحيح مسلم حديث عثمان بن أبي شيبة، و في الأصل: قولهم. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: في. (٨) راجع حديث أبي بكر بن أبي شيبة باب جهنم - أعاذنا الله منها (٩) من ظ و مد، و في الأصل: الحوز.

قد قضى بموت الخلائق أجمعين ، و أنه يبقى وحده ، عبر عن ذلك بالإرث مقررا به مضمون الكلام السابق ، فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم: إن الدهر لايزال هكذا ، حياة لقوم[1] و موت لآخرين[2] ﴿انا نحن﴾ [3]بعظمتنا التي قتضت ذلك و لابد ، و أفاد [الأصبهاني أن ـ[4]] تأكيد اسم [5]إن ، [أفاد ـ[4]] أن الإسناد إليه سبحانه لا إلى أحد من جنده ﴿نرث الارض﴾ فلا ندع بها عامرا [5]من عاقل و لا غيره . و لما كان العاقل أقوى من غيره ، صرح به بعد دخوله فقال[5]: ﴿و من عليها﴾ [5]أى من العقلاء[5] ، بأن نسلبهم جميع ما فى أيديهم ﴿و الينا﴾ لا إلى [5]غيرنا من[5] الدنيا[6] [5]و جبابرتها[5] [إلى غير ذلك ـ[4]] ﴿يرجعون﴾ معنى[7] فى الدنيا [وحسا ـ[4]] بعد الموت .

و لما ذم الضالين فى أمر المسيح ، و علق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب ، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث ، و غيرهم بأنهم لسوء[8] أعمالهم كالمكذبين به ، و ختم ذلك بأنه الوارث و أن الرجوع إليه ، و دخل فى ذلك الإرث بغلبة أنبيائه و أتباعهم على أكثر أهل

---

(١) من مد ، و فى الأصل : لنا (٢) من مد ، فى الأصل : لاخرى ؛ والعبارة من « مؤكدا تكذيبا » إلى هنا ساقطة من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « من جنده » ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى الأصل : أهل الدنيا ، و التصحيح من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل : من ؛ و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ مع الكلمتين التاليتين .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بسوء .

الارض

الأرض برجوع أهل الأديان [1]الباطلة إليهم[1] حتى يعم ذلك جميع أهل الأرض فى زمن عيسى عليه الصلاة و السلام[2]، وكان إبراهيم عليه السلام لكثرة / أولاده من العرب و الروم و أهل الكتابين وارثا لأكثر[3] الأرض، و كان مثل زكريا فى هبة الولد على كبر سنه و عقم زوجه، أتبع ذلك قوله: ﴿و اذكر﴾ [4]أى يا محمد[4]! ﴿فى الكتٰب﴾ [5]أى الذى أنزل عليك [و -[6]] تبلغه للناس و تعلمهم أن [هذه -[6]] القصة من القرآن ﴿ ابرٰهيم ﴾ أعظم آبائكم الذى نهى أباه عن الشرك يا من يكفرون تقليدا للآباء! ثم علل تشريفه بذكره [له على سبيل التأكيد المعنوى بالاعتراض بين البدل و المبدل منه، و اللفظى بـ "إن" بقوله منبها على أن مخالفتهم له بالشرك و الاستقسام بالأزلام و نحو ذلك تكذيب بأوصافه الحسنة -[7]]: ﴿ انه كان ﴾ [أى جبلة و طبعا -[6]] ﴿صديقا﴾ أى بليغ الصدق [4]فى نفسه فى أقواله و أفعاله[4]، و التصديق بكل ما يأتيه [مما -[8]] هو أهل لأن يصدق [لأنه -[6]] مجبول[9] على ذلك [و لا يكون كذلك إلا و هو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص -[8]]

/ ٤١٩

٥

١٠

(١-١) من مد، و فى الأصل: الى ادناهم - كذا (٢) العبارة من «وأن الرجوع» إلى هنا ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لأهل اكثر.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « من القران » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد، و زيد فى ظ: له بقوله - فقط.
(٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: مجبولا.

﴿ نبياء ﴾ [أي يخبره الله بالأخبار العظيمة جدا التي يرتفع بها في الدارين - [1]] وهو أعظم الأنبياء بعد محمد - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام [[2] كما رواه الحافظ أبو البزار بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه [3] وأكده وكذا أكد فيما بعده - [3]] [4] من الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا ٥ مقرين بنبواتهم تنزيلا لهم منزلة المنكر، لجريهم في إنكارهم نبوة البشر على غير مقتضى علمهم.

ولما [4] تكفل ما تقدم من هذه السورة بنفي الشريك بقيد كونه ولدا، أتبع ذلك من قصته ما ينفي الشريك ليقتدي به أولاده في ذلك إذ كانوا يقلدون الآباء وليس في آبائهم مثله، فقال مبدلا [5] من " ابراهيم " ١٠ ﴿ اذ قال ﴾ [3] أي اذكر وقت قوله [3] ﴿ لابيه ﴾ هاديا له من تيه الضلال [3] بعبادة الأصنام مستعطفا له في كل جملة بقوله [3] : ﴿ يأبت ﴾.

ولما كان العاقل لا يفعل فعلا إلا لثمرة [6]، نبهه على عقم فعله [7] بقوله: ﴿ لم تعبد ﴾ [3] مريدا بالاستفهام المجاملة، واللطف والرفق واللين والأدب ١٥ الجميل في نصحه له كاشفا الأمر غاية الكشف بقوله [3] : ﴿ ما لا يسمع ولا يبصر ﴾ أي ليس عنده قابلية لشيء من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من خدمته أو يجيبك إذا [8] ناديته حالا أو مآلا. [3] ولما كان الأعمى الأصم [3]

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ ومد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٤-٤) تقدم ما بين الرقمين في الأصل على « نبيا » والترتيب من مد، وسقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من مد، وفي الأصل وظ: لنموه (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: فعلمه (٨) من مد، وفي الأصل وظ: اذ.

[١]قد ينفع بكلام أو غيره، قال[١]: ﴿ و لا يغنى عنك شيئا ه ﴾ [٢]من الإغناء.

و لما نبهه على أن ما يعبده لا يستحق العبادة، بل لا تجوز عبادته، لنقصه مطلقا ثم نقصه عن عابده، و لن يكون المعبود دون العابد أصلا، وكان أقل ما يصل إليه بذلك مقام الحيرة. نبهه على أنه أهل للهداية، فقال مكررا لوصفه المذكور بالعطف و الود: ﴿ يٰـأبت ﴾ [٣]و أكد ٥ علما منه أنه ينكر أن يكون ابنه أعرف[٤] منه بشيء فقال: ﴿ انى قد جآءنى ﴾ من المعبود الحق ﴿ من العلم ما لم ياتك ﴾ [٣]منه ﴿فاتبعنى﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لك وجوبا على النهى عن المنكر و نصيحة لما لك على من الحق: [٥]اجتهد فى تبعى[٥] ﴿ اهدك صراطا سويا ه ﴾ لا عوج فيه، [٦]كما أنى لو كنت معك فى طريق محسوس و أخبرتك أن ١٠ أمامنا مهالك[٧] لا ينجو منها أحد، و أمرتك أن تسلك مكانا غير ذلك، لأطعتنى، و لو عصيتنى فيه عدك كل أحد غاويا.

و لما بين أنه لا نفع فيما يعبده، و نبهه[٨] على الوصف المقتضى لوجوب الاقتداء به، بين له ما فى عبادة معبوده من الضر فقال: ﴿ يٰـأبت لا تعبد الشيطٰن ﴾ فان الأصنام ليس لها ١٥ دعوة أصلا، و الله تعالى قد حرم عبادة غيره مطلقا على لسان كل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى مد: أى (٣) العبارة من هنا إلى «بشيء فقال» ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد. وفى الأصل: عرف (٥-٥) فى ظ: اتبعنى (٦) العبارة من هنا إلى «أحد غاويا» ساقطة من ظ (٧) فى مد: مهلكا. (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: نبه.

ولى له ، فتعين أن يكون الآمر بذلك الشيطان ، فكان هو المعبود
بعبادتها فى الحقيقة ؛ ثم علل هذا النهى فقال : ﴿ان الشيطن﴾ البعيد
من كل خير [المحترق باللعنة -[1]] ، [2]وذكر الوصف الموجب / للاملاء ٤٢٠ /
للعاصى فقال[2] : ﴿ كان للرحمن ﴾ المنعم بجميع النعم القادر على سلبها ،
٥ [3]ولم يقل : للجبار - لئلا يتوهم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للعجز
عنه[3] ﴿ عصياه ﴾ بالقوة من حين خلق ، وبالفعل من حين[3] أمره
بالسجود لأبيك آدم فأبى فهو عدو لله وله ، والمطيع للعاصى لشيء
عاص لذلك الشيء ، لأن صديق العدو عدو .

فلما بين له أنه بذلك عاص للنعم ، خوفه من إزالته لنعمته فقال :
١٠ ﴿ يٰابت انى اخاف ﴾ لمحبتى لك وغيرتى عليك ﴿ ان يمسك عذاب ﴾
[أى عذاب كان[3] ﴿ من الرحمن ﴾ [4]أى الذى هو ولى كل من
يتولاه[4] لعصيانك إياه ﴿ فتكون ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن تكون
﴿ للشيطن ﴾ وحده [وهو عدوك المعروف العداوة -[1]] ﴿ وليا ﴾
فلا يكون لك نصرة أصلا ، [2]مع ما يوصف به من السخافة باتباع
١٥ العدو الدنى ، واجتناب الولى العلى[2] .

فلما وصل إلى هذا الحد من البيان ، كان كأنه قيل : ما ذا كان
جوابه ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مقابلا لذلك الأدب العظيم والحكمة البالغة

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد ، وفى
الأصل وظ : حيث (٤-٤) أخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «وحده» وسقط
من ظ .

الناشئة عن لطافة العلم بغاية الفظاظة الباعث عليها كثافة الجهل ، منكرا عليه فى جميع ما قال بانكار ما بعثه عليه من تحقير آلهته : ﴿ اراغب ﴾ قدم[1] الخبر لشدة عنايته و التعجيب من تلك الرغبة و الإنكار لها ، إشارة إلى أنه لايفعلها أحد ؛ ثم صرح له[2] بالمواجهة بالغلظة فقال : ﴿ انت ﴾ و قال : ﴿ عن الهتى ﴾ باضافتها إلى نفسه فقط ، إشارة إلى مبالغته فى ٥ تعظيمها ؛ و الرغبة عن الشيء : تركه عمدا . ثم ناداه باسمه لا بلفظ النبوة المذكر بالشفقة و العطف زيادة فى الإشارة إلى المقاطعة و توابعها فقال : ﴿ يابرٰهيم ﴾ ثم استأنف قوله مقسما : ﴿ لئن لم تنته ﴾ عما أنت عليه ﴿لارجمنك﴾ أى لأقتلنك ، فان ذلك جزاء المخالفة فى الدين ، فاحذرنى و لا تتعرض لذلك منى [3]و انته[3] ﴿ و اهجرنى ﴾ أى ابعد عنى ﴿ مليا ه ﴾ ١٠ أى زمانا طويلا [لأجل ما صدر منك هذا الكلام -[4]] ، و فى ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تأسية فيما كان يلقى من الأذى . و يقاسى من قومه من العناء ، [3]و من عمه أبى لهب من الشدائد و البلايا[3] - بأعظم آبائه و أقربهم به شبها ﴿ قال ﴾ [أى -[4]] إبراهيم عليه السلام مقابلا لما كان منه من طيش الجهل بما[5] يحق لمثله من رزانة ١٥ العلم : ﴿سلٰم عليك ج﴾ أى أنت سالم منى ما لم أومر فيك بشيء ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ساستغفر﴾ [3]بوعد لا خلف فيه[3] ﴿لك ربى[4]﴾ [أى -[4]]

(١) فى مد : فقدم ؛ و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «لايفعلها أحد» (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : به (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما .

المحسن إلى بأن أطلب لك منه غفران ذنوبك بان يوفقك للاسلام الجاب لما قبله ، لأن هذا كان قبل أن يعلم أنه عدو لله محتوم[١] بشقاوته بدليل عدم جزمه بعذابه فى قوله "انى اخاف أن يمسك".

ثم علل إقدامه على ذلك إشارة إلى أنه مقام خطر بما له من

٥ الإذلال لما له من مزيد القرب فقال: ﴿انه كان بى﴾ أى [فى-[٢]] جميع أحوالى ﴿حفيا﴾ [أى-[٣]] مبالغا[٤] فى إكرامى مرة بعد مرة وكرة[٥] إثر كرة، ثم عطف على وعده بالإحسان وعده بما سأل فيه من الهجرة فقال: ﴿و اعتزلكم﴾ [أى-[٣]] جميعا بترك بلادكم: [٦]و أشار إلى أن من شرط المعبود أن يكون أهلا [٧]للمناداة فى الشدائد[٧] بقوله:

١٠ ﴿و ما تدعون﴾ أى تعبدون ﴿من دون الله﴾ [٨]الذى له / الكمال كله، فمن أقبل عليه وحده أصاب، و من أقبل على غيره فقد خاب[٨] و لم يقيد الاعتزال بزمن، بل أشار إلى أنهم ما داموا على هذا الدين فهو معتزل لهم ﴿و ادعوا﴾ أى أعبد ﴿ربى صلے﴾ وحده لاستحقاقه ذلك منى بتفرده بالإحسان إلى، ثم دعا لنفسه بما نبههم به على خيبة مسعاهم

١٥ فقال [غير-[٣]] [٨]جازم باجابة دعوته و قبول عبادته إجلالا لربه و هضما لنفسه[٨]: ﴿عسى الا اكون﴾ [٨] أى كونا ثابتا كأنه احترز بذلك[٨]

٤٢١ /

---

(١) فى ظ: مختوم (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مبالغة (٥) زيد فى مد: فى (٦) العبارة من هنا إلى «الشدائد بقوله» ساقطة من ظ (٧-٧) من مد، و فى الأصل: للنا و اكد فى الشديد - كذا.

(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[١]عما لا بد للأولياء منه فى الدنيا من البلاء[١] ﴿بدعآء ربى﴾ [٢]المتفرد بالإحسان إلى[٢] ﴿شقيا﴾ كما كنتم أنتم أشقياء بعبادة ما عبدتموه، لأنه لا يجيب دعاءكم و لا ينفعكم [٣]و لا[٣] يضركم.

و لما رأى من أبيه و معاشريه ما رأى، عزم على نشر شقة النوى مختارا للغربة فى البلاد على غربة الأضداد، فكان كما قال [الإمام - [٤]] ٥ أبو سليمان[٥] الخطابى رحمه الله:

و ما غربة[٦] الإنسان فى شقة النوى   و لكنها و الله فى عدم الشكل
وإنى غريب بين بست [و - [٧]] أهلها   و إن كان فيها أسرتى و بها أهلى[٨]

[١]و حقق ما عزم عليه[١]؛ ثم بين سبحانه و تعالى تحقيق رجائه و إجابة دعائه فقال: ﴿فلما اعتزلهم﴾ أى بالهجرة إلى الأرض المقدسة ١٠ ﴿و ما يعبدون﴾ [١]أى على الاستمرار[١] ﴿من دون الله﴾ الجامع لجميع معانى العظمة التى لا ينبغى العبادة لغيره ﴿وهبنا﴾ [١]أى على ما لنا من العظمة[١] ﴿له﴾ كما هو الشأن فى كل من [ترك - [٤]] شيئا لله ﴿اسحق﴾ ولدا له لصلبه من زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها سن اليأس و أخذه هو فى السن إلى حد لا يولد لمثله ﴿و يعقوب﴾ ولدا لإسحاق و خصهما ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من مد، و فى الأصل: بل (٣) العبارة من «لأنه لا يجيب» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد و يتيمة الدهر ٤/٢٣١، و اسمه أحمد بن محمد بن إبراهيم البستى، و فى الأصل: أبو موسى (٦) فى اليتيمة: عمة (٧) زيدت الواو من ظ و مد و اليتيمة (٨) من ظ و مد و اليتيمة، و فى الأصل: اهل.

بالذكر للزومهما محل إقامته و قيامهما بعد موته بخلافته فيه و أما إسماعيل عليه السلام فكان الله سبحانه هو المتولى لتربيته بعد نقله رضيعا إلى المسجد الحرام و إحيائه به تلك المشاعر العظام [فأخروه بالذكر جاعلا له أصلا برأسه -[1]]؛ ثم صرح [بما وهب -[2]] لأولاده جزاء على هجرته فقال:

٥ ﴿ و كلا ﴾ أى منهما ﴿جعلنا نبيا ﴿٤٩﴾﴾ عالى المقدار، و بخبر بالأخبار كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نبيا ﴿ و وهبنا لهم ﴾ كلهم ﴿ من رحمتنا ﴾ [3]أى شيئا عظيما جدا[3]، بالبركة فى الأموال و الأولاد و إجابة الدعاء، و اللطف فى القضاء[3]و غير ذلك من خيرى الدنيا و الآخرة[3] ﴿و جعلنا لهم﴾ [3]بما لنا من العظمة[3] ﴿ لسان صدق عليا ﴿٥٠﴾ ﴾ [4]أى ذكرا صادقا رفيع

١٠ القدر جدا[5] يحمدون به و يثنى عليهم من جميع [أهل -[2]] الملل على كر الأعصار، و مر الليل و النهار، و عبر [3]باللسان عما يوجد به[3]، و فى ذلك ترغيب فى الهجرة ثانيا بعد ما رغب فيها بقصة أهل الكهف أولا، و أشار إليها بقوله فى "سبحن" "و قل رب ادخلنى مدخل صدق" - الآية[6].

١٥ و لما كان موسى أول من نوه الله بأسمائهم، على لسانه فى التوراة، و أظهر محامدهم، و شهر مناقبهم، و توارث ذلك أبناؤهم منه حتى شاع أمرهم و ذاع، و ملأ الأسماع، و طار فى الأقطار، حتى عم البرارى و البحار، عقب ذكرهم بذكره فقال: ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) زيد فى ظ: اى لسانا (٥) سقط من ظ (٦) ٨٠.

أى

[١]أي الذي لا كتاب مثله في الكمال[١] ﴿موسى[٢]﴾ أي الذي أنقذ الله به بني
إسرائيل من العبودية و الذل حتى تمكنوا من آثار[٣] آبائهم ، و كان
موافقا لأبيه إبراهيم عليهم السلام في أن كلا منهما أراد ملك زمانه
الذي ادعى الربوبية قتله خوفا على / ملكه منه ، فأنجاه الله منه ، و أمر موسى / ٤٢٢
أعجب لأنه سبحانه أنجاه من الذبح بالذباح ، ثم علل ذكره له بقوله : ٥
﴿انه كان﴾ أي كونا عريقا فيه[٣] ﴿مخلصا﴾ [لله تعالى -[٤]] في توحيده
و جميع أعماله [- كما أشارت إليه قراءة الجمهور - من غير كلفة في شيء،
في ذلك -[٥]] لأن الله أخلصه له[٦] كما في[٦] قراءة الكوفيين بالفتح
﴿و كان رسولا﴾ إلى بني إسرائيل و القبط ﴿ نبياء ﴾ ينبئه الله بما يريد
من وحيه لينبيء به المرسل إليهم ، فيرفع بذلك قدره ، فصار الإخبار ١٠
بالنبوة عنه مرتين : إحداهما في ضمن " رسولا " و الآخرى صريحا مع
إفهام العلو باشتقاقه من النبوة ، و بكون النبأ لا يطلق غالبا إلا على خبر
عظيم ، فصار المراد : رسولا عاليا مقداره و يخبر بالأخبار الجليلة ، و فيه
دفع لما قد يتوهم من أنه رسول عن بعض رسله كما في أصحاب يس ؛
و عطف على ذلك دليله الدال على ما صدرت به السورة من الرحمة ، ١٥
فرحمه بتأنيس وحشته و تأهيل غربته بتلذيذه بالخطاب و إعطائه الكتاب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : اظهار .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦-٦) من مد ، و في
الأصل : لأن ، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى
« الكوفيين بالفتح » .

فقال: ﴿و ناديْنه﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿من جانب الطور﴾ أى[1] الجانب ﴿الايمن﴾ فأنبأناه هنالك - حين كان متوجها إلى مصر - بأنه رسولنا، ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون. فكان لبنى إسراءيل به من العجائب فى رحمتهم بانزال الكتاب، و الإلذاذ بالخطاب، من جوف السحاب. و فى إماتتهم لما طلبوا الرؤية، ثم إحيائهم و غير ذلك ما يجل عن الوصف على ما هو مذكور فى التوراة، و تقدم كثير منه فى هذا الكتاب ﴿و قربنه﴾ [2]بما لنا من العظمة[2] تقريب تشريف [3]حال كونه[3] ﴿نجيا ه﴾ نخبره من أمرنا بلا واسطة [من النجوى و هى السر و الكلام بين الاثنين كالسر، و التشاور كما فى يوسف و يأتى فى المجادلة -[3]] ﴿و وهبنا له﴾ [4]أى هبة تليق بعظمتنا[4] ﴿من رحمتنا﴾ له لما سألنا[5] ﴿اخاه﴾ أى معاضدة أخيه [1]و بينه بقوله[1]: ﴿هرون﴾ حال كونه ﴿نبيا ه﴾ [2]أو هو بدل أى نبوته[2] شددنا به أزره، و قوينا به أمره، و كان يخلفه فى قومه عند ذهابه إلى ساحة المناجاة، و مع ذلك فأشركوا فى صورة عجل. فلا تعجب من غرورهم للعرب مع مباشرتهم لهذه العظائم.

و لما كان إسماعيل عليه الصلاة و السلام هو الذى ساعد أباه

---

(١) زيد من ظ: جبل الطور (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «رحمتنا» و الترتيب من مد، و كان موضعه فى الأصل: بمالنا من العظمة، و لم يكن فى ظ و مد فحذفناه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سالناه.

إبراهيم عليه السلام فى بناء البيت الذى كان من الأفعال التى أبقى الله بها ذكره، و شهر أمره، و كان موافقا لموسى عليه السلام فى ظهور آية الماء الذى به حياة كل شيء و إن كانت آية موسى عليه السلام انقضت بانقضائه. و آيته هو باقية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، و هى التى كانت سبب حياته و ماؤها[1] ببركته أفضل مياه الأرض، و جعل ٥ سبحانه آية الماء التى أظهرها له سبب حفظه من الجن و الإنس و الوحش و سائر المفسدين، إشارة إلى أنه سبحانه يحيي بولده محمد صلى الله عليه و سلم - الذى غذاه بذلك الماء و رباه عند ذلك البيت إلى أن اصطفاه برسالته، فحسدته اليهود و أمرت بالتعنت عليه - ما لم يحيي بغيره، و يجعله قطب الوجود [كما خصه - [2]من بين آل إبراهيم عليه السلام[2] - بالبيت ١٠ الذى هو كذلك قطب الوجود -[3]]، و يشفى به من داء الجهل، و يغنى به من مرير الفقر، كما جعل ماء زمزم طعام طعم و شفاء سقم، و كان صلى الله عليه و سلم آخر من شيد قدرهم، و أعظم من أعلى ذكرهم، عقب ذكره بذلك فقال: ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾ أباك الأقرب ﴿ اسمعيل ﴾ ابن إبراهيم عليهما السلام [2]الذى هم معترفون بنبوته، و مفتخرون ١٥ برسالته و أبوته، فلزم بذلك فساد تعليلهم إنكار نبوتك بأنك من البشر[2]، ثم علل ذكره و التنويه[4] بقدره / بقوله معلما بصعوبة[5] الوفاء بالتأكيد: / ٤٢٣

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ماهو (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) زيد ما بين الحاجزين من مد و ظ (٤) فى ظ: التنزيه (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بمضمونه - كذا.

﴿ انه كان ﴾ [1]جبلة و طبعا [1] ﴿ صادق الوعد ﴾ [1]فى حق الله و غيره [1]
لمعونة الله له على ذلك، بسبب أنه لا يعد وعدا إلا مقرونا بالاستثناء كما
قال لأبيه حين أخبرهم بأمر ذبحه "ستجدنى ان شاء الله من الصٰبرين"
[فكن أبى كذلك -[2]] "و لا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا الا ان
٥ يشاء الله"، [1]و خصه بالمدح به - و إن كان الأنبياء كلهم كذلك -
لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله[1] ﴿وكان رسولا نبيا ﴾ نبأه الله بأخباره،
و أرسله إلى قومه جرهم[3] قاله الأصبهانى . و أتى أهل تلك البرارى
بدين أبيه إبراهيم عليهما الصلاة و السلام فأحياها الله[4] بنور الإيمان
الناشئ عن روح العلم و وصفه بالرسالة[5] زيادة على وصف أخيه إسحاق
١٠ عليهما السلام [6]و تقدم فى[7] أمر موسى عليه السلام سر الجمع بين الوصفين؛
و فى صحيح مسلم [8]و جامع الترمذى[9] - عن و اثلة بن الأسقع رضى الله عنه
أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام . و فى رواية الترمذى
أن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل . ﴿ وكان يامر اهله بالصلوٰة ﴾
التى هى طهرة البدن و قرة العين و خير العون على جميع المآرب

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) موضعه فى الأصل بياض ملأناه من ظ ومد، وإرساله إلى جرهم قد ذكره البغوى أيضا فى المعالم - راجع هامش اللباب ٤ / ٢٠٢ (٤) زيد فى الأصل و ظ : به، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : بالرئاسة (٦) العبارة من هنا إلى « الوصفين » ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل : من (٨) العبارة من هنا إلى « رواية الترمذى » ساقطة من ظ (٩) راجع باب ما جاء فى فضل النبي صلى الله عليه و سلم - المناقب راجع باب فضل نسب النبى صلى الله عليه و سلم - الفضائل .

﴿ و الزكوة ص ﴾ التى هى طهرة المال ، كما أوصى الله بذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، و تقدم فى هذه السورة أنه سبحانه و تعالى أوصى بذلك عيسى عليه السلام ﴿و كان عند ربه﴾ [1] لعبادته على حسب ما أقامته ربوبيته [1] ﴿مرضيا ﴾ فاقتد أنت به فانه من أجل آبائك ، لتجمع بين طهارة القول و البدن و المال ، فتنال رتبة الرضا ، ٥

و لما كان إسماعيل عليه السلام قد رفع بالسكنى حيا إلى أعلى مكان فى الأرض رتبة ، و كان أول نبى رمى بالسهام ، و كان إدريس عليه السلام - [1] مع رفعته إلى المكان العلى [1] - أول من اتخذ السلاح و قاتل الكفار ، و أول من نظر فى علم النجوم [1] و الحساب [1] ، و خط بالقلم ، و خاط الثياب [1] و لبس [1] [الجبة - [2]] . و كان أغربهم قصة ، و أعجبهم ١٠ أمرا ، و أقدمهم زمنا ، ختم به هذه القصص [تأييدا لهذا النبى الكريم ، بما بين له من القصص - [3]] التى هى أغرب مما أمر اليهود بالتعنت فيه ، و إشارة إلى أن الله تعالى يؤتى أتباعه من علوم إدريس الأرضية و السماوية [4] مما يستحق أن يحفظ بالخط و يودع بطون الكتب لضيق الصدور عن حفظه ما لم يؤته أمة من الأمم ، و أنه يجمع شملهم ، و ترهيبا ١٥ للتعنتين بأنهم إن لم ينتهوا وضع فيهم السلاح كما فعل إدريس عليه السلام بكفار زمانه فقال : ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾ [أى - [5]] [6] الجامع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد ؛ و هذه المزايا قد ذكرها البغوى أيضا - راجع هامش اللباب ٤/ ٢٠٢ (٣) زيد من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : السمواتية (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى «المتأخرين» ص ٢١٦ س . سقطت من ظ .

لكل ما يحتاج إليه من قصص المتقدمين و المتأخرين ﴿ادريس ز﴾ أى الذى هو أبعد ممن تعنت بهم اليهود زمانا، و أخفى منهم شأنا، و هو جد أبى نوح عليه السلام و اسمه حنوخ بمهملة[١] و نون و آخره معجمة ﴿إنه كان صديقا﴾ أى صادقا فى أقواله و أفعاله، و مصدقا بما
٥ أتاه عن الله من آياته على ألسنة الملائكة ﴿نبيا لا ق﴾ ينبئه الله تعالى بما يوحيه [إليه -[٢]] [٣]من الأمر العظيم، رفعة لقدره[٣]، فينبئ به الناس الذين أرسل إليهم ﴿و رفعنه﴾ جزاء منا له على تقواه و إحسانه، [٣]رفعة تليق بعظمتنا، فأحللناه[٣] ﴿مكانا عليا ه﴾ أى الجنة أو السماء الرابعة، و هى التى رآه النبى صلى الله عليه و سلم بها ليلة الإسراء؛ قال ابن قتيبة
١٠ فى المعارف[٤]: و فى التوراة أن / أخنوخ[٥] أحسن قدام الله فرفعه[٦] إليه - /٤٢٤ انتهى. و فى نسخة ترجمة التوراة[٧] [٣]و هى قديمة جدا[٣] و قابلتها مع بعض فضلاء الربانيين من اليهود و على ترجمة سعيد الفيومى[٨] بالمعنى - [و كان هو القارئ - [٩]] ما نصه: و كانت جميع حياة حنوخ ثلاثمائة و خمسا و ستين سنة[١٠]، فأرضى حنوخ الله ففقد لأن الله غيبه، و فى نسخة

(١) و أغلب، ما ضبطه النسابون بالمعجمة المسبوقة بألف (٢) زيد من ظ و مد. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) ص ٨ (٥) من المعارف، و فى الأصول: حنوخ - كما اختاره البقاعى (٦) زيد فى الأصل و مد: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و المعارف فحذفناها (٧) و راجع تفاصيل نسخ التوراة نظم الدرر ١/٢٧٧ - ٢٧٩ (٨) و هى عندهم أحسن التراجم - كما صرح به المؤلف (٩) زيد من مد (١٠) راجع الأصحاح الخامس من سفر التكوين.

أخرى: لأن الله قبله، و في أخرى[1] : لأن الله أخذه . و هو قريب مما قال ابن قتيبة، لأن أصل الكلام عبراني، و إنما نقله إلى العربي المترجمون، فكل ترجم على قدر فهمه من ذلك اللسان، و يؤيد أن المراد الجنة [ما-[2]] في مجمع الزوائد[3] للحافظ نور الدين الهيثمي عن معجمي الطبراني - الأوسط و الأصغر إن لم يكن موضوعا : حدثنا محمد بن واسط ثنا ٥ إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ثنا حجاج بن محمد عن أبي غسان محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن إدريس عليه السلام كان صديقا لملك الموت فسأله أن يريه الجنة و النار، فصعد بادريس فأراه النار ففزع منها، و كاد يغشى عليه فالتف عليه ملك ١٠ الموت بجناحه، فقال ملك الموت: أليس قد رأيتها؟ قال: بلى! ولم أر كاليوم قط، ثم انطلق به حتى أراه الجنة فدخلها فقال له ملك الموت: انطلق! قد رأيتها، قال: إلى أين؟ قال [ملك الموت -[4]] : حيث كنت، قال إدريس: لا و الله! لا أخرج منها بعد إذ دخلتها، فقيل لملك الموت: أليس أنت أدخلته [إياها -[5]] و أنه ليس لأحد دخلها أن ١٥ يخرج منها .

و قال: لا يروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد، و قال الحافظ نور الدين: إبراهيم المصيصي متروك .

---

(١) وهي نسختنا (٢) زيد من ظ و مد (٣) ٨ / ١٩٩ - ٢٠٠ (٤) زيد من ظ ومد و المجمع (٥) زيد من المجمع .

قلت و فى لسان الميزان[1] لتلميذه شيخنا حافظ العصر ابن حجر عن
الذهبي أنه كذاب ، و عن ابن حبان أنه كان يسوى الحديث ، أى يدلس
تدليس التسوية . و فى تفسير البغوى[2] عن وهب قريب من هذا ، و فيه أنه
سأل ملك الموت أن يقبض روحه و يردها إليه بعد ساعة ، فأوحى الله إليه أن
٥ يفعل ، و فيه أنه احتج فى امتناعه من الخروج بأن كل نفس ذائقة الموت و قد
ذاقه ، و أنه لابد من ورود النار[3] و قد وردها ، و أنه ليس أحد يخرج من
الجنة ، فأوحى الله إلى ملك الموت : باذنى دخل الجنة - يعنى : فخل سبيله -
فهو حي هناك . و فى تفسير البغوى[4] أيضا عن كعب و غيره أن إدريس
عليه السلام مشى ذات يوم فى حاجة فأصابه وهج الشمس فقال :
١٠ يا رب ! فكيف بمن يحملها ؟ اللهم ! خفف عنه[5] من ثقلها ، فخفف
عنه فسأل[6] ربه عن السبب فأخبره فسأل أن يكون بينهما خلة ، فأتاه
فسأله إدريس عليه السلام أن يسأل ملك الموت[7] أن يؤخر أجله ،
فقال[8] : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، و أنا مكلمه ، فرفع إدريس
عليه السلام فوضعه عند مطلع الشمس ، ثم أتى ملك الموت و كلمه
١٥ فقال : ليس ذلك إلىّ ، و لكن [إن - [9]] أحببت أعلمته أجله

---

(١) ١/٧١-٧٢ (٢) راجع هامش اللباب ٣/٢٠٣ (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الناس (٤) راجع هامش اللباب ٤/٢٠٣ (٥) من ظ و مد والمعالم ، و فى الأصل : عند (٦) أى الملك؛ والرواية هنا مسرودة فى غاية الوجازة (٧) زيد فى الأصل و ظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) بهامش ظ : فاعل « قال » ضمير يرجع إلى الملك الذى خفف عنه من حملها (٩) زيد من ظ ومد و المعالم .

فيتقدم

[١]فيتقدم فى نفسه[١]، قال : نعم ! فنظر فى ديوانه فقال : إنك كلمتنى فى إنسان / ما أراه يموت أبدا ، قال : وكيف [ذلك -[٢]] ؟ قال : لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس ، قال : فانى أتيتك[٣] و تركته[٣] هناك ، قال : انطلق فلا أراك تجده إلا [و -[٤]] قد مات ، فو الله ما بقى من أجل إدريس - عليه السلام - شىء ، فرجع الملك[٥] فوجده ميتا . و من جيد المناسبات أن إسماعيل و إدريس عليهما الصلاة و السلام اشتركا فى البيان بالعلم و اللسان ، فاسماعيل عليه السلام أول [من أجاد البيان باللسان ، و إدريس عليه السلام أول -[٦]] من أعرب الخطاب بالكتاب ، فقد روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : أول من فتق لسانه بهذه العربية إسماعيل عليه السلام[٧] . و لأحمد عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام[٨] .

٤٢٥ / ٥ ١٠

و لما انقضى كشف هذه الأخبار ، العلية المقدار ، الجليلة الأسرار ، شرع سبحانه ينسب أهلها بأشرف نسبهم ، و يذكر أمتن سببهم[٩] [١٠]هزا

(١-١) فى المعالم : فيقدم لنفسه (٢) زيد من المعالم (٣) من مد و المعالم ، و فى الأصل : تركه ، و فى ظ : اتيته (٤) زيد من ظ و مد والمعالم (٥) فى مد : ملك الموت . (٦) زيد من ظ و مد (٧) وأيضا رواه الشيرازى فى الألقاب عن على و زاد بعده : و هو ابن أربع عشرة سنة - راجع الجامع الصغير ١ / ٩٧ (٨) لم نفز به فى مظانه فى مسند أحمد . و رواه الحكيم عن أبى ذر بأكثر من هنا - راجع الجامع الصغير ١/٩٨ (٩) بهامش ظ : المراد بالسبب الوصلة بين الله و بينهم (١٠) العبارة من هنا إلى « فى السبب » ص ٢٢٠ س ١ ساقطة من ظ .

لمن وافقهم فى النسب إلى الموافقة فى السبب فقال : ﴿ اولٓـئك ﴾ أى العالو الرتب ، الشرفاء النسب ﴿ الذين انعم الله ﴾ بما له من صفات الكمال التى بها أقام آدم عليه السلام وهم فى ظهره ، مع ما طبعه عليه من الأمور المتضادة حتى نجاه من مكر إبليس ، و نجى بها نوحا عليه
٥ السلام و هم فى صلبه من ذلك الكرب العظيم ، و إبراهيم عليه السلام وهم فى قواه مع اضطرام النار و إطفاء السن و إصلاد العظم ، و أعلى بها إسراءيل عليه السلام و بنيه فى سوط الفراق و امتهان العبودية و انتهاك الاتهام حتى كان أبناؤه معدن الملوك و الأنبياء ، و محل الأتقياء و الأصفياء ، إلى غير ذلك من جليل الأنبياء [1]و عظيم الاصطفاء و الاجتباء[1] ﴿عليهم﴾
١٠ بما خصهم به من مزيد القرب إليه ، و عظيم المنزلة لديه ؛ و بين الموصول بقوله : ﴿من النبين﴾ أى المصطفين للنبوة الذين أنبأهم الله بدقائق الحكم ، [1]و رفع محالهم بين الأمم[1] ، و أنبأوا الناس بجلائل الكلم ، و أمروهم بطاهر الشيم .

[1]و لما كانوا بعض بنى آدم الذين تقدم أنا كرمناهم ، قال إشارة إلى
١٥ ما فى ذلك من النعمة عليهم و هم يرونها[1] : ﴿من ذرية ادمق ﴾ صفينا أبى البشر الذى خلقه الله من التراب بيده ، و أسجد له ملائكته ، و إدريس أحقهم بذلك .

و لما كان فى إنجاء نوح عليه السلام و إغراق قومه من القدرة الباهرة ما لا يخفى ، نبه عليه بنون العظمة فى قوله [2]مشيرا إلى أعظم النعمة عليهم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « إلى ذلك » ص ٢٢١ س ٣ ساقطة من ظ .

بالتبعيض، و إلى أن نبيهم من ذريته كما كان هو من ذرية إدريس عليه
السلام الذى هو من ذرية آدم ، فكما كان كل منهم رسولا فكذلك[١]
هو و إبراهيم أقربهم إلى ذلك : ﴿و ممن حملنا مع نوح ز﴾ صفينا أول رسول
أرسلناه بعد افتراق أهل الأرض و إشراكهم ، من خلص العباد ، و أهل
الرشاد ، و جعلناه شكورا ، و إبراهيم أقربهم إلى ذلك ﴿و من ذرية إبرٰهيم﴾ ٥
خليلنا [٢]الذى كان[٣] له فى إعدام الأنداد ما[٤] اشتهر به من فضله بين
العباد ، و إسماعيل و إسحاق أولاهم بذلك ، ثم يعقوب / ﴿و اسرآءيل﴾ / ٤٢٦
صفينا ، و هم الباقون : موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى ابن مريم
بنت داود - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام - [فكما كان هؤلاء
رسلا و هم من ذرية إبراهيم الذى هو من ذرية نوح فكذا نبيكم الذى هو ١٠
من ذرية إسماعيل الذى هو من إبراهيم لصلبه و هو أول أولاده كما كان
إسرائيل من ذريته . فالإرسال من ذرية من هو ابنه لصلبه أولى من
الإرسال من ذرية من بينه و بينه واسطة ، و إلا كان بنو إسرائيل
أشرف منكم و أبوهم أشرف من أبيكم ، فلا تردوا الكرامة ، يا من يتنافسون
فى المفاخر و الزعامة -[٥]] ﴿و ممن هدينا﴾ إلى أقوم الطرق[٦] ﴿و اجتبينا ط﴾ ١٥
أى فعلنا بهم فعل من يتخير الشيء و ينتقيه بأن أسبغنا عليهم من النعم ما
يجل عن الوصف ؛ [٧]و عطف الأوصاف بالواو إشارة إلى التمكن فيها[٧] .

---

(١) من مد ، و فى الأصل : و كذلك (٢) العبارة : من هنا إلى « بين العباد »
ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : قال (٤) من مد ، و فى الأصل :
لما (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الطريق .
(٧ - ٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و ممن » مع سقوطه من ظ ، =

و لما ذكر ما حباهم به، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال [مستأنفا -[1]] ﴿اذا تتلى عليهم ايٰت الرحمن﴾ العام النعمة، فكيف بهم إذا أعلام [جلال أو خصتهم رحمة -[2]] [3]من جلائل النعم، من فيض الجود و الكرم[3]. [فسمعوا خصوص هذا القرآن -[4]] ﴿خروا سجدا﴾ للنعم

٥ عليهم تقربا إليه، لما لهم من البصائر المنيرة فى ذكر نعمه عليهم و إحسانه إليهم ﴿و بكيا ه﴾ خوفا منه و شوقا إليه. فوصفهم بسرعة الخشوع من ذكر الله الناشئ عن دوام الخضوع و الناشئ عنه الإسراع بالسجود فى حالة البكاء، و جعلهما حالتين [4]بالعطف بالواو[4] لعراقة المتحلى بهما فى كل منهما على انفراده، و عبر بالاسم[5] فى كل من السجود و البكاء،

١٠ إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل، لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلا، و إن حصل غير البكاء فللتأنيس لمن[6] أرسلوا إليه ليوصلوه إلى قريب من رتبتهم بحسن عشرتهم على تفاوت المراتب، و تباين المطالب، و حذف ذكر الأذقان لدلالتها

= و الترتيب من مد، و زيد هنا فى الأصل: الذى هو من إبراهيم تسلية و هو أول أولاده، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

(١) زيد من مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل: الأعظم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اين.

كما

- كما تقدم فى سبحٰن[1] - عـلى نوع دهشة . فهى - و إن أعلت صاحبها عمن لم يبلغها - حالة دون مقام الراسخين فى حضرة الجلال ، لأنهم - مع كونهم فى الذروة من مقام الخوف - فى أعلى درجات الكمال من حضور الفكر و انشراح الصدر - لتلق واردات الحق و إلقائها إلى الخلق ، انظر إلى ثبات الصديق رضى الله عنه - لعلو مقامه عن غيره - عند ٥ وفاة النبى صلى الله عليه و سلم مع أنه أوفاهم من المحبة مشربا ، و أصفاهم موردا ، و أوفرهم حزنا ، و أكثرهم غما و هما ، حتى أنه اعتراه لذلك مرض السل حتى مات به وجدا و أسفا [و من هنا تعلم السر فى إرسال النبى صلى الله عليه و سلم الأنبجانية التى الهت فى الصلاة بأعلامها فى الصلاة إلى أبى جهم لأنه رضى الله عنه ربما كان من أهل الجمع فى الصلاة فلا ١٠ يرى غيره سبحانه فناه عن كل فان بخلاف النبى صلى الله عليه و سلم فانه لكماله متمكن فى كل من مقامى الجمع و الفرق فى كل حالة و لهذا يرى من خلفه فى الصلاة و لا يخفى عليه خشوعهم -[2]] .

و لما كان من المقاصد العظيمة تبكيت اليهود ، لأنهم أهل الكتاب و عندهم من علوم الأنبياء [ما -[3]] ليس عند العرب و قد استرشدوهم[4] ١٥ و استنصحوهم ، فقد كان أوجب الواجبات عليهم محض النصح لهم ، فأبدى سبحانه من تبكيتهم ما تقدم إلى أن ختمه بأن جميع الأنبياء كانوا لله

---

(١) راجع آية ١٠٧ (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : استرشدهم العرب .

مجدا و لأمره خضعا. عقب ذلك بتوبيخ هو أعظم داخل فيه و هو أشد مما تقدم لمن خاف الله و رسله فقال: ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ أي [1]في بعض[1] الزمان الذي بعد هؤلاء الأصفياء سريعا ﴿ خلف ﴾ هم في غاية الرداءة ﴿ اضاعوا الصلوٰة ﴾ الناهية عن الفحشاء و المنكر التي هي طهرة ٥ الأبدان، و عصمة الأديان، و أعظم الأعمال، بتركها أو تأخيرها عن وقتها و[2] الإخلال بحدودها، فكانوا لما سواها أضيع، فأظلمت قلوبهم فأعرضوا عن داعي العقل ﴿ و اتبعوا ﴾ [3]أي بغاية جهدهم[3] ﴿ الشهوٰت ﴾ التي توجب العار في الدنيا / و النار في الآخرة، فلا يقربها من يستحق أن / ٤٢٧ يعد بين الرجال، من تغيير أحكام الكتاب و تبديل ما فيه مما تخالف ١٠ الأهواء كالرجم في الزنا، و تحريم الرشى و الربا، و نحو ذلك، و أعظمه كتم البشارة بالنبي العربي الذي هو من ولد إسماعيل ﴿ فسوف يلقون ﴾ أي يلابسون - [3]وعدا لاخلاف فيه[3] بعد طول المهلة - جزاء فعلهم هذا ﴿ غيا ﴾ أي [3]شرا يتعقب[3] ضلالا عظيما، فلا يزالون في عمى عن طريق الرشاد[4] لا يستطيعون إليه سبيلا، و هم على بصيرة من أنهم على خطأ و ضلال، ٥ و لكنهم مقهورون على ذلك بما زين لهم منه حتى صارت لهم فيه أتم رغبة. و ذلك أعظم الشر[5]، و لم يزل سبحانه يستدرجهم بالنعم إلى

(١ - ١) من مد، و في الأصل: من بعد؛ و العبارة من هنا - بما فيها هاتان الكلمتان ساقطة من ظ إلى «الذي» (٢) في ظ: او (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيدت الواو في الأصل. و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٥) من مد، و في الأصل: اثر؛ و العبارة من «وذلك» إلى هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ

أن قطعوا بالظفر و الغلبة حتى أناخت بهم سطوات العزة، فأخذوا على غرة، و لا أنكأ من الأخذ على هذه الصفة بعد توطين النفس على الفوز، و هو من وادى قوله "و نحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا و بكما و صما[1]" مع قوله "اسمع بهم و ابصر" و جزاء من كان هذا ديدنه فى الدنيا و الآخرة معروف لكل من له أدنى بصيرة أنه العار ثم النار، ٥ و أيضا فان من ضل أخطأ طريق الفلاح من الجنة و غيرها فخاب، و من خاب فقد هلك؛ قال أبو على الجبائى[2]: و الغى هو الخيبة فى اللغة - انتهى. و يجوز أن يراد بالغى الهلاك، إما من قولهم - أغوية - وزن أثفية - أى مهلكة، و إما من تسمية الشيء باسم ما يلزمه.

و لما أخبر تعالى عنهم بالخيبة، فتح لهم باب التوبة، و حداهم ١٠ إلى غسل هذه الحوبة. بقوله: ﴿ الا من تاب ﴾ أى مما [هو -[3]] عليه من الضلال، بايثار سفساف الأعمال، على أوصاف الكمال، [فحافظ على الصلاة، و كف نفسه عن الشهوات -[4]] ﴿ و امن ﴾ بما أخذ عليه [به -[3]] العهد ﴿ و عمل ﴾ بعد إيمانه تصديقا له[5] ﴿ صالحا ﴾ من الصلوات و الزكاة و غيرها، [و لم يؤكدهما لما أفهمته التوبة من إظهار ١٥ عمل الصلاة التى هى أم العبادات -[4]] ﴿ فاولٓئك ﴾ العالو الهمم، الطاهرو[6] الشيم ﴿ يدخلون الجنة ﴾ التى وعد المتقون ﴿ و لا يظلمون ﴾[7] من ظالم ما[7]

(١) سورة ١٧ آية ٩٧ (٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو على الجبائى البصرى المعتزلى المتوفى سنة ٣٠٣ ﻫ، و كان متكلما مفسرا - راجع معجم المؤلفين ١٠/٢٦٩.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: به.
(٦) من ظ ومد، وفى الأصل: الطاهر (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

﴿ شيئا[١] ﴾ من أعمالهم؛ ثم بينها[١] بقوله : ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة
لا ظعن عنها بوجه من الوجوه ﴿ التى وعد الرحمن ﴾ الشامل النعم
﴿ عباده ﴾ الذين[٢] هو أرحم بهم من الوالدة بولدها ؛ و عبر عنهم بوصف
العبودية للاشعار بالتحنن ، وعدا كائنا[٣] ﴿ بالغيب[٤] ﴾ الذى لا اطلاع لهم
٥ عليه أصلا إلا من قبلنا ، فآمنوا به فاستحقوا ذلك بفضله سبحانه على
إيمانهم بالغيب .

و لما كان من شأن الوعود الغائبة - على ما يتعارفه الناس بينهم -
احتمال عدم الوقوع ، بين أن وعده ليس كذلك بقوله : ﴿ انه كان ﴾
[٤]أى كونا هو سنة ماضية[٤] ﴿ وعده مأتيا ﴾ أى مقصودا بالفعل ، فلا بد
١٠ من وقوعه ، فهو كقوله تعالى "ان كان وعد ربنا لمفعولا [٥]" .

و لما كانت الجنة دار الحق ، و كان أنكأ شيء لذوى الأقدار الباطل ،
و كان أقل ما ينكأ منه سماعه ، نفى ذلك عنها على أبلغ وجه فقال :
﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ أى شيئا ما من الباطل الذى لا ثمرة له . و لما
كانت السلامة ضد الباطل / من كل وجه ، قال : ﴿ الا ﴾ [أى لكن -[٦]] / ٤٢٨
١٥ ﴿ سلما[٤] ﴾[٧] لا عطب معه [٨]و لا [٩]عيب و لا نقص أصلا[٩] فيه ، و أورد
على صورة الاستثناء من باب [١٠]قول الشاعر[١٠] :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[١١]

(١) فى ظ : وصفها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٣) فى ظ : ثانيا .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سورة ١٧ آية ١٠٨ (٦) زيد من ظ .
(٧) زيد فى مد : اى (٨) العبارة من هنا إلى «أصلا فيه» ساقطة من ظ (٩-٩) من
مد ، و فى الأصل : لا نقص و لا عيب ابتلا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من
ظ و مد (١١) قد مر التعليق على هذا البيت .

و يحسن أن يراد باللغو مطلق الكلام ؛ قال فى القاموس : لغا لغوا : تكلم . أى لايسمعون فيها[1] كلاما [إلا -[2]] كلاما يدل على السلامة ، و لا يسمعون شيئا يدل على عطب أحد منهم و لا عطب شيء فيها .

و لما كان الرزق من أسباب السلامة قال : ﴿ و لهم رزقهم ﴾ [3]أى على قدر ما يتمنونه و يشتهونه على وجه لابد من إتيانه و لا كلفة عليهم ٥ فيه و لا يمن عليهم به[3] ﴿ فيها بكرة و عشيا ﴾ أى دواما ، لايحتاجون إلى طلبه فى وقت من الأوقات ، و فى تفسير عبد الرزاق عن مجاهد : و ليس فيها بكرة و لا عشى ، لكنهم يؤتون به على ما كانوا يشتهون فى الدنيا . أى أنهم خوطبوا بما يعرفون [كما أشار إليه تأخير الظرف إذ لو قدم لأوهم بعدهم عن ذلك بالجنة -[4]] . ١٠

و لما باينت بهذه الأوصاف دار الباطل ، أشار إلى علو رتبتها و [ما -[2]] هو سببها بقوله : ﴿ تلك الجنة ﴾ بأداة البعد لعلو قدرها ، و عظم أمرها ﴿ التى نورث ﴾ أى نعطى عطاء الإرث الذى لا نكد فيه [3]من حين التأهل له بالموت[3] و لا كد و لا استرجاع ﴿ من عبادنا ﴾ الذين أخلصناهم لنا ، فخلصوا عن الشرك نية و عملا ﴿ من كان ﴾ أى جبلة ١٥ و طبعا ﴿ تقيا ﴾ أى مبالغا فى التقوى ، فهو فى غاية الخوف منا لاستحضاره أنه عبد ؛ قال الرازى فى اللوامع : و ما تقرب أحد إلى ربه بشيء أزين عليه من ملازمة العبودية و إظهار الافتقار ، و العبد يكون ذليلا بأوصافه ،

---

(١) زيد فى الأصل : الا لغوا اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد .

عزيزا بأوصاف الحق تعالى-انتهى. و ذلك[1] إشارة إلى سبب إيراثها التقوى.

و لما كرر سبحانه الوصف بالتقى فى هذه السورة ثلاث مرات، و ختمه بأنه سبب للمقصود بالذات، و هو الراحة الدائمة بالوراثة لدار الخلد على وجه الإقامة المستمرة، و صفة الملك الذى لا كدر فيه بوجه و لا تخلف[2]
٥ عن مراد، أتبعه مابعده إشارة إلى[3] ما تنال به التقوى، و هو الوقوف مع الأمر مراقبة للآمر عطفا على "و بالحق انزلنه" لأنه لما كان العلم واقعا بأن جميع سورة الكهف شارحة لمسألتين من مسائل قريش، و بعض سورة سبحان شارح للثالثة، و لطول الفصل صدرت قصة ذى القرنين بقوله "و يسئلونك" إعلاما بعطفها على مسألة الروح المصدرة
١٠ بمثل ذلك. و جاءت سورة مريم كاشفة - تبكيتا لأهل الكتاب الكاتمين للحق - عن أغرب من تلك القصص [و أقدم زمانا -[4]] و أعظم شأنا من أخبار[5] الأنبياء المذكورين و من أسرع التبديل بعدهم باضاعة الصلاة و اتباع الشهوات، فثبت بذلك أن هذا كله مرتب لإجابة سؤالهم و أنه كلام الله قطعا، إذ لوكان من عند النبى صلى الله عليه و سلم ما وعدهم
١٥ الإجابة فى الغد إلا و هو قادر عليها، لما هو معلوم قطعا من رزانة عقله، و غزارة فطنته، و متانة رأيه، و لو قدر على ذلك ما تركهم يتكلمون فى عرضه بما الموت أسهل منه. [لما علم منه -[4]] من الشهامة و الأنفة /و البعد عما يقارب الشين، و بان بذلك أن الله سبحانه و عز شأنه ما أجمل أمر[6] الروح

/ ٤٢٩

(١) بهامش ظ: اى قوله: من كان تقيا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يخلف.
(٣) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) بهامش ظ: «من أخبار» بيان لأغرب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من.

و لا أخر الإجابة خمس عشرة ليلة أو أقل أو أكثر من عجز و لا جهل ، و ثبت بذلك كله و بما بين من صنعه لأهل الكهف و لذى القرنين و[1] فى ولادة يحيى و عيسى و إسحاق عليهم الصلاة و السلام[1] تمام قدرته المستلزم لكمال علمه ، و كان الإخبار عن ذلك مطابقا للواقع الذى ثبت بعضه بالنقل الصحيح و بعضه بأدلة العقل القاطعة ، ثبت مضمون قوله تعالى ٥ "و بالحق انزلنه و بالحق نزل" و أن هذا الكتاب قيم لا عوج فيه ، فعطف عليه الجواب عن قول النبى صلى الله عليه و سلم لجبرئيل عليه الصلاة و السلام «لقد أبطات علىّ يا جبرئيل حتى سؤت ظنا» و نحوه مما ذكر فى أسباب النزول ، فقال على لسان جبرئيل عليه الصلاة و السلام : ﴿ و ما نتنزل ﴾ أى أنا و لا أحد من الملائكة بانزال الكتاب و لا غيره ١٠ ﴿ الا بامر ربك ج ﴾ المحسن إليك [2]فى جميع الأمر فى التقديم و التأخير[2] لئلا يقع فى بعض الأوهام أنه حق فى نفسه ، و لكنه نزل بغير أمره سبحانه ، و وقع الخطاب مقترنا بالوصف المفهم لمزيد الإكرام تطييبا لقلبه صلى الله عليه و سلم و إشارة إلى أنه محسن إليه ، و لفظ التنزل مشير إلى الإكرام ، و هو التردد مرة بعد مرة [2]و وقتا غب وقت[2] ، و لا يكون إلا لذلك لأن ١٥ النزول للعذاب يقضى به الأمر فى مثل لمح البصر ، و كان هذا عقب ذكر القيامة بذكر الجنة كما كان المعطوف عليه عقب "فاذا جاء وعد الأخرة" و [كما - [3]] كان ختام مسائلهم بذكر الآخرة فى قوله

(١) زيدت الواو فى الأصل . و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد .

" فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء " - إلى آخر السورة ليكون ذلك
أشد تثبيتا للبعث و أعظم تأكيدا ، و إن استطلت هذا العطف مع بعد
ما بين المعطوف و المعطوف عليه و استعظمته واستنكرته لذلك و استبعدته
فقل : لما كشفت هذه السورة عن هذه القصص الغريبة ، وكان المتعنتون
٥ ربما قالوا : نريد أن يخبرنا هذا الذى ينزل عليك بجميع أنباء الأقدمين
و أخبار الماضين ، قال جوابا عن ذلك أن قيل : ما أنزلنا[١] عليك بأخبار
هؤلاء إلا بأمر ربك . و ما تتنزل فيما يأتى أيضا إلا بأمر ربك ؛ ثم علل
ذلك بقوله : ﴿ له ما بين ايدينا ﴾ أى من المكان و الزمان و ما فيهما
﴿ و ما خلفنا ﴾ من ذلك ﴿ و ما بين ذلك ج ﴾ و هو نحن و المكان و الزمان
١٠ اللذان[٢] نحن بهما و ما فوقه و تحته ، و نحن نعلم ذلك و نعمل على حسب
ما نعلم ، فلا تتصرف فى ملكه إلا بأمره ﴿ و ما كان ﴾ [٣]على تقدير من
التقادير[٣] ﴿ ربك نسيا ج ﴾ أى ذا نسيان لشيء من الأشياء فيترك تفصيل
أمر الروح ، و يؤخر الجواب عن الوقت الذى وعدتهم فيه لخفاء شيء
من ذلك عليه ، و لا ينسى ما يصلحك فيحتاج إلى مذكر به ، و لا ينسى
١٥ أحدا منا فينزل فى وقت نسيانه له بل هو دائم الإطلاع على حركاتنا
و سكناتنا ، فنحن له فى غاية المراقبة ، و هو سبحانه يصرفنا بحسب الحكمة
فى كل وقت تقتضيه حكمته ، لا يكون شيء من ذلك إلا فى الوقت الذى
حده له و أراده فيه . و لا يخرج شيء من الأشياء و إن دق عن مراده .
و يجوز أن / يقال فى التعبير بصيغة 'فعيل' [أنه لا يتمكن العبد من الغيبة

/ ٤٣٠

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : نزل (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذين.
(٣-٣) سقط مابين الرقين من ظ .

عن

عن السيد بغير إذنه إلا إن كان بحيث يمكن أن يغفل و أن تطول غفلته و تعظم لكونه مجبولا عليها، أو أنـه ـ[١]] لما استلبث الوحي في أمر الأسئلة التي سألوا عنها من الروح و ما معها خمس عشرة ليلة أو أكثر أو أقل ـ على اختلاف الروايات ، فكان ذلك موهما للأغبياء[٢] أنه نسيان ، وكان مثل ذلك لا يفعله إلا كثير النسيان ، نفى هذا الوهم بما اقتضاه ٥ من الصيغة و نفى قليلَ ذلك و كثيره في السورة التي بعدها ضما لدليل النقل إلى دليل العقل بقوله " لا يضل ربي و لا ينسى[٣] " لما اقتضاه السياق، فأتى في كل أسلوب بما يناسبه مع الوفاء بما يجب من حق الاعتقاد ، و هذه الآية مع " و بالحق انزلنه " و " قل لئن اجتمعت الانس و الجن[٤] " مثل " قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريت " ـ الآيتين[٥] في سورة هود ١٠ عليه السلام ، على ما قدمت في بيانه غير أن ما جمع هناك فصل هنا في أول الجواب عن أسئلتهم بآية " قل لئن اجتمعت " و أثنائه[٦] بآية " و بالحق انزلنه " و آخره بهذه الآية ، لتكون الآيات رابطة على هذه الأجوبة و توابعها و ضابطة لها كالشهب و الحرس الشديد بالنسبة إلى السماء ، فلا يبغيها متعنت من جهة من جهاتها كيدا إلا رد خاسئا ، و لا يرميها ١٥ بقادح إلا كان رميه خاطئا .

و لما وصف سبحانه و تعالى بنفوذ الأمر و اتساع العلم على وجه ثبت

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : للانبياء .

(٣) سورة ٢٠ آية ٥٢ (٤) سورة ١٧ آية ٨٨ (٥) ١٣ و ١٤ (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : اتيانه .

به ما أخبر به عن الجنة. فثبت أمر البعث. أتبع ذلك ما يقرره على وجه أصرح منه و أعم فقال [١]مبدلا من "ربك"[١]: ﴿رب السمٰوٰت و الارض﴾ اللتين نحن من جملة ما فيهما من عباده ﴿ و ما بينهما ﴾ منا و من غيرنا من الأحياء و غيرها ﴿ فاعبده ﴾ بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي له من
٥ مثلك ﴿ و اصطبر ﴾ أي [اصبر صبرا عظيما - [٢]] [٣]بغاية جهدك[٣] على كل ما ينبغي[٤] الاصطبار عليه كذلك ﴿ لعبادته[٥] ﴾ [اى لأجلها فانها لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة: ثم علل ذلك - [٥]] بقوله: ﴿هل تعلم له سميا﴾ أي متصفا بوصف من أوصافه اتصافا حقيقيا. أو مسمى باسمه، العلَم الواقع موقع[٦] لأنه[٧] لا مماثل له حتى و لا في مجرد
١٠ الاسم، و إيراده بصورة الاستفهام كالدعوى بدليلها.

و لما تبين بذلك و بما ذكر في هاتين السورتين مما سألوا عنه و من غيره شمولُ علمه و تمام قدرته لاسيما في إيجاد البشر تارة من التراب، و تارة من ذكر و أنثى في حكم العدم، و تارة من أنثى بلا ذكر، و ثبت ذلك كله. فانكشفت الشبه. و تضاءلت موجبات المراء[٨].
١٥ و انقمعت مخيلات الفتن. عجب منهم في إنكارهم البعث و هم يشاهدون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد في الأصل: له من. و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٥) زيد من ظ ومد (٦) بهامش ظ ما خلاصته: « فانه لا مماثل له » مضاف إليه، ومضافه « موقع » (٧) في ظ و مد: فانه (٨) من ظ و مد، و في الأصل: المرء.

ما ذكر من قدرته عليه ، عاطفا على التعجب فى قولهم "وقالوا ءاذا كنا" تعجبا أشد من ذلك فقال: ﴿ و يقول ﴾ بلفظ المضارع المؤذن بالتجدد بعد هذا البيان المقتضى حتما لاعتقاد البعث فضلا عن إنكاره مرة من المرات، ليخبر عنها بصيغة الماضى . فكيف بالمداومة على ذلك المشار إليها بصيغة المضارع؛ [١]و عبر بالمفرد و إن كان للجنس لأن الإنكار ٥
على الواحد يستلزم الإنكار على المتعدد فقال[١]: ﴿ الانسان ﴾ أى الذى خلقناه و لم يك شيئا ، مع ما فضلناه به من العقل ، و نصبنا له من الدلائل ، [١]فشغله الأنس بنفسه عن التأمل فى كمال ربه[١] منكرا مستبعدا :
﴿ ءاذا ما مت ﴾ ثم دل على شدة استبعاده لذلك بقوله [٢]مخلصا/ للام ٤٣١ /
الابتداء إلى التوكيد سالخا[٣] لها عما من شأنها الدلالة عليه من الحال ١٠
لتجامع ما يخلص للاستقبال : ﴿ لسوف اخرج ﴾ [٤]أى يخرجنى مخرج[٤]
﴿ حياء ﴾ أى بعد طول الرقاد ، و تفتت الأجزاء و المواد ، [١]و جاء بهذه التأكيدات لأن ما بعد الموت وقت كون الحياة منكرة على زعمه ، و العامل فى "إذا" فعل من معنى "أخرج" لا هو ، لمنع لام الابتداء لعمله فيما قبله[١] ؛ ثم قابل إنكاره[٥] الباطل بانكار هو الحق[٥] فقال عطفا على ١٥
"يقول" [١]أو على ما تقديره : ألايذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما هو أكبر من ذلك من جميع الأكوان[١] : ﴿ اولا يذكر ﴾ [٦]باسكان الذال

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «للاستقبال» ساقطة من ظ (٣) هكذا يبدو فى مد ، و فى الأصل : شاكا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انكار (٥) بهامش ظ : الإنكار الحق هو إنكار الله عليه (٦) العبارة من هنا إلى « تأمل شديد » ساقطة من ظ .

على قراءة نافع و ابن عامر و عاصم[1] إشارة إلى أنه أدنى ذكر من هذا يرشده إلى الحق ، و قراءة الباقين بفتح الذال و الكاف و تشديدهما يشير إلى أنه - لاستغراقه فى الغفلة - يحتاج إلى تأمل شديد ﴿ الانسان ﴾ [2]أي الآنس بنفسه[2] ، المجترئ بهذا الإنكار على ربه وقوفا مع نفسه ٥ ﴿ انا خلقنه ﴾ [2]و أشار باثباته الجار إلى سبقه بالعدم فقال[2] : ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل جدله هذا أى[3] بما لنا من القدرة و العظمة .

و لما كان المقام لتحقيره بكونه عدما ، أعدم من التعبير عن ذلك ما أمكن إعدامه ، و هو النون ، لتناسب العبارة المعتبر فقال : ﴿ و لم يك شيئا ه ﴾ أصلا . و إنا بمقتضى ذلك قادرون على إعادته فلا ١٠ ينكر ذلك .

و لما كان [2]كلام الكافر صورته صورة استفهام ، و هو جحد فى الحقيقة و إنكار ، و كان[2] إنكار المهدد لشىء يقتدر عليه المهدد سببا لأن يحققه له مقسما عليه ، قال تعالى مجيبا عن إنكاره مؤذنا بالغضب عليهم بالإعراض عنهم مخاطبا لنبيه صلى الله عليه و سلم [2]تفخيما لشأنه و تعظيما لأمره[2] : ١٥ ﴿ فوربك ﴾ المحسن إليك بالانتقام منهم .

و لما كان الإنكار للبعث يلزم منه الاحتقار ، أتى بنون العظمة ، و استمر فى هذا التجلى بهذا المظهر إلى آخر وصف هذا اليوم فقال : ﴿ لنحشرنهم ﴾ بعد البعث ﴿ و الشيطين ﴾ الذين يضلونهم [2]بجعل كل واحد[2]

---

(١) راجع نثر المرجان ٤/٢٤٤ و ٢٤٥ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) سقط من ظ . و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من مد إلى « و العظمة » .

منهم

[1]منهم مع قرينه الذى أضله[1]، [فى سلسلة -[2]] ﴿ ثم لنحضرنهم ﴾ [بعد طول الوقوف -[2]] ﴿ حول جهنم ﴾ التى هم بها مكذبون ، [1]يحيطون بها لضيق رأسها و بعد قعرها[1] ، حال كونهم ﴿ جثيا[4] ﴾ على الركب من هول المطلع و شدة الذل ، مستوقرين تهيئوا للبادرة إلى امتثال الأوامر ﴿ ثم لننزعن ﴾ [1]أى لنأخذن أخذا بشدة و عنف[1] ٥ ﴿ من كل شيعة ﴾ أى فرقة مرتبطة بمذهب واحد .

[1]و لما كان التقدير : لننزعن أغنامهم ، و هم الذين إذا نظرت إلى كل واحد منهم بخصوصه حكمت بأنه أغنى الناس ، علم أنهم بحيث يحتاج إلى السؤال عنهم لإشكال أمرهم فقال[1] : ﴿ ايهم اشد على الرحمٰن ﴾ الذى غمرهم بالإحسان ﴿ عتيا ﴾ أى تكبرا [متجاوزا -[3]] للحد ، انتزاعا يعلم به أهل ١٠ الموقف أنه أقل من القليل ، و أوهى أمرا من القتيل ، و أن له سبحانه - مع صفة الرحمة التى غمرهم إحسانها و برها - صفات أخرى من الجلال و الكبرياء و الجبروت و الانتقام .

[1]و لما تقدم ما هو فى صورة الاستفهام ، أتبعه ما يزيل ما قد يقع بسببه من بعض الأوهام ، فقال[1] : ﴿ ثم ﴾ و عزتنا ! ﴿ لنحن ﴾ لشمول ١٥ / علمنا و كمال قدرتنا و عظمتنا ﴿ اعلم ﴾ [من كل عالم -[2]] ﴿ بالذين هم[4] ﴾ /٤٣٢ [1]لظواهرهم و بواطنهم[1] ﴿ اولى بها ﴾ [أى جهنم -[3]] ﴿ صليا ﴾ [و -[3]] بالذين هم أولى بكل طبقة من دركاتها من جميع الخلق من المنتزعين و غيرهم ، فلا يظن بنا أنا نضع أحدا فى غير دركته أو غير طبقته من دركته ؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) ليس فى الأصل فقط .

و عطف هذه الجمل بأداة البعد مقرونة بنون العظمة لبعد مراتبها و تصاعدها في ذرى العليا و ترقيها، تهويلا للمقام و تعظيما للأمر لاستبعادهم له . على أنه يمكن أن تكون الحروف الثلاثة للترتيب الزماني ، و هو في الأولين واضح . و أما في الثالث فلأن العلم كناية عن الإصلاء[1] ، لأن من علم ذنب ٥ عدوه - و هو قادر - عذبه[2] ، فكأنه قيل : لنصلين كلا منهم النار على حسب استحقاقه لأنا أعلم بأولويته لذلك .

و لما كانوا بهذا الإعلام ، المؤكد بالإقسام ، من ذي الجلال و الإكرام ، جديرين بإصغاء الأفهام ، إلى ما يوجه إليها من الكلام ، التفت إلى مقام الخطاب ، إفهاما للعموم فقال : ﴿ و ان ﴾ أي و ما ﴿ منكم ﴾ ١٠ أيها الناس أحد[3] ﴿ الا واردها ج ﴾ أي داخل جهنم ؛ [4]ثم استأنف قوله[4] : ﴿ كان ﴾ هذا الورود ؛ [4]و لما كان المعنى أنه لابد من إيقاعه ، أكده غاية التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال[4] : ﴿ على ربك ﴾ الموجد لك [4]المحسن إليك بانجاء أمتك لأجلك[4] ﴿ حتما ﴾ [4]أي واجبا مقطوعا به[4] ﴿ مقضيا ج ﴾ [4]لابد من إيقاعه[4] ؛ قال الرازي في اللوامع : ما من مؤمن - إلا الأنبياء - ١٥ إلا و قد تلطخ بخلق سوء . و لا ينال السعادة الحقيقية إلا بعد تنقيته و تخليصه من ذلك إنما يكون بالنار .

و لما كان الخلاص منها بعد ذلك مستبعدا ، قال مشيرا إليه بأداة البعد :

---

(١) من ظ ومد . وفي الأصل : الاصل (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : عزيز - كذا (٣) من ظ و مد . و في الأصل : احدا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ ثم ننجي ﴾ [1]أى تنجية عظيمة على قراءة الجماعة، و مطلق إنجاء على قراءة الكسائي[1]، و كأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لاينافي المقيد ﴿ الذين اتقوا ﴾ أى كانوا متقين منها [3]بأن تكون عليهم حال الورود بردا و سلاما[3] ﴿ و نذر الظلمين ﴾ [3]أى نترك على أخبث الأحوال[3] الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها [4]و استمروا على ذلك[4] ٥ فكانوا فى أفعالهم خابطين كالأعمى ﴿ فيها جثيا ﴾ كما كانوا جولها لايهتدون إلى وجه يخلصون به منها .

و لما كان هذا جديرا بالقبول لقيام الأدلة على كمال قدرة قائله، و تنزهه عن إخلاف القول، لبراءته من صفات النقص، قال معجبا من منكره عاطفا على قوله "و يقول الانسان": ﴿ و اذا تتلى عليهم ﴾ ١٠ [3]أى الناس، من أىّ تالٍ كان[3] ﴿ ايتنا ﴾ حال كونها ﴿ بينت ﴾ لا مرية فيها، [3]بأن تكون محكمات، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات، أو ببيان النبى صلى الله عليه و سلم، فهى حال مؤكدة أو كاشفة[3] ﴿ قال الذين كفروا ﴾ بآيات ربهم البينة، [5]جهلا منهم و نظرا[6] إلى ظاهر الحياة الدنيا الذى هو مبلغهم من العلم ﴿ للذين امنوا[7] ﴾ [3]أى لأجلهم ١٥ أو مواجهة لهم[3]، إعراضا عن الاستدلال بالآيات، و وجوه دلالتها

---

(١) العبارة من هنا إلى «لاينافى المقيد» ساقطة من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٢٤٨/٤ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) تقدم فى الأصل على «و نذر» و الترتيب من مد (٥) العبارة من هنا إلى «من العلم» ساقطة من ظ (٧) زيد فى الأصل: منهم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

٤٣٣/ البينات . بالإقبال على هذه [١]الشبهة الواهية / - و هى المفاخرة بالمكاثرة فى الدنيا - من قولهم : ﴿ أى الفريقين ﴾ نحن - [١]بما لنا من الاتساع[١] ، أم أنتم - [٢]بما لكم من خشونة العيش و رثاثة[٣] الحال ﴿ خير مقاما ﴾ أى موضع قيام أو إقامة - [١]على قراءة ابن كثير بضم الميم و الجماعة بفتحها[١] : ﴿ و احسن نديا ﴾ مجمعا و متحدثا باعتبار ما فى كل من[٤] الرجال ، و ما لهم من الزى و الأموال ، و يجعلون ذلك الامتحان بالإنعام و الإحسان دليلا على رضى الرحمن . مع التكذيب و الكفران . و يغفلون عن أن فى ذلك - مع التكذيب بالبعث - تكذيبا بما يشاهدونه منا من القدرة على العذاب باحلال النقم ، و سلب النعم ، و لو شئنا لأهلكناهم و سلبنا ١٠ جميع ما يفتخرون به ﴿ و كم اهلكنا ﴾ [١]بما لنا من العظمة .

و لما كان المراد استغراق الزمان ، لم يأت بالجار إعلاما بأن المتقدمين كلهم كانوا أرغد عيشا و أمكن حالا فقال[١] : ﴿ قبلهم من قرن ﴾ أى شاهدوا ديارهم ، و رأوا آثارهم ؛ [ثم - [٥]] [١]وصف[١] كم[١] بقوله[١] : ﴿ هم ﴾ أى أهل تلك القرون ﴿ احسن ﴾ من هؤلاء ﴿ اثاثا ﴾ أى أمتعة ١٥ ﴿ و رئيا ﴾ أى منظرا . فكأنه قيل : فما يقال لهم ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى[٦] لهم [١]ردا عليهم و قطعا لمعاذيرهم و هتكا لشبههم[١] : هذا الذى افتخرتم به لا يدل على حسن الحال فى الآخرة ، بل على عكس ذلك . فقد جرت عادته سبحانه أنه ﴿ من كان فى الضللة ﴾ مثلكم كونا راسخا[٧] بسط له

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « الحال » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : رثاية (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد . (٦) سقط من ظ (٧) من مد . و فى الأصل : و امتحانا ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ .

فى

فى الدنيا و طيب عيشه [فى ظاهر الحال -[1]] فيها، و نعم بأنواع الملاذ. و عبر عن أن ذلك لايكاد يتخلف عن غير من حكم[2] بالزامه المسكنة من اليهود بلام الأمر، إيذانا [3]بوجوده وجود المأمور بـه الممتثل[3] فى قوله: ﴿ فليمدد ﴾ و أشار إلى التحلى لهم بصفة الإحسان بقوله: ﴿ له الرحمن ﴾ أى العام الامتنان ﴿ مدا ﴾ فى العاجلة بالبسط فى الآثار، ٥ و السعة فى الديار، و الطول فى الأعمار، و إنفاقها فيما يستلذ من الأوزار الكبار، [3]فيزيده العزيز الجبار بذلك ضلالة[3]. فيا له من خسار، و تباب و تبار، لمن [له -[4]] استبصار، و لا نزال نمد له استدراجا ﴿ حتى ﴾. [5]و حقق أخذهم بأداة التحقيق[6] فقال: ﴿ اذا راوا ﴾ أى كل من كفر بالله بأعينهم[7] و إن ادعوا أنهم يتعاضدون و يتناصرون، [و لذلك جمع باعتبار ١٠ المعنى -[1]] ﴿ ما يوعدون ﴾ من قبل الله ﴿ اما العذاب ﴾ فى الدنيا بأيدى المؤمنين أو غيرهم، أو فى البرزخ ﴿ و اما الساعة ﴾ التى هم بها مكذبون، و عن الاستعداد لها معرضون. و لا شىء يشبه أهوالها، و خزيها و نكالها.

و لما كان الجواب: علموا أن مكانهم شر الأماكن، و أن ١٥

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يحكم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «التحقيق فقال» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: التحقق (٧) فى الأصل و ظ بياض عبأناه من مد.

جندهم أضعف الجنود، عبر عنه بقوله تهديدا : ﴿فسيعلمون﴾ إذا رأوا ذلك
﴿من هو شر مكانا﴾ [1]أى من جهة المكان الذى قوبل [به -[2]] المقام
﴿و اضعف جندا﴾[3] [هم أو المؤمنون -[3]]، [4]أى [أضعف -[2]] من
جهة الجند الذى أشير به إلى الندى، لأن القصد من فيه، و كأنه عبر
٥ بالجند لأن قصدهم المغالبة و ما[5] كل من فى الندى يكون مقاتلا.

و لما كان هذا لكونه استدراجا زيادة فى الضلال، قابله بقوله،
[6]عطفا على ما تقدم[7] تقديره [تسبيبا عن قوله "فليمدد" و هو : فيزيده
ضلالا، أو على موضع «فليمدد» -[2]] : ﴿و يزيد الله﴾ و عبر بالاسم
العلم إشارة إلى التجلى لهم بجميع الصفات العلى ليعرفوه حق معرفته
١٠ ﴿الذين اهتدوا هدى﴾ عوض ما زوى عنهم [و منعهم -[2]] من الدنيا
لكرامتهم / عنده مما بسطه[8] للضلال لهوانه عليه؛ فالآية من الاحتباك : /٤٣٤
ذكر السعة بالمد للضال أولا دليلا على حذف الضيق [بالمنع للمهتدى ثانيا،
و زيادة الهداية ثانيا دليلا على حذف زيادة الضلال أولا -[3]]، و أشار إلى أنه
مثل ما خذل[9] أولئك بالنوال، وفق هؤلاء لمحاسن الأعمال، [10]باقلال الأموال[10]
١٥ فقال : ﴿و البقيت﴾ ثم وصفها احترازا من أفعال أهل الضلال
بقوله : ﴿الصلحت﴾ أى من الطاعات و المعارف التى شرحت لها الصدور،

---

(١) العبارة من هنا إلى «المقام» ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى «يكون مقاتلا» ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل : فى (٦) العبارة من هنا إلى «تقديره» ساقطة من ظ (٧) فى مد : ص. (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : بسط (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : اخذل.
(١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فأنارت بها القلوب، و سلمت من إحباط الذنوب، فأوصلت إلى علام الغيوب ﴿خير عند ربك﴾ مما متع به الكفرة و مدوا به - على تقدير التنزل[1] إلى تسميته خيرا. [2]و إضافة الرب إليه صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه يربيها تربية تبلغ أقصى ما يرضيه فى كل تابعيه[2]؛ ثم بين جهة خيرية هذا بقوله: ﴿ثوابا﴾ أى من جهة الثواب ﴿و خير مردا﴾ ٥ أى من جهة العاقبة يوم الحسرة [3]، و هو كالذى قبله، أو على قولهم: الصيف أحر من الشتاء - بمعنى أنه فى حره أبلغ [4]منه فى[4] برده. فالكفرة[5] يردون إلى [6]خسارة و فناء[6]، و المؤمنون إلى ربح و بقاء.

و لما تضمن [هذا -[7]] من التهديد بذلك اليوم ما يقطع القلوب، فيوجب الإقبال على [ما -[7]] ينجى منه، عجب من حال من كفر به، ١٠ موبخا له، منكرا عليه، عاطفا على ما أرشد إليه السياق فقال[8] [2]معبرا عن طلب الخبر بالرؤية التى هى الطريق إلى الإحاطة بالأشياء علما و خبرة، و إلى صحة الخبر عنها[2]: ﴿افرءيت﴾ أى أرأيت الذى يعرض عن هذا اليوم فرأيت ﴿الذى﴾ زاد على ذلك بأن ﴿كفر بايتنا﴾ الدالات على عظمتنا بالدلالات البينات ﴿و قال﴾ جراءة منه و جهلا؛ أو يقال: ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: التبرك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) العبارة من هنا إلى «ربح و بقاء» ساقطة من ظ (٤-٤) من مد، و فى الأصل: من (٥) من مد، و فى الأصل: فالعرب (٦-٦) من مد، و فى الأصل: فناء و خسران و خسارة (٧) زيد من ظ و مد (٨) تأخر فى الأصل عن «الخبر عنها» و الترتيب من ظ و مد.

إنه لما هول أمر ذلك اليوم . و هتك أستار مقالاتهم ، و بين وهيها[١] ، تسبب عن ذلك التعجيبُ ممن يقول : ﴿ لاوتين ﴾ [٢] أى و الله[٢] فى الساعة على تقدير قيامها [٣]ممن له الإيتاء هنا لك[٣] ﴿مالا و ولدا ﴾ [أى عظيمين - [٣]] ، فلم يكفه فى جهله تعجيز القادر حتى ضم إليه

٥ إقدار العاجز .

و لما كان ما ادعاه لا علم له به إلا بأحد أمرين لا علم له بواحد منهما ، أنكر عليه قوله ذلك بقوله : ﴿أطلع الغيب﴾ الذى هو غائب عن كل مخلوق[٤] ، [٢]فهو فى بعده عن الخلق كالعالى الذى لايمكن أحدا منهم الاطلاع عليه ، و تفرد به الواحد القهار[٢] ﴿ ام اتخذ ﴾ [٢] أى

١٠ بغاية جهده[٢] ﴿ عند الرحمن ﴾ العام[٥] الرحمة بالإنعام على الطائع و الانتقام من العاصى ثوابا للطائع ﴿ عهدا ﴾ عاهده عليه [٢]بأنه يؤتيه ما ذكر بطاعة فعلها له على وجهها[٢] ليقف سبحانه فيه عند قوله[١] .

و لما كان كل من الأمرين : اطلاع الغيب و اتخاذ العهد ، و كذا ما ادعاه لنفسه . و ما يلزم عن[٦] اتخاذ العهد من القرب ، منتفيا قال :

١٥ ﴿ كلا ﴾ أى لم يقع شىء من هذين الأمرين ، و لا يكون ما ادعاه [٧]فليرتفع عنه صاغرا[٧] .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : وحيها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) زيد من مد (٤) بهامش ظ : تفسير الشيخ للغيب بما ذكره الاعلام بأن الألف و اللام فى الغيب للكمال (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العلم . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عند (٧-٧) من مد ، وفى الأصل : للتوكيد =

و لما

و لما كان النفي هنا عن الواحد مفهما للنفي عما فوقه اكتفى بـه ، و لما رد ذلك استأنف الجواب لسؤال من كأنه قال : فما ذا يكون له ؟ بقوله مثبتا السين[1] للتوكيد في هذا التهديد : ﴿ سنكتب ما يقول ﴾ أي نحفظه عليه حفظ من يكتبه لنوبخه به و نعذبه عليه [2]بعد الموت / فيظهر له بعد طول الزمان أن ما كان فيه ضلال يؤدي إلى الهلاك لا محالة[2] ، و يجوز أن تكون السين على بابها من المهلة ، وكذا الكتابة ، و الإعلام بذلك للحث[3] على التوبة قبل الكتابة ، و ذلك من عموم الرحمة ﴿ و نمد له من العذاب مدا ﴾ باستدراجه بأسبابه من كثرة النعم من الأموال و الأولاد[4] المحببة له في الدنيا ، المعذبة له فيها ، بالكدح في جمعها والمخاصمة عليها الموجبة له التمادي في الكفر الموجب لعذاب الآخرة ، و إتيان بعضه في إثر بعض "انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم و هم كفرون[5]" ﴿ و نرثه ﴾ بموته عن جميع ذلك ؛ ثم أبدل من ضميره قوله : ﴿ ما يقول ﴾ أي من المال و الولد فنحول بينه و بينهم بعد البعث كما فعلنا بالموت كحيلولة الوارث بين الموروث و بين الموروث عنه ﴿ و يأتينا ﴾ في القيامة ﴿ فردا ﴾ [2]مسكينا منعزلا عن كل شيء[2] لا قدرة له على مال و لا ولد ، فلا عز له ، و لا قوة بشيء منهما ؛ روى

/ ٤٣٥

٥

١٠

١٥

= في هذا التهديد ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ .

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : للنفي (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

(٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : الحث (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل :الاموال .

(٥) سورة ٩ آية ٨٥ .

البخاري في التفسير[١] عن خباب رضي الله عنه قال : كنت قينا بمكة فعملت للعاص[٢] بن وائل السهمي سيفا ، فجئت أتقاضاه فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ، [قلت : لا أكفر بمحمد -[٢]] حتى يميتك الله ثم يحييك ، و في رواية : حتى تموت ثم تبعث ، قال : و إني لمبعوث من بعد الموت ؟

٥ قلت : نعم ! قال : فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا و ولدا فأقضيك ، فنزلت هذه الآية " افرايت الذي - إلى قوله : فردا " .

و لما أخبر تعالى [٤]بالبعث ، و ذكر[٤] أن هذا الكافر يأتيه على صفة الذل ، [٥]أتبعه حال المشركين مع معبوداتهم ، فقال[٥] معجبا منهم عاطفا على قوله " و يقول الانسان " : ﴿و اتخذوا﴾ أي الكفار ، و جمع لأن

١٠ نفي العز عن الواحد قد لا يقتضي نفيه عما زاد ﴿من دون الله﴾ و قد تبين لهم أنه [٤]الملك الأعلى الذي لا[٤] كفوء له ﴿الهة ليكونوا لهم﴾ أي الكافرين ﴿عزا ﴿﴾﴾ [٤]لينقذوهم من العذاب[٤] .

و لما بين أنه لا يعزه[٦] مال و لا ولد ، و كان نفع الأوثان دون ذلك بلا شك ، نفاه بقوله : ﴿كلا ﴿﴾﴾ بأداة الردع ، لأن ذلك طلب

١٥ للعز من معدن الذل من العبيد الذين من اعتز بهم ذل ، فانهم مجبولون على الحاجة ، و من طلب العز للدنيا طلبه من العبيد لا محالة ، فاضطر قطعا

(١) من عدة طرق كما رواه أيضا في البيوع و الخصومات (٢) من ظ و مد و الصحيح ، و في الأصل : للقاضي (٣) زيد من ظ و مد و الصحيح (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين في ظ : قال (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يعجزه .

- لبناءهم على النقص - إلى ترك الحق و اتباع الباطل ، فكانت[1] عاقبة أمره الذل و إن طال المدى ، فان الله تعالى ربما أمهل المخذول إلى أن ينتهى فى خذلانه إلى أن يستحق لباس الذل؛ ثم بين [سبحانه -[2]] ذلك[3] بما يكون منهم يوم البعث فقال: ﴿ سيكفرون ﴾ أى الآلهة[4] بوعد لا خلف فيه و إن طال الزمان[4] ﴿ بعبادتهم ﴾ [4]أى المشركين[4]، فيقولون ٥ لهم[5] "ما كنتم ايانا تعبدون" "اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا" ﴿ و يكونون عليهم ﴾ [4]أى الكفار؛ ووحد إشارة إلى إتفاق الكلمة بحيث أنهم لفرط تضامهم[4] كشيء واحد فقال[4]: ﴿ ضداﹰ ﴾ [4]أى أعداء فيكسبونهم الذل[4]، و كذا يفعل الكفار مع شركائهم و يقولون "و الله ربنا ما كنا مشركين" فيقع بينهم العداوة كما قال تعالى "ثم ١٠ يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا[6]" .

و لما كان من المستبعد عندهم جواز رجوعهم عنهم فضلا / عن كفرهم بهم ، دل على وقوعه بما يشاهد منهم من الأفعال المنافية لرزانة الحلم الناشئة عن وقار العلم ، فقال: ﴿ الم تر انآ ﴾ [4]بما لنا من العظمة[4] ﴿ ارسلنا الشيطين ﴾ الذين خلقناهم من النار ، [إرسالا مستعليا -[7]] ١٥ بالإبعاد[8] و الإحراق ﴿ على الكفرين ﴾ [4]أى العريقين فى الكفر[4] /٤٣٦

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكان (٢) زيد من ظ و مد (٣) بهامش ظ : أى عدم العز (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٢٩ آية ٢٥ (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : بالارسال ، و الكلمة مع « والإحراق » ساقطة من ظ .

﴿تؤزهم ازا﴾ أى تحركهم تحريكا شديدا، و تزعجهم فى المعاصى و الدنايا
التى لا يشكون فى قباحتها و عظيم شناعتها و هم أشد الناس عيبا لفاعليها
و ذما لمرتكبيها إزعاجا عظيما بحيث يكونون فى تقلبهم ذلك مثل الماء
الذى يغلى فى القدر، و مثل الشرر المتطاير الذى هو أشد شيء منافاة
٥ لطبع الطين و ملاءمة لطبع النار، فلما ثبت بذلك المدعى، تسبب عنه
النهى عما اتصفوا به من خفة السفه و طيش الجهل [فقال -[١]] :
﴿فلا تعجل عليهم﴾ بشيء مما تريد به الراحة منهم .

و لما كانت مراقبة [ناصر -[٢]] الإنسان لعدوه فى الحركات
و السكنات أكبر شاف للولى و مفرح، و أعظم غائظ للعدو و مزعج
١٠ و مخيف و مقلق، علل ذلك[٣] بقوله[٤] دالا على أن زمنهم قصير جدا
بذكر[٥] العد : ﴿انما نعد لهم﴾ بامهالنا [لهم -[٦]] و إدرارنا النعم عليهم
﴿عدا﴾ لأنفاسهم فما فوقها لا نغفل[٧] عنهم بوجه . فاذا جاء أجلهم
[الذى -[٢]] ضربناه لهم، محونا آثارهم، و أخلينا منهم ديارهم، لا يمكنهم
أن يفوتونا . فاصبر فما أردنا باملائنا لهم إلا إشقاءهم و إرداءهم لا تنعيمهم
١٥ و إعلاءهم، فهو من قصر الموصوف على صفته إفرادا .

و لما بين مآل حال الكافرين فى الهتهم و دليله، اتبعه بوقته فقال :
﴿يوم﴾ أى يكفرون بعبادتهم يوم ﴿نحشر المتقين﴾ [٨]أى العريقين[٨]

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) العبارة
من هنا إلى « العد » ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل : مدار (٦) زيد
من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لا نضل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين
من ظ .

فى

١في هذا الوصف١؛ و لما تقدمت سورة النعم العامة النحل، و أتبعت سورة النعم الخاصة بالمؤمنين و بعض العامة، مثل "و لقد كرمنا بني ادم" الإسراء، ثم سورتي٢ الخاصة بالصالحين الكهف و هذه، قال: ﴿الى الرحمن﴾ ١فيدخلهم دار الرضوان١. فذكر الاسم الدال على عموم الرحمة. و كرره في هذه السورة تكريرا دل على ما فهمته. و ربما أيد ذلك افتتاح النحل ٥ بنعمة البيان على هذا الإنسان التي عبر عنها بالخصيم، و ختام هذه بالقوم اللد٣ من حيث رد مقطع هذه التي كانت بالنظر إلى النعم شيئا واحدا على مطلعها ﴿وفدا ﴾ أي القادمين في إسراع و رفعة ١و علي، كما تقدم الوفود على الملوك، فيكونون في الضيافة و الكرامة١

و لما ذكر ما يدل على كرامة أوليائه، أتبعه ما يدل على إهانة ١٠ أعدائه فقال: ﴿و نسوق المجرمين﴾ ١أي بالكفر و غيره من المعصية١، كالبهائم سوقا عنيفا مزعجا حثيثا ﴿الى جهنم﴾ ١بسطوة المنتقم الجبار١ ﴿ وردا ﴾ أي عطاشا ﴿لايملكون الشفاعة ﴾ أي لايملك أحد من القسمين أن يَشْفَع و لا أن يشفَع فيه ﴿الا من اتخذ﴾ أي كلف نفسه و اجتهد في أن أخذ ﴿عند الرحمن عهدا ﴾ بما وفقه له من ١ الإيمان ١٥ و١ الطاعة التي وعده عليها أن يشفع١ أو أن يشفع٤ فيه؛ ١فالآية من الاحتباك: ذكر الرحمن أولا دليلا على المنتقم ثانيا، و جهنم ثانيا دليلا١

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ: سورتي، مثنى أصله سورتين حذفت النون للاضافة (٣) من ظ و مد، و في الأصل: الد (٤) من مد، و في الأصل و ظ: تشفع.

'على حذف الجنة أولا' .

و لما أبطل مطلق الشفعاء ، و كان الولد أقرب شفيع ، و كانوا قد ادعوا له ولدا ، أبطل دعواهم فيه لينتفي كل شفيع خاص و عام ، فينتفي كل عز راموه بشفاعة آلهتهم و غيرها . فقال عاطفا على قوله "و اتخذوا ٥ /من دون الله آلهة" موجبا منهم : ﴿و قالوا﴾ أي الكفرة ﴿اتخذ الرحمن﴾ أي الذي لامنعم غيره ، فكل أحد محتاج إليه و هو غني عن كل أحد ﴿ولدا ۝﴾ 'قالت اليهود : عزير ، و النصارى : المسيح ، و المشركون : الملائكة' ، مع قيام الأدلة على استحالته عليه سبحانه ؛ ثم استأنف الالتفات إلى خطابهم بأشد الإنكار ، إيماء إلى تناهي الغضب فقال : ﴿لقد﴾ أي ١٠ و عزتي ! لقد ﴿جئتم شيئا ادا ۝﴾ أي عظيما ثقيلا منكرا[٢]؛ ثم بين ثقله بقوله : ﴿تكاد السموت﴾ على إحكامها . 'مع بعدها من أصحاب هذا القول' ﴿يتفطرن﴾ 'أي يأخذن في الانشقاق' ﴿منه﴾ أي من هذا الشيء الإد ﴿و تنشق الارض﴾ على تحتها 'شقا نافذا واسعا' ﴿و تخر﴾ 'أي تسقط سريعا' ﴿الجبال﴾ على صلابتها ﴿هدا ۝﴾ 'كما ينفسح ١٥ السقف تحت ما لا يحتمله من الجسم الثقيل' ، لأجل ﴿ان دعوا﴾ 'أي سموا' ﴿للرحمن﴾ الذي كل ما سواه نعمة منه ﴿ولدا ۝﴾ 'هذا المفعول الثاني ، و حذف الأول لإرادة العموم' ﴿و ما ينبغي﴾ أي ما يصح و لا يتصور ﴿للرحمن ان يتخذ ولدا ۝﴾ لأنه غير محتاج إلى الولد بوجه ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : منيرا .

: مع

و مع ذلك فهو محال ، لأن الولد لايكون إلا مجانسا للوالد . و لا شيء
من النعم بمجانس للنعم المطلق الموجد لكل ما سواه ، فمن دعا له ولدا
فقد جعله كبعض خلقه ، و أخرجه عن استحقاق هذا الاسم ، ثم أقام الدليل
على غناه عن ذلك و استحالته عليه ، تحقيقا لوحدانيته ، و بيانا لرحمانيته ،
فهدم بذلك الكفر بمطلق الشريك بعد أن هدم الكفر بخصوص الولد ٥
فقال : ﴿ ان ﴾ [1] أى ما [1] ﴿ كل من ﴾ [1] أى شيء من العقلاء ، فهو
نكرة موصوفة لوقوعها بعد 'كل' وقوعها بعد 'رب' [1] ﴿ فى السمٰوٰت و الارض ﴾
الذين ادعوا أنهم ولد و غيرهم ﴿ الآ ﴾ . [و لما كان من العبد من يعصى
على سيده ، عبر بالإتيان فقال -[2]] : ﴿ اٰتى الرحمٰن ﴾ العام بالاحسان ،
أى منقاد له [طوعا أو كرها - [2]] فى كل حالة و كل وقت ﴿ عبدا ﴾ ١٠
مسخرا مقهورا [1] خائفا راجيا [1] ، فكيف يكون العبد ابنا أو شريكا ؟ [1] فدلت
الآية على التنافى بين العبودية و الولدية ، فهى من الدليل على عتق الولد
و الوالد إذا اشتريا [1] .

و لما كان من المستبعد معرفة الخلائق كلهم ، اتبعه بقوله : ﴿ لقد ﴾
أى و الله لقد [3] ﴿ احصٰهم ﴾ كلهم إحاطة بهم [4] ﴿ و عدهم ﴾ [1] و لما كان ١٥
ذلك لايكاد يصدق ، أكده بالمصدر فقال [1] : ﴿ عدا ﴾ قبل خلقهم من
جميع جهات العبد و لوازمها ، فلم يوجد و لم يولد ، و لم يعدم أو يصب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) و من
هنا تتعرض نسخة مد لانطماس إلى ما سننبه عليه .

أحد منهم إلا فى حينه الذى عده له . [1]و قد يكون الإحصاء قبل الوجود فى عالم الغيب و العد بعد الوجود[1] ﴿و كلهم﴾ أى و كل واحـــد منهم ﴿اٰتيه يوم القيٰمة﴾ بعد بعثه من الموت ﴿فردا ه﴾ على صفة الذل، موروثا ماله و ولده الذى كنا أعطيناه فى الدنيا قوة له و عزا، لأنه ٥ لا موجود غيره يقدر على حراسة نفسه من الفناء، فهو لاشك فى قبضته، فكيف يتصور فى بال أو يقع فى خيال أن يكون شيء من ذلك له ولدا أو معه شريكا .

و لما عم بهذا الحكم الطائع و العاصى، و كان ذلك محزنا لأهل الطاعة باستشعار الذل فى الدارين، تحركت النفس إلى معرفة ما أفادتهم ١٠ الطاعة، و استأنف الجواب لذلك مبشرا لهم بقوله: ﴿ان الذين اٰمنوا وعملوا[2]﴾ تصديقا لادعائهم الإيمان، الأعمال ﴿الصّٰلحٰت / سيجعل﴾ تحقيقا عما ٤٣٨/ قليل عند[3] بيعة العقبة ﴿لهم الرحمٰن﴾ الذى خصهم بالرضا بعد أن عمهم بالنعمة، جزاء على انقيادهم له، لأنه كان إما باختيارهم و إما برضاهم ﴿ودا ه﴾ أى حبا عظيما فى قلوب العباد، دالا على ما لهم عندهم من الود؛ ١٥ [1]قال الأصبهانى: من غير تودد منهم و لا تعرض للأسباب التى تكسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع غيره أو غير ذلك، و إنما هو اختراع ابتدأ اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل: الصالحات، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى الأصل بياض عبأناه من ظ .

قذف

[1]قذف فى قلوب أعدائهم الرعب و الهيبة إعظاما لهم و إجلالا لمكانهم - انتهى[1] . و المراد - و الله أعلم - أنه لا يجعل سبحانه فى قلب أحد من عباده الصالحين[2] عليهم أحنة ، لأن الود - كما قال الإمام أبو الحسن الحرالى : خلو عن إرادة المكروه ، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة الروم[3] ما يزيد ذلك وضوحا ؛ روى الشيخان[4] و غيرهما[5] عن أبى هريرة ٥ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إن الله إذا أحب عبدا دعا جبرئيل فقال : يا جبرئيل ! إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبرئيل ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يحب فلانا [فأحبوه] ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ، و إن الله إذا أبغض عبدا دعا جبرئيل فقال : [يا جبرئيل[6]] ! إنى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبرئيل ثم ينادى ١٠ فى أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء فى الأرض .

و لما كان إنزال هذا القول ثقيل ثم تيسيره حفظا و عملا سببا لما جعل لأهل الطاعة فى الدنيا من الود بما لهم من التحلى و التزين بالصالحات ، و التخلى و التصون من السيئات ، الدال على ما لهم عند ١٥ مولاهم من عظيم العز و القرب ، و كان التقدير : و الذين كفروا ليكسبنهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) آية ٢١ (٤) البخارى فى عدة المناسبات ، و مسلم فى كتاب البر و الصلة - باب إذا أحب الله عبدا أمر جبرئيل فأحبه و أحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض (٥) مثل الترمذى و الإمام أحمد (٦) زيد من ظ .

الجبار بغضا و ذلا ، فأخبر[1] كلا من الفريقين بما له بشارة و نذارة ، [2]قال مسببا عن إفصاح ذلك و إفهامه[2] : ﴿ فانما يسرنه ﴾ أى هذا القرآن، الذى عجز عن معارضته الإنس و الجان ، و الكتاب القيم و الوحى الذى لا مبدل له بسبب إنزالنا إياه ﴿ بلسانك ﴾ هذا العربى المبين ، العذب ٥ الرصين ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ و هم الذين يجعلون بينهم و بين ما يسخط الله وقاية ، فلا يبطلون حقا و لا يحقون باطلا ، و متى حصلت لهم هفوة بادروا الرجوع عنها [بالمتاب -[3]] ، بما لهم عندنا من العز الذى هو ثمرة العز المدلول عليه بما لهم منه فى الدنيا . لا لتحزنهم بأن ينزل فيه ما يوهم تسويتهم بأهل المعصية فى كلتا[4] الدارين ﴿ و تنذر به قوما لدا ﴾ أشد ١٠ فى الخصومة ، يريدون العز بذلك ، لما لهم عندنا من الذل و الهوان الناشئ عن المقت المسبب عن مساوئ الأعمال ، و أنا نهلكهم إن لم يرجعوا عن لددهم ، و الألد هو الذى يتمادى فى غيه و لا يرجع لدليل ، و يركب فى عناد الحق ما يقدر عليه من الشر ، و لا يكون هذا إلا ممن يحتقر من يخاصمه و يريد أن يجعل الحق باطلا ، تكبرا عن قبوله ، فينطبق عليه ١٥ ما رواه مسلم فى الإيمان[5] عن صحيحه ، و أبو داود فى اللباس[6] من سننه ، و الترمذى فى البر[6] من جامعه . و ابن ماجه[7] فى السنة[8] من سننه عن ابن مسعود

(١) من ظ ، و فى الأصل : خبر (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ذل (٥) باب تحريم الكبر و بيانه (٦) باب ما جاء فى الكبر (٧) من ظ ، و فى الأصل : حبان (٨) أى المقدمة ، و راجع « باب فى الإيمان » .

رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: لايدخل الجنة أحد فى قلبه [1] مثقال حبة / من كبر، فقال رجل: [إن الرجل - [2]] يحب أن يكون ثوبه حسنا و نعله حسنة، فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق و غمط - و فى رواية: و غمص - الناس. و كلاهما بمعنى الاحتقار، و من كان هذا سبيله مرن على ذلك و مرد عليه، فكان جديرا بأن يركبه الله أبطل الباطل: الكفر عند الموت، فتحرم عليه الجنة، فان من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه "ساصرف عن ايتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق" - الآية [3]. فيا ذل من تكبر على الحق! و يا عز من تشرف بالذل للحق و العز على الباطل! و لعمرى لقد أجرى الله عادته - و لن تجد لسنة الله تحويلا - [أن - [4]] من تعود الجراءة بالباطل كان ذليلا فى الحق، و إليه يشير قوله تعالى فى وصف أحبابه " اذلة على المؤمنين اعزة على الكفرين [5] ".

٤٣٩ /

٥

١٠

و لما كان التقدير بعد ما أرشد إليه السياق من مفعول " ينذر ": فانا قادرون على إهلاكهم و جميع ما نريد منهم، عطف عليه قوله: ﴿وكم اهلكنا﴾ [6] بما لنا من العظمة. و لما كان المراد التعميم، أثبت الظرف [6]

١٥

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد من ظ و مد وصحيح مسلم.
(٣) ٤٩ من الأعراف (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٥ آية ٥٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[١] عريا عن[١] الجار . و أكد [الخبر - [٢]] باثبات "من" بعده فقال[٣]: ﴿ قبلهم من قرن [ط] ﴾ كانوا أشد منهم شدة ، و أكثر عدة ، و أوثق عدة ، فلم يبق إلا سماع أخبارهم ، و مشاهدة آثارهم ؛ ثم قال تصويرا لحالهم ، و تقريرا لمضمون ما مضى من مآلهم : ﴿ هل تحس منهم من احد ﴾ ٥ بيصر أو لمس ﴿ او تسمع لهم ركزا ع ﴾ أى صوتا خفيا فضلا عن أن يكون جليا . فقد ختمت السورة بما بدئت به من الرحمة لأوليائه ، و الود لأصفيائه ، و النعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه ، بعد الرحمة للفريقين بهذا الكتاب بشارة و نذارة . فحلت الرحمة علـى أوليائه ، و زلت عن أعدائه و الله الموفق .

٭ ٭ ٭ ٭

٭ ٭ ٭

٭ ٭

٭

(١-١) من مد ، و فى الأصل : عن نافى - كذا (٢) زيد من مد (٣) العبارة من « عريد » إلى هنا ساقطة من ظ .

سورة

سورة طه[1]

عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم

مقصودها الإعلام بامهال المدعوين [و الحلم عنهم -[2]] و الترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم، زيادة فى شرف داعيهم صلى الله عليه و سلم، و على هذا المقصد الشريف دل اسمها بطريق الرمز و الإشارة، لتبيين ٥ أهل الفطنة و البصارة، و ذلك بما فى أولها من الحروف المقطعة، و ذلك أنه لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن تهلك أمته صلى الله عليه و سلم قبل ظهور أمره الذى أمره الله به و اشتهار دعوته، لقلة من آمن به منهم، ابتدأه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذى هو من رأس اللسان و أصول الثنيتين العليين إلى قوة أمره و انتشاره، ١٠ و علوه و كثرة أتباعه، لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفا، و أشدها حركة، و أوسعها انتشارا، و بما فيها من صفات[3] الجهر و الإطباق و الاستعلاء و القلقلة إلى انقلاب ما هو فيه من الاسرار جهرا، و ما هو فيه من الرقة فخامة، لأنها من حروف التفخيم، و أنه يستعلى أمره، و ينتشر ذكره، حتى يطبق جميع الوجود / و يقلقل[4] سائر الأمم، و لكن يكون ١٥ /٤٤٠ ذلك - بما تشير إليه الهاء بمخرجها من أقصى الحلق - على [حد -[2]] بعده

---

(١) العشرون من سور القرآن، مكية و آياتها - كما قال الدانى: مائة و أربعون آية شامى، و خمس و ثلاثون كوفى، و أربع حجازى، و آيتان بصرى - راجع روح المعانى ٥ / ٢١٨ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: صفة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تقليل.

من طرف اللسان مع طول كبير و تماد كثير، و بما فيها من صفات الهمس و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال و الخفاء مع مخافة و ضعف كبير، و هدوء و خفاء عظيم، و مقاساة شدائد كبار. مع نوع فخامة و اشتهار. و هو و إن كان اشتهارا يسيرا يغلب هذا الضعف

٥ [كله و إن كان قويا شديدا. و قراءة الإمالة للهاء تشير إلى شدة الضعف -[1]]، و قرءاة التفخيم - و هي لأكثر القراء - مشيرة إلى فخامة القدر و قوة الأمر[2]. بما لها من الانفتاح، و إن رئي أنه[3] ليس كذلك " إنه ليخافه ملك بني الأصفر[4]" و إن كان معنى الحرفين: يا رجل، فهو إشارة إلى قوته و علو قدره، و فخامة ذكره، و انتشار أتباعه و عموم

١٠ أمره، و إن كانا إشارة إلى وطئ الأرض فهو إلاحة إلى[5] قوة التمكن و عظيم القدرة و بعد الصيت حتى تصير[6] كلها ملكا له و لأتباعه، و ملكا لأمرائه و أشياعه - و الله أعلم. و ذكر ابن الفرات[7] في تأريخه أن هجرة الحبشة كانت في السنة الثامنة[8] من المبعث فالظاهر - على ما يأتي في إسلام عمر رضي الله عنه - أن نزول هذه السورة أو أولها كان قرب

١٥ هجرة الحبشة، فيكون سبحانه قد رمز له صلى الله عليه و سلم على ما هو

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: القدر. (٣) بهامش ظ: أي أن الأمر (٤) أي الروم - كما في اللسان (٥) سقط من ظ (٦) في مد: تكون (٧) هو محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن المصري المتوفى سنة ٨٠٧هـ - راجع معجم المؤلفين ١٥٩/١٠ (٨) من ظ و مد، و في الأصل: الثانية.

ألذ فى محادثه الأحباب . من صريح الخطاب ، بعدد مسمى الطاء[1] إلى أن
وهن الكفار - [الوهن - [2]] الشديد - يقع فى السنة التاسعة من نزولها ،
و ذلك فى [غزوة بدر الموعد فى سنة أربع من الهجرة ، و بعدد اسمها إلى
أن الفتح الأول يكون فى السنة الحادية عشرة من نزولها ، و ذلك فى - [2]]
عمرة الحديبيـــة فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة عند نزول سورة ٥
الفتح ، و رمز له بعدد مسمى الهاء إلى أن مبدأ النصرة بالهجرة فى السنة
الخامسة من نزولها ، و بعدد اسمها إلى أن نصره بالفعل يقع فى السنة السابعة
من نزولها ، و ذلك فى غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية من الهجرة ،
و بعدد حرفى اسمها[3] لا بعدد اسميهما إلى أنه فى السنة الثالثة عشرة من نزولها
يكون بفتح الأكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة التى كان سببا قريبا الاستعلاء ١٠
على جميع الأرض ، و ذلك فى أواخرها فى رمضان سنة ثمان من الهجرة ،
و كان تمامه بفتح الطائف بارسال وفدهم و إسلامهم و هدم طاغيتهم فى
سنة تسع ، و هى السنة الرابعة عشرة ، و بعدد اسميهما[4] إلى أن تطبيق
أكثر الأرض بالإسلام يكون فى السنة الثامنة عشرة من نزولها ، و ذلك
بخلافة عمر رضى الله عنه فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة - و الله أعلم . ١٥
﴿بسم[5]﴾ الواسع الحلم التام القدرة [6] ﴿ الله ﴾ الملك الأعظم[6] ﴿ الرحمن ﴾

(١) بهامش ظ : أعنى الحرف الأول منها . و الاسم طاء مشتمل على ط و مدة و همزة فظهر أن المسمى الأول (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) بهامش ظ : أى السورة (٤) بهامش ظ : أى الحرفين (٥) زيد فى ظ : الله (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الذى استوى فى أصل نعمته جميع خلقه ﴿ الرحيم ° ﴾ الذى أتم النعمة على أهل توفيقه و لطفه ﴿ طه ج ﴾ [1] أى تخلص بالغ من كل [2] ما يخشى و ظهر عظيم و طيب منتشر فى كل قطر إلى نهايـة الوطن الذى هو التاسع ، ممن له الإحاطة التامة بكل غيب ، و إليه [3] يرجع الأمر كله [3] ،

٥ كما اجتمعت أسماؤه كلها فى غيب [4] هو الذى جعل العزة [5] للمهتدين و الهدى للمتقين .

/ ٤٤١

هذه السورة [6] و التى قبلها من أقدم السور المكية ، قال ابن هشام فى تهذيب السيره [7] : قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى عن أم سلمة

١٠ بنت أم أمية بن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه و سلم قال : قالت : لما نزلنا بأرض الحبشه جاورنا بها خير جار النجاشى . أمنا على ديننا و عبدنا الله تبارك و تعالى لا نؤذى و لا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم - فذكر إرسالهم إليه بهدايا ليردهم إليه . و أن بطارقته كلموه فى ذلك ، و أنه أبى حتى يسمع كلامهم . و أنه طلبهم فاجمع

١٥ أمرهم على أن [8] يقولوا الحق كائنا فيه ما كان . فدخلوا و قد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم : ما هذا الدين الذى فارقتم به

---

(١) العبارة من هنا إلى « لهدى للمتقين » ساقطة من ظ (٢) زيد فى مد : شىء .
(٣ - ٣) فى مد : ترجع الأمور المبهمه ، ووقع بعده فى الأصل بياض قدر كلمة .
(٤) من مد . و فى الأصل : غيب (٥) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : السورتين (٧) ١ / ١١٥ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انهم .

قومكم و لم تدخلوا به فى دين أحد من هذه الملل. قالت: فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسيء الجوار، و يأكل القوى [منا - ١] الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا ٢ رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه. ٥ فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث، و أداء الأمانة، و صلة الرحم و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء. و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنة، و أمرنا أن نعبد الله [وحده -١] و لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة ١٠ و الصيام - [قالت - ١]: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه ٣ و آمنا به، فعدا علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا و ظلمونا خرجنا إلى بلادك، و اخترناك على من سواك، و رجونا أن لانظلم عندك أيها الملك! فقال [له - ٤] النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ فقال له جعفر: نعم! فقال له النجاشى: ١٥ فاقرأه علىّ! فقرأ عليه صدرا من كهيعص. فبكى و الله النجاشى حتى اخضل لحيته و بكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا

---

(١) زيد من السيرة (٢) زيد فى الأصل: نبيا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و السيرة فحذفناها (٣) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: فصدقنا (٤) زيد من ظ و مد و السيرة.

عليهم ؛ ثم قال النجاشي : إن هذا و الذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة
واحدة ، ثم ذكر تأمينه لهم و رد هدايا قريش و رسلهم خائبين . و قال ابن
هشام[1] : و قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله
ابن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة
٥ عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة رضى الله عنها قالت : و الله ! إنا لنترحل
إلى أرض[2] الحبشة و قد ذهب عامر رضى الله عنه فى بعض حاجاتنا
إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىّ و هو على شركه ، و كنا نلقى منه
البلاء أذى لنا و شدة علينا ، فقال : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟ قلت :
نعم ! و الله لنخرجن فى أرض الله ، آذيتمونا و قهرتمونا حتى يجعل / الله ٤٤٢ /
١٠ لنا مخرجا ، فقال : صحبكم الله ، و رأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف
و قد أحزنه[3] فيما أرى خروجنا ، فجاء عامر رضى الله عنه بحاجته تلك فقلت
له : يا أبا عبد الله ! لو رأيت عمر آنفا و رقته و حزنه علينا ! قال : أطمعت
فى إسلامه ؟ قلت : نعم ! قال : لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب -
يأسا منه - لما كان يرى من غلظته و قسوته - عن الإسلام ، قال ابن إسحاق[1] :
١٥ و كان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، و كانت عند
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنهم ، و كانت قد أسلمت و أسلم
زوجها سعيد بن زيد و [4]هم مستخفون باسلامهم[4] من عمر ، و كان نعيم بن
عبد الله بن النحام - رجل من قومه بنى عدى بن كعب - قد أسلم رضى الله عنه ،

---

(١) فى السيرة ١/١١٩ (٢) من السيرة ، و فى النسخ : الارض (٣) من السيرة ،
و فى النسخ : حزنه (٤ - ٤) فى السيرة : هما مستخفيان باسلامهما .

و كان أيضا يستخفي باسلامه فرقا من قومه . و كان خباب بن الأرت رضى الله عنه يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه و سلم و رهطا من أصحابه رضى الله عنهم قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا و هم قريب من أربعين ما بين رجال و نساء . و مع رسول ٥ الله صلى الله و سلم عمه حمزة بن عبد المطلب و ابو بكر بن أبى قحافة الصديق و على بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم أجمعين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة و لم يخرج فيمن خرج إلى ارض الحبشة . فلقيه نعيم بن عبد الله رضى الله عنه فقال : أين تريد يا عمر ؟ قال : أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش و سفه أحلامها و عاب ١٠ دينها و سب آلهتها[1] فأقتله ، فقال له نعيم رضى الله عنه : و الله ! لقد غرتك نفسك [2]من نفسك[2] يا عمر ! أترى بنى عبد مناف[3] تاركيك تمشى على الأرض و قد قتلت محمدا ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : و أى أهل بيتى ؟ قال : ختنك و ابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو و أختك فاطمة بنت الخطاب فقد و الله أسلما و تابعا محمدا على دينه فعليك بهما . ١٥ فرجع عمر عامدا إلى أخته و ختنه و عندهما خباب بن الأرت رضى الله عنه و عنهما ، معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها . فلما سمعوا حس عمر تغيب

(١) من مد و السيرة ، و فى الأصل وظ : الهتنا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و السيره فحذفناها .

خباب بن الأرت رضى الله عنه فى مخدع لهم أو فى بعض البيت، و اخذت
فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. و قد سمع عمر
حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة
التى سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئا؟ قال: بلى! و الله لقد أخبرت أنكما
٥ تابعتما محمدا على دينه، و بطش بختنه سعيد بن زيد رضى الله عنه فقامت
إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما
فعل ذلك قالت له أخته و ختنه رضى الله عنهما: نعم! قد أسلمنا و آمنا
بالله و رسوله، فاصنع ما بدا لك! فلما رأى عمر [ما - ١] بأخته من
الدم ندم على [ما - ١] صنع [فارعوى - ١] و قال لأخته: أعطينى
١٠ هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفا أنظر ما هذا[٢] الذى جاء به محمد؟
و كان عمر كاتبا. فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال:
لاتخافى، و حلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك ٤٤٣ /
طمعت فى إسلامه فقالت له: يا أخى! إنك نجس على شركك، و إنه
لايمسها إلا الطاهر. فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة و فيها طـه فقرأها،
١٥ فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام و أكرمه! فلما سمع ذلك
خباب رضى الله عنه خرج إليه فقال له: [يا - ١] عمر! و الله إنى لأرجو
أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه و سلم فانى سمعته
[أمس - ١] و هو يقول: اللهم! أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام
أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر! فقال له عمر عند ذلك: فدلنى

(١) زيد من ظ و مد و السيرة (٢) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: فيها.
يا

يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمـــد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فنظر من خلال الباب فرآه متوشحا السيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ و هو فزع فقال: يا رسول الله! هذا عمر بن الخطاب [1]متوشحا السيف[1]! فقال حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه: فأذن له، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه[2] له، و إن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ائذن له، فأذن له الرجل و نهض إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ[3] بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه ١٠ جبذة شديدة [4]و قال[4]: ما جاء بك يا ابن الخطاب! فو الله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله! جئتك لأومن بالله و برسوله و بما جاء من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه و سلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أن عمر قد أسلم. فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكانهم، و قد ١٥ عزّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر بن الخطاب مع إسلام حمزة رضى الله عنهما، و عرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه و سلم و ينتصفون

(١-١) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: متوشح سيفه (٢) من ظ و مد و السيرة، وفى الأصل: بذلنا (٣) من مد و السيرة، وفى الأصل و ظ: فاخذه.
(٤-٤) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: فقال.

بهما من عدوهم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر رضى الله عنه حين أسلم. وكان إسلام عمر بعد إسلام حمزة رضى الله عنهما بثلاثة ايام، كما ثبت ذلك فى حاشية شرح العقائد عن فوائد تمام الرازى[1]. و صفوة[2] الصفوة لابن الجوزى[3]؛ قال ابن هشام[4]: قال ابن إسحاق: و حدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ قال: قيل له: جميل بن معمر الجمحى، فغدا عليه. قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: و غدوت أتبع أثره و أنظر ما يفعل و أنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه[5] فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت و دخلت فى دين محمد؟ قال: فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه. و اتبعه عمر رضى الله عنه و اتبعت أبى حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش! - و هم فى أنديتهم حول الكعبة - الا! إن ابن / الخطاب قد صبا. قال: يقول عمر رضى الله عنه من خلفه: كذب و لكنى قد أسلمت، شهدت أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و ثاروا إليه فما برح يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم [قال[6]]: و طلح[7] فقعد و قاموا على رأسه و هو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف

(١) هو تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر البجلى محدث دمشق المغربى المتوفى سنة ٤١٤ - راجع كشف الظنون ١٢٩٩ (٢) طبعها الدائرة باسم صفة الصفوة (٣) راجع حديث ابن عباس (٤) راجع السيرة ١٢٠ / ١ من السيرة. وفى الأصول: جاء (٦) زيد من ظ و مد و السيرة (٧) بهامش ظ: أى أعيى.

بالله أن لو [كنا - [1]] ثلاثمائة رجل لقد تركناها [2] لكم أو تركتموها لنا ، قال : فبينما هو على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة و قميص موشى حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ، قال : فمه [3] ! رجل اختار لنفسه أمرا فما ذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم [4] ؟ هكذا [5] عن الرجل ! قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا ٥ كشط عنه . و فى الروض الأنف [6] للامام أبى القاسم السهيلى أن يونس روى عن ابن إسحاق أن عمر قال حين أسلم رضى الله عنه :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت ... له علينا أياد ما لها غير
و قد بدأنا [7] فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث [8] نبى عنده [8] الخبر
و قد ظلمت ابنة الخطاب ثم [9] هدى ... ربى عشية قالوا قد صبا عمر ١٠
و قد ندمت على ما كان من زلل ... بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة ... و الدمع من عينها عجلان يبتدر [6]
أيقنت أن الذى تدعوه خالقها ... فكاد يسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا ... و أن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة ... وافى الأمانة ما [فى - [10]] عوده خور ١٥

إذا تقرر هذا ، علم أن المقصود من السورة - كما تقدم - تشريف

---

(١) زيد من ظ و مد و السيرة (٢) بهامش ظ : أى مكة (٣) بهامش ظ : ما استفهامية و إلا للسكت (٤) من ظ و مد و السيرة ، و فى الأصل : صاحبكم . (٥) زيد فى السيرة : خلوا ، و بهامش ظ : أى تنحوا عنه هكذا (٦) ١/٢١٨ . (٧) من الروض ، و فى الأصول : براانا (٨-٨) من ظ و مد والروض ، و فى الأصل : النبى عبده (٩) من مد وظ و الروض ، و فى الأصل : حين (١٠) زيد من ظ و مد و الروض .

هذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم باعلامه بالرفق بأمته . و الإقبال بقلوبهم حتى يملأوا الأرض كثرة ، [١] كما أنزل عليهم السكينة و هم فى غاية الضعف و القلة ، و حماهم ممن يريد قتلهم ، و لين قلب عمر رضى الله عنه بعد ما كان فيه من الغلظة و جعله وزيرا ، ثم حماه بعدوه [١] ، و تأمينه صلى الله عليه و سلم من أن يستأصلوا بعذاب ، و بأنه يموت نبيهم قبلهم لا كما وقع للهلكين من قوم نوح و هود عليهما السلام و من بعدهم - [٢] بما دل عليه افتتاح هذه بنفى الشقاء و ختم تلك بجعل الود و غير ذلك ، و الداعى إلى هذا التأمين [٢] أنه سبحانه لما ختم تلك باهلاك القرون و إبادة الأمم بعد إنذار القوم اللد ، و لم [٣] يختم سورة من السور الماضية بمثل ذلك ، [كان - [٤]] ربما أفهم أنه قد انقضت مدتهم ، و حل بوارهم ، و أتى دمارهم ، و أنه لايؤمن منهم - لما [٥] هم فيه [٥] من اللدد - إلا من قد آمن ، فحصل بذلك من الغم و الحزن ما لايعلم قدره إلا الله ، لأن الأمر كان فى ابتدائه ، و لم يسلم منهم إلا نفر يسير جدا ، فسكن سبحانه الروع بقوله : ﴿ مآ انزلنا ﴾ بعظمتنا [٦] ﴿ عليك ﴾ [١] أى و أنت أعلم الخلق [١] ﴿ القرآن ﴾ أى [١] أعظم الكتب [١] ، الجامع لكل خير ، و الدافع لكل ضير [٧] ، الذى يسرناه بلسانك ﴿ لتشقىٓ لا ﴾ أى بتعب قلبك بكونك من أقل المرسلين تابعا بعد استئصال قومك و شقائهم بانذارك ﴿ الا ﴾ أى لكن أنزلناه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى ظ : وذلك (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٤) زيد من ظ ومد (٥-٥) فى مد : فيهم (٦) سقط من ظ (٧) بهامش ظ : الضير هو الضر .

﴿ تذكرة ﴾ [أى - [1]] [2] تذكيرا / عظيما [2] ﴿ لمن يخشى ﴾ ممن أشرنا فى آخر التى قبلها إلى بشارته إيماء إلى أنه سيكون فيهم من المتقين من تناسب كثرته إعجاز هذا القرآن و دوامه، و ما فيه من الجمع [3] المشار إليه بالتعبير بالقرآن لجميع [2] ما فى [2] الكتب السالفة من الأحكام أصولا و فروعا، و المواعظ و الرقائق، و المعارف و الآداب، و أخبار الأولين و الآخرين، ٥ و مصالح الدارين، [2] و زيادته عليها بما شاء الله [2]، لأن كثرة الأمة على قدر جلالة الكتاب، و التعبير عن «لكن» بالإشارة إلى أنه يمكن أن يكون من باب:

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

و أشار بالمصدر الجارى على غير الفعل فى قوله: ﴿ تنزيلا ﴾ إلى أنه ١٠ يتمهل عليهم ترفقا بهم، و لا ينزل هذا القرآن إلا تدريجا، إزالة لشبههم، و شرحا لصدورهم، و تسكينا لنفوسهم، و مدا لمدة البركة فيهم بتردد الملائكة الكرام إليهم، كما أنه لم يهلكهم بمعاصيهم اكتفاء ببينة [4] ما فى الصحف الأولى، بل أرسل إليهم رسولا لئلا يقولوا: ربنا لو لا - كما اقتضته حكمته و تمت به كلمته، و لما كان رجوعهم إلى الدين على ما ١٥ يشاهد منهم من الشدة و الأنفة و الشماخة التى سماهم الله بها قوما لدا فى غاية البعد، شرع سبحانه يذكر بقدرته إشارة إلى أن القلوب بيده يقلبها كيف شاء كما صورها كيف شاء، و أن شأنه الرفق و الأناة، فقال ملتفتا من التكلم إلى الغيبة ليدل على ما اقتضته النون من العظمة

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) بهامش ظ: القرآن مشتق من القرأ و هو الجمع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بما فى بينة.

[مقدما ما اقتضى الحال تقديمه من سكنى المدعوين المعتنى بتذكرتهم و هداية من أريد منهم - [1]] : ﴿ ممن خلق الارض ﴾ المنخفضة[2] .

و لما[3] قدم الأرض إعلاما بالاعتناء برحها بالترفق بسكانها ليملأها بالإيمان منهم تحقيقا لمقصود السورة تشريفا [للنزل عليه - [4]] ، أتبعها محل الإنزال على سبيل الترقى من بيت العزة إلى ما كنزه فى خزانة العرش فقال : ﴿ و السمٰوٰت العلىٰ ﴾ فى ستة أيام ، و لوشاء كانتا فى لحظة .

و لما كان القادر قد لايكون ملكا ، قال دالا على ملكه [5]مادحا له بالقطع خبرا لمبتدإ محذوف[5] : ﴿ الرحمٰن ﴾ مفتتحا بالوصف[6] المفيض للنعم[6] العامة للطائع و العاصى : [ثم ذكر خبرا ثانيا دالا على عموم الرحمة فقال - [1]] : ﴿ على العرش ﴾ الحاوى لذلك كله ﴿ استوىٰ ﴾ [5]أى أخذ فى تدبير ذلك منفردا[5] ، فخاطب العباد بما يفهمونه من قولهم : فلان استوى . أى جلس معتدلا على سرير الملك ، فانفرد بتدبيره[7] و إن لم يكن هناك سرير و لا كون عليه أصلا ، هذا روح هذه العبارة ، كما أن روح قوله عليه الصلاة و السلام الذى رواه مسلم[8] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما «القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء» أنه سبحانه و تعالى عظيم القدرة على ذلك . و هو عليه يسير خفيف كخفته على من هذا

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى «العرش فقال» ساقطة من ظ .
(٣) زيد فى مد : كان (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفيض المنعم (٧) من مد ، و فى الأصل : بتدبير ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ (٨) فى باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء كتاب القدر ، و لفظه : إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء .

حاله، و ليس المراد أن هناك إصبعا أصـــلا - نبه على ذلك حجة الإسلام الغزالى، [1]و منه أخذ الزمخشرى[2] أن يد فلان مبسوطة كناية عن جواد و إن لم يكن هناك يد و لا بسط أصلا.

و لما كان الملك قد لا يكون مالكا، قال [مقدما الأشرف على العادة -[3]]: ﴿ له ما فى السمٰوٰت ﴾ أى كله من عاقل و غيره ﴿ و ما فى الارض ﴾ ٥ جميعه ﴿ و ما بينهما ﴾ أى السماوات و الأرض ﴿ و ما / تحت الثرٰى ﴾ / ٤٤٦ [4]و هو التراب الندى، سواء قلنا: إنه آخر العالم فما تحته العدم المحض أم لا؟ فيكون تحته الثور أو الحوت أو غيرهما[4].

ولما كان الملك [1]لا ينتظم غاية الانتظام إلا باحاطة العلم. و كان الملك من الآدميين[4] قد لا يعلم أحوال أقصى ملكه كما يعلم أحوال أدناه لا سيما إذا ١٠ كان واسعا [4]و لذلك يختل بعض أمره[4]، أعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك. فقال حثا على مراقبته و الإخلاص له: ﴿ و ان تجهر بالقول ﴾ أى بهذا القرآن للبشارة و النذارة أو لغير ذلك أو بغيره، فانه عالم به و غير محتاج إلى الجهر، [4]فلا يتكلف ذلك فى غير ما أمرت بالجهر به لغرض غير الإسماع[4] ﴿ فانه يعلم السر ﴾ و هو ما يناجى به الاثنان مخافتة ﴿ و اخفٰى ﴾ ١٥ من ذلك، و هو ما فى الضمائر مما تخيلته الأفكار و لم يبرز إلى الخارج

---

(١) العبارة من هنا إلى «ولا بسط أصلا» ساقطة من ظ (٢) راجع الكشاف ٨٤٥.

(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و غيره من الغيب الذى لم يعلمه غيره تعالى بوجه من الوجوه، [1] و منه ما [2] سيكون من [2] الضمائر. [[3] - و لما كان من هو بهذه الأوصاف [4] من تمام العلم و القدرة [4]] ربما ظن أن له منازعا، نفى ذلك بقوله [4] معلما أن هذا الظن باطل قطعا لا شبهة له و أن ما مضى ينتج قطعا [4]: ﴿الله﴾ مفتتحا

٥ بالاسم الأعظم الحاوى لصفات الكبر و غيرها ﴿لآ اله الا هو﴾ ثم علل ذلك بقوله: ﴿له﴾ أى وحده ﴿الاسمآء الحسنى﴾ أى صفات الكمال التى لا يصح و لا يتصور أن يشوبها نقص ما، بل هو متصف بها دائما اتصافا حقيقيا لا يمكن انفكاكه [5]، كما يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن فى بعض الأحايين ثم يعجز عنه فى وقت آخر أو بالنسبة

١٠ إلى زمان آخر.

و لما أتبع ذلك قصة موسى عليه السلام مصدرة باستفهام مقترن بواو عطف، أرشد ذلك إلى أن المعنى: هل تعلم له سميا، أى متصفا بأوصافه أو بشىء منها له [6] بذلك [6] الوصف مثل فعله، و لما كان الجواب قطعا: لا، ثبت أن لا متصف بشىء من أوصافه، فعطف على هذا المقدر

١٥ قصة موسى عليه السلام. و يكون التقدير: هل علمت بما ذكرناك به فى هذه الآيات أن نريد ما هو علينا يسير بما لنا من القدرة التامة و العلم الشامل من إسعادك فى الدارين بتكثير أجرك، و تفخيم أمرك. بتكثير

(١) العبارة من هنا إلى «الضمائر» ساقطة من ظ (٢-٢) من مد، و فى الأصل: يكون فى (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) بهامش ظ: الضمير فى انفكاكه يرجع إلى الاتصاف الحقيقى (٦) فى ظ: بل.

أتباعك

أتباعك، و عطف عليه القصة شاهدا محسوسا على ما له من الاتصاف
بما انتفى عن غيره من الأسماء الحسنى، و لاسيما ما ذكر هنا من الاتصاف
بتمام القدرة و التفرد بالعظمة، و أنه يعلى هذا المصطفى بانزال هـذا
الذكر عليه و إيصاله منه إليه النصرة عـلى الملوك و سائر الأضداد،
و التمكين فى أقطار البلاد، و كثرة الاتباع، و إعزاز الأنصار [1]والوزراء [1] ٥
و الأشياع، و غير ذلك بمقدار ما بين ابتداء أمرهما من التفاوت، فان
بتداء أمر موسى عليه السلام أنه أتى النار ليُقبس أهله منها نارا أو يجد
عندها هدى . فمنح بذلك من هدى الدارين و النصرة على الأعداء كما
سيقص هنا ما منح، و هذا النبى الكريم كان ابتداء أمره[2] أنه يذهب
إلى غار حراء فيتعبد الليالى ذوات العدد، و يتزود لذلك اجتذابا من الحق ١٠
له قبل النبوة بمدد، تدريبا له و تقوية لقلبه، فأتته النبوة و هو فى مضمارها
سائر[3]، و إلى أوجها [4]بعزمه صائر بل طائر[4]، و موسى عليه السلام
/ رأى حين أتته النبوة آية العصا و اليد . و محمد صلى الله عليه و سلم كان /٤٤٧
قبل النبوة لايمر بحجر و لاشجر[5] إلاسلم عليه - كما أسنده ابن إسحاق فى
السيرة . و روى مسلم[6] و غيره[7] عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الاصل : امرا .
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : سايرا (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل :
بعزمها صايرا بل طايرا (٥) زيد فى الأصل : ولامدر، و لم تكن الزيادة فى ظ
و مد و لافى السيرة ١/٨٠ فحذفناها (٦) فى أول الفضائل (٧) مثل الترمذى فى
المناقب و الدارمى فى المقدمة .

صلى الله عليه و سلم قال: إنى لأعرف حجرا كان يسلم علىّ قبل ان أبعث.
فقال تعالى مقررا[1] تنبيها على أنه يذكر له منه ما يكفى فى تسليته و تقوية
قلبه، و تبكيت اليهود الذين توقفوا فى أمره صلى الله عليه و سلم،
و غشوا قريشا حين تكلفوا طىّ شقة البين إليهم و رضوا بقولهم لهم
٥ [و - [2]] عليهم ليكون فائدة الاستفهام أن يفرغ أذنه الشريفة للسماع
و قلبه للوعى العظيم: ﴿ و هل اتىٰك ﴾ أى يا أشرف الخلق!
﴿حديث موسىٰ﴾ [3] نادبا إلى التأسى بموسى عليه السلام فى تحمل أعباء
النبوة و تكليف الرسالة و الصبر على مقامات الشدائد[3]. و شارحا بذكر
ما فى هذه السورة من سياق قصة ما أجمل منها فى سورة مريم، و مقررا
١٠ بما نظمه فى أساليبها ما تقدم أنه مقصد السورة من أنه يسعده و لا يشقيه،
و يعزه على جميع شانئه[4] باعزازه على أهل بلده بعد إخراجهم له. كما
أعز موسى عليه السلام على من خرج[5] من بلادهم خائفا يترقب، ترغيبا
فى الهجرة ثالثا بعد ما رغب فيها أولا بقصة أصحاب الكهف [و - [2]]
ثانيا بقصة [أبيه - [6]] إبراهيم عليه السلام، و أنه[7] يعلى قومه على جميع
١٥ أهل الأرض، و ينقذهم به بعد ضعفهم من كل شدة، و يغنى فقرهم
و يجعلهم ملوك الأرض، و يذل بهم الجبابرة، و يهلك من علم شقاوته
منهم كما فعل [بقوم - [6]] موسى. و أشار بانجاء موسى عليه السلام على

(١) العبارة من هنا إلى « للوعى العظيم » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: صانعه.
(٥) بهامش ظ: فاعل 'خرج' ضمير يرجع إلى موسى (٦) زيد من ظ و مد
(٧) بهامش ظ: معطوف على 'من أنه يسعده'.

يد عدوه و إلقائه المحبة عليه و هداية السحرة دون فرعون و قومه ، و عبادة
بنى إسراءيل العجل بعد ما رأوا من الآيات و النعم و النقم ، ثم رجوعهم
عنها إلى عظيم قدرته على التصرف فى القلوب لمن كاد[1] يبخع نفسه
لكفرهم بهذا الحديث أسفا ، و كذا ما فى قصة آدم عليه السلام من
قوله " فنسى و لم نجد له عزما " و قوله " ثم اجتبٰه ربه فتاب عليه ٥
و هدى " و لعله أشار بقوله " و احلل عقدة من لسانى " إلى ما أنعم الله
به عليه من تيسير هذا الذكر[2] بلسانه ، و أرشد بدعاء موسى عليه السلام
بشرح الصدر و تيسير الأمر و طلب وزير من أهله إلى الدعاء بمثل
ذلك حتى دعا المنزل عليه هذا القرآن بأن يؤيد الله الدين بأحد الرجلين ،
فأيده بأعظم وزير : عمر بن الخطاب رضى الله عنه - كما مضى هذا إلى ١٠
تمام ما اشتمل عليه سياق قصة موسى عليه السلام هنا ، إتماما لتبكيت
اليهود على تعليمهم قريشا أن يسألوا النبى صلى الله عليه و سلم عن الروح ،
و ما ذكر معها من دقائق ، من أمر قصة نبيهم صلى الله عليه و سلم ،
لا يعلمها أحد منهم أو إلا حذاقهم . منها أن الموعد كان يوم الزينة ،
و منها إيمان السحرة إيمانا كاملا . و منها التهديد بتصليبهم فى جذوع النخل . ١٥
و منها إلقاء السامرى لأثر الرسول ، فانى لم أر أحدا من اليهود يعرف
ذلك ، و أخبرنى بعض فضلائهم أنه لا ذكر لذلك عندهم .

و قال الإمام أبو جعفر / ابن الزبير فى برهانه : لما ذكر سبحانه قصة /٤٤٨
إبراهيم عليه السلام و ما منحه و أعطاه . و قصص الأنبياء بعده بما خصهم به ،

---

(١) بهامش ظ : لمن كاد - موقعه تعليل لقوله : و أشار بإنجاء موسى - إلى أن ذكر : إلى عظيم قدرته (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : الحديث .

و أعقب ذلك بقوله تعالى "اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية أدم" و كان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية، و الدرجات المنيفة الجليلة، لا سيما و قد اتبع ذلك بقوله "فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة و اتبعوا الشهوت فسوف يلقون غيا" كان
٥ هذا مظنة إشفاق و خوف. فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ملاطفة المحبوب المقرب [المجتبى -[1]] فقال "ما انزلنا عليك القرآن لتشقى" و ايضا فقد ختمت سورة مريم بقوله "و كم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا" بعد قوله "و تنذر به قوما لدا" و قد رأى عليه الصلاة و السلام من تأخر قريش عن
١٠ الإسلام و لددها ما أوجب إشفاقه و خوفه عليهم، و لا شك أنه عليه الصلاة و السلام يحزنه تأخير[2] إيمانهم، و لذلك قيل له[3] "فلا تحزن عليهم" فكأنه عليه الصلاة و السلام ظن أن[4] يستصعب المقصود من استجابتهم، أو ينقطع الرجاء من إنابتهم فيطول العناء و المشقة. فبشره سبحانه و تعالى بقوله "ما انزلنا عليك القرآن لتشقى" فلا عليك
١٥ من لدد هؤلاء و توقفهم، فيستجيب من انطوى على الخشية إذا ذكر و حرك إلى النظر في آيات الله كما قيل [له - [1]] في موضع آخر "فلا يحزنك قولهم" ثم اتبع ذلك سبحانه تعريفا و تأنيسا بقوله "الرحمن على العرش استوى" إلى أول قصص موسى عليه السلام. فأعلم سبحانه أن الكل خلقه و ملكه، و تحت قهره و قبضته، لا يشذ شيء عن ملكه.

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد بعده في الأصل: سلامهم و، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و في الأصل: لهم (٤) من ظ و مد، و في الأصل: انه.

فاذا

فاذا شاهد آية من وفقه لم يصعب أمره. ثم اتبع ذلك بقصة موسى عليه السلام، و ما كان منه فى إلقائه صغيرا فى اليم، و ما جرى بعد ذلك من عجيب الصنع و هلاك فرعون و ظهور بنى إسراءيل، و كل هذا مما يؤكد[1] القصد[2] المتقدم، و هذا الوجه الثانى أولى من الأول - و الله أعلم. انتهى. ﴿إذ﴾ [3]أى حديثه حين[3] ﴿رءا نارا﴾ و هو راجع ٥ من بلاد مدين ﴿فقال لاهله امكثوآ﴾ أى مكانكم و اتركوا ما أنتم عليه من السير؛ ثم علل أمره بقوله: ﴿انى ءانست﴾ أى أبصرت فى هذا الظلام إبصارا بينا لا شبهة فيه من إنسان العين الذى تبين به الأشياء، و هو مع ذلك مما يسر من الإنس الذين هم ظاهرون ما ترك بهم ﴿نارا﴾ فكأنه قيل: فكان ماذا؟ فقال معبرا بأداة الترجى لتخصيصه[4] ١٠ الخبر الذى عبر به[5] فى النمل بالهدى: ﴿لعلى ءاتيكم﴾ أى أترجى أن أجيئكم ﴿منها بقبس﴾ أى بشعلة من النار [3]فى رأس خشبة[3] فيها جمرة تعين على برد هذه الليلة ﴿او اجد على﴾ مكان ﴿النار هدى﴾ أى ما[3] أهتدى به لأن الطريق كانت قد خفيت عليهم ﴿فلمآ اتىها﴾.

[3]و لما كان فى الإبهام ثم التعيين تشويق ثم تعظيم، بنى للمفعول ١٥ قوله[3]: ﴿نودى﴾ من الهادى الذى لا هادى غيره؛ ثم بين النداء بقوله:

---

(١) فى مد: يؤيد (٢) بهامش ظ: أى بشارته بقوله: ما أنزلنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ: قول الشيخ رحمه الله و لا أخذه: لتخصيصه الخبر - إلى آخره. فيه نظر فانه يقول: إنما عبر هنا بالترجى حيث قال له: آتيكم منها بقبس، لأن الهدى الذى ذكر هنا خص بالخبر الذى عبر به فى سورة النمل (٥) بهامش: ظ الضمير فى «به» راجع إلى الخبر.

﴿ يموسى ۝ ﴾ و لما كان المقام للتعريف بالأيادى تلطفا، قال [1]مؤكدا،
تنبيها [له -[2]] على تعرف أنه كلامه سبحانه من جهة / أنه يسمعه من غير ٤٤٩/
جهة معينة [و -[2]] على غير الهيئة التى عهدها فى مكالمة المخلوقين، مسقطا
الجار فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و أبى حفص بالفتح، و حاكيا
٥ [بقول -[2]] مقدر عند الباقين : ﴿ انى انا ربك ﴾ أى المحسن إليك بالخلق
و الرزق و غيرهما من مصالح الدارين ﴿ فاخلع نعليك ج ﴾ كما يفعل
بحضرات الملوك أدبا[3]، [4]و لتنالك بركتها و لتكون مهيئا للاقامة غير
ملتفت إلى ما وراءك من الأهل و الولد، و لهذا قال أهل العبارة : النعل
يدل على الولد[4].

١٠ ثم علل بما يرشد إلى أنه تعالى لا يحويه مكان و لايجرى[5] عليه
زمان فقال : ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ أى المطهر عن كل ما لايليق بأفنية
الملوك؛ ثم فسره بقوله : ﴿ طوى ۝ ﴾ و لما كان المعنى : فانى اخترته تشريفا
له من بين البقاع لمناجاتك، عطف عليه قوله : ﴿ و انا اخترتك ﴾ أى
للنبوة ﴿ فاستمع ﴾ أى أنصت ملقيا سمعك معملا قلبك للسماع
١٥ ﴿ لما ﴾ أى[6] اخترتك للذى . و قدم[7] ' استمع ' اهتماما به ﴿ يوحى ۝ ﴾
أى يقال لك منى سرا مستورا عن غيرك [سماعه -[2]] و إن كان فى
غاية الجهر، كما يفعل الحبيب مع حبيبه من صيانة حديثهما عن ثالث

---

(١) العبارة من هنا إلى « عند الباقين » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : اذابا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لايجريه (٦) من مد، و فى الأصل : او، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « اهتماما به » ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل : قلنا .

بما يجعل له من الخلوة إعلاما بعلو قدره و فخامة أمره؛ ثم فسر الموحى بأول الواجبات و هو معرفة الله تعالى، فقال [مؤكدا لعظم الخبر و خروجه عن العادات -[1]] : ﴿ انىّ انا الله ﴾ فذكر الاسم العلم لأن هذا مقامه إذ الأنسب للملطوف به - بعد التعرف إليه بالإكرام - الإقامة فى مقام الجلال [2]و الجمال[2]. ٥

و لما كان هذا الاسم العلم جامعا لجميع معانى الأسماء الحسنى التى علت عن[3] أن يتصف بها أو بشيء منها حق الاتصاف غيره تعالى، حسن تعقيبه بقوله : ﴿ لآ اله الآ انا ﴾ و لما تسبب عن ذلك وجوب إفراده بالعبادة، قال : ﴿ فا عبدنى لا ﴾ [2]أى وحدى[2] : ثم خص من بين العبادات معدن الأنس و الخلوة، و آية الخضوع و المراقبة و روح الدين ١٠ فقال : ﴿ و اقم الصلوٰة ﴾ أى التى أضاعها خلوف السوء، إشارة إلى أنها المقصود بالذات من الدين، لأنها أعلى شرائعه لأنها حاملة على المراقبة، بما فيها من دوام الذكر و الإعراض عن كل سوء، و ذلك معنى ﴿ لذ كرى ه ﴾ و ذلك أنسب الأشياء لمقام[4] الجلال، بل هى الجامعــة لمظهرى الجمال و الجلال؛ ثم علل الأمر بالعبادة بأنه لم يخلق الخلق سدى، بل لابد ١٥ من إماتتهم، ثم بعثهم لإظهار العظمة و نصب موازين العدل، فقال [مؤكدا لإنكارهم معبرا بما يدل على سهولة ذلك عليه جدا -[1]] : ﴿ ان الساعة اٰتية ﴾ أى لاريب فى إتيانها، فهى أعظم باعث على الطاعة.

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : بمقام.

و لما كان بيان حقيقة الشيء مع إخفاء [1]شخصه و وقته[1] و جميع أحواله موجبا في الغالب لنسيانه و الإعراض عنه، فكان غير بعيد من إخفائه أصلا و رأسا، قال مشيرا إلى هذا المعنى: ﴿اكاد اخفيها﴾ [أي أقرب من أن أجدد إخفاءها، فلذا يكذب بها الكافر بلسانه و العاصي بعصيانه

٥ فالكافر لايصدق بكونها و المؤمن لايستعد غفلة عنها - [2]]، فراقبني فان الأمر يكون بغتة، ما من لحظة إلا و هي صالحة للترقب؛ ثم بين سبب الإتيان بها بقوله: ﴿لتجزى﴾ [3]أي بأيسر أمر و أنفذه[3] ﴿كل نفس﴾ كائنة من كانت ﴿بما تسعى ه﴾ [4]أي توجد من السعي في كل وقت كما يفعل من[5] [6]أمر ناسا بعمل من النظر في أعمالهم و مجازاة كل

١٠ بما يستحق[6]

و لما كانت - لما تقدم - في حكم المنسي عند أغلب الناس قال: ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي عن إدامة / ذكرها ليثمر[7] التشمير في الاستعداد لها ﴿من لايؤمن بها﴾ باعراضه عنها و حمله غيره على ذلك بتزيينه[8] بما أوتي من المتاع الموجب للكاثرة المثمر لامتلاء القلب بالمباهاة

١٥ و المفاخرة، فان من انصد عن ذلك غير بعيد الحال ممن كذب بها[9].

/٤٥٠

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل: وقته وشخصه (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « بما يستحق » ساقطة من ظ. (٥) من مد، و في الأصل: كل من له (٦-٦) ما بين الرقمين بياض في الأصل ملأناه من مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: يستمر (٨) من ظ و مد، و في الأصل: بقرينة (٩) العبارة من بعده إلى « عليه الكشاف » ساقطة من ظ.

و المقصود

و المقصود من العبارة نهى موسى عليه السلام عن التكذيب، فعبر عنه بنهى من لايؤمن عن الصد إجلالا لموسى عليه السلام، و لأن [صد -[1]] الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب، و لأن صد الكافر مسبب[2] عن رخاوة الرجل فى الدين و لين شكيمته فذكر المسبب[3] ليدل على السبب[4]. فكأنه قيل: كن شديد الشكيمة صليب المعجم؛ ٥ لئلا يطمع أحد فى صدك و إن كان الصاد هم الجم الغفير، فان كثرتهم تصل إلى الهوى لا إلى البرهان، و فى هذا حث عظيم على العمل بالدليل، و زجر بليغ عن التقليد، و إنذار بأن الهلاك و الردى مع التقليد و أهله - نبه عليه الكشاف. ثم بين العلة فى التكذيب بها و الكسل عن التشمير لها بقوله: ﴿و اتبع﴾[5] أى بغاية جهده[5] ﴿هوىه﴾ فكان حاله حال البهائم ١٠ التى لاعقل لها، تنفيرا عن مثل حاله؛ ثم أعظم التحذير بقوله [مسببا -[6]]: ﴿فتردىٰه﴾ أى فتهلك، إشارة إلى أن من ترك المراقبة لحظة حاد عن الدليل، و من حاد عن الدليل هلك.

و لما كان المقام مرشدا إلى أن يقال: ما جوابك ياموسى عما سمعت؟ و كان تعالى عالما بأنه يبادر إلى الجواب بالطاعة فى كل ما تقدم، طوى هذا ١٥ المقال مؤميا إليه بأن عطف عليه قوله: ﴿و ما تلك﴾[7] أى العالية المقدار[7]

---

(١) زيد من مد و الكشاف ٨٤٨ (٢) من مد و الكشاف، وفى الأصل: سبب.
(٣) من مد و الكشاف، وفى الأصل: السبب (٤) من مد و الكشاف، و فى الأصل: المسبب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد.
(٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «بيمينك» والترتيب من مد، و سقط من ظ.

﴿بيمينك يموسى﴾ مريدا - بعد تأنيسه بسؤاله عما هو أعلم به منه - إقامة البينة لديه بما يكون دليلا على الساعة من سرعة القدرة على إيجاد ما لم يكن، [1]بقلب العصى حية بعد تحقق[2] أنها عصاة بقرب النظر إليها عند[3] السؤال عنها ليزداد بذلك ثباتا و يثبت من يرسل إليهم ﴿قال هى﴾

٥ [4]أى ظاهرا و باطنا[4] ﴿عصاى ج﴾ ثم وصل به مستأنسا بلذيذ المخاطبة قوله [4]بيانا لمنافعها خوفا من الأمر بالقائها كالنعل[4]: ﴿اتوكؤا﴾ [4]أى أعتمد و أرتفق و أتمكن[4] ﴿عليها﴾ أى إذا أعييت أو عرض لى ما يحوجنى[5] إلى ذلك من زلق أو هبوط أو صعود [4]أو طفرة[4] أو ظلام و نحو ذلك، ثم ثنى بعد مصلحة نفسه بأمر رعيته فقال: ﴿و اهش﴾

١٠ أى أخبط[6] الورق، قال ابن كثير: قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك: و الهش أن يضع الرجل المحجن فى الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه و ثمره و لا يكسر العود و لا يخبط [فهذا الهش -[7]]، قال: و كذا قال ميمون بن مهران، و قال أبو حيان[8]: و الأصل فى هذه المادة الرخاوة. يقال: رجل هش. ﴿بها على غنمى﴾.

١٥ و لما كان أكمل [أهل -[7]] ذلك الزمن، خاف التطويل على الملك فقطع على نفسه ما هو فيه من لذة المخاطبة كما قيل: اجلس على

(١) العبارة من هنا إلى «السؤال عنها» ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: تحقيق (٣) من مد. و فى الأصل: عن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد. و فى الأصل: يخرجنى (٦) من مد. و فى الأصل و ظ: أهبط (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع النهر من البحر المحيط ٦/٢٢٨؛ و فى مد: أبو عمر - خطأ.

البساط و إياك و الانبساط .[1] و طمعا فى سماع كلامه سبحانه و تعالى[1].
فقال مجملا : ﴿ و لى فيها مآرب ﴾ [2]أى حوائج و منافع يفهمها الألباء[2].

[و لما كان المحدث عنه لايعقل ، و أخبر عنه بجمع كثرة ، كان الأنسب
معاملته معاملة الواحدة المؤنثة فقال ـ[3]] : ﴿ اخرىٰ ﴾ تاركا للتفصيل ،
فكأنه قيل : فما ذا قيل له ؟ / فقيل : ﴿ قال القها ﴾ أى العصا ، ٥ / ٤٥١
[1] و أنسه بقوله سبحانه و تعالى[1] : ﴿ يٰموسى ۝ فالقٰها ﴾ أى فتسبب عن
هذا الأمر المطاع انه ألقاها و لم يتلعثم ﴿ فاذا هى ﴾ أى فى الحال
ظاهرا و باطنا ﴿ حية ﴾ عظيمة جدا يطلق عليها لعظمها [1]بنهاية أمرها[1]
اسم الثعبان ، [4]و الحية اسم جنس يقع[5] على الذكر و الأنثى و الصغير
و الكبير ﴿ تسعىٰ ﴾ سعيا حفيفا[6] يطلق عليها لأجله[7] [1]فى أول أمرها[1] ١٠
اسم الجان ، [1]فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها صارت حية صفراء لها
عرف كعرف الفرس ، و جعلت تتورم حتى صارت ثعبانا ـ انتهى .
فهى فى عظم الثعبان و سرعة الجان[1] .

و لما كان ذلك أمرا مخيفا ، [استشرف السامع إلى ما يكون من
حاله عند مثل هذا بعد ذلك ، فاستأنف إخباره بقوله ـ[3]] : ﴿ قال ﴾ ١٥
[1]أى الله تبارك و تعالى على ما يكون منها عند فرعون[1] [8]لأجل التدريب[8] :

(١ ـ ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ ـ ٢) فى ظ : حاجات (٣) زيد من
مد (٤) العبارة من هنا إلى « و الكبير » ساقطة من ظ (٥) فى مد : تقع .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خفيا (٧) من ظ ومد . و فى الاصل : لاجلها .
(٨ ـ ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

﴿خذها ولا تخف﴾ مشيرا إلى أنه خاف منها [1]على عادة الطبع البشرى[1]؛ ثم علل له النهى عن الخوف بقوله : ﴿ سنعيدها ﴾ [1] أى بعظمتنا عند أخذك لها بوعد لاخلف فيه [1] ﴿ سيرتها ﴾ أى طريقتها ﴿ الاولىٰ ﴾ من كونها عصى . فهذه آية بينة على أن الذى يخاطبك هو ربك الذى

٥ له الأسماء الحسنى ، [1]فنزلت عليه السكينة ، و بلغ من طمأنينته أن أدخل يده فى فمها و أخذ بلحيتها ، فاذا هى عصاه . و يده بين شعبتيها[1] .

[و لما أراه آية فى بعض الآفاق ، أراد أن يريه آية فى نفسه فقال - [2]] : ﴿ و اضمم يدك ﴾ من جيبك الذى يخرج منه عنقك ﴿ الى جناحك ﴾ أى جنبك [1]تحت العضد[1] تنضم على ما هى[3] عليه

١٠ من لونها[1] و ما بها من الحريق[1] ، و أخرجها ﴿ تخرج ﴾ فالآية من باب الاحتباك ، و الجناح : اليد ، و العضد . و الإبط ، و الجانب - قاله فى القاموس . فلا يعارض هذا ما فى القصص[4] لأنه أطلق الجناح هناك على اليد[5] و هى أحق بـه ، و هنا على الجنب الذى هو موضعها تسمية للحل باسم الحال ﴿ بيضآء ﴾ بياضا[6] كالشمس[7] تعجب منه .

١٥ [1]و لما كان البرص ابغض شىء إلى العرب ، قال نافيا له و لغيره ، و لم يسمه باسمه لأن أسماعهم له مجاجة ، و لأن نفى الأعم من الشىء[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) راجع آيـة ٣٢ (٥) بهامش ظ : حيث قال : و اضمم اليك جناحك من الرهب (٦) موضعه فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد . (٧) سقط من ظ .

[1]أبلغ من نفيه بخصوصه[1]: ﴿من غير سوٓء﴾ أى مرض لا برص و لا غيره، حال كونها ﴿اٰية اخرىٰ لا﴾ افعل ما أمرتك به من إلقاء العصا و ضم اليد، أو فعلنا ذلك من إحالة العصا و لون اليد من مناداتك لمناجاتك ﴿لنريك﴾ فى جميع أيام[2] نبوتك ﴿من اٰيٰتنا الكبرىٰ ج﴾ ليثبت بذلك جنانك، و يزداد إتقانك. فكأنه قيل: لما ذا يفعل بى هذا؟ فقيل: ٥ لنرسلك إلى بعض المهمات ﴿اذهب الى فرعون﴾ أى لترده عن عتوه: ثم علل الإرسال إليه بقوله، [مؤكدا لأن طغيان أحد بالنسبة إلى شيء مما للملك الأعلى مما يستبعد -[3]]: ﴿انه طغىٰ ع﴾ أى تجاوز حده من العبودية فادعى الربوبية، و أشار إلى ما حصل له من الضيق من ذلك بما عرف [1]من أنه أمر عظيم، و خطب جسيم، يحتاج معه إلى احتمال ١٠ ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط و صدر فسيح[1] [و قلب ضابط -[3]] - كما صرح به فى سورة الشعراء[4] - بقوله: ﴿قال رب اشرح﴾ أى وسع ﴿لى﴾ [5]و لما أبهم المشروح ليكون الكلام أوكد بتكرير[6] المعنى فى طريق الإجمال و التفصيل، قال رافعا لذلك الإبهام: ﴿صدرى لا﴾ للاقدام على ذلك، و إلى استصعابه بقوله: ﴿و يسر لىٓ﴾ [ثم بين ذلك الإبهام بقوله -[3]]: ١٥ ﴿امرى لا﴾ [و إلى استعجازه نفسه عن الإبانة لهم عن المراد بقوله -[7]]:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) تكرر فى مد (٣) زيد من مد.
(٤) راجع آية ١٣ (٥) العبارة من هنا إلى «لذلك الإبهام» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: من تكرير (٧) زيد من ظ و مد.

﴿[1]و احلل[1]﴾ و لما كان المعنى [هنا -[2]] ما لا يحتمل غيره [إذ أنه لم يسأل بقاءه فى غير حال الدعوة -[2]] ، عدل عن طريق الكلام الماضى فقال: ﴿عقدة من لسانى ﴾ أى مما فيه من ؛ الحبسة عن الإتيان بجميع المقاصد من الجمرة التى وضعها فى فيه ، هو عند فرعون .[3] كما نقل عن ابن عباس

/ ٤٥٢

٥ رضى الله عنهما ؛ و لما كان سؤاله هذا إنما هو لله ، و لذلك اقتصر على قدر الحاجة فلم يطلب زوال الحبسة كلها ، أجابه بقوله[3]: ﴿يفقهوا قولى ﴾ و إلى اعتقاد صعوبة المقام مع ذلك كله بطلب التأييد بنصير يهمه أمره بقوله[4] : ﴿و اجعل لى﴾[5] أى [مما -[2]] تخصنى به ؛ و بين اهتمامه بالإعانة كما يقتضيه الحال فقدم قوله : ﴿ وزيرا ﴾ أى ملجأ يحمل عنى بعض

١٠ الثقل [3]، يعاونى[3] ﴿من اهلى ﴾ لأنى[6] به أوثق لكونه على أشفق ؛ ثم أبدل منه قوله : ﴿ هٰرون ﴾ و بينه بقوله[7] : ﴿ اخى ﴾ [أى -[8]] لأنه أجدر أهلى بتمام مناصرتى ؛ [3]و أجاب الدعاء فى قراءة ابن عامر فقال[3]: ﴿اشدد﴾ [بقطع الهمزة مفتوحة -[2]] ﴿به ازرى ﴾ أى قوتى [3]و ظهرى[3] ﴿و اشركه﴾ [9]بضم الهمزة مسندا الفعلين إلى ضميره على أنهما مضارعان[10]،

(١ - ١) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « الماضى فقال » و الترتيب من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد . و فى الأصل و ظ : فى قوله (٥) العبارة من هنا إلى « فقدم قوله » ساقطة من ظ . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لأنه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقولى (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى «على الدعاء» ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل : مضار عمن - مصحفا .

و قراءة الباقين بوصل الأول و فتح همزة الثاني على أنهما أمران . مستدين إلى الله تعالى على الدعاء ﴿فى امرى﴾ أى النبوة .

و لما أفهم سؤاله هذا أن له فيه أغراضا ، أشار إلى أنها ليست مقصودة له لأمر يعود على نفسه بذكر العلة الحقيقية . فقال : ﴿كى نسبحك﴾ [1]أى بالقول و الفعل بالصلاة و غيرها[1] ﴿كثيرا﴾ فأفصح عن أن المراد ٥ بالمعاضدة إنما هو لتمهيد الطريق إليه سبحانه .

و لما كان التسبيح ذكرا خاصا لكونه بالتنزيه الذى أعلاه التوحيد ، أتبعه العام فقال : ﴿و نذكرك﴾ أى بالتسبيح و التحميد ﴿كثيرا﴾[1] فان التعاون و التظاهر أعون على تزايد العبادة لأنه مهيج للرغبات[1] ؛ ثم علل طلبه لأخيه لأجل هذا الغرض بقوله : ﴿انك كنت بنا بصيرا﴾ قبل ١٠ الإقامة فى هذا الأمر فى أنك جبلتنا على ما يلائم ذكرك و شكرك[2] . [1]و أن التعاضد مما يصلحنا[1] ، و كل ذلك تدريب لمن أنزل عليه هذا الذكر على مثله . و تذكير بنعمة تيسيره بلسانه ليزداد ذكرا و شكرا .

و لما تم ذلك ، كان[3] موضع [توقع -[4]] الجواب ، فأتبعه قوله : ﴿قال﴾ [1]أى الله[1] : ﴿قد اوتيت﴾ [1]بأسهل أمر[1] ﴿سؤلك﴾ أى ما ١٥ سألته ﴿يموسى﴾ من حل عقدة لسانك و غير ذلك و لو شئت لم أفعل ذلك . و لكنى فعلته منة مني عليك .

و لما كان بحاؤه من ... [5] فرعون حيث ولد فى السنة التى يذبح

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شكرت .
(٣) بهامش ظ : اسم ' كان ' ضمير يرجع إلى ' ذلك ' (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) فى مد : ولد .

فيها الأبناء - [1]قالوا: و هي الرابعة من ولادة[2] هارون عليه السلام - بيد فرعون و في بيته أمرا عظيما، التفت إلى مقام العظمة مــذكرا له بذلك [3]تنويرا لبصيرته و تقوية لقلبه[3]، إعلاما بأنه ينجيه منه الآن، كما أنجاه في ذلك الزمان، و يزيده بزيادة السن و النبوة خيرا، فيجعل عزه[4]
٥ في هلاكه كما جعل إذ ذاك عزه في وجوده فقال: ﴿و لقد مننا﴾ [5]أي أنعمنا إنعاما مقطوعا[6] به [7]على ما[7] يليق بعظمتنا ﴿ عليك[8] ﴾ فضلا منا ﴿مرة اخرىٓ ۙ﴾ [9]غير هذه[9]؛ ثم ذكر وقت المنة فقال: ﴿اذ﴾ [3]أي حين[3] ﴿ اوحينآ ﴾ [أي بما لنا من العظمة -[10]] ﴿ الىٓ امك ﴾ أي بالإلهام ﴿ما﴾ يستحق لعظمته[11] أن ﴿يوحىٓ ۙ﴾ به، [3]و لا يعلمه إلا نبي
١٠ أو من هو قريب من درجة النبوة[3]؛ ثم فسره بقوله: ﴿ ان اقذفيه ﴾ أي ألقي ابنك ﴿في التابوت﴾ و هو الصندوق، فعلوت من التوب [3]الذي معناه الرجوع تفاؤلا بــه[3]، و قال الحرالي: هو وعاء ما يعز قدره، و القذف مجاز عن المسارعة إلى وضعه[12] من غير / تمهل لشيء أصلا، إشارة /٤٥٣
إلى أنه فعل مضمون السلامة كيف ما كان، [3]و التعريف لأنه نوع من
١٥ الصناديق أشد النــاس معرفة بــه بنو إسراءيل[3] ﴿ فاقذفيه ﴾ أي

(١) العبارة من هنا إلى « عليه السلام » ساقطة من ظ (٢) في مد: مولد.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ: الضمير في قوله « عزه » يرجع لموسى أي يجعل عزموسى في هلاك فرعون (٥) العبارة من هنا إلى « بعظمتنا » ساقطة من ظ (٦) من مد، و في الأصل: مقطوع (٧-٧) في مد: كما (٨) تقدم في الأصل على « انعمنا » و الترتيب من مد (٩-٩) من ظ و مد. و في الأصل: غيره (١٠) زيد من مد (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ: القائه.

[موسى عليه السلام - [1]] عقب ذلك بتابوته ، [2] أو التابوت الذى فيه موسى عليه السلام[2] ﴿ فى اليم ﴾ أى البحر و هو النيل .

و لما كانت سلامته فى البحر من العجائب ، لتعرضه للغرق بقلب الريح للتابوت ، أو بكسره فى بعض الجدر أو غيرها ، أو بجريه مستقيما مع أقوى جرية من الماء إلى البحر الملح و غير ذلك من الآفات ، أشار إلى ٥
تحتم تنجيته بلام الأمر[2] عبارة عن معنى الخبر[2] فى قوله ، [2] جاعلا البحر كأنه ذو تمـييز ليطيـع الأمر[2] : ﴿ فليلقه ﴾ [2] أى التـابوت الذى فيه موسى عليه السلام أو موسى بتابوته[2] ﴿ اليم بالساحل ﴾ [2] أى شاطئ النيل ، سمى بذلك لأن الماء يسحله ، أى يقشره[2] إلى جانب البيت الذى الفعل كله هربا من شرصاحبه ، و هو فرعون ، و هو المراد بقوله : ﴿ يأخذه[3] ﴾ ١٠
[3] جوابا للأمر ، أى موسى[3] ﴿ عدو لى ﴾ و نبه على محل العجب باعادة لفظ العدو فى قوله : ﴿ و عدو له[4] ﴾ فانه ما عادى بنى إسراءيل بالتذبيح إلا من أجله ﴿ و ألقيت عليك محبة ﴾ أى عظيمة ؛ ثم زاد الأمر فى تعظيمها إيضاحا بقوله : ﴿ منى ﴾ [أى - [4]] ليحبك كل من[5] رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة ، و الشيم السديدة . لتكون أهلا لما اريدك له ﴿ و لتصنع ﴾ ١٥
أى تربى[2] بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم لك لاينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة[2] ﴿ على عينى ﴾ أى مستعليا على حافظيك غير مستخف

---

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ .

في تربيتك[1] من أحد ولا تخوف عليك منه، وأنا حافظ لك حفظ من يلاحظ الشيء بعينه[2] لا يغيب عنها، فكان كل ما أردته[3]، فلما رآك هذا العدو أحبك [4]وطلب[4] لك المراضع، فلما [لم -[5]] تقبل واحدة منهن بالغ في الطلب، كل ذلك إمضاء لأمري وإيقافا لأمره به نفسه لا بغيره

٥ ليزداد العجب من إحكام السبب؛ ثم ذكر ظرف الصنع فقال: ﴿إذ﴾ [6]أي حين[6] ﴿تمشي أختك﴾ [6] أي في الموضع الذي وضعوك به ليطلبوا لك مرضعة[6] ﴿فتقول﴾ بعد إذ رأتك، لآل فرعون: ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ [6] أي يقوم بمصالحه من الرضاع والخدمة[6]، [7] ناصحا له. فقالوا: نعم[7]! [6] فجاءت بأمك فقبلت ثديها[6] ﴿فرجعنك﴾ أي فتسبب عن قولها

١٠ هذا أن رجعناك ﴿إلى أمك﴾ حين دلتهم عليها ﴿كي تقر﴾ [6]أي تبرد وتسكن[6] ﴿عينها﴾ وتربيك آمنة عليك غير خائفة، ظاهرة غير مستخفية ﴿ولا تحزن﴾ بفراقك أو بعدم تربينها [لك -[5]] وبذلها الجهد في نفعك ﴿وقتلت نفسا﴾ أي[8] بعد أن صرت رجلا من القبط دفعا عن رجل من قومك فطلبت بها وأرادوا قتلك ﴿فنجينك﴾ [6]بما لنا من العظمة[6] ﴿من الغم﴾

١٥ الذي كان قد نالك بقتله خوفا من جريرته، بأن أخرجناك مهاجرا لديارهم نحو مدين ﴿وفتنك فتونا﴾ أي خلصناك من محنة بعد محنة مرة بعد مرة،

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: ربيتك (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: منه (٣) من ظ ومد. وفي الأصل: أرادته (٤-٤) من ظ ومد، وفي الأصل: تطلب (٥) زيد من ظ ومد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن « ثديها » والترتيب من ظ ومد (٨) سقط من ظ.

[1]على أنه جمع فتن أو فتنة . [على ترك الاعتداد بالتاء -[2]] ، و يجوز أن يكون مصدرا كالشكور ، إذن الفتون ولادته عام الذبح و إبقاؤه فى البحر ثم منعه الرضاع من غير ثدى أمه ثم جره لحية فرعون، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ، ثم قتله القبطى ، ثم خروجه إلى مدين فى الطريق المهيع خائفا يترقب ، ثم إيجار / نفسه عشر سنين ، ثم إضلاله الطريق ، ثم تفرق ٥ / ٤٥٤ غنمه فى ليلة مظلمة ﴿فلبثت سنين﴾ أى كثيرة ﴿فى اهل مدين ﴾ مقيما عند نبينا شعيب عليه السلام يربيك بآدابه ، و صاهرته على ابنته ﴿ثم جئت﴾ أى الآن ﴿على قدر﴾ أى وقت قدّرته فى الأزل لتكليمى لك ، و هو بلوغ الأشد و الاستواء ، و إرسالك إلى فرعون لأمضى فيه قدرى الذى ذبح أبناء بنى إسراءيل خوفا منه ، [3]فجئت غير مستقدم و لا مستأخر[3] ١٠ ﴿يٰموسى ۝ و اصطنعتك﴾ أى ربيتك بصنائع [3]المعروف تربية من يتكلف تكوين المربىّ على طريقة من الطرائق[3] ﴿لنفسى ﴾ أى لتفعل من مرضاتى فى تمهيد شرائعى و إنفاذ أوامرى ما[4] يفعله من يصنع للنفس من غير مشارك ، [3]فهو تمثيل لما حوله من منزلة التقريب و التكريم[3] .

فلما تمهد[5] ذلك كله بعد علم نتيجته[6]، أعادها فى قوله : ﴿اذهب انت﴾ ١٥ كما تقدم أمرى لك به ﴿و اخوك﴾ كما سألت ﴿بـٰايٰتى﴾ التى أريتك

(١) العبارة من هنا إلى « ليلة مظلمة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .

(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى الأصل : يصنعه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمهيك - كذا .

(٦) بهامش ظ : أعنى بها قوله : لنرسلك إلى بعض المهمات المتضمن ذلك اذهب إلى فرعون .

و غيرها مما أظهره على يديك ﴿و لا تنيا﴾ أي تفترا [1]و تضعفا[1]
﴿في ذكري ج﴾ الذي تقدم أنك جملته غاية دعائك ، بل لتكن - مع
كونه ظرفا محيطا بجميع أمرك - في غاية الاجتهاد فيه و إحضار القلب له ،
و ليكن أكثر ما يكون عند لقاء فرعون أن عبدي كل عبدي للذي
٥ يذكرني عند لقاء قرنه[2] ، [1]فان ذلك أعون شيء على المراد[1] ، ثم بين المذهوب
إليه بقوله ، [1]مؤكدا لنفس الذهاب لأنه لشدة الخطر لا يكاد طبع البشر
يتحقق جزم الأمر به فقال[1] : ﴿ اذهبآ الى فرعون ﴾ ثم علل الإرسال
إليه بقوله ، [3]مؤكدا لما مضى ، و لزيادة التعجيب من قلة عقله ، فكيف
بمن[4] تبعه ﴿انه طغى ج صلے﴾ ثم أمرهما بما ينبغي[5] لكل آمر بالمعروف من الأخذ
١٠ بالأحسن فالأحسن و الأسهل فالأسهل ، [1]فقال مسببا عن الانتهاء إليه
و معقبا[1] : ﴿فقولا له قولا لينا﴾ لئلا يبقى له حجة ، و لا يقبل له معذرة
﴿لعله يتذكر﴾ ما مر له من[6] تطوير الله [له -[7]] في أطوار مختلفة ،
و حمله فيما[8] يكره على ما لم يقدر على الخلاص منه بحيلة ، فيعلم بذلك أن
الله ربه ، و أنه قادر على ما يريد منه ، فيرجع عن غيّه فيؤمن[9]
١٥ ﴿او يخشى ۝﴾ أي أو يصل إلى حال من يخاف عاقبة قولكما [10]التوهم الصدق

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : حديث سبكه ؟ الشيخ .
(٣) العبارة من هنا إلى « بمن تبعه » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفي الأصل :
من (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : تبتغي (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : في .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) في مد : على ما (٩) سقط من ظ (١٠) العبارة من
هنا إلى « بني إسراءيل » ساقطة من ظ .

فيكون

[فيكون قولكما تذكرة له -[1]] فيرسل معكما بنى إسراءيل، و معنى الترجى أن يكون حاله حال من يرجى منه ذلك، لأنها من ثمرة اللين فى الدعاء، جرى الكلام فى هذا و أمثاله على ما يتعارفه العباد فى محاوراتهم، و جاء القرآن على لغتهم و على ما يعنون، فالمراد: اذهبا[2] أنتما على رجائكما[3] و طمعكما و مبلغكما من العلم، و ليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلما، ٥ و أما علمه تعالى فقد أتى من وراء ما يكون - قاله سيبويه فى باب من النكرة يجرى مجرى ما فيه الألف و اللام من المصادر و الأسماء.

و لما كان فرعون فى غاية الجبروت، و كان حاله حال من يهلكهما إلا أن يمنعهما الله، و أرادا علم ما يكون من ذلك ﴿قالا ربنآ﴾ أى أيها المحسن إلينا. [4]و لما كان مضمون إخبارهما [بالخوف - مع -[1]] ١٠ كونهما [5]من جهة الله[5] - من شأنه أن لا يكون و أن ينكر، أكدا فقالا مبالغين فيه باظهار النون الثالثة إبلاغا فى إظهار الشكوى ليأتى الجبر على قدر ما يظهر من الكسر: ﴿اننا نخاف﴾ لما [هو -[6]] فيه من المكنة ﴿ان يفرط﴾ أى يعجل ﴿علينآ﴾ بالعقوبة قبل إتمام البلاغ [5]عجلة من يطفر و يثب إلى الشيء[5] ﴿او ان يطغى﴾ فيتجاوز / إلى أعظم ١٥ / ٤٥٥ مما هو فيه من الاستكبار ﴿قال لاتخافآ﴾ ثم علل ذلك بما هو مناط النصرة و الحياطة للولى و الإهلاك للعدو، فقال [7]مؤكدا إشارة إلى عظم الخبر[7]،

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد و كتاب سيبويه ١/١٦٧، و فى الأصل: هنا. (٣) من ظ و مد و الكتاب، و فى الأصل: رجالكما (٤) العبارة من هنا إلى «من الكسر» ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من «مد». (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

١و تنبيها لمضمونه لأنه خارج عن العوائد١ ، ٢و أثبت النون الثالثة على وزان تأكيدهما٢ : ﴿ انى معكمآ ﴾ لا أغيب كما تغيب الملوك إذا أرسلوا رسلهم ﴿ اسمع و ارى ه ﴾ ٣أى لى هاتان الصفتان٣ ، لا يخفى على شىء من حال رسولى و لا حال عدوه ، و أنتما تعلمان من قدرتى ما
٥ لا يعلمه غيركما .

و لما تمهد ذلك ، تسبب عنه تعليمهما[٣] ما يقولان ، فقال ٤مؤكدا للذهاب أيضا لما مضى٤ : ﴿ فاتيـه فقولآ ﴾ أى له : ٥و لما كان فرعون[٥] ينكر ما تضمنه قولهما ، أكد سبحانه فقال : ﴿ انا[٦] ﴾ و لما كان التنبيه على معنى المؤازرة هنا - كما تقدم - مطلوبا ، ثنى فقال : ﴿ رسولا ربك ﴾
١٠ الذى رباك فأحسن تربيتك بعد أن أوجدك من العدم ، إشارة إلى تحقيره بأنه من جملة عبيد مرسلهما[٧] تكذيبا له فى ادعائه الربوبية ؛ ٨ثم سبب [عن -[٩]] إرسالكما إليه قولكما : ﴿ فارسل معنا ﴾ عبيده ﴿ بنى اسرآءيل لا ﴾ ليعبدوه ، فانه لا يستحق العبادة غيره ﴿ و لا تعذبهم ط ﴾ بما تعذبهم به من الاستخدام و التذبيح ؛ ثم علل دعوى الرسالة بما يثبتها ،
١٥ فقال ١مفتتحا بحرف التوقع لأن حال السامع لادعاء الرسالة أن يتوقع دلالة على الإرسال١ : ﴿ قد جئنٰك بايـة ﴾ ٢أى علامة عظيمة و حجة و برهان٢

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعليمالها (٤) العبارة من هنا إلى «سبحانه فقال» ساقطة من ظ (٥) سقط من مد (٦) تقدم فى الأصل على «و لما كان فرعون» و الترتيب من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : من ارسلهما .
(٨) العبارة من هنا إلى «قولكما» ساقطة من ظ (٩) زيد من مد .

﴿من ربك﴾[4] [1]الذى لا إحسان عليك إلا منه[1]، موجبة لقبول ما ادعيناه من[2] العصى و اليد و غيرهما، فأسلم[3] تسلم، و فى تكرير مخاطبته بذلك تأكيد[4] لتبكيته فى ادعاء الربوبية، و نسبته إلى كفران الإحسان. فسلام عليك خاصة إن قبلت هدى الله ﴿و السلم﴾ أى جنسه ﴿على﴾ جميع ﴿من اتبع﴾ [1]بغاية جهده[1] ﴿الهدى﴾ عامة، و إذا كان هذا الجنس ٥ عليهم كان من المعلوم أن العطب على غيرهم، فالمعنى[5]: [و -[6]] إن أبيت عذبت ﴿انا﴾ أى لأنا ﴿قد اوحى الينآ﴾ من ربنا ﴿ان العذاب﴾ [1]أى كله، لأن اللام للاستغراق أو الماهية. و على التقديرين يقتضى قدر ثبوت هذا الجنس و دوامه لما تفهمه الاسمية[1] ﴿على﴾ كل ﴿من كذب و تولى﴾ [1]أى أوقع التكذيب و الإعراض، و ذلك ١٠ يقتضى أنه إن كان منه شىء على مصدق كان منقضيا، و إذا انقضى كان كانه لم يوجد[1]. و فى صرف الكلام عنه تنبيه على أنه ضال مكذب [1]و تعليم للأدب[1].

و لما كان التقدير: فأتياه فقولا: إنا رسولا ربك - إلى آخر ما أمرا به، و تضمن قولهما أن لمرسلهما القدرة التامة و العلم الشامل، ١٥ وتسبب عنه سؤاله عن تعيينه، [1]استأنف الإخبار عن جوابه بقوله[1]: ﴿قال﴾ [1]أى فرعون مدافعا لهما بالمناظرة لا بالبطش، لئلا ينسب إلى[1]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ: بيان لقوله «آية» أى التى هى العصى و اليد و غيرهما (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: واسلم (٤) من ظ، و فى الأصل: تاكيدا، و فى مد: تذكير (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: و المعنى (٦) زيدت الواو من ظ و مد.

[1]السفه و الجهل[1] : ﴿ فمن ﴾ [2]أي تسبب عن[3] كلامكما هذا الذى لا يجترئ على مواجهتى به أحد من أهل الأرض أن أسألكما : من ﴿ ربكما ﴾ الذى أرسلكما ، و لم يقل : ربى ، حيدة عن سواء النظر و [4]صرفا للكلام[4] على الوجه الموضح لخزيه .

/ ٤٥٦

٥ و لما كان موسى عليه السلام هو الأصل فى ذلك ، [1]و كان ربما طمع فرعون بمكره و سوء طريقه فى حبسة تحصل فى لسانه[1] ، أفرده بقوله : ﴿ يموسى ه قال ﴾ له موسى [1]على الفور[1] : ﴿ ربنا ﴾ [1]أى موجدنا و مربينا و مولانا[1] ﴿ الذىّ اعطى كل شىء ﴾ مما تراه فى الوجود ﴿ خلقه ﴾ أى ما هو عليه مما هو به أليق [1] فى المنافع المنوطة به ، و الآثار التى تتأثر ١٠ عنه[1] من الصورة و الشكل و المقدار و اللون و الطبع ، و غير ذلك مما يفوت الحصر ، و يجل عن الوصف .

و لما كان فى إفاضة الروح من الجلالة و العظم ما يضمحل عنده غيره من المفاوتة[5] ، أشار إلى ذلك بحرف التراخى فقال : ﴿ ثم هدى ه ﴾ أى كل حيوان منه[6] مع أن فيها العاقل و غيره إلى جميع منافعه فيسعى لها ، ١٥ و مضاره فيحذرها ، فثبت بهذه المفاوتة و المفاصلة[7] مع اتحاد نسبة الكل إلى الفاعل أنه واحد مختار ، و ان ذلك لوكان بالطبيعة المستندة إلى النجوم أو غيرها كما كان يعتقده فرعون و غيره لم يكن هذا التفاوت

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «أسألكما من» ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : من (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : صرف الكلام (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفارقة (٦) بهامش ظ : الضمير فى « منه » يرجع إلى « كل شىء » (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمفاوضة .

و لما

و لما لم يكن لأحد بالطعن في هذا الجواب قبل لأنه لا زلل فيه ولا خلل - [1]مع رشاقته و اختصاره و سبقه بالجمع إلى غاية مضماره[1] - صرف الكلام عنه بسرعة خوف من الاتضاح، بزيادة موسى عليه السلام في الإيضاح. فيظهر الفساد من الصلاح، إلى شيء يتسع فيه المجال، و لا يقوم عليه دليل، فيمكن فيه الرد، [2]فأخبر عنه سبحانه على طريق الاستئناف بقوله[2]: ٥
﴿قال فما﴾ أي تسبب عما تضمن هذا من نسبة ربك إلى العلم بكل موجود أني أقول لك: فما [3] ﴿بال﴾ أي خبر ﴿القرون الاولى﴾ الذي هو في العظمة بحيث أنه ما خالط أحدا إلا أحاله و أماله -[4]. و هو و إن كان حيدة، هو من أمارات الانقطاع، غير أنه فعل راسخ القدم في المكر و الخداع.
١٠
و لما فهم عنه موسى عليه السلام ما أراد أن ترتب على الخوض في ذلك مما لا طائل تحته من الرد و المطاولة. [5]و لم تكن التوراة نزلت عليه إذ ذاك، و إنما نزلت بعد هلاك فرعون لم يمش معه في ذلك[5] ﴿قال﴾ قاطعا له عنه: ﴿علمها عند ربي﴾ [5]أي المحسن إلي بارسالي و تلقيني الحجاج[5].
١٥
و لما كانت عادة المخلوقين إثبات الأخبار في الكتب، و كان تعالى قد وكل بعباده من ملائكته[6] من يضبط ذلك، قال مخاطبا لهم بما يعرفون من أحوالهم: ﴿في كتب﴾ [5]أي اللوح المحفوظ[5]. و لما كان ربما وقع

(١-١) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «في ذلك» س ١٢ و الترتيب من مد (٢-٢) في ظ: أن (٣) من ظ و مد، و في الأصل: ما (٤) زيد من مد.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) بهامش ظ: قوله: من ملائكته - متعلق بيضبط مقدم عليه و من للتمييز.

فى وهم واهم أن الكتاب لا يكون إلا خوفا من نسيان الشيء أو الجهل بالتوصل إليه مع ذكر عينه، نفى ذلك بقوله: ﴿لا يضل ربى﴾ [١]أى الذى ربانى كما علمت و نجانى من جميع ما قصدتموه لى من الهلاك ولم يضل عن وجه من وجوهه، و لا نسى وجها يدخل منه شيء من خلل[١] ﴿و لا ينسى﴾
٥ [١]أى لا يقع منه نسيان لشيء أصلا من أخباره و لا لغيرهم[١]، و فى ذلك[٢] إشارة إلى تبكيت اليهود بأن ثبوت النبوة إن كان يتوقف على أن يخبر النبى عن كل ما يسأل عنه لزم أن يتوقفوا فى نبوة نبيهم عليه السلام لأنه لم يخبر فرعون عما سأله عنه من أمر القرون؛ ثم / وصل بذلك[٢] ما كان فيه قبل من الدليل العقلى على وحدة الصانع و اختياره / ٤٥٧
١٠ فقال: ﴿الذى جعل لكم﴾ أيها الخلائق ﴿الارض﴾ أى أكثرها ﴿مهدا﴾ تفترشونها. و جعل بعضها جبالا لا يمكن القرار عليها. و بعضها رخوا تسرح فيه الأقدام و بعضها جلدا - إلى غير ذلك مما تشاهدون فيها من الاختلاف ﴿و سلك لكم فيها سبلا﴾ [١]أى سهّل طرقا تسلكونها[١] فى أراضى سهلة و حزنة [١]وسطها بين الجبال و الأودية و الرمال[١]. و هيأ لكم فيها
١٥ من المنافع من[٣] المياه و المراعى ما يسهل ذلك[٤]، و جعل فيها[٥] ما لا يمكن استطراقه أصلا. مع أن نسبة الكل إلى الطبيعة واحدة. فلولا أن الفاعل واحد مختار لم يكن هذا التفاوت و على هذا النظام البديع ﴿و انزل من السمآء مآء﴾ تشاهدونه واحدا فى اللون و الطعم.
و لما كان ما ينشأ عنه أدل على العظمة و أجلى للناظر و أظهر للعقول.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ: أى قوله: لا يضل ربى و لا ينسى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل «و»، و بين سطرى ظ: بيان للمنافع. (٤) بين سطرى ظ: أى السلوك فى هذه (٥) بهامش ظ: الضمير يرجع إلى الأرض.

استغرق[1] صلى الله عليه و سلم فى بحار الجلال ، فاستحضر أن الآمر له بهذا الكلام هو المتكلم به فى الحقيقة فانيا[2] عن نفسه و عن جميع الأكوان ، فعبر عن ذلك[3]، [4]عادلا عن الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع بما له من العظمة[4] بقوله : ﴿فاخرجنا﴾ [4]أى بما لنا من العظمة التى تنقاد لها الأشياء المختلفة[4] ﴿بهٖ ازواجا﴾ [أى -[5]] أصنافا [4]متشاكلة ليس فيها شىء يكون ٥ واحدا لا شبيه له[4] ﴿من نبات شتّى﴾ أى مختلفة جدا فى الألوان و المقادير و المنافع و الطبائع و الطعوم ؛ ثم أشار إلى تفصيل ما فيها من الحكمة بقوله [6]حالا من فاعل "اخرجنا"[6]: ﴿كلوا﴾ أى ما دبره لكم بحكمته منها ﴿و ارعوا﴾ [4]أى سرحوا فى المراعى[4] ﴿انعامكم﴾ ما أحكمه لها و لا يصلح لكم ، [4]فكان من متقن تدبيره أن جعل أرزاق العباد بعملها ١٠ تنعيما لهم ، و جعل علفها مما يفضل عن حاجتهم ، و لا يقدرون على أكله[4] ، و قد دلت هذه الأوصاف على تحققه سبحانه قطعا بأنه لا يضل و لا ينسى من حيث أنه تعالى أبدع هذا العالم شاملا لكل ما يحتاجه مَنْ فيه [7]لما خلقهم له[7] من السفر إليه و العرض عليه فى جميع تقلباتهم على اختلافها ، و تباين أصنافها ، و تباعد أوصافها ، و على كثرتهم ، ١٥ و تنائى أمزجتهم ، و لم يدعه ناقصا من شىء من ذلك بخلاف غيره ،

---

(١) بهامش ظ : قول المفسر سامحه الله ولا آخذه ، استغرق صلى الله عليه وسلم - إلى أن قال : فعبر عن ذلك ، فيه نظر ؛ و يتلوه تعقيب مطول لا يقيده القلم لسوء الخط (٢) بهامش ظ : قوله « فانيا » هو حال من الضمير فى « استغرق » أى استغرق حال كونه فانيا (٣) بين سطرى ظ : أى الاستطراق فى . . . الجنة . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكل ما خلقه لهم و خلقه له .

فانه لو عمل شيئا و اجتهد كل الاجتهاد فى تكميله فلا بد أن يظهر له فيه نقص و يصير يسعى فى إزالته وقتا بعد وقت .

و لما كمل هـذا البرهان القويم ، دالا على العليم الحكيم ، قال منبها على انتشار أنواره ، و جلالة مقداره ، [1]مؤكدا لأجل إنكار المنكرين[1] :

٥ ﴿ان فى ذلك﴾ أى الإنشاء على هذه الوجوه المختلفة ﴿لأيٰت﴾ على منشئه ﴿لاولى النهى ؏﴾ أى العقول التى من شأنها أن تنهى صاحبها عن الغىّ ، و من عمى عن ذلك فلا عقل له أصلا ، لأن عقله لم ينفعه ، و ما لا ينفع فى حكم العدم ، و ذكر ابن كثير هنا ما عزاه ابن إسحاق فى السيرة[2] لزيد بن عمرو بن نفيل ، و ابن هشام لأمية بن أبى الصلت[3] :

١٠ و أنت الذى من فضل منّ و رحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا

فقلت [4]ألا يا[4] اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذى كان باغيا[5]

فقولا له آأنت سويت هـذه بلا وتد حتى استقلت[6] كما هيا

و قولا له آأنت رفعت هـذه بلا عمد أرفق إذن بك بانيا

و قولا له آأنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنه الليل هاديا

١٥ و قولا له من[7] يخرج الشمس بكرة[7] فيصبح ما مست من الزرع ضاحيا

و قولا له من ينبت الحب فى الثرى فيخرج[8] منـه البقل يهتز رابيا

و يخرج منه حبـه فى رؤسه و فى ذاك آيات لمن كان واعيا

و لما أخبر سبحانه و تعالى عما خلق فى الأرض من المنافع الدالة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) ١/٧٧ و ٧٨ (٣) زيد فى الأصل : فقال هذه الأبيات ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤-٤) فى ظ : له يا ، و فى السيرة : له - كذا (٥) فى السيرة : طاغيا (٦) فى السيرة : اطمأنت (٧-٧) فى السيرة : يرسل الشمس غدوة (٨) فى السيرة : فيصبح .

على تمام علمه [و باهر قدرته ، على وجه دال على خصوص القدرة على البعث -[1]] ، [وكان من الفلاسفة تناسخيتهم و غيرهم من يقر لله بالوحدانية و لا يقر بقول أهل الإسلام : إن الروح جسم لطيف سار فى الجسم سريان النار فى الفحم ، بل يقول : إنها ليست بجسم و لا قوة فى جسم و لا صورة لجسم وليست متصلة به اتصال انطباع و لا حلول فيه ، بل ٥ اتصال تدبير و تصرف ، و أنها إذا فارقت البدن اتصلت بالروحانيين من العالم العقلى الذى هو عالم المجردات و انخرطت فى سلك الملائكة المقربين ، أو اتصلت ببعض الأجرام السماوية من كوكب أو غيره كاتصالها بالبدن الأول و انقطع تعلقها بـــه فلم تعد إليه حتى و لا يوم البعث عند من يقول منهم بالحشر -[2]] ، وصل بذلك قوله [تعالى ، يرد عليهم ، معبرا ١٠ بالضمير الذى يعبر به عن الهيكل المجتمع من البدن و النفس -[2]] : ﴿منها﴾ [أى الأرض لا من غيرها -[2]] ﴿خلقنٰكم﴾ إذ أخرجناكم منها [3]بالعظمة الباهرة[3] فى النشأة الأولى بخلق أبيكم آدم عليه السلام ﴿و فيها﴾ [لا فى غيرها كما أنتم كذلك تشاهدون -[2]] ﴿نعيدكم﴾ بالموت [كذلك أجساما و أرواحا -[2]] ، فتصيرون ترابا كما كنتم ؛ [وللروح مع ذلك ١٥ و إن كانت فى عليين تعلق ببدنها بوجه ما ، يدرك البدن به اللذة بالتذاذها و الألم بتألمها ، و قد صح أن الميت يقعد فى قبره و يجيب سؤال الملكين عليهما السلام -[2]] ، لا[4] يقدر أحد منكم أن يخلص من تلك العظمة

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : لم ، و العبارة من هنا إلى « بدقيق حكمته » ساقطة من ظ .

المحيطة بجليل عظمته و لا بدقيق حكمته ﴿ و منها ﴾ [لا من غيرها - [١]] ﴿ نخرجكم ﴾ يوم البعث [٢] بتلك العظمة بعينها [٢] ﴿ تارة اخرى ﴾ كما بدأناكم [أول مرة - [١]] مثل ما فعلنا فى النبات سواء ، فقد علم أن هذا فعل الواحد المختار ، لا فعل الطبائع ، فمرة جعلكم أحياء من شيء ليس له أصل

٥ فى الحيوانية أصلا ، و كرة [٣] ردكم إلى ما كنتم عليه قبل الحياة ترابا لا روح فيه و لا ما يشبهها ، فلا ريب أن فاعل ذلك قادر على أن يخرجكم منها أحياء كما ابتدأ ذلك ، بل الإعادة أهون فى مجارى العادة .

و لما كان ما ذكر [٤] مما علق [٥] بالأرض من المرافق [٥] و غيره على غاية من الوضوح ، ليس وراءها مطمح ، فكان المعنى : أرينا فرعون هذا

١٠ الذى ذكرنا لكم من آياتنا و غيره ، و كان المقام لتعظيم القدرة ، عطف عليه [٦] قوله : ﴿ و لقد اريٰنه ﴾ أى بالعصى و اليد و غيرهما [٧] مما تقدم من مقتضى عظمتنا [٨] ﴿ ايٰتنا ﴾ [أى التى عظمتها من عظمتنا - [١]] ﴿ كلها ﴾ [بالعين و القلب - [١]] لأن من قدر على مثل ذلك فهو قادر على غيره من أمثاله من خوارق العادات ، لأن الممكنات بالنسبة إلى

١٥ قدرته على حد سواء ، لاسيما و الذى ذكر أمهات الآيات كما سيؤما

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، فى الأصل : مرة (٤) العبارة من هنا إلى « غيره » ساقطة من ظ (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : من الارض من المنافق (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليها . (٧) العبارة من هنا إلى « مقتضى عظمتنا » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : عظمته .

إليه [1]إن شاء الله تعالى[1] فى سورة الأنبياء ﴿فكذب﴾ أى بها ﴿وأبى﴾
أى أن يرسل بنى إسرائيل؛ وهذا أبلغ من تعديد ما ذكر فى الأعراف.
فكأنه قيل: كيف صنع فى تكذيبه وإبائه؟ فقيل: ﴿قال﴾ حين
لم يجد مطعنا مخيلا للقبط [2]بما يثيرهم[2] حمية لأنفسهم لأنه علم حقية[3] ما
جاء به موسى وظهوره، وتقبل العقول له، فخاف أن يتبعه الناس ٥
ويتركوه، ووهن[4] فى نفسه وهنا عظيما بتأمل كلماته مفردة ومركبة
يعرف مقداره: ﴿اجئتنا لتخرجنا من ارضنا﴾ هذه التى نحن مالكوها
﴿بسحرك يموسى﴾ فخيل إلى أتباعه أن ذلك سحر، فكان ذلك - مع
ما ألفوه من عادتهم فى الضلال[5] - صارفا لهم[6] عن اتباع ما رأوا من
البيان، ثم وصل به بالفاء السببية قوله [1]مؤكدا إيذانا بعلمه أن ما أتى به ١٠
موسى ينكر كل من يراه أن يقدر غيره على معارضته[1]: ﴿فلناتينك﴾
أى[7] [والإله الأعظم -[8]] ! [1]بوعد لاخلف / فيه[1] ﴿بسحر مثله﴾ / ٤٥٩
تأكيدا [1]لما خيل به[1]؛ ثم أظهر النصفة والعدل إيثاقا لربط قومه فقال:
﴿فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ أى من الزمان والمكان ﴿لانخلفه﴾
أى لا نجعله خلفنا ﴿نحن ولا انت﴾ بأن نقعد عن إتيانه. ١٥

ولما كان كل من الزمان والمكان لاينفك عن الآخر قال:
﴿مكانا﴾ وآثر ذكر المكان لأجل وصفه بقوله: ﴿سوى﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من ظ. وفى الأصل: بما يغيرهم، وفى مد: كما يثيرهم (٣) من ظ ومد. وفى الأصل: حقيقة (٤) بهامش ظ: أى فرعون (٥) من ظ ومد. وفى الأصل: الضلالة (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لكم (٧) سقط من ظ ومد (٨) زيد من مد.

عدلا بيننا ، لاحرج على واحد منا فى قصده أزيد من حرج الآخر ، فانظر هذا الكلام الذى زوقه و صنعه[١] و نمقه فأوقف به قومه عن السعادة و استمر يقودهم بأمثاله حتى أوردهم البحر فأغرقهم ، [ثم -[٢]] فى غمرات النار أحرقهم ، فعلى الكيس الفطن أن ينقد الأقوال و الأفعال ، و الخواطر ٥ و الأحوال ، و يعرضها على محك الشرع : الكتاب[٣] و السنة ، فما وافق لزمه و ما لا تركه .

و لما كان مجتمع سرورهم الذى اعتادوه حاويا لهـذه الأغراض زمانا و مكانا و غيرهما ، اختاره عليه السلام [لذلك -[٤]] ، فاستؤنف الخبر عنه فى قوله تعالى[٥] : ﴿قال موعدكم﴾ أى الموصوف ﴿يوم الزينة﴾ [٦] أى ١٠ عيدكم[٦] الذى اعتدتم الاجتماع فيه فى المكان الذى اعتدتموه ، فآثر هنا ذكر الزمان و إن كان يتضمن المكان لما فيه من عادة الجمع كما آثر فيما تقدم المكان لوصفه[٧] بالعدل ﴿و ان يحشر﴾ [بناه -[٤]] [٦] للفعول لأن القصد الجمع ، لا كونه من معين[٦] ﴿الناس[٨]﴾ [أى إغراء و لو بكره -[٤]] ﴿ضحى ۵﴾ ليستقبل[٩] النهار من أوله ، فيكون أظهر لما يعمل و أجلى ، ١٥ و لا يأتى الليل إلا و قد قضى الأمر ، و عرف المحق من المبطل ، و أنتم أجمع ما تكونون و أفرغ ، [١٠]فيكل حد المبطلين و أشياعهم ، و المتكبرين[١١]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : صنفه (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) العبارة من « اختاره » إلى هنا ساقطة من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لوصف (٨) تقدم فى الأصل على « بناه » و الترتيب من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيستقبل ، و زيد قبله فى مد عبارة لا تتضح أصلا (١٠) العبارة من هنا إلى « الوبر و المدر » ساقطة من ظ (١١) من مد ، و فى الأصل : المنكرين .

على الحق و أتباعهم، و يكثر المحدث بذلك الأمر العلم فى كل بدو و حضر، و يشيع فى جميع أهل الوبر و المدر ﴿فتولى فرعون﴾ عن موسى إلى تهيئة ما يريد من الكيد بعد توليه عن الانقياد لأمر الله ﴿فجمع كيده﴾ [١]أى مكره و حيلته و خداعه[١]، الذى دبره على موسى بجمع من يحصل بهم الكيد، و هم السحرة، حشرهم من كل أوب[٢]، ٥
و كان أهل مصر أسحر أهل الأرض و أكثرهم ساحرا، و كانوا فى ذلك الزمان أشد اعتناء بالسحر و أمهر ما كانوا و أكثر ﴿ثم أتى﴾ للميعاد الذى وقع القرار عليه بمن حشره من السحرة و الجنود و من تبعهم من الناس، مع توفر الدواعى على الإتيان للعيد، و النظر إلى تلك المغالبة التى لم يكن مثلها. ١٠

[٣]و لما تشوف[٤] السامع إلى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك، استأنف سبحانه الخبر عنه بقوله: ﴿قال لهم﴾ [١]أى لأهل الكيد و هم السحرة و غيرهم[١] ﴿موسى﴾ حين رأى اجتماعهم ناصحا لهم: ﴿ويلكم﴾ يا أيها الناس الذين خلقهم[٥] الله لعبادته ﴿لا تفتروا﴾ أى لا تتعمدوا [١]أن تصنعوا استعلاء[١] ﴿على الله كذبا﴾ بجعلكم آياته العظام الثابتة سحرا لا حقيقة ١٥ له، و ادعائكم أن ما تخيلون به حق و ليس بخيال، [١]و إشراككم به[١]؛

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ادب.
(٣) العبارة من هنا إلى « عنه بقوله » ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: تشوق (٥) فى ظ: خلقكم.

[1]و سبب عنه قوله[1]: ﴿فيسحتكم﴾ أي يهلككم؛ قال الرازي: و أصله الاستئصال ﴿بعذاب ج﴾ أي عظيم تظهر به خيبتكم ﴿و قد خاب﴾ / كل ﴿من افترى ه﴾ أي تعمد كذبا على الله أو على غيره ﴿فتنازعوآ﴾ أي تجاذب السحرة ﴿امرهم بينهم﴾ لما سمعوا هذا الكلام، علما منهم بأنه ٥ لا يقدر أن يواجه فرعون بمثله في جميع[2] جنوده و أتباعه لم[3] يسلم منه [إلا -[4]] مَن الله معه ﴿و اسروا النجوى ه﴾ [5]أي كلامهم[6] الذي تناجوا به و بالغوا في إخفائه، فان النجوى الإسرار، لئلا يظهر فرعون و أتباعه على عوارهم[7] [في -[4]] اختلافهم الذي اقتضاه لفظ التنازع، فكأنه قيل: ما قالوا حين انتهى[8] تنازعهم؟ [فقيل -[4]]: ﴿قالوآ﴾ أي السحرة بعد ١٠ النظر و إجالة[9] الرأي ما خيلهم به فرعون تلقفنا منه و تقربا إليه بما ينفر الناس عن موسى و هارون عليهما السلام [و يثبطهم عن اتباعهما و إن غلبا، لأنه لا ينكر غلبة ساحر على ساحر آخر[10]]: ﴿إن هٰذٰن﴾ أي موسى و هارون. و قرئ: هٰذان - بالألف، على لغة من يجعل ألف المثنى لازما في كل حال؛ قال أبوحيان[11]: و هي لغة لطوائف[12] من ١٥ العرب: بني الحارث بن كعب و بعض كنانة و خثعم و زبيد و بني العنبر

/ ٤٦٠

(١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد في الأصل: امور ه و، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد. و في الأصل: ثم (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى « النجوى الإسرار » ساقطة من ظ (٦) من مد، و في الأصل: الكلام (٧) بهامش ظ: خللهم (٨) من ظ و مد، و في الأصل: انقضى (٩) بهامش ظ: إدارة (١٠) زيد من مد (١١) في النهر الماد من البحر المحيط ٦/٢٥٠ (١٢) من ظ و مد و النهر، و في الأصل: طوائف.

و بنى الهجيم و مراد و عذرة . ﴿ لسحرن ﴾ لا شك فى ذلك منهما ﴿ يريدن ﴾ [1] أى [بما - [2]] يقولان من دعوى الرسالة و غيرها ﴿ ان يخرجكم ﴾ أيها الناس ﴿ من ارضكم ﴾ هذه التى ألفتموها ، و هى وطنكم خلفا عن سلف ﴿ بسحرهما ﴾ الذى أظهراه لكم و غيره [3] .

[و لما كان كل حزب بما لديهم فرحون قالوا - [2]] : ٥ ﴿ و يذهبا بطريقتكم ﴾ هذه السحرية التى تعبتم فى تمهيدها ، و أفنى فيها أسلافكم أعمارهم ، حتى بلغ أمرها الغاية ، [4] و بدينكم الذى به قوامكم [4] ﴿ المثلى [5] ﴾ أى [5] التى هى أمثل الطرق ، فيكونا آثر بما يظهرانه منها عند الناس [منكم - [6]] ، [7] و يصرفان وجوه الناس إليها عنكم [7] ، و يبطل ما لكم بذلك من الأرزاق و العظمة عند الخاص و العام و غير ذلك من الأغراض ١٠ ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ [7] أى لاتدعوا منه شيئا إلاجئتم به [7] و لاتختلفوا تضعفوا ﴿ ثم ائتوا ﴾ إلى لقاء موسى و هارون لمباراتهما ﴿ صفا ﴾ أى متسابقين متساوين فى السباق ليستعلى أمركم عليهما فتفلحوا ، [8] و الاصطفاف أهيب فى صدور الرائين .

و لما كان التقدير : [فمن - [2]] أتى كذلك [فقد - [2]] استعلى ، عطف ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « و غيرها » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش ظ : قوله «و غيره» معطوف على «الذى» أو محله جر على الضد لمجاراتهما - فافهم ذلك (٤ - ٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل « ويذهبا » و الترتيب من مد .
(٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٨) العبارة من هنا إلى « محققا » ساقطة من ظ .

عليه قولهم[1] محققا : ﴿ و قد فلح اليوم ﴾ في هذا الجمع الذى ما اجتمع مثله قط ﴿من استعلى ه﴾ أى غلب و وجد[2] علوه، أى ففعلوا ما تقدم و أتوا صفا. فلما أتوا [3]و كانوا خبيرين بأن يقولوا ما ينفعهم فى مناصبة موسى عليه السلام، استؤنف الإخبار عنه بقوله تعالى[3] : ﴿ قالوا ﴾ أى

٥ السحرة منادين، لأن لين القول مع الخصم إن لم ينفع لم يضر: ﴿ يموسى اما ان تلقى﴾ ما معك مما تناظرنا به أولا ﴿و اما ان نكون﴾ أى نحن ﴿ اول من القى ه﴾ ما معه ﴿قال﴾ أى موسى [4]مقابلا لأدبهم [بأحسن منه -[5]] و لأنه فهم أن مرادهم الابتداء، و ليكون هو الآخر فيكون العاقبة بتسليط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك : لا ألقى

١٠ أنا أولا ﴿بل القوا﴾ أنتم أولا، فانتهزوا[6] الفرصة. لأن ذلك كان مرادهم بما أفهموه من تعبير السياق و التصريح بالأول، فألقوا ﴿فاذا حبالهم وعصيهم﴾ التى ألقوها ﴿يخيل اليه﴾ و هو صفينا [تخييلا مبتدئا -[5]] ﴿من سحرهم﴾ الذى كانوا [قد -[7]] فاقوا به أهل الأرض ﴿ انها ﴾ لشدة اضطرابها ﴿ تسعى ه ﴾ / سعيا. و إذا كان هذا حاله مع أنه أثبت الناس بصرا

/٤٦١

١٥ و أنفذهم بصيرة فما ظنك بغيره! ﴿ فاوجس ﴾ أى أضمر بسبب ذلك. و حقيقته : أوقع راجسا أى خاطرا و ضميرا.

---

(١) من مد، و فى الأصل : قوله (٢) بهامش ظ : و استفيد وجود أعلو من السين إذ هى تدل على الوجود (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٤) العبارة من هنا إلى «بعدها شك» ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فانتهز (٧) زيد من ظ و مد.

و لما

و لما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه، فكان ربما فهم أنه أوقعه فى نفس أحد غيره، كان المقام للاهتمام بتقديم [١] المتعلق، فقال لذلك لا لمراعاة الفواصل: ﴿فى نفسه﴾ [٢] أى خاصة [٢]. [و قدم ما المقام له و الاهتمام به فقال - [٣]]: ﴿خيفة موسى ﴾ مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر، [٤] و للنظر إلى الطبع عبر ٥ بالنفس لا القلب مثلا.

و لما كان ذلك، و كان المعلوم أن الله معه، و أنه [جدير - [٣]] بابطال سحرهم، استأنف الخبر عنه بقوله: ﴿قلنا﴾ [بما لنا من العظمة - [٣]]: ﴿لا تخف﴾ من شىء من أمرهم [٥] و لا غيره [٥]، ثم علل ذلك بقوله، [٢] و أكده أنواعا من التأكيد لاقتضاء الحال [٢] [إنكار أن يغلب أحد ما ١٠ أظهروا من سحرهم لعظمه [٣]]: ﴿انك انت﴾ [أى خاصة - [٣]] ﴿الاعلى ﴾ [٦] أى الغالب غلبة ظاهرة لاشبهة فيها [٦] ﴿و الق﴾ [٢] و أشار إلى يمن العصى و بركتها بقوله [٢]: ﴿ما فى يمينك﴾ أى [٧] من هذه العصى التى قلنا لك أول ما شرفناك بالمناجاة "و ما تلك بيمينك يموسى" ثم أريناك منها ما أريناك ﴿تلقف﴾ [٢] بقوة و اجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك - بما ١٥ أشار إليه حذف التاء [٢] ﴿ما صنعوا ﴾ [أى فعلوه بعد تدرب كبير عليه

(١) فى مد: لتقديم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد.
(٤) العبارة من هنا إلى «عنه بقوله» ساقطة من ظ (٥-٥) من مد، و فى الاصل: و لاغيرهم، و سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) فى ظ: وحدك لاغيرك.
(٧) سقط من مد.

و ممارسة طويلة -[1]] : ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انما ﴾ [أى أن الذى - [1]]
﴿ صنعوا ﴾[2] أى[3] [أن -[1]] صنعهم [مما -[1]] رأيته و هالك[4] أمره[5] .
و لما كان المقصود تحقير هذا الجيش أفرد و[4] نكر لتنكير[5]
المضاف و تحقيره فقال : ﴿ كيد سحر ﴾ أى[6] كيد سحرى[6] لا حقيقة له
٥ و لا ثبات ، [سواء كان واحدا أو جمعا ، ولو جمع لخيل أن المقصود العدد ،
و لما كان التقدير -[1]] : فهم لا يفلحون ،[7] عطف عليه قوله[7] : ﴿ ولا يفلح السحر ﴾
أى هذا الجنس ﴿ حيث اتى[8] ﴾ [6] أى كيف ما سار و أينه[6] [سلك -[1]] فانه
إنما يفعل ما لا حقيقة له . فامتثل ما أمره به [ربه -[9]] من إلقاء عصاه ،
فكان ما وعده به سبحانه من تلقفها لما صنعوا من غير أن يظهر عليها
١٠ زيادة فى ثخن و لا غيره مع أن حبالهم و عصيهم كانت شيئا كثيرا ،
فعلم كل من رأى ذلك حقيته[10] و بطلان ما فعل السحرة ، فبادر السحرة
منهم إلى الخضوع لأمر الله ساجدين مبادرة من كأنه ألقاه ملق[11] على
وجهه ، و لذلك قال تعالى بعد أن ذكر مكرهم و اجتهادهم فى معارضة
موسى عليه الصلاة و السلام [و -[1]] حذف ذكر الإلقاء و ما سببه من

---

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « و تحقيره فقال » ساقطة من ظ .
(٣) فى مد « و » (٤) زيد بعده فى الأصل : الكن ، و لم تكن الزيادة فى مد
فحذفناها (٥) من مد ، و فى الأصل : تنكير (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧-٧) ما بين الرقمين سقط من ظ و تقدم فى الأصل على « فهم » ، و الترتيب
من مد (٨) تأخر فى الأصل عن « سلك » و الترتيب من مد (٩) زيد من ظ
و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقته (١١) فى ظ : احد .

التلقف لأن مقصود السورة القدرة على تليين القلوب القاسية[1]:
﴿فألقى السحرة﴾ أى فألقاهم ما رأوا من أمر الله [2]بغاية السرعة و بأيسر
أمر[2] ﴿ سجدا ﴾ على وجوههم؛ [3]قال الأصبهانى: سبحان الله! ما أعظم
شأنهم! ألقوا حبالهم و عصيهم للكفر و الجحود، ثم ألقوا رؤسهم بعد
ساعة للشكر و السجود. فما أعظم الفرق بين الإلقائين[3]. فكأن قائلا ٥
قال: هذا فعلهم فما قالوا؟ فقيل: ﴿ قالوآ ءامنا ﴾ أى صدقنا.

و لما كان سياق هذه السورة مقتضيا لتقديم هارون عليه السلام
قال: ﴿ برب هرون و موسى ه ﴾ بشارة للنبى صلى الله عليه و سلم بأنه
سبحانه لا يشقيه بهذا القرآن بل يهدى الناس [به -] و يذلهم له،
فيجعل العرب على شماختها[4] أذل شىء / لوزرائه و أنصاره و خلفائه ١٠ / ٤٦٢
و إن كانوا أضعف الناس، و قبائلهم أقل القبائل، مع ما فى ذلك من
الدليل على صدق إيمانهم و خلوص ادعائهم بتقديم الوزير المترجم ترقيا
فى درج المعرفة ممن أوصل ذلك إليهم إلى من أمره بذلك ثم إلى من
أرسله شكرا للنعمين بالتدريج «لا شكر الله من لم يشكر الناس» و هذا
لما أوجب تقديمه هنا لا لهذا فقط. و ذكروا اسم الرب إشارة إلى أنه ١٥
سبحانه أحسن إليهما باعلاء شأنهما على السحرة، و على من كانوا يقرون له
بالربوبية. و هو فرعون الذى لم[5] يغن عنهم شيئا، فكانوا أول النهار سحرة،
و آخره شهداء[6] بررة، و هذه الآية فى أمثالها من آى هذه السورة

(١) العبارة من «بعد أن» إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من
ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: سماحتها (٥) فى مد: لا (٦) بهامش ظ: =

و غيرها مما قدم فيه ما يتبادر ان حقه التأخير و بالعكس لأنحاء[1] من المعانى دقيقة، هى التى حملت بعض من لم يرسخ إلى أن يقول: إن القرآن راعى الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب السجع، و تبعه جمع من المتأخرين تقليدا، و قد عاب النبى صلى الله عليه و سلم ذلك[2] حين قال «سجع كسجع الجاهلية أو قال: الكهان» و قد علم مما ذكرته أن المعنى الذى بنيت عليه السورة ما كان ينتظم إلا بتقديم هارون، و يؤيد ذلك أنه قال هنا "انا رسولا" و فى الشعراء "رسول"، و قد قال الإمام فخر الدين الرازى كما حكاه عنه الشيخ أبو حيان فى سورة فاطر من النهر[3]: لا يقال فى شيء من القرآن: إنه قدم أو أخر لأجل السجع، لأن معجزة القرآن ليست فى مجرد اللفظ، بل فيه و فى المعنى، [و -[4]] قال القاضى أبو بكر الباقلانى[5] فى كتاب إعجاز القرآن: ذهب أصحابنا[6] كلهم إلى نفى السجع من القرآن و ذكره[7] ابو الحسن الأشعرى فى غير موضع من كتبه، ثم رد على المخالف بان قال: و الذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع و إن لم يكن سجعا لأن

— و مراد الشيخ بالشهداء ليس المقتولين لما ينص عليه بعد، بل هؤلاء بمنزلة الشهداء فى العلو و الرفعة فليفهم ذلك.

(١) بين سطرى ظ: لوجوه (٢) بين سطرى ظ - أى السجع (٣) الاد من البحر المحيط، و بهامش ظ: قوله «من النهر» المضاف إليه... سورة أى سورة فاطر هو النهر - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ابن القاسم البصرى ثم البغدادى المتوفى سنة ٤٠٣ - راجع معجم المؤلفين ١٠٩/١٠. (٦) بين سطرى ظ: أى الأشاعرة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكر.

السجع

السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع . و ليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن . لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى ، و فصل[1] بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه و بين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ . و متى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره . و متى انتظم المعنى بنفسه دون السجعه كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى ، ثم استدل على ذلك بأشياء نفيسة أطال فيها و أجاد - رحمه الله . و قد تقدم فى آخر سورة التوبة[2] ما ينفع جدا فى هذا المرام .

و لما كان موسى عليه السلام هو المقصود بالإرسال [إلى فرعون ، استأنف تعالى الإخبار عن فرعون عند ما لجئه ذلك فقال -[3]] : ﴿قال﴾ أى ١٠ فرعون للسحرة منكرا عليهم . [و اضمر اسمه هنا و لم يظهره كما فى الأعراف لأن مقصود السورة الرفق بالمدعوين و الحلم عنهم ، و هو غير متأهل لذكر اسمه فى هذا المقام -] : ﴿ءامنتم﴾ أى بالله ﴿له﴾ أى مصدقين [4]أو متبعين[4] لموسى ﴿قبل ان اذن لكم﴾ فى ذلك . إيهاما بأنه سيأذن [فيه -[5]] ليقف الناس عن المبادرة إلى الاتباع بين خوف العقوبة ١٥ و رجاء الإذن ؛ ثم استأنف قوله معللا مخيلا لأتباعه صدا لهم عن الاقتداء بهم : ﴿انه لكبيركم﴾ أى فى العلم ﴿الذى علمكم السحر﴾ فلم تتبعوه لظهور الحق ، بل لإرادتكم شيئا من المكر وافقتموه عليه قبل حضوركم ٤٦٣

(١) بين سطرى ظ : فرق (٢) فى ظ و مد : براءة (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .

فى هذا الموطن ، وهذا على عادته فى تخييل أتباعه فيما يوقفهم عن اتباع الحق .

و لما خيلهم ، شرع يزيدهم حيرة بتهديد[1] السحرة فقال : ﴿ فلاقطعن ﴾ [2] أى بسبب ما فعلتم[2] ﴿ ايديكم ﴾ على سبيل التوزيع ﴿ و ارجلكم ﴾ أى من كل يدا و رجلا[3] ﴿ من خلاف ﴾ فاذا قطعت اليد اليمنى قطعت الرجل اليسرى ﴿ و لاوصلبنكم ﴾ [و عبر عن الاستعلاء بالظرف إشارة إلى تمكينهم من المصلوب فيه تمكين المظروف فى ظرفه فقال - [4]] : ﴿ فى جذوع النخل ﴾ تبشيعا لقتلكم ردعا لأمثالكم ﴿ و لتعلمن اينآ ﴾ أنا و رب موسى الذى قال : إنه اوحى إليه أن العذاب على من كذب و تولى ﴿ اشد عذابا و ابقى ﴾ [2] أى من جهة العذاب ، أى أينا عذابه أشد و أطول زمانا[2] .

و لما علموا ما خيل به على عقول الضعفاء تمويهم[5] [فأخبر تعالى عن ذلك بقوله مستأنفا - [4]] : ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ أى [نقدم اثرك - [4]] بالاتباع [لك - [4]] لنسلم من عذابك الزائل ﴿ على ما جآءنا ﴾ [6] به موسى عليه السلام[6] ﴿ من البينت ﴾ التى عايناها و علمنا أنه لايقدر أحد على مضاهاتها . و لما بدأوا بما يدل على الخالق [من الفعل - [7]] الخارق ، ترقوا إلى ذكره بعد معرفته بفعله ، إشارة إلى علىّ قدره فقالوا :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تهديد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجل (٤) زيد من مد (٥) زيد فى ظ : بأن.
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و فى مد : أى على لسان موسى عليه السلام.
(٧) زيد من ظ و مد .

﴿ و الذى ﴾ أى و لا نؤثرك بالاتباع على الذى ﴿ فطرنا ﴾ أى ابتدأ خلقنا، إشارة إلى شمول [1]ربوبيته سبحانه[1] و تعالى لهم و له[2] و لجميع الناس، و تنبيها على [3]عجز فرعون[3] عند من استحقه، و فى جميع أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة و إشارة و تحقير فرعون أمر عظيم.

و لما تسبب عن ذلك أنهم لا يبالون به. علما بأن ما فعله فهو ٥ باذن الله، قالوا: ﴿فاقض مآ﴾ أى فاصنع فى حكمك الذى ﴿انت قاضٍ﴾ ثم عللوا ذلك بقولهم: ﴿ انما تقضى ﴾ أى تصنع بنا ما تريد [إن قدرك الله عليه -[4]] ﴿هذه الحيوٰة الدنيا﴾ أى إنما حكمك [5]فى مدتها[5] على الجسد خاصة، فهى ساعة تعقب راحة[6]، و نحن لا نخاف إلا من يحكم على الروح و إن فنى الجسد، فذاك هو الشديد العذاب، الدائم الجزاء ١٠ بالثواب[7] أو العقاب، [و لعلهم أسقطوا الجار تنزلا إلى أن حكمه لو فرض أنه يمتد إلى آخر الدنيا لكان أهلا لأن لا يخشى لأنه زائل و عذاب الله باق -[4]]. ثم عللوا تعظيمهم لله و استهانتهم بفرعون بقولهم: ﴿انآ اٰمنا بربنا﴾ أى المحسن إلينا طول أعمارنا[8] مع إساءتنا بالكفر و غيره ﴿ليغفر لنا﴾ [من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك -[4]] ١٥

(١-١) فى ظ و مد: ربوبية الله (٢) بين سطرى ظ: فرعون (٣-٣) فى ظ: عجزه، و بين سطريه: فرعون (٤) زيد من مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: دارحة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بان الثواب (٨) من ظ و مد و فى الأصل: الاعمار.

﴿خطٰينا﴾ التى[1] قابلنا بها إحسانه : ثم خصوا بعد العموم فقالوا :
﴿و مآ اكرهتنا عليه﴾ [و بينوا ذلك بقولهم -[2]] : ﴿من السحر[1]﴾
لتعارض به المعجزة ، فانه كان الأكمل لنا عصيانك فيه لأن الله أحق بأن
يتقى . [3]روى أن الذى كان من القبط من السحرة اثنان فقط ، و الباقون
٥ من بنى إسراءيل أكرههم فرعون على تعلم السحر ، و روى أنهم رأوا
موسى عليه السلام نائما[4] و عصاه تحرسه فقالوا لفرعون : إن الساحر إذا
نام بطل سحره ، فهذا [5]لايقدر على[5] معارضته ، فأبى عليهم و أكرههم
على المعارضة .

[و لما كان التقدير : فربنا أهل التقوى و أهل المغفرة ، عطفوا
١٠ عليه مستحضرين لكماله -[2]] : ﴿و الله﴾ [6]أى الجامع لصفات الكمال[6]
﴿خير﴾ جزاء منك فيما وعدتنا به ﴿و ابقى ٥﴾ ثوابا و عقابا ،
و الظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون ، و يؤيده قوله تعالى "انتما
و من اتبعكما الغلبون" - قاله[7] أبوحيان[8] . [و سيأتى فى آخر الحديد ما
هو صريح فى نجاتهم -[2]] ؛ ثم عللوا هذا الختم بقولهم : ﴿انه من يات ربه﴾
١٥ [6]أى لذى رباه و أحسن إليه بأن أوجده و جعل له جميع ما يصلحه[6]
﴿مجرما[9]﴾ أى قاطعا ما أمره به أن يوصل ﴿فان له جهنم ط﴾ / دار الإهانة
﴿لايموت فيها﴾ أبدا مع شدة عذابها . بخلاف عذابك الذى [إن -[10]]

/ ٤٦٤

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى
« على المعارضة » ساقطة من ظ (٤) فى مد : قائما (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل :
لاينبغى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
قال (٨) فى البحر المحيط ٦/٢٦٢ (٩) تكرر فى الأصل فقط بعد « ربه » .
(١٠) زيد من ظ و مد .

اشتد

اشتد أمات فزال سريعا، وإن خف ثم يخف، وكان آخره الموت وإن طال ﴿ ولا يحيى ﴾ فيها حياة ينتفع بها ﴿ ومن يأته ﴾ [1] أي ربه الذي أوجده[2] ورباه ﴿ مؤمنا ﴾ أي مصدقا به.

[ولما قدم أن مجرد الكفر يوجب العذاب، كان هذا محلا يتوقع فيه الإخبار عن الإيمان بمثل ذلك فقال -[3]]: ﴿ قد ﴾ [أي -[3]] ضم [إلى ذلك تصديقا لإيمانه أنه ﴿ عمل ﴾ [4] أي في الدنيا[4] ﴿ الصلحت ﴾ التي أمر بها -[5]] فكأن [صادق -[3]] الإيمان مستلزم لصالح الأعمال[6] ﴿ فاولئك ﴾ [4] أي العالو الرتبة[4] ﴿ لهم ﴾ [أي لتداعي ذواتهم بمقتضى الجبلة -[3]] ﴿ الدرجت العلى ﴾ التي لا نسبة[7] لدرجاتك التي وعدتنا بها منها؛ ثم بينوها بقولهم: ﴿ جنت عدن ﴾ أي أعدت للاقامة وهيئت فيها أسبابها ﴿ تجرى من تحتها الانهر ﴾ أي من تحت غرفها وأسرتها وأرضها؛ فلا يراد موضع منها لأن يجرى فيه نهر إلا جرى؛ ثم بين بقوله: ﴿ خلدين فيها ﴾ أن أهلها هيئوا أيضا الاقامة.

[8] ولما أرشد السياق [و -[3]] العطف على غير [معطوف عليه -[3]] ظاهر إلى أن التقدير: ذلك الجزاء العظيم والنعيم المقيم جزاء الموصوفين لتزكيتهم أنفسهم، [4] عطف عليه قوله[4]: ﴿ وذلك جزاؤا ﴾ كل ﴿ من تزكى ﴾ أي طهر نفسه بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة، وفي هذا تسلية للصحابة رضوان الله عليهم فيما كان يفعل بهم عند نزول

---

(١) العبارة من هنا إلى «ورباه» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفي الأصل: أوعده (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) العبارة من «فكأن» إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: نسبتك (٨) العبارة من هنا إلى «أن التقدير» ساقطة من ظ.

هذه السورة إذ[1] كانوا مستضعفين .

و لما بين سبحانه استكبار فرعون المدعى فى قوله " فكذب و ابى " و ختمه سبحانه بأنه يهلك العاصى كائنا من[2] كان، و ينجى الطائع، أتبع ذلك[3] شاهدا محسوسا عليه[4] كفيلا ببيان أنه لم يغن عن فرعون ٥ شىء من قوته و لا استكباره . فقال عاطفا على " و لقد ارينه ايٰتنا ": ﴿ و لقد اوحينآ ﴾ أى بعظمتنا لتسهيل ما يأتى من الأمور الكبار ﴿ الى موسىٓ ﴾ غير مكترثين[6] لشىء من أقوال فرعون و لا أفعاله ، و هذا الإيحاء بعد ما تقدم من أمر السحرة بمدة مديدة جرت فيها خطوب طوال كانت بسببها الآيات الكبار ، وكأنها حذفت لما تدل ١٠ عليه من قساوة القلوب . و المراد هنا الانتهاء لما تقدم من مقصود السورة ﴿ ان اسر ﴾ أى ليلا ، لأن السرى سير الليل ؛ و شرفهم بالإضافة إليه فقال : ﴿ بعبادى ﴾ أى بنى إسراءيل[7] الذين لفت قلب فرعون حتى أذن فى مسيرهم بعد أن كان قد أبى[8] أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب ، فاقصد بهم ناحية بحر القلزم ﴿ فاضرب لهم ﴾ أى[9] اعمل

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اذا (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : بمن .
(٣) بين سطرى ظ : الختم بالإهلاك و الإنجاء (٤) بين سطرى ظ : الإهلاك و الإنجاء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) بهامش ظ : الاكتراث : الاهتمام (٧) زيد فى الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٨) زيد فى ظ : فرعون (٩) من مد ، و فى الأصل : و لما ان ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « ضربا » .

بضرب البحر بعصاك ، و لذلك سماه ضربا .

و لما كان ضرب البحر بالعصا سببا لوجود الطريق الموصوفة ، أوقع الفعل عليها فقال : ﴿طريقا فى البحر﴾[1] و وصفها بالمصدر [مبالغة -[2]] فقال : ﴿ يبسا لا﴾ حال كونها أو كونك[3] ﴿ لا تخف ﴾ و المراد بها الجنس ، فانه كان لكل سبط طريق ﴿دركا﴾ أى[4] أن يدركك شىء[4] ٥ من طغيان البحر أو[5] بأس العدو [أو غير ذلك -[2]] .

و لما كان الدرك مشتركا بين اللحاق و التبعة ، اتبعه بقوله : ﴿ و لا تخشىٰ ﴾ أى شيئا غير ذلك أصلا إنفاذا[6] لأمرى و إنقاذا لمن أرسلتك لاستنقاذهم ، و سوقه على هذا الوجه من[7] إظهار القدرة و الاستهانة بالمعاند مع كبريائه و مكنته استدلالا شهوديا على ما قرر أول السورة ١٠ من شمول القدرة و إحاطة العلم للبشارة باظهار هذا الدين بكثرة الاتباع و إبارة[8] الخصوم و الإسعاد برد[9] الأضداد و جعل بغضهم ودا ، و إن كانوا قوما / لدا ؛ ثم أتبع ذلك قوله [عطفا على ما تقديره : فبادر /٤٦٥

(١) العبارة من هنا الى « فقال » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش ظ : قوله «حال كونها أو كونك» أى لا تخاف إما أن تجعلها حالا من المفعول أعنى طريقا أو من الفاعل و هو الضمير فى اضرب - فافهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : ولا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايقانا (٧) بين سطرى ظ : بيان هذا الوجه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثارة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : « و » .

امتثال الأمر فى الإسراء و غيره -[١]] : ﴿ فاتبعهم ﴾ أى [أوجد التبع و المسير وراء -[١]] بنى إسرايل على ذلهم و ضعفهم ﴿فرعون بجنوده﴾ على كثرتهم و قوتهم و علوهم و عزتهم[٢]، فكانوا[٣] كالتابع الذى لا معنى له بدون متبوعه ﴿فغشيهم﴾ أى فرعون و قومه ﴿من اليم﴾ أى البحر [الذى من شأنه أن يؤم؛ و أوجز فهول فقال -[١]] : ﴿ما غشيهم[٤]﴾ أى أمر لا تحتمل العقول وصفه حق وصفه ، فأهلك أولهم و آخرهم؛ و قطع دابرهم، لم يبق منهم أحدا ، و ما شاكت أحدا من عبادنا المستضعفين شوكة ﴿ و اضل فرعون ﴾ على تحذلقه ﴿ قومه ﴾ [٤]مع ما لهم من قوة الأجساد و معانيها[٤] .

و لما كان إثبات الفعل لا يفيد العموم ، نفى ضده ليفيده مع كونه أوكد و أوقع فى النفس و أروع لها فقال: ﴿و ما هدى﴾ أى ما وقع منه شيء من الهداية ، لا لنفسه و لا لأحد من قومه . فتم الدليل الشهودى على تمام القدرة على إنجاء الطائع و إهلاك العاصى .

و لما كان هذا موجبا للتشوف إلى ما وقع لبنى إسرايل بعده ، قال تعالى شافيا لهذا الغليل ، أقبلنا على بنى إسرايل ممتنين بما مضى و ما يأتى قائلين : ﴿يٰبنى اسرآءيل﴾ [٥]معترفين لهم أنا نظرنا إلى السوابق فأكرمناهم[٦]

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : غرهم (٣) من مد ، و فى الأصل وظ : و كانوا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « المنافع قال » ساقطة من ظ (٦) من مد . و فى الأصل : فالزمناهم .

لأجل أبيهم .

و لما كان درء المفاسد و إزالة الموانع قبل جلب المصالح و استدرار المنافع قال: ﴿ قد انجينكم ﴾ بقدرتنا الباهرة ﴿ من عدوكم ﴾ الذى كنتم أحقر شيء عنده .

[1]و لما تفرغوا لإنفاذ ما يراد منهم من الطاعة قال[1] : ﴿ و وعدنكم ﴾ ٥ أى[2] كلكم - كما مضى فى البقرة عن نص التوراة - للمثول بحضرتنا و الاعتزاز بمواطن رحمتنا ﴿ جانب الطور الايمن ﴾ أى الذى على أيمانكم فى توجهكم هذا الذى وجوهكم فيه إلى بيت [أبيكم -[3]] إبراهيم عليه السلام ، [و هو جانبه الذى يلى البحر و ناحية مكة و اليمن -[3]] .

[1]و لما بدأ بالمنفعة الدينية ، ثنى بالمنفعة الدنيوية[1] [فقال -[3]]: ١٠ ﴿ و نزلنا عليكم ﴾ بعد إنزال هذا الكتاب فى هذه المواعدة لإنعاش أرواحكم ﴿ المن و السلوى ﴾ لإبقاء أشباحكم ، فبدأ بالإنجاء الممكن من العبادة ، ثم اتبعه بنعمة الكتاب الدال عليها[4] ، ثم بالرزق المقوى ، [5]و دل على [نعمة -[3]] الإذن فيه بقوله : ﴿ كلوا ﴾ [1]و دل على سعته بقوله[1] : ﴿ من طيبت ما ﴾ [1]و دل على عظمته بقوله[1] : ﴿ رزقنكم ﴾ من ذلك ١٥ و من غيره .

[1]و لما كان الغنى و الراحة سبب السماحة ، قال[1] : ﴿ و لا تطغوا فيه ﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد .
(٤) بين سطرى ظ : العبادة (٥) العبارة من هنا إلى « فيه بقوله » ساقطة من ظ .

بالادخار إلى غد فى غير يوم الجمعة و لا بغير ذلك من البطر و إغفال
الشكر بصرفه فى غير الطاعة ﴿ فيحل ﴾ [1] أى ينزل [و يجب فى حينه
الذى هو أولى الأوقات به - [2]] - على قراءة الجماعة بالكسر . و نزولا [3]
عظيما و بروكا شديدا - على قراءة الكسائى بالضم ﴿عليكم غضبى ج﴾
٥ فتهلكوا لذلك ﴿ و ﴾ كل ﴿ من يحلل عليه غضبى ﴾ منكم و من غيركم
﴿ فقد هوىٰ ه ﴾ أى كان حاله حال من سقط من علو .

و لما كان الإنسان محل الزلل و إن اجتهد ، رجاه [4] و استعطفه [4]
بقوله : ﴿ و انى لغفار ﴾ أى ستار باسبال ذيل العفو ﴿ لمن تاب ﴾ أى
رجع عن ذنوبه من الشرك و ما يقاربه ﴿ و ءامن ﴾ بكل ما يجب
١٠ الإيمان به ﴿ و عمل صلحا ﴾ تصديقا لإيمانه .

و لما كانت رتبة [5] الاستمرار على الاستقامة فى غاية العلو ، عبر عنها
بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم اهتدىٰ ه ﴾ أى استمر على العمل الصالح متحريا
به إيقاعه على حسب أمرنا و على أقرب الوجوه المرضية [6] لنا ، له إلى /٤٦٦
ذلك [7] غاية التوجه كما يدل [8] عليه صيغة افتعل ، و كأنه لما رتب الله سبحانه
١٥ منازل قوم موسى عليه السلام عامة و السبعين المختارين منهم خاصة [9] فى
الجبن - كما مضى عن نص التوراة فى سورة البقرة ، و واعده الكلام

(١) العبارة من هنا إلى « بالضم » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : نزول (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : زينة (٦) سقط من مد (٧) بين سطرى ظ : أى العمل الصالح .
(٨) فى مد : تدل (٩) سقط من ظ .

بعد ثلاثين ليلة و لم يعين له أولها[1]، و كأنه لاشتياقه إلى ما رأى من التعرف إليه بمقام الجمال لم يتوقف على خصوص إذن من الله تعالى فى أول وقت الإتيان اكتفاء بمطلق الأمر السابق فى الميعاد، فتعجل بعشرة أيام عن الوقت الذى علم الله أن الكلام يقع فيه[2] بعد الثلاثين التى[3] ضربها لذلك، و أمر موسى عليه السلام قومه [عند -[4]] نهوضه، ٥ و تقدم إليهم فى اتباعه و الكون فى أثره للحلول فى الأماكن التى حدها الله لهم وأمر السبعين المختارة بمثل ذلك، وكأنهم لما مضى تلبثوا لما رأوا من مقام الجلال، فلما مضت الثلاثون بعد ذهاب موسى لم يكن آتى الوقت الذى أراد الله أن تكون المناجاة فيه، فزاده عشرا فظن بنو إسراءيل الظنون فى تلك العشرة، و وقع لهم[5] ما وقع من اتخاذ العجل. ١٠

و لما كان ذلك - والله أعلم بما كان. وكان أعظم ما مضى فى آية الامتنان عليهم و التعرف بالنعم إليهم الموعدة لهدايتهم بالآيات المرئية و المسموعة، و ختم ذلك بالإشارة إلى الاجتهاد [6]فى الإقبال[6] على الهدى، أتبع ذلك ذكر ضلالهم بعد رؤية ما يبعد [معه - [7]] كل البعد إلمام من رآه[8] بشىء من الضلال. كل ذلك لإظهار القدرة التامة ١٥ على التصرف فى القلوب بضد ما يظن بها، و[9]كان تنجز المواعيد ألذ شىء للقلوب و أشهاه إلى النفوس. و كان السياق مرشدا حتما إلى أن

(١) بين سطرى ظ: الثلاثين (٢) فى مد: به (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بهم (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاقبال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تراه (٩) زيد فى ظ: لما.

التقدير: فأتوا إلى الطور لميعادنا، و تيمموا جانبه الأيمن بأمرنا و مرادنا، و تعجل موسى صفينا الصعود فيه [١- مبادرا لما عنده من الشوق إلى ذلك المقام الشريف و تأخر مجيء قومه عن الإتيان معه. فقلنا: ما أخر قومك عن الإتيان معك؟ ٢فعطف عليه قوله٢]: ﴿و مآ اعجلك﴾ ٢أى أىّ شيء

٥ أوجب لك العجلة٢ فى المجيء٣ ﴿عن قومك﴾ و إن كنت بادرت مبادرة المبالغ فى الاسترضاء، [أما علمت أن حدود الملوك لاينبغى تجاوزها بتقدم و لاتأخر -١] ؟ ﴿يٰموسٰى﴾ فهلا أتيتم جملة و انتظرتم أمرا جديدا بخصوص الوقت الذى استحضركم فيه ﴿قال﴾ موسى ظنا منه٥ أنهم أسرعوا وراءه: ﴿هم﴾ [و أتى باسم الإشارة و أسقط منه هاء التنبيه لأنه لا يليق بخطاب الله. قال ابن هبيرة: ولم أر أحدا من الأصفياء خاطب ربه بذلك. و إنما

١٠ خاطب به الكفار اغباوتهم "قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك" فى أمثالها [وأما آخر الزخرف فتقدم ذكر من التعبير بها فى موضعه -٦] ﴿اولآء﴾ أى هم فى القرب بحيث يسار إليهم، كائنين ﴿على اثرى﴾ أى ماشين على آثار٧ مشيى قبل أن ينطمس٨ لم أسبقهم إلا بشيء جرت العادة فى السبق [بمثله -٦] بين الرفاق، و هذا بناء منه على ما كان

١٥ عهد إليهم، و أكد فيه عليهم: ثم اعتذر عن فعله فقال: ﴿و عجلت﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد؛ و زيد قبله فى ظ: كان كأنه قيل: فاتى موسى لميعادنا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الاصل: شيء (٤) زيد من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منهم. (٦) زيد من مد (٧) من مد. و فى الأصل: اثر (٨) فى الأصل بياض ملأناه من مد، و العبارة من «أى ماشين» إلى هنا ساقطة من ظ.

أنا

أنا بالمبادرة ﴿إليك﴾ [١]و جرى على عادة أهل القرب كما يحق له فقال[١]: ﴿رب﴾ أى أيها المسارع فى إصلاح شأنى و الإحسان إلىّ ﴿لترضى[٥]﴾ عنى[٢] رضا أعظم مما كان ﴿قال﴾ الرب سبحانه: ﴿فانا﴾ أى [قد -[٣]] تسبب عن عجلتك عنهم أنا ﴿قد فتنا﴾ أى خالطنا بعظمتنا مخالطة[٤] [٥]مميلة محيلة[٥] ﴿قومك﴾ بتعجلك. ٥

و لما كانت الفتنة لم تستغرق / جميع الزمن الذى كان بعده، و إنما كانت فى بعضه، أدخل الجار فقال: ﴿من بعدك﴾ [أى خالطناهم بأمر من أمرنا مخالطة أحالتهم عما عهدتهم عليه -[٣]]، و كان ذلك[٦] بعد تمام المدة التى ضربتها[٧] لهم، و هى الثلاثون بالفعل و بالقوة فقط، من أول ما فارقتهم [بضربك لتلك المدة -[٨]] [باعتبار أن أول إتيانك -[٣]] ١٠ هو الذى كان سبب الفتنة لزيادة أيام الغيبة بسببه[٩] لأنا زدنا فى آخر[١٠] المدة بمقدار ما عجلت به فى اولها، فلما تأخر رجوعك إليهم حصل لهم الفتون بالفعل، فظنوا مرجمات الظنون.

[١]و لما عمتهم الفتنة إلا اثنى عشر ألفا من أكثر من ستمائة ألف[١]،

/٤٦٧

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عن.
(٣) زيد من ظ (٤) سقط من مد (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد، و العبارة من «أى خالطنا» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) بين سطرى ظ: بالقوة، و العبارة من بعده إلى «فقط من» ساقطة من ظ (٧) من مد. و فى الأصل: ضربناها (٨) زيد من مد (٩) بين سطرى ظ: بالفعل (١٠) فى مد: زيادة.

[1]أطلق الضلال على الكل فقال[1] : ﴿و اضلهم السامرى ه﴾ اى[2] عن طريق الرشد [1]بما سبب لهم[1] ؟ روى النسائى فى التفسير من[3] سننه ، و أبو يعلى فى مسنده[4] و [5]ابن جرير[5] و ابن أبي حاتم فى تفسيريهما عن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث الفتون أن موسى عليه السلام لما وعده ربه ٥ أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هارون عليه السلام ، و أجلهم ثلاثين[6] يوما ، و ذهب فصامها[7] ليلها و نهارها ، ثم كره أن يكلم ربه و ريح فمه متغير ، فمضغ شيئا من نبات الأرض فقال له ربـــه : أو ما علمت أن ريح الصائم أطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرا ، فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم ساءهم ذلك . و كان هارون قد خطبهم و قال : ١٠ إنكم خرجتم من مصر ، و لقوم[8] فرعون عندكم عوارى و ودائع ، و لكم فيها مثل ذلك ، و أنا أرى أن تحسبوا ما لكم عندهم ، و لا أحل لـــكم وديعة[9] استودعتموها و لا عارية ، و لسنا برادين إليهم شيئا من ذلك و لا ممسكيه لأنفسنا ، فحفر حفيرا و أمر كل قوم عندهم من ذلك من [10]متاع أو حلية أن[10] يقذفوه فى ذلك[11] الحفير ، ثم أوقد عليه النار فأحرقه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى مد : ف.
(٤) ص١٦٧/ب من نسخة خطية محزونة بالدائرة (٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بن خزيمة ؛ و رواه ابن جرير فى مناسبة آية الفتون مختصرا (٦) من ظ و مد و مسند أبى يعلى ، و فى الأصل : ثلاثون (٧) من وظ مد و المسند ، و فى الأصل : فصام (٨) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : تقوم (٩) فى مد : ودايعة (١٠-١٠) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : حليه او متاع و.
(١١) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : تلك .

فقال : لا يكون[1] لنا و لا لهم ، و كان السامری من قوم يعبدون البقر ، جيران لبنی إسراءيل و لم يكن من بنی إسراءيل ، فاحتمل مع موسى و بنی إسراءيل حين احتملوا . فقضى له أن رأى أثرا فقبض منه [قبضة - [2]] فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام : يا سامری ! ألا تلقى ما فی يدك - و هو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك اليوم ، فقال : هذه ٥ قبضة من أثر الرسول الذی جاوز بكم البحر ، [و - [2]] لا ألقيها لشیء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد ، فألقاها و دعا له هارون ، فقال : أريد أن يكون عجلا . فاجتمع ما كان[3] فی الحفرة من متاع أو[4] حلية أو نحاس أو حديد ، فصار عجلا أجوف ليس فيه[5] روح ، له خوار . قال ابن عباس رضی الله عنهما : لا و الله ! ما كان له صوت ١٠ قط ، إنما كانت الريح تدخل فی[6] دبره فتخرج من فيه . فكان ذلك الصوت من ذلك ، فتفرق بنو إسراءيل فرقا ، فقالت فرقة : يا سامری ! ما هذا و أنت أعلم به ؟ قال : هذا ربكم ، و لكن موسى أضل[7] الطريق ، فقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى . فان كان ربنا لم نكن ضيعناه و عجزنا فيه حين رأيناه . و إن لم يكن ربنا فانا نتبع قول ١٥ موسى ، و قالت فرقة : هذا عمل الشيطان ، و ليس بربنا / ، و لن نؤمن /٤٦٨

---

(١) زيد فی الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فی ظ و مد و المسند فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد و المسند (٣) سقط من مد (٤) من المسند ، و فی الأصول « و » (٥) فی مد : له (٦) فی المسند : من (٧) بهامش ظ : الهمزة فی أضل للصيرورة .

به و لن نصدق، و أشرب[1] فرقة فى قلوبهم الصدق بما قال السامرى فى العجل، و أعلنوا التكذيب به[2] - الحديث.

[3]ثم سبب عن إخباره سبحانه له بذلك قوله[3]: ﴿فرجع موسىٰٓ﴾ أى[4] لما أخبره ربه بذلك ﴿الى قومه﴾ [3]أى الذين لهم قوة عظيمة على

٥ ما يحاولونه[3] ﴿غضبان اسفاۚ﴾ أى شديد الحزن أو[5] الغضب؛ [و استأنف قوله - [6]] : ﴿قال﴾ لقومه لما رجع إليهم مستعطفا لهم: ﴿يٰقوم﴾ و أنكر عليهم بقوله: ﴿الم يعدكم ربكم﴾ الذى طال إحسانه إليكم ﴿وعدا حسناۥ﴾ [3]أى بأنه ينزل عليكم كتابا حافظا، و يكفر عنكم خطاياكم، و ينصركم على أعدائكم - إلى غير ذلك من إكرامه[3].

١٠ و لما جرت العادة بأن طول الزمان ناقض للعزائم، مغير للعهود، كما قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى [3]فى هذا البيت[3]:

لا أنسينك إن طال الزمان بنا ... و كم حبيب تمادى عهده فنسى

و كان عليه الصلاة و السلام قريب العهد بهم، أنكر طول العهد بقوله، مستانفا[7] [عما تقديره: هل ترك ربكم موعيده لكم و قطع معروفه عنكم - [6]]:

١٥ ﴿افطال عليكم العهد﴾ أى [زمن - [6]] لطفه بكم، فتغيرتم عما

---

(١) بهامش ظ: من الشرب، أى كأن صدقهم به شرب (٢) بين سطرى ظ: بما قال هارون، أو بسبب ما قال السامرى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٦) زيد من مد.
(٧) سقط من ظ.

فارقتكم

فارقتكم عليه كما يعترى أهل الرذائل الانحلال فى العزائم لضعف العقول[1] و قلة التدبر ﴿ام اردتم﴾ بالنقض مع قرب العهد و ذكر الميثاق ﴿ان يحل عليكم﴾ بسبب عبادة العجل ﴿غضب من ربكم﴾ [أى -[2]] المحسن إليكم[3]، وكلا الأمرين لم يكن. أما الأول فواضح، و أما الثانى فلا يظن بأحد إرادته[4]، و الحاصل أنه يقول: إنكم فعلتم ما لا يفعله عاقل ٥ ﴿فاخلفتم﴾ أى فتسبب عن فعلكم ذلك أن أخلفتم ﴿موعدى ﴾ فى إجلال الله و الإتيان إلى الموضع الذى ضربه لكم لكلامه لى و إنزال كتابه علىّ إحسانا إليكم و إقبالا عليكم، وكأنه أضاف الموعد إليه أدبا مع الله تعالى و إعظاما له، [5]أو أنه لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذى لا شبهة فيه. لما نصب عليه من الدلائل الباهرة[6]، و أوضحه من ١٠ البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان لطول عهد، أو عناد بسوء قصد، وكان من أبلغ المقاصد و أوضح التقرير إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد، سألهم عن تعيين أحد الأمرين مع أن طول العهد لا يمكن ادعاءه، فقال ما معناه: أطال عليكم العهد بزيادة عشرة أيام فنسيتم فلم يكن عليكم فى الإخلاف[7] جناح؟ أم أردتم أن يحل عليكم الغضب فعاندتم؟ ١٥ فكانت الآية من الاحتباك: ذكر طول العهد الموجب للنسيان أولا دليل

---

(١) بهامش ظ: لضعف العقول تعليل ليعترى اهل الرذائل (٢) زيد من مد.
(٣) زيد فى ظ: اى (٤) بين سطرى ظ: اى حلول غضب ربه (٥) العبارة من هنا إلى «ذكره فقال» ص ٣٢٨ س ٥ ساقطة من ظ (٦) فى مد: الواضحة.
(٧) من مد، و فى الأصل: الاخلاق.

على حذف العناد ثانيا، و ذكر حلول الغضب ثانيا دليل على انتفاء الجناح أولا، و سر ذلك أن ذكر السبب الذى هو طول العهد أدل على[1] النسيان الذى هو المسبب، و إثبات الغضب - [و -[2]] هو المسبب - أنكأ[3] من إثبات سببه الذى هو العناد .

٥ و لما تشوف السامع إلى جوابهم، استأنف ذكره فقال: ﴿ قالوا ﴾ : [لم يكن شيء من ذلك -[4]] .

و لما كان المقصود من هذا السياق كله إظهار عظيم القدرة، عبر عن ذلك بقوله، حكاية [5]عنهم للاعتراف بما قررهم موسى عليه السلام به من العناد[6] معتذرين عنه بالقدرة[7]، و الاعتذار به لا يدفع العقوبة

١٠ المرتبة / على الذنب: ﴿ مآ اخلفنا موعدك بملكنا ﴾ أى لقد صدقت فيما قلت، و لكنا لم نفعل ذلك و نحن بملك أمرنا - [8]هذا على قراءة الجماعة بالكسر، و على قراءة نافع و عاصم بالفتح المعنى: و لنا ملكة تتصرف بها فى أنفسنا، و على قراءة حمزة و الكسائى بالضم كأنهم قالوا: و لنا سلطان قاهر[9] لأمورنا - على أنهم قد ذكروا أن القراءات الثلاث لغات

١٥ لمعنى واحد، قال فى القاموس: ملكه يملكه ملكا مثلثة: احتواه قادرا

٤٦٩/

(١) زيد فى الأصل: نفى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد من مد .
(٣) من مد، و فى الأصل: انكار (٤) زيد من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « على الذنب » ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) فى مد: بالقدر (٨) العبارة من هنا إلى « من عبده » ص ٣٢٩ س ٤ ساقطة من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: ظاهر .

على الاستبداد به، و المعنى أن السامرى زين لهم ذلك، و وسوس به الشيطان [1]فما دروا[1] إلا و قد تبعوه حتى [كانوا - [2]] كأنهم يقادون إليه بالسلاسل، و قيل: هذا كلام من لم يعبده، اعتذروا بأنهم كانوا قليلا، لا قدرة لهم على مقاومة[3] من عبده[4]. و هذا كله[5] إشارة إلى أنه تعالى هو المتصرف فى القلوب، فهو قادر على أن يرد كفار قريش و العرب من بعد عنادهم، و لددهم و فسادهم ﴿و لكنا﴾ كنا ﴿حملنآ اوزارا﴾ أى أثقالا من النقدين[6] هى أسباب الآثام، كما تقدم فى الأعراف أن الله أمرهم فى التوراة أن يستعيروها من القبط ليحربوهم بها، و كأن هذا ما كان خيانة فى ذلك الشرع، او[7] أن الله تعالى أباح لهم ذلك فى القبط خاصة ﴿من زينة القوم﴾ الذين لم نكن نعرف قوما غيرهم، و غيرهم ليس حقيقا باطلاق هذا اللفظ [عليه - [8]] و هم القبط، [9]فقضى لنا[9] أن نقذفها فى النار، و توفرت الدواعى على ذلك و اشتدت بحيث لم نتمالك ﴿فقذفنها فكذلك﴾ أى فتعقب[10] هذا [- أنه - [8]] مثل ذلك الإلقاء

(١-١) من مد، و فى الأصل: فبادروا (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: مقارنة (٤) من مد، و فى الأصل: يعبده (٥) سقط من ظ.
(٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) موضعه فى ظ: فسولت لنا أنفسنا (١٠) بهامش ظ: إنما جعل الشيخ الفاء هنا للتعقيب لأن « قذفنا » لا يصح أن يكون سببا لإلقاء السامرى فليفهم ذلك.

﴿القى السامرى﴾ وهو لصيق انضم إليهم من قبط مصر . ألقى ما كان معه . إما من المال وإما من أثر الرسول ، كما مضى و يأتى ، وكأن إلقاءه كان آخرا .

و لما كان خروج التمثال عقب إلقائه ، جعل كأنه المتسبب فى ٥ ذلك[٢] ، فقيل مع العدول عن أسلوب التكلم استهجانا لنسبة أمر العجل إلى المتكلم : ﴿فاخرج لهم﴾ [أى لمن شربه و عبده - ٣] ، [١]و جعل الضمير للغيبة يؤيد قول من جعل هذا كلام من لم يعبد العجل ، و المعنى عند من جعله من كلام العابدين أنهم دلوا بذلك على البراءة منه و الاستقذار له[١] .

١٠ و لما كان شديد الشبه للعجول ، قيل : ﴿عجلا﴾ و قدم[٤] قوله - : ﴿جسدا﴾ - المعرف أن عجليته صورة لا معنى - على قوله : ﴿له خوار﴾ لئلا يسبق إلى وهم أنه حى[٥] ، فتمر عليه لمحة على اعتقاد الباطل ﴿فقالوا﴾ أى فتسبب عن ذلك[٦] أن السامرى قال[٧] فتابعه عليه من أسرع فى الفتنة [١]أول ما رآه[١] : ﴿هذا﴾ مشيرين إلى العجل الذى هو على صورة [ما هو - ٣]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ : إخراج التمثال. (٣) زيد من ظ و مد (٤) بهامش ظ : قوله و قدم ' جسدا ' على ' له خوار ' أى ' له خوار ' صفة ، و « جسدا » كذلك ، فما حكمة تقديم أحد الوصفين ، و الجواب ما قرره الشيخ (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : هى (٦) سقط من ظ (٧) بين سطرى ظ : فالسبب هو قوله والمتسبب متابعتهم له .

مثل

مثل فى الغباوة ﴿ الٰهكم و الٰه موسى لا ج فنسى ه ﴾ [1]أى فتسبب [عن -[2]] أنه إلٰهكم أن موسى نسى - بعدوله عن هذا المكان - موضعه فذهب يطلبه فى مكان غيره، او نسى أن يذكره لكم.

و لما كان هذا سببا للانكار على من قال هذا، قال: ﴿ افلا يرون ﴾ أى أقالوا ذلك[3]؟ فتسبب عن قولهم عماهم عن رؤية ﴿ ان ﴾ أى أنه ٥ ﴿ لا يرجع اليهم قولا لا ﴾ و الإلٰه لا يكون أبكم ﴿ و لا يملك لهم ضرا ﴾ فيخافوه كما كانوا يخافون فرعون فيقولوا ذلك خوفا من ضره / ﴿ و لا نفعا ع ﴾ / ٤٧٠ فيقولوا ذلك رجاء له.

و لما كان الذنب مع العلم [4]أبشع، و الضلال[4] بعد البيان أشنع، قال عاطفا على قوله " قال يٰقوم الم يعدكم " [5]أو على قوله " قالوا ما ١٠ اخلفنا[5] ": ﴿ و لقد قال لهم هٰرون ﴾ [6]أى مع أن من لم يعبده لم يملكوا رد من عبده.

و لما كان قولهم[7] فى بعض ذلك الزمان. قال: ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل رجوع موسى. مستعطفا لهم: ﴿ يٰقوم ﴾ [8]ثم حصر أمرهم ليجتمع فكرهم

---

(١) العبارة من هنا إلى « هذا المكان » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بين سطرى ظ: أى هذا إلٰهكم و إلٰه موسى (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ابوشع و الضلالة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «الزمان قال» ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الاصل: قوله لهم (٨) العبارة من هنا إلى « فقال » ص ٣٣٢ س ١ ساقطة من ظ.

[و نظرهم -¹] فقال : ﴿ إنما فتنتم ﴾ أى [وقع اختباركم -¹] فاختبرتم² فى صحة إيمانكم و صدقكم فيه وثباتكم عليه ﴿ به ج ﴾ أى بهذا التمثال فى إخراجه لكم على هذه الهيئة الخارقة للعادة . و أكد لأجل³ إنكارهم فقال⁴ : ﴿ و ان ربكم ﴾ ⁵أى الذى أخرجكم من العدم ، رباكم بالإحسان⁵ ﴿ الرحمٰن ﴾ وحده
٥ الذى فضله عام و نعمه شاملة ، فليس على بر و لا فاجر نعمة إلا و هى منه قبل أن يوجد العجل ، و هو كذلك بعده . و من رحمته قبول التوبة ، فخافوا نزع⁶ نعمه بمعصيته ، و ارجوا إسباغها بطاعته ﴿ فاتبعونى ﴾ ⁵بغاية جهدكم⁵ فى الرجوع إليه ﴿ و اطيعوآ امرى ﴾ فى دوام الشرف بالخضوع لديه ، و دوام الإقبال عليه ، يدفع عنكم ضيره⁷ ، و يفيض عليكم خيره .
١٠ و لما كان هذا [موضع أن يسأل من جوابهم لهذا -⁸] الأمر الواضح الذى لا غبار عليه ، قيل : ﴿ قالوا ﴾ بفظاظة و جمود : ﴿ لن نبرح عليه ﴾ أى على هذا العجل ﴿ عٰكفين ﴾ أى مقيمين⁹ مستديرين مجتمعين ⁵و إن حاربنا فى ذلك⁵ ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾ فدافعهم .

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اختبرتم ، و بهامش ظ : إن قيل : كيف للشيخ أن يقول فيما تقدم حيث فسر الفتنة : خالطناهم من أمرنا - إلى آخره ، و قال هنا : اختبرتم فى صحة إيمانكم - إلى آخره ، وكلا التفسيرين غير الآخر ، فيتناقض . فالجواب أن التفسير الاول مبدأ الفتنة و الآخر غايتها فليفهم ذلك (٣) من مد ، و فى الأصل : لاجز (٤) العبارة من «و أكد» إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : نوع (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضره (٨) زيد من ظ و مد (٩) سقط من ظ .

فهمّوا به ، و كان معظمهم قد ضل ، فلم يكن معه من يقوى بهم ، فخاف
أن يجاهد بهم الكافرين فلا يفيد ذلك[١] شيئا ، و يقتل[٢] بعضهم فيحمى
له آخرون من ذوى رحمه الأقربين ، فيصير بين بنى إسراءيل فرقة يبعد
ضم شتاتها و تلافى دهمائها ، و كانوا قد غيوا الرجوع [برجوع -[٣]]
موسى عليه السلام مع أنه لم يأمره بجهاد من ضل ، إنما قال له ٥
" و اصلح و لاتتبع سبيل المفسدين " فرأى من الإصلاح اعتزالهم إلى
أن يأتى ، فلما ذكر ما قال هارون عليه السلام ، [التفتت النفس إلى
علم ما قال له موسى عليه السلام -[٣]] لأنه خليفته عليهم ، مع كونه[٤]
رأسا فى نفسه ، فدفع هذا العناء بقوله ، [٥]مسقطا [أخذه -[٦]] برأس أخيه
لما تقدم من ذكره و يأتى هنا من[٧] الدلالة عليه ، و لم تدع إليه ضرورة ١٠
فى هذه السورة التى من أعظم مقاصدها الدلالة[٨] على تليين القلوب :
﴿ قال ﴾ أى موسى : ﴿ يٰهرون ﴾ أنت نبى الله و أخى و وزيرى
و خليفتى فأنت أولى الناس بأن ألومه ، و أحقهم بأن أعاتبه ﴿ ما منعك اذ ﴾
[٩]أى حين[٩] ﴿ رايتهم ضلوآ ﴾ عن طريق الهدى ، و اتبعوا سبيل الردى ،
من اتباعى فى سيرتى فيهم من[١٠] الأخذ على يد الظالم طوعا أو كرها ، ١٥

(١) بين سطرى ظ : الجهاد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقبل (٣) زيد من ظ ومد (٤) بين سطرى ظ : هارون (٥) العبارة من هنا إلى « تليين القلوب » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : فى (٨) من مد ، و فى الأصل : الدال (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) بين سطرى ظ : بيان سيرتى .

اتباعا لا زيغ[1] فيه عما نهجته لك بوجه من الوجوه شيئا من زيغ، و عبر عن هذا التأكيد بزيادة "لا" في قوله: ﴿ألا تتبعن﴾ كما تقدم غير مرة أن النافي إذا زيد في كلام كان نافيا لضد مضمونه فيفيد إثباتا للمضمون و نفيا لضده، فيكون ذلك في غاية التأكيد ﴿أفعصيت﴾ أي

٥ أتكبرت عن[2] اتباعي فتسبب عن ذلك أنك عصيت ﴿أمري ۝﴾ و أخذ بلحيته و برأسه يجره إليه غضبا لله تعالى، فكأنه / قيل: ما قال له؟ فقيل: / ٤٧١

﴿قال﴾ مجيبا له مستعطفا بذكر أول وطن ضمهما بعد نفخ الروح مع ما له من الرقة و الشفقة: ﴿يبنؤم﴾ فذكره بها [3]خاصة و إن كان شقيقه[3] لأنه يسوءها ما يسوءه، [3]و هي أرق من الأب[3]

١٠ ﴿لا تأخذ بلحيتي و لا برأسي ج﴾ أي بشعره؛ ثم علل ذلك[4] بقوله: ﴿إني خشيت أن تقول﴾ إن اشتددت عليهم حتى يصل الأمر إلى القتال ﴿فرقت بين بني إسرآءيل﴾ بفعلك هذا الذي لم يجد شيئا لقلة من كان معك و ضعفكم عن ردهم ﴿و لم ترقب قولي ۝﴾ "اخلفني في قومي و اصلح و لا تتبع سبيل المفسدين" و لم تقل: و اردد هم و لو أدى الأمر إلى

١٥ السيف، و هذا كما كان النبي صلى الله عليه و سلم مأمورا بالصفح و الحلم و المدافعة باللين عند ضعف الناصر و قلة المعين.

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: لا نزاع (٢) في مد: على (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ: أي كونه لم يأخذ بسيرته التي هي الأخذ على يد الظالم.

و لما

و لما فرغ من نصيحة أقرب الناس إليه و أحقهم بنصيحته و حفظه على الهدى إذ كان رأس الهداة ، تشوف[1] السامع إلى ما كان من غيره ، فاستأنف تعالى ذكره بقوله: ﴿ قال ﴾ [2]أى موسى عليه السلام[2] لرأس أهل الضلال معرضا عن أخيه بعد قبول عذره. [2]جاعلا ما نسب إليه سببا لسؤاله عن الحامل له عليه[2]: ﴿ فما خطبك ﴾ أى أمرك هذا العجيب العظيم الذى [2]حملك على ما صنعت[2] و أخبرنى العزيز العليم أنك [أنت -[3]] أضللتهم به ﴿ يسامرى ۞ قال ﴾ السامرى مجيبا له: ﴿ بصرت ﴾ من البصر و البصيرة ﴿ بما لم يبصروا به ﴾ من أمر الرسول الذى أجاز بنا البحر ﴿ فقبضت ﴾ [4]أى فكان ذلك [سببا -[3]] لأن قبضت ﴿ قبضة ﴾ [2]أى مرة من القبض ، أطلقها على المقبوض تسمية للمفعول بالمصدر[2] ﴿ من اثر ﴾ [2]فرس ذلك[2] ﴿ الرسول ﴾ [2]أى المعهود[2] ﴿ فنبذتها ﴾ فى الحلى الملقى فى النار. [2]او فى العجل[2] ﴿ و كذلك ﴾ أى و كما سولت لى نفسى أخذ أثره ﴿ سولت ﴾ أى حسنت و زينت ﴿ لى نفسى ۞ ﴾ بنذها فى الحلى فنبذتها. فكان منها ما كان ، [2]و لم يدعنى إلى ذلك داع و لا حملنى عليه حامل غير التسويل[2].

و لما كان فعله هذا مفرقا لبنى إسرايل عن طريق الحق

---

(١) من مد ، و فى الأصل: تشرف ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « ذكره بقوله » ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « قبضت » ساقطة من ظ .

التى[1] كانوا عليها ، و جامعا لهم على تمثال حيوان هو من أخس الحيوانات ، و على نفسه بكونه صار متبوعا فى ذلك الضلال ، لكونه كان سببه ، عوقب بالنفرة من الإنسان الذى هو أشرف الحيوان ، ليكون ذلك سببا لضد ما تسبب عن[2] فعله ، فيعاقب فى الدنيا بعقوبة لا شىء أشد منها و ذلك

٥ أنه منع من[3] مخالطة الناس منعا كليا[4] فلا يتصل بأحد و لا يتصل به أحد ، بل يكون وحيدا طريدا ما دام حيا ، فلذلك [5]استؤنف الإخبار عن هذا بقوله تعالى[5] : ﴿قال﴾ أى[6] له موسى عليه السلام : ﴿ فاذهب﴾ أى تسبب عن فعلك أنى أقول لك : اذهب [من بيننا . أو -[7]] حيث ذهبت[8] ﴿ فان لك فى الحيٰوة ﴾ أى ما دمت حيا ﴿ ان تقول ﴾ لكل

١٠ من رأيته : ﴿لا مساس﴾ أى لا تمسنى و لا أمسك ، فلا تقدر أن تنفك عن ذلك لإرادة الإله الحق ذلك بك [5]و ترغيبك فيه - بما أفادته اللام[5] ، لتعلم أنت و من تبعك أنكم كنتم على أعظم ضلال فى ترك القادر على كل شىء ، و اتباع ما لا قدرة له على شىء ﴿ و ان لك ﴾ بعد الممات ﴿ موعدا ﴾ للثواب إن تبت ، و للعقاب إن أبيت

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٢) بهامش ظ : الذى تسبب عن فعله هو الاجتماع عليه فعوقب بضده ، أى النفرة من الإنسان (٣) سقط من مد .
(٤) العبارة من « فيعاقب » إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ ومد (٧) زيد من مد (٨) بهامش ظ : إنما قال الشيخ « حيث ذهبت » لأن الفعل نكرة فيفيد التعميم .

﴿ لن تخلفه ج﴾ مبنيا للفاعل و للمفعول[1] . أى لا يكون خلفك ، لا تكون أنت خلفه ، بل يكون كل منكما[2] مواجها لصاحبه ، لا انفكاك له عنه ، كما أنك فى الحياة لا تقدر أن تنفك عن النفرة / من الناس ، فاختر لنفسك ما يحلو[3] .

٤٧٢/

و لما ذكر ما للاله الحق من القدرة التامة فى الدارين ، أتبعه عجز العجل فقال : ﴿ و انظر الى الهك ﴾ أى بزعمك ﴿ الذى ظلت ﴾ أى دمت [فى مدة يسيرة جدا - بما أشار إليه تخفيف التضعيف -[4]] ﴿ عليه عاكفا[5] ﴾ أى[5] مقبلا مقاربا مواظبا [جهارا -[4]] ﴿ لنحرقنه ﴾ أى بالنار و بالمبرد - كما سلف عن نص التوراة ، وكان معنى ذلك أنه أحماه حتى لان فهان على المبارد ﴿ ثم لننسفنه ﴾ [6]أى لنذرينه[6] [إذا صار سحالة -[7]] ﴿ فى اليم ﴾ أى البحر الذى[8] [أغرق الله فيه آل فرعون و -[4]] [6]هو أهل لأن يقصد[6] [فيجمع الله سحالته التى هى من حليهم و أموالهم فيحميها فى نار جهنم و يكويهم و يجعلها من أشد العذاب عليهم ، و أكد الفعل إظهارا لعظمة الله الذى أمره بذلك ، و تحقيقا للصدق فى الوعد فقال -[4]] : ﴿ نسفا ه ﴾ .

و لما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان ، أخبرهم بالحق على وجه الحصر

(١) بين سطرى ظ : ذكر على الترتيب : الأول للفاعل و الثانى للمفعول .
(٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : منهما (٣) بهامش ظ : و اختر لنفسك ما يحلو - مثل من الأمثال : أى قد تبين لك الحق و غيره فاختر لنفسك أيهما شئت ، و أصل هذا المثل لابن العارض حيث قال : نصحتك علماً فى الهوى ... أرى مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ .

فقال : ﴿ انمآ الهكم ﴾ جميعا ﴿ الله ﴾ [1] أى الجامع لصفات الكمال ؛
ثم كشف المراد من ذلك و حققه بقوله[1] : ﴿ الذى لآ الـه الا هو ﴾ أى
لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لأنه ﴿ وسع كل شىء علما ﴾ [1] تمييز
محول عن الفاعل ، أى أحاط علمه بكل شىء[1] ، فكان على كل [شىء - [2]]
٥ ممكن قديرا ، فكان[3] كل شىء إليه فقيرا ، و هو غنى عن كل شىء ،
[1] وجوده يباين وجود غيره ، و ذاته تباين ذات غيره ، و صفاته تباين
صفات غيره[1] ، و أما العجل الذى عبدوه[4] فلو كان حيا كان مثلا فى
الغـوة ، [5] فلا يصلح للالهية بوجه و لا [فى - [6]] عبادته شىء من حق ،
و كان القياس [7] على ما[7] يتبادر إلى الذهن حيث نفى عنه[8] العلم بقوله " الا
١٠ يرجع اليهم قولا " و القدرة بقوله " و لا يملك لهم ضرا و لا نفعا "
أن يثبتا هنا للاله الحق ، و لـكنه اعتنى باثبات العلم الواسع
لاستلزامه للقدرة على كل ما يمكن أن يتعلق به . بافادة الأسباب
للشىء المراد ، و منع الموانع عنه فيكون لا محالة ، و لو لم يكن[9] كذلك
لكان التخلف للجهل إما[10] بما يفيد مقتضيا أو يمنع مانعا[11] ، و أدل دليل على
١٥ ذلك قوله تعالى " و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى
السوء[12] " و لا يستلزم إثبات القدرة المحيطة العلم الشامل لخروج قسم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عبده (٥) العبارة من هنا إلى « من حق » ساقطة من ظ .
(٦) زيد من مد (٧-٧) فى مد : كما (٨) بين سطرى ظ : العجل (٩) زيد فى مد : الكل (١٠) بين سطرى ظ : تفصيل للجهل (١١) العبارة من هنا إلى « مسنى السوء » ساقطة من ظ (١٢) سورة ٧ آية ١٨٨ .

المحال

المحال الذى ليس من شأن القدرة أن تتعلق به .

و لما تمت هذه القصة[1] على هذا الأسلوب الأعظم ، و السبيل الأقوم ، متكفلة[2] بالدلالة على القدرة على ما وقعت إليه الإشارة من البشارة أول السورة بتكثير هذه الأمة و رد العرب عن غيهم بعد طول التمادى فى العناد ، و التنكب عن سبيل الرشاد ، إلى ما تخللها من ٥ التسلية بأحوال السلف الصالح و التأسية ، مفصلة من أدلة التوحيد و البعث ، و غير ذلك من الحكم ، بما يبعث الهمم ، على[3] معالى الشيم ، كان كانه قيل : هل يعاد شىء من القصص على هذا الأسلوب البديع و المثال الرفيع ؟ فقيل : نعم ! ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا القص العالى ، فى هذا النظم العزيز الغالى ، لقصة موسى و من ذكر معه ﴿ نقص عليك ﴾ ١٠ [4]أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شىء ؛ و أشار إلى جلالة علمه بقوله[4] : ﴿ من انبآء ﴾ أى أخبار ﴿ ما قد سبق ج ﴾ من الأزمان و الكوائن الجليلة ، زيادة فى علمك ، و إجلالا لمقدارك ، و تسلية لقلبك ، و إذهابا لحزنك ، بما اتفق للرسل من قبلك [و تكثيرا لأتباعك و زيادة فى معجزاتك ، و ليعتبر السامع و يزداد المستبصر فى دينه بصيرة ١٥ و تأكد الحجة على من عابه -[5]] : ﴿ و قد اتينك ﴾ [4]من عظمتنا[4]

---

(١) بين سطرى ظ : أى قصة موسى و هارون (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : متكلفة (٣) من ظ و مد ، وفى الاصل : عن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من مد .

تشريفا لك و تعظيما لقدرك ﴿ من لدنا ﴾ أى من عندنا من الأمر
الشريف بمزيد خصوصيته[1] بنا و لطيف اتصاله[2] بحضرتنا [من -[3]] [4]غيب
غيبا[4] ﴿ ذكرا ﴾ عظيما جليلا جامعا لما أظهرناه من آمرنا فى التوراة،
و ما أبطناه من سرنا / فى الإنجيل، و ما أودعناه من سكينتنا فى الزبور، ٤٧٣ /
٥ مع ما خصصناه[5] به من لطائف المزايا، و عظائم الأسرار، يعرف بمجرد
تلاوته أنه من عندنا لما يُشهَد له من الروح، و يُذاقُ له من الإخبات
و السكون، و يرى له من الجلالة فى الصدور مع[6] القطع بأن أحدا
لا يقدر أن يعارضه، و ضمناه تلك القصص مع ما زدنا فيه على ذلك
من المواعظ و الأحكام و دقائق إشارات الحقائق، متكفلا بسعادة الدارين
١٠ وحسنى الحسنيين، فمن أقبل عليه كان مذكرا له بكل ما يريد من العلوم النافعة.
و لما اشتمل هذا الذكر على جميع أبواب الخير، فكان كل ما
ليس له[7] فيه أصل شقاوة محضة و ضلالا بعيدا، قال يقص عليه من
أنباء ما يأتى كما قص من أنباء ما قد[7] سبق: ﴿ من اعرض عنه ﴾ أى
عن ذلك الذكر، و هو عام فى جميع من يمكن دخوله فى معنى "من"
١٥ من العالمين ﴿ فانه يحمل ﴾ [8]و لما كان المراد استغراق الوقت قال[8]:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: خصوصية (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اتصال (٣) زيد من مد (٤ - ٤) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و قد آتينك » و الترتيب من مد مع سقوطه عن ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: خصصنا (٦) بين سطرى ظ: متعلق بيعرف (٧) سقط من مد.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

﴿ يوم القيمه وزرا ﴾ أى حملا ثقيلا من العذاب الذى سببه[1] الوزر و هو الذنب ، جزاء لإعراضه عنه [و اشتغاله بغيره -[2]] ﴿[3] خلدين فيه[3] ﴾ و جمع هنا حملا على المعنى بعد الإفراد للفظ ، تنبيها على العموم لئلا يغفل عنه بطول الفصل ، أو يظن أن الجماعة يمكنهم المدافعة ، و يمكن أن يراد بالوزر الحمل الثقيل من الإثم ، و يكون الضمير فى "فيه" للعذاب المسبب ٥ عنه فيكون استخداما كقوله[4] :

إذا نزل السماء بأرض قوم   رعيناه[5] و إن كانوا غضابا

و لما كانوا منكرين ليوم القيامة ، صرح بذكره ثانيا مع قرب العهد ، قارعا لأسماعهم به ، مجريا له إجراء ما هو به جدير من[6] أنه متحقق لا مرية فيه فقال : ﴿ و سآء ﴾ أى و بئس ؛[7] و بين أصحاب السوء ١٠ فقال[7] : ﴿ لهم[8] ﴾ أى ذلك الحمل[9] ﴿ يوم القيمة حملا ﴾ ثم شرح لهم بعض أحوال ذلك اليوم من ابتدائه ، فقال مبدلا من "يوم القيمة" : ﴿ يوم ينفخ ﴾ [7] أى بعظمتنا - على قراءة ابى عمرو بالنون مبنيا للفاعل ، و دل على تناهى العظمة بطريقة كلام القادرين فى قراءة الباقين بالياء[7]

(١) بهامش ظ : فأطلق السبب على المسبب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « مرية فيه فقال » و الترتيب من ظ و مد (٤) البيت لمعود الحكماء معاوية بن مالك - راجع لسان العرب [سمو] (٥) من مد و اللسان ، و فى الأصل و ظ : دعيناه (٦) بين سطرى ظ : بيان ما هو جدير (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) بهامش ظ : و أجراه مجرى "ما هو به جدير من أنه متحقق" حيث قال : ساء لهم - بصيغة الماضى غير مؤكد ذلك كأنه قال : قد فرغ الأمر من ذلك فلا بد منه (٩) من مد ، و فى الأصل : الحميل ، و فى ظ : الوزر .

[١]مبنيا للفعول[١] ﴿ في الصور ﴾ فيقوم الموتى من القبور ﴿ و نحشر ﴾ أي بعظمتنا ﴿ المجرمين ﴾ منهم الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل، و عدل عن أن يقول : و نحشرهم - لبيان الوصف الذي جره لهم : الإعراض عن الذكر ﴿ يومئذ ﴾ [١]أي يوم القيامة، و يكون لهم ما تقدم[١]

٥ ﴿ زرقا ﴾ أي زرق العيون و الجسوم على هيئة من ضرب فتغير جسمه، حال كونهم ﴿ يتخافتون[٢] ﴾ .

[٣]و لما كان التخافت - و هو المسارة بالكلام - قد يكون بين اثنين من قبيلتين . فيكون كل منهما خائفا من قومه أقل عارا [٤]مما لو كانا[٤] من قبيلة واحدة ، لأنه يدل على أن ذلك الخوف طبع لازم ، قال

١٠ دالا على لزومه و عمومه : ﴿ بينهم ﴾ أي يتكلمون خافضي أصواتهم من الهيبة و الجزع .

[٥]و لما كانت الزرقة أبغض[٦] ألوان العيون إلى العرب [لعدم ألفهم لها - [٧]] ، و المخافتة أبغض[٦] الأصوات إليهم لأنها تدل عندهم على سفول الهمة و الجبن ، [و كانوا من الزرقة أشد نفرة لأن المخافتة قد يتعلق

١٥ بها غرض ، رتبها سبحانه كذلك - [٧]] ، ثم بين ما يتخافتون به فقال :

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : يتخافتون حال من المجرمين .
(٣) العبارة من هنا إلى « و عمومه » ساقطة من ظ (٤-٤) من مد . و في الأصل : من كان - كذا (٥) العبارة من هنا إلى « و الجبن » ساقطة من ظ .
(٦) من مد . و في الأصل : بعض (٧) زيد من مد .

ان

﴿ أن ﴾ [1]أى يقول بعضهم لبعض: ما[1] ﴿ لبثتم ﴾ أى فى الدنيا [استقصارا لمدة إقامتهم فى غيب ما بدا لهم من المخاوف، أو غلطا و دهشة -[2]] ﴿ الا عشراً ﴾ [3]أى عقدا واحدا، لم يزد على الآحاد إلا بواحد، و هو -[لو أنه سنون -[2]]- سن من لم يبلغ الحلم، [فكيف إذا كان شهورا أو أياما -[2]] فلم يعرفوا لذة العيش بأىّ تقدير كان. ٥

و لما كان / علم ما يأتى اخفى من علم ما سبق، أتى [فيه -[4]] بمظهر العظمة فقال: ﴿ نحن اعلم ﴾ [1]من كل أحد[1] ﴿ بما يقولون ﴾ أى فى ذلك اليوم ﴿ اذ يقول امثلهم طريقة ﴾ فى الدنيا فيما يحسبون، [أى أقربهم إلى أن تكون طريقته مثل ما يطلب منه -[2]]: ﴿ ان ﴾ [أى ما -[2]] ﴿ لبثتم ﴾ [و دل على أن المعدود المحذوف من الأول ١٠ الأيام بقوله -[2]]: ﴿ الا يوما ﴾ أى مبدأ الآحاد، لا مبدأ العقود[1] كما قال فى الآية الأخرى "قالوا لبثنا يوما او بعض يوم[5]"، "يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون[6]" فلا يزالون فى إفك و صرف عن الحق فى الدارين، لأن الإنسان يموت على ما عاش عليه، و يبعث على ما مات عليه، و يجوز أن يكون المراد [أن -[2]] ١٥ من قال: إن لبثهم يوم واحد، امثلهم فى نفس الأمر[7]، لأن الزمان و إن طال إنما هو يوم متكرر، ليس مرادا لنفسه، و إنما هو مراد

/ ٤٧٤

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « تقدير كان » ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٢٣ آية ١١٣. (٦) سورة ٣٠ آية ٥٥ (٧) بين سطرى ظ: فى الحقيقة.

لما يكون فيه ، فان[1] كان خيرا كان صاحبه محمودا [و -[2]] لم يضره قصره ، و إن كان[3] شرا كان مذموما و لم ينفعه طوله ، [و يجوز أن يكون أنث أولا إرادة لليالى ، لأنها محل الراحة المقصودة بالذات ، فكان كأنهم قالوا : لم يكن لنا راحة إلا بزمن يسير جدا أكثر أول العقود ، و نص الأمثل على اليوم الذى يكون الكد فيه للراحة فى الليل إشارة إلى أنهم ما كان لهم فى اللبث فى الدنيا راحة أصلا ، و لم يكن سعيهم إلا نكدا كله كما يكون السعى فى يوم لا ليلة يستراح فيها ، و إن كانت فيه راحة فهى ضمنية لا أصلية -[2]] .

و لما أخبر عن بعض ما سبق ثم عن بعض ما يأتى من أحوال المعرضين عن هذا الذكر فيما ينتجه لهم إعراضهم عنه ، و ختم ذلك باستقصارهم مدة لبثهم فى هذه الدار[4] ، أخبر عن بعض أحوالهم فى الإعراض فقال : ﴿ و يسئلونك عن الجبال ﴾ [5]ما يكون حالها[5] يوم ينفخ فى الصور ؟ شكا منهم فى البعث وقوفا مع الوهم فى أنها تكون موجودة على قياس جمودهم لا محالة ، لأنها أشد الأشياء قوة ، و أطولها لبثا ، و ابعدها مكثا ، فتمنع بعض الناس من سماع النفخ فى الصور ، و تخيل للبعض بحكم رجع الهواء الحامل للصوت أنه آت من غير جهته فلا يستقيم [6]القصد إلى الداعى[6] ﴿ فقل ﴾ أى فتسبب عن علمنا بانهم يسئلونك هذا

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٢) زيد من مد (٣) زيد فى مد : عماد - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدار (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقصد الى المداهى - كذا .

السؤال أنا تقول لك : قل ، أو يكون على تقدير شرط ، أى فاذا[1] سألوك
فقل لهم ، [و -[2]] هذا بخلاف ما نزل بعد وقوع السؤال عنه مثل
الروح [و -[3]] قصة ذى القرنين فان الأمر بجوابه على طريق الاستئناف
لما هناك من استشراف النفس للجواب ﴿ ينسفها ﴾ [4]أى يقلعها من أماكنها
و يذريها بالهواء[4] ﴿ ربى ﴾ المحسن إلىّ بنصرى فى [يوم -[2]] القيامة نصرا ٥
لا يبلغ كنهه ﴿ نسفا ۙ ﴾ عند النفخة الاولى ﴿ فيذرها ﴾ [4]أى أماكنها[5]
﴿ قاعا ﴾ أى أرضا ملساء[5] ﴿ صفصفا ۙ ﴾ أى مستويا[6] [4]كأنه صف واحد[4]
[لا أثر للجبال فيه -[2]] ﴿ لا ترى ﴾ [7]أى بالبصر [و-[2]] لا بالبصيرة ﴿ فيها ﴾ [4]أى
مواضع الجبال[4] ﴿ عوجا ﴾ بوجه من الوجوه ، وعبر هنا بالكسر و هو للمعانى ،
و لم يعبر بالفتح الذى[8] يوصف [به -[2]] الأعيان ، و مواضع الجبال أعيان ١٠
لا معانى ، نفيا للاعوجاج على أبلغ وجه . بمعنى أنك لو جمعت أهل الخبرة
بتسوية الأراضى لاتفقوا على الحكم باستوائها ، ثم لو جمعت أهل الهندسة
فحكموا مقاييسهم العلمية فيها لحكموا بمثل ذلك[9] ﴿ و لا امتا ۙ ﴾ أى شيئا
مرتفعا كالكدية [4] أو نتوا يسيرا أو شقا[4] [أو اختلافا -[2]] ؛ و قال البيضاوى
و الزمخشرى : الأمت النتو[10] اليسير ، قال الغزالى فى الدرة الفاخرة : ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فان (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد.
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مستو يا ـ كذا (٧) العبارة من هنا إلى «بالبصيرة»
ساقطة من ظ (٨) زيد فى مد : هو (٩) العبارة من « و عبر هنا » إلى هنا ساقطة
من ظ (١٠) من مد و الكشاف ، و فى الأصل و ظ : النمو .

ينفخ فى الصور فتطار الجبال ، و تفجر الأنهار بعضها فى بعض ، فيمتلئ عالم الهواء [ماء ـ [1]] ، و تنتثر الكواكب و تتغير [2] السماء و الأرض ، و يموت العالمون فتخلو [3] الأرض و السماء [3] ؛ قال : ثم يكشف سبحانه عن بيت فى سقر فيخرج لهيب النار فيشتعل فى البحور فتنشف ، و يدع
٥ الأرض جمرة سوداء [4] ، و السماوات كأنها عكر الزيت و النحاس المذاب ، ثم يفتح تعالى خزانـــة من خزائن العرش فيها بحر الحياة ، فيمطر به الأرض ، و هو كمنيّ الرجال / فتنبت الأجسام على هيئتها ، الصبي صبي ، و الشيخ شيخ ، و ما بينهما ، ثم تهب من تحت العرش نار لطيفة فتبرز الأرض ليس فيها جبل و لا عوج و لا أمت ، ثم يحيي الله إسرافيل فينفخ
١٠ [5] فى الصور [5] من صخرة القدس ، فتخرج الأرواح من ثقب فى الصور بعددها [6] كل روح إلى جسدها حتى الوحش و الطير فإذا هم بالساهرة .

/ ٤٧٥

و لما أخبر سبحانه بزوال ما يكون منه العوج فى الصوت قال : ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ ينفخ فى الصور فتنسف [7] الجبال ﴿ يتبعون ﴾ أى أهل المحشر [بغاية جهدهم ـ [8]] ﴿ الداعى ﴾ أى بالنفخ [9] منتصبين إليه
١٥ على الاستقامة ﴿ لاعوج له ج ﴾ [10] أى الداعى [10] فى شيء من قصدهم إليه ،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) بيض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٣-٣) فى مد : السماء و الأرض ؛ و زيد بعده فى الأصل و ظ : ثم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من ظ و مد و فى الأصل : سواد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) بين سطرى ظ : الارواح (٧) فى ظ : بعد نسف (٨) زيد من مد . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : النفخ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

لأنه

لأنه ليس فى الأرض ما يحوجهم إلى التعريج[1] و لايمنع الصوت من النفوذ على السواء؛ و قال أبو حيان[2]: أى[3] لا عوج لدعائه، بل يسمع جميعهم فلا يميل إلى ناس دون ناس.

و لما أخبر بخشوعهم فى الحديث و الانقياد للدعوة، أخبر بخشوع غير ذلك من الأصوات التى جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال: ﴿ و خشعت الاصوات ﴾ أى ارتخت و خفيت و [خفضت و -[4]] تطامنت [5]لخشوع أهلها[5] ﴿ للرحمن ﴾ أى [الذى -[6]] عمت نعمه، فيرجى كرمه، و يخشى نقمه ﴿ فلا ﴾ أى فيتسبب[7] عن رخاوتها أنك لا ﴿ تسمع الا همساه ﴾ أخفى ما يكون من الأصوات، [و قيل: أخفى شيء من أصوات الأقدام -[4]].

[و لما تقرر ما للأصوات -[6]] من الانخفات، و كان قد أشير [فيما مضى -[8]] إلى وقوع الشفاعة من بعض أخصائه باذنه، و كان الحشر للحساب بمعرض التقريب لبعض و التبعيد لبعض، و كانت العادة جارية بأن المقرب يشفع للبعد، لما بين أهل الجمع من الوصل و الأسباب المقتضية لذلك[9]. و كان الكفار يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: التعويج (٢) فى البحر المحيط ٦/٢٨٠.
(٣) سقط من ظ ومد (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فتسبب (٨) زيد من ظ و مد، و بهامش ظ: أى فى سورة مريم حيث قال "لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا". (٩) بهامش ظ: أى الشفاعة.

قال نافيا لأن تقع شفاعة [بغير إذنه -[1]] ، [معظما ذلك اليوم بالإنذار منه مرة بعد مرة -[2]] : ﴿ يومئذ ﴾ [أى إذ كان ما تقدم -[2]] ﴿ لا تنفع الشفاعة ﴾ أى لا تكون شفاعة [3]ليكون لها نفع ، لأنه قد ثبت بما مضى أنه لا صوت ، و تقرر[4] فى تحقيق المحصورات من
٥ علم الميزان أن السالبة[5] الحقيقية لا تستدعى وجود الموضوع فى الخارج ، و إنما حول العبارة لأن المقصود بالذات النفع ، فنفيه بادئ بدأ أفظع ، و قرع السمع به أولا أهول و أفزع ﴿ الا ﴾ أى إلا شفاعة ﴿ من اذن له الرحمن ﴾ العام النعمة ﴿ و رضى له قولا ه ﴾ و لو[6] الإيمان المجرد .

و لما نفى أن تقع الشفاعة بغير إذنه ، علل ذلك[7] - كما سلف فى
١٠ آية الكرسى - بقوله : ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ [8] أى الخلائق[8] [و هو كل ما يعلمونه -[2]] ﴿ و ما خلفهم ﴾ [8]و هو كل ما غاب عنهم علمه[8] ، أى علمه [سبحانه -[2]] محيط بهم ، فهو يمنع قلوبهم فى[9] ذلك اليوم بما يوجد من الأسباب أن تهم بما لا يرضاه ﴿ و لا يحيطون به علما ه ﴾ ليحترزوا عما[10] يقدره عليهم ، و " علما " تمييز منقول من الفاعل ،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « أهول و أفزع » متكررة فى الأصل فقط قبل « يومئذ » (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقرر (٥) فى ظ : الكلية (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لولا (٧) بين سطرى ظ : علم وقوع الشفاعة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : من ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « اليوم » (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : مما .

[أي -[1]] و لا يحيط علمهم به - قاله أبو حيان[2] . و الأقرب عندي[3] كونه منقولا عن المفعول الذي تعدى إليه الفعل بحرف الجر ، أي و لا / يحيطون بعلمه[4] فيكون ذلك أقرب إلى ما في آية الكرسي[4] . /٤٧٦

و لما ذكر خشوع الأصوات ، أتبعه خضوع[5] دونها فقال : ﴿ وعنت الوجوه ﴾ أي ذلت[6] و خضعت و استسلمت[6] [وجوه الخلائق ٥ كلهم -[7]] ، و خصها لشرفها و لأنها أول ما يظهر فيه الذل ﴿ للحي ﴾ الذي هو مطلع على الدقائق و الجلائل ، وكل ما سواه جماد حيث ما نسبت حياته إلى حياته ﴿ القيوم[4] ﴾ الذي لا يغفل عن التدبير و مجازاة كل نفس بما كسبت ﴿ و قد خاب ﴾ أي خسر [خسارة ظاهرة -[7]] ﴿ من حمل ﴾ منهم [أو من غيرهم -[7]] ﴿ ظلما ﴾ . ١٠

و لما ذكر الظالم، أتبعه الحكيم[8] فقال : ﴿ و من يعمل ﴾ و لما كان الإنسان محل العجز و إن اجتهد ، قال : ﴿ من الصٰلحٰت ﴾ أي التي أمره[9] الله بها بحسب استطاعته ، لأنه « لن يقدر الله أحد حق قدره » « و لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » ﴿ و هو مؤمن ﴾ ليكون بناؤها على الأساس ، [و عبر بالفاء إشارة إلى قبول الأعمال و جعلها سببا لذلك الحال ١٥ فقال -[7]] : ﴿ فلا يخف ظلما ﴾ [بأن ينسب إليه سوء لم يقترفه -[7]]

(١) زيد من ظ و مد (٢) في البحر المحيط ٢٨٠/٦ (٣) و بهامش ظ : تعقيب مطول على ما وصفه المؤلف بالأقرب (٤) بهامش ظ : أعني "و لا يحيطون بشيء من علمه" (٥) في مد : خشوع (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٧) زيد من مد (٨) في مد : الحليم ، و بهامش ظ : و هو من يضع الأشياء في محالها و الظالم عكسه (٩) من مد ، و في الأصل و ظ : امر .

لأن الجزاء من جنس العمل: ' و قراءة ابن كثير بلفظ النهي محققة للمبالغة في النفي' ﴿ و لا هضما ﴾ أي نقصا من جزائه و إن كان هو لم يوف المقام حقه لأنه لايستطيع ذلك[٢]، 'و أصل الهضم الكسر. و أما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال من الأعمال لم يكن لها وزن' .

٥ و لما اشتملت هذه الآية على الذروة من حسن المعاني، فبشرت و يسرت، و أنذرت و حذرت، و بينت الخفايا، و أظهرت الخبايا[٣]، مع ما لها من جلالة السبك و براعة النظم، كان كأنه قيل 'تنبيها على جلالتها' : أنزلناها على هذا المنوال العزيز المثال ﴿ وكذلك ﴾ أي و مثل هذا الإنزال ﴿ انزلنه ﴾ أي هذا الذكر كله بعظمتنا[٤] ﴿ قرانا ﴾ جامعا

١٠ لجميع المعاني المقصودة ﴿ عربيا ﴾ مبينا لما أودع فيه لكل من له ذوق في أساليب العرب.

و لما كان أ نثر هذه الآيات محذرا، قال: ﴿ و صرفنا ﴾ 'أي بما لنا من العظمة' ﴿ فيه من الوعيد ﴾ أي ذكرناه مكررين له محولا في أساليب مختلفة، و 'فانين متنوعة مؤتلفة.

١٥ و لما ذكر الوعيد، أتبعه ثمرته فقال: ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي ليكون الناظر لهم بعد ذلك على رجاء من أن يتقوا[٥] و يكونوا به في عداد من يجدد التقوى كل حين، بأن تكون [له -[٦]] وصفا مستمرا، و هي الحذر الحامل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطري ظ: توفية المقام حقه (٣) من ظ و مد، و في الأصل: الخفايا (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و في الأصل: تبقى، و العبارة من «ليكون» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد من مد.

على

على اتخاذ الوقاية مما يحذر ﴿ او ﴾ فى عداد من ﴿ يحدث ﴾ أى يجدد هذا التصريف[١] ﴿ لهم ذكراه ﴾ أى ما يستحق أن يذكر من طرق الخير ، فيكون سببا للخوف الحامل على التقوى ، فيردهم عن بعض ما تدعو إليه النفوس من النقائص و البؤس .

و لما بلغت هذه الجمل نهاية الإعجاز ، فاشتملت على غاية الحكمة ، ٥ دالة على أن لقائلها تمام العلم و القدرة و العدل فى أحوال الدارين ، تسبب عن سوقها كذلك أن بان له من العظمة ما أفهمه[٢] قوله ، [٣]معظما لنفسه [الأقدس بما هو له أهل -[٤]] بعد تعظيم كتابه [تعليما لعباده ما يجب له من الحق -[٤]] دالا بصيغة التفاعل على مزيد العلو : ﴿ فتعلى الله ﴾ أى [بلغ -[٤]] الذى لا يبلغ الواصفون وصفه [٥]حق وصفه من العلو[٦] ١٠ أمرا لا تحتمله العقول ، فلا يلحقه شيء من إلحاد الملحدين و وصف المشركين ﴿ الملك ﴾ الذى لا يعجزه / شيء ، فلا ملك فى الحقيقة غيره /٤٧٧ ﴿ الحق ج ﴾ أى الثابت الملك ، فلا زوال لكونه ملكا فى زمن ما ؛ [و -[٤]] لعظمة ملكه و حقية[٧] ذاته و صفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الأمور المتباينة[٨] .

١٥

---

(١) فى الأصل بياض ملأناه من مد ، و العبارة من « أى يجدد » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٣) العبارة من هنا إلى «مزيد العلو» ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥) العبارة من هنا إلى « وصف المشركين » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : الظواهر (٧) من مد ، و فى الأصل : حقيقة (٨) العبارة من « لعظمة » إلى هنا ساقطة من ظ .

و لما كانت هذه الآيات فى ذم من أعرض عن هذا الذكر ، كان التقدير : فلا تعرض عنه ، [بل أقبل عليه -[1]] لتكون من المتقين الذاكرين ، و لما كان هذا الحث[2] [العظيم -[3]] ربما اقتضى[4] للسابق فى التقوى المبالغة فى المبادرة إليه فيستعجل بتلقفه قبل الفراغ من إيحائه ،

٥ قال عاطفا على هذا المقدر[5] : ﴿ و لا تعجل بالقرآن ﴾ أى بتلاوته .

و لما كان النهى عاما لجميع الأوقات القبلية ، دل عليه بالجار لئلا يظن أنه خاص بما يستغرق زمان القبل [جملة واحدة -[1]] فقال : ﴿ من قبل ان ﴾ [6] و لما كان النظر هنا إلى فراغ الإيحاء لا إلى موح معين ، بنى للمجهول قوله[6] : ﴿ يقضى[6] ﴾ أى ينهى ﴿ اليك وحيه ﴾ من

١٠ الملك النازل إليك من حضرتنا به كما أنا لم نعجل بانزاله عليك جملة ، بل رتلناه لك ترتيلا ، و نزلناه[7] إليك تنزيلا مفصلا تفصيلا ، و موصلا توصيلا - كما أشرنا إليه أول السورة[8] ، فاستمع له ملقيا جميع تأملك إليه [6] و لا تساوقه بالقراءة[6] . فاذا فرغ[9] فاقرأه فانا بجمعه فى قلبك ولا نسقيك بانسائه و أنت مصغ إليه ، و لا بتكليفك للساوقة[10] بتلاوته

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحديث (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انقضى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقدار (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل: نزلنا (٨) بهامش ظ : حيث قلنا « تنزيلا من خلق الارض » (٩) بين سطرى ظ : أى الملك (١٠) بهامش ظ : أى تساوى الملك فى التلفظ بحيث تكونان حال اللفظ سواء .

﴿و قل رب﴾ [1]أى المحسن إلىّ بإفاضة العلوم علىّ[1] ﴿زدنى علما﴾ أى بتفهيم ما أنزلت إلىّ منه[2] و إنزال غيره كما زدتنى بإنزاله و تحفيظه، لتتمكن[3] من معرفة الأسباب المفيدة لتبع الخلق لك، فانه كما تقدم على قدر إحاطة العلم يكون شمول القدرة، و فى هذا[4] دليل على أن التأنى فى العلم بالتدبر و بالقاء[5] السمع أنفع من الاستعجال المتعب للبال المكدر للحال، و أعون على الحفظ، [فمن وعى شيئا حق الوعى حفظه غاية الحفظ - [6]]؛ و روى الترمذى[7] و ابن ماجه[8] و البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: اللهم انفعنى بما علمتنى و علمنى ما ينفعنى و زدنى علما و الحمد لله على كل حال، و أعوذ بالله من حال أهل النار - أفاده ابن كثير فى تفسيره.

و لما قرر سبحانه بقصة موسى عليه السلام ما أشار إليه أول السورة بما هو عليه من الحلم و التأنى على عباده، و إمهال لهم فيما هم عليه من النقص بالنسيان للعهود و النقض للمواثيق، و أتبعها [ذكر - [9]] مدح

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ: الذكر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ليتمكن (٤) بين سطرى ظ: أى قوله «فلا تعجل» (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: القاه (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الدعوات؛ و بهامش ظ: قوله «و روى الترمذى» موقعه دليل على الدعوى التى ادعاها الشيخ من كون التأنى فى العلم بالتدبر إلى آخره، و ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى أن ينفعه بما علمه فأرشده إلى قوله «فلا تعجل» و الواو فى «و روى» للعطف، أعنى عطف الدليل على الدعوى (٨) فى المقدمة (٩) زيد من مد.

هذا الذكر الذى تأدت[1] إلينا به ، و ذم من أعرض عنه ، و ختمه بما
عهد إليه صلى الله عليه و سلم فى أمره نهيا و أمرا ، أتبع ذلك سبحانه
قصة آدم عليه السلام تحذيرا من الركون إلى ما يسبب النسيان ، و حثا
على رجوع من نسى إلى طاعة الرحمن ، و بيانا لأن ذلك الذى قوره من
٥ حلمه و إمهاله عادته سبحانه من القدم ، و صفته التى كانت و نحن فى حيز
العدم ، و أنه جبل الإنسان على النقص ، فلو أخذهم[2] بذنوبهم ما ترك
عليها من دابة ، فقال عاطفا على قوله "و كذلك انزلنه حكما عربيا"
أو "كذلك نقص عليك من انباء ما قد / سبق" مؤكدا لما تقدم فيه و عهد / ٤٧٨
به من أمر القرآن ، و محذرا من الإخلال بذلك و لو على وجه النسيان ،
١٠ [3]و منجزا لما وعد به من قص أنباء المتقدمين مما[4] يوافق هذا السياق :
﴿و لقد عهدنآ ﴾ ° بما لنا من العظمة° ﴿ الىٓ ءادم﴾ أبى البشر الذى[6]
أطلعناه على كثير منها فى النهى عن الأكل من الشجرة ﴿ من قبل ﴾
أى °فى زمن° من °الأزمان الماضية° قبل هؤلاء الذين تقدم فى هــذه
السورة ذكر نسيانهم و إعراضهم ﴿فنسى﴾ عهدنا و أكل منها مع[7] علمه
١٥ من تلك العظمة بما لا ينبغى أن ينسى معه ذلك العهد المؤكد بذلك الجلال ،
فعددنا عليـه وقوعه فى ذلك المنهى ناسيا ذنبا لعلو رتبته عندنـا ، فهو

(١) بين سطرى ظ : وصلت القضية (٢) بهامش ظ : الضمير فى « أخذهم »
يرجع إلى المعنى الذى يفهمه الإنسان، أى او أخذ جميع الناس (٣) العبارة من هنا إلى
« هذا السياق » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : بما (°-°) سقط ما
بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : بعظمتنا التى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : به .

من

من[1] باب « حسنات الأبرار[2] سيئات المقربين » فكيف بما فوق ذلك!
﴿ و لم نجد ﴾ بالنظر [3] إلى ما لنا من العظمة [3] ﴿ له عزما ﴾ أي
[قصدا صلبا ماضيا و إرادة نافذة لا تردد فيها كارادات الملائكة عليهم
السلام ، و المعنى أنه -[4]] [5] لم يتعلق علمنا بذلك[6] موجودا ، و مع ذلك[7]
عفونا عنه و لم نزحزحه[8] عن رتبة الاصطفاء .

٥

و لما كان المقصود من السورة - كما سلف - الإعلام بالحلم و الأناة
و التلطف بالنائي[9] و القدرة على المعرض ، ذكر فعلة [10] آدم عليه السلام
هذه في هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بأنها على وجه النسيان ،
و ذكر ذلك أولا مجملا ثم أتبعه تفصيله ليكون ذلك مذكورا مرتين ،
تأكيدا للعنى المشار إليه ، تقريرا و تحذيرا من الوقوع في منهي ، و إرشادا ١٠
لمن [11] غلب عليه [11] طبع النقص إلى المبادرة إلى الندم و تعاطي أسباب
التوبة ليتوب الله عليه كما فعل بآدم عليه السلام فقال : ﴿ و اذ ﴾ أي
اذكر هذا و اذكر حين[12] ﴿ قلنا ﴾ بما لنا من العظمة ، [3] أي اذكر
قولنا في ذلك الوقت[3] ﴿ للملائكة ﴾ [13] أي المجبولين على مضي العزم

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : في (٢) بهامش ظ : أي فوق المقربين وهم
الأنبياء (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد .
(٥) زيد قبله في الأصل : فيه ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من
مد ، و في الأصل و ظ : به (٧) بين سطري ظ : أي و مع عدنا وقوعه في
ذلك ذنبا (٨) في مد : لم يزحرحه (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : بالتاني ؛
و بين سطري ظ : البعيد (١٠) من مد ، و في الأصل : توله ، و في ظ : زلة .
(١١ - ١١) في مد : غلبه (١٢) في ظ : اذ (١٣) العبارة من هنا إلى « نتور »
ساقطة من ظ .

و التصميم[1] على القصد[2] من غير مانع تردد[3] و لا عائق فتور ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ الذى خلقته بيدى ، فلم تأمرهم بذلك إلا بعد أن اصطفيناه و نحن عالمون بما سيقع منه ، و أنه لا يقدح فى رتبة اصطفائه ، فان الحلم و الكرم من صفاتنا ، و الرحمة من شأننا ، فلا تيأس من عودنا بالفضل و الرحمة ٥ على من بالغ فى مقاطعتنا من قومك الذين وصفناهم باللدد ﴿ فسجدوآ ﴾ [أى الملائكة - [4]] ﴿ الآ ابليس[4] ﴾ [5] الذى نسب الله إلى الجور و الإخلال بالحكمة[6] فكفر فأيس من الرحمة و سلب الخير فأصر على إضلال الخلق بالتلبيس ، فكأنه قيل : ما كان من حاله [7] فى عدم سجوده[7]؟ فقيل : ﴿ ابىٰ * ﴾ أى تكبر على آدم فعصى أمر الله ﴿ فقلنا ﴾ [7] بسبب ١٠ ذلك[7] بعد أن حلمنا عنه و لم نعاجله بالعقوبة : ﴿ يـٰادم ان هذا ﴾ الشيطان الذى تكبر عليك ﴿ عدو لك ﴾ دائما لأن الكبر[8] الناشئ عن الحسد لا يزول ﴿ و لزوجك ﴾ لأنها منك ﴿ فلا يخرجنكما ﴾ [9] أى لا تصغيا إليه بوجه فيخرجكما ، و وجه النهى[10] إليه و المراد : هما ، تنبيها على أن لهما من الجلالة [ما ينبغى أن تصان عن أن يتوجه إليها نهى ، و أسند ١٥ الإخراج إليه لزيادة التحذير و الإبلاغ فى التنفير ، و زاد - [4]] فى

(١) من مد ، و فى الأصل : التعميم (٢) من مد ، و فى الأصل : المقصد (٣) زيد بعده فى الأصل : مانع ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) زيد من مد . (٥) العبارة من هنا إلى « بالتلبيس » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : بالحكم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتكبر (٩) العبارة من هنا إلى « التنبيه بقوله » ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل : المنهى .

التنبيه بقوله: ﴿من الجنة﴾ أي[1] فإنه لا يقصر في ضركما و إرادة إنزالكما عنها.

و لما نص سبحانه على شركتها له[1] في الإخراج فكان من المعلوم شركتها له في آثاره، و كانت المرأة تابعة للرجل، فكان هو المخصوص في هذه الدار بالكل في الكد و السعي، و الذب و الرعي، وكان أغلب ٥ تعبه في أمر المرأة. أفرد بالتحذير من التعب لذلك و عدًا لتعبها / بالنسبة إلى تعبه عدما، و تعريفا بأن أمرها بيده، و هو إن تصلب قادها[2] إلى الخير، و إلا قادته إلى الضير. و عبر عن التعب بالشقاء زيادة في التحذير [منه -[3]] فقال: ﴿فتشقى﴾ أي فتتعب، و لم يرد[4] شقاوة الآخرة، لأنه لو أرادها ما دخل الجنة بعد ذلك[5]، لأن الكلام المقدر بعد الفاء خبر، ١٠ و الخبر لا يخلف. ثم علل شقاوته على تقدير الإخراج بوصفها بما لا يوجد في غيرها[6] من الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان، و هي الشبع و الري و الكسوة و الكن. ذاكرا[7] لها بلفظ النفي لنقائضها ليطرق سمعه بأسماء أصناف الشقوة التي حذره منها ليصير[8] بحيث يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها، فإذا مضت عليه القدرة الباهرة علم أنه لا يغني حذر من ١٥ قدر، فقال: ﴿ان لك﴾ أي[9] علينا ﴿الا تجوع فيها﴾ أي يوما ما ﴿و لا تعرى﴾ فلا يتجرد باطنك و لا ظاهرك ﴿و انك لا تظمؤا﴾

/ ٤٧٩

(١) سقط من ظ (٢) من مد، و في الأصل و ظ: تارها (٣) زيد من مد.
(٤) بين سطري ظ: أي اقله (٥) بين سطري ظ: الإخراج (٦) العبارة من هنا إلى «من قدر» ساقطة من ظ (٧) من مد، و في الأصل: ذكرا (٨) من مد، و في الأصل: ليصيره (٩) سقط من مد.

[١]بالتهاب القلب[١] ﴿ فيها و لا تضحى ﴾ أى لا يكون بحيث يصيبك حر الشمس ، و المعنى أنه لا يصيبك حر فى الباطن و لا فى الظاهر ﴿ فوسوس ﴾ أى فتعقب تحذيرنا هذا من غير بعد فى الزمان أن وسوس ﴿ اليه الشيطن ﴾ المحترق المطرود ، و هو إبليس ، أى ألقى إليه على وجه الخفاء بما مكناه

٥ من الجرى فى[٢] هذا النوع مجرى الدم ، و قذف المعانى فى قلبه ، و كأنه[٣] عبر بـ « الى » ، لأن المقام لبيان سرعة[٤] قبول هذا النوع للنقائص و إن أتته من بعد ، أو لأنه ما أنهى إليـه ذلك إلا بواسطة زوجه ، لذلك عدى الفعل عند ذكرهما باللام ، و كأنه قيل : ما دس إليه؟ فقيل : ﴿ قال يٰـادم ﴾ ثم ساق له الغش مساق العرض ، إبعادا لنفسه

١٠ من التهمة [١]و الغرض[١] ؛ و شوقه إليه أولا بقوله : ﴿ هل ادلك ﴾ فان النفس شديدة الطلب لعلم ما تجهله ؛ و ثانيا بقوله : ﴿ على شجرة الخلد ﴾ [١]أى التى من أكل منها خلد[١] ، فان الإنسان أحب شىء فى طول البقاء ؛ و ثالثا بقوله : ﴿ و ملك لا يبلى ﴾ أى لا يخلق أصلا ، فكأنه قال له بلسان الحال أو القال[٥] : نعم ، فقال : شجرة الخلد هذه ـ مشيرا إلى التى

١٥ نهى عنها ـ ما بينك و بين الملك الدائم إلا أن تأكل منها . ﴿ فاكلا ﴾ أى فتسبب عن قوله و تعقب أن أكل ﴿ منها ﴾ هو و زوجه[٦] ، متبعين لقوله ناسيين ما عهد إليهما ﴿ فبدت لهما ﴾ لما خرقا من ستر النهى و حرمته

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : من . (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لانه (٤) من مد ، وفى الأصل وظ : شرعة . (٥) فى مد : المقال (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : زوجته .

سوأتهما

﴿ سوآتهما ﴾ وقوعا لما حذرا منه من إخراجهما مما كانا فيه ﴿ وطفقا ﴾ أي شرعا ﴿ يخصفن ﴾ [أي - [1]] يخيطان [2] أو يلصقان [2] ﴿ عليهما من ورق الجنة ﴾ ليسترا عوراتهما ﴿ وعصى [3] آدم ﴾ وإن كان إنما فعل المنهي نسيانا، لأن عظم [3] مقامه وعلو رتبته يقتضيان له مزيد الاعتناء ودوام المراقبة مع ربط الجأش ويقظة الفكر ﴿ ربه ﴾ ٥ أي المحسن إليه بما لم ينله [4] أحدا من نبيه من تصويره له بيده وإسجاد ملائكته له ومعاداة من عاداه ﴿ فغوى ﴾ [من - [1]] الغواية [5] [وهي الضلال، ولذلك قالوا: المعنى: فضلّ - [6]] عن طريق السداد، [7] فأخطأ طريق التوصل إلى الخلد [7] بمخالفة أمره، وهو صفيه، لم ينزله عن رتبة الاصطفاء، لأن رحمته / واسعة، وحلمه عظيم، وعفوه شامل، ١٠ / ٤٨٠ فلا يهمنك أمر القوم اللد، فإنا قادرون على أن تقبل بقلوب من شئنا منهم فنجعلهم من أصفى الأصفياء، ونخرج من أصلاب من شئنا منهم من نجعل قلبه معدن الحكمة والعلم.

ولما كان الرضى عنه - مع هذا الفعل الذي أسرع [8] فيه في اتباع العدو وعصيان الولي [9] بشيء لا حاجة به إليه - مستبعدا [10] جدا، أثبت ١٥

---

(١) زيد من مد (٢-٢) في مد: أو يلزقان، وما بين الرقمين ساقط من ظ (٣) في مد: عظيم (٤) بين سطري ظ: يعطه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد، وزيد في ظ موضعه: أي فضل (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) بهامش ظ: يقال: أسرع الشيء: أي جد فيه فيكون متعديا (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: المولى (١٠) من مد، وفي الأصل وظ: مستبعد.

ذلك تعالى مشيرا إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم اجتبه ربه ﴾ أى المحسن إليه ﴿ فتاب عليه ﴾ أى [1] بسبب الاجتباء [1] بالرجوع إلى ما كان عليه من طريق السداد [2] ﴿ و هدى ه ﴾ بالحفظ فى ذلك كما هو الشأن فى أهل الولاية و القرب .

٥ و لما كانت دور الملوك لا تحتمل مثل ذلك ، و كان قد قدم سبحانه عنايته بآدم عليه السلام اهتماما به ، و كان الخبر عن زوجه و عن إبليس لم يذكر ، فكانت نفس السامع لم تسكن عن تشوفها إلى سماع بقية الخبر . أجاب عن ذلك بأنه أهبط من داره المقدسة الحامل على المخالفة و المحمول [3] و إن كان قد هيأه بالاجتباء لها ، فقال على طريق

١٠ الاستئناف : ﴿ قال ﴾ أى الرب الذى انتهكت حرمة داره : ﴿ اهبطا منها ﴾ أيها الفريقان : آدم و تبعه ، و إبليس ﴿ جميعا ﴾ .

و لما كان السياق لوقوع النسيان و انحلال العزم بعد أكيد العهد ، حرك [4] العزم و بعث الهم بإيقاع العداوة التى تنشأ عنها المغالبة ، فتبعث الهمم و تثير العزائم ، فقال فى جواب من كأنه قال : على أىّ حال

١٥ يكون الهبوط [5] : ﴿ بعضكم لبعض عدو ج ﴾ و هو صادق بعداوة كل من الفريقين للفريق [6] الآخر : فريق إبليس - الذين [7] هم الجن - بالإضلال ، و فريق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل : و هدى الرشاد فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) بهامش ظ : الحامل على المخالفة إبليس ، و المحمول آدم و زوجه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : حرام لى . (٥) زيد فى ظ : قيل (٦) و نسخة مد يعتورها من ههنا سقطة تنتهى إلى ما سننبه عليه (٧) فى ظ : الذى .

الإنس بالاحتراز منهم بالتعاويذ و الرقى و غير ذلك ، و بعداوة بعض كل فريق لبعضه[1] ﴿ فاما ﴾ أى فتسبب عن ذلك العلم بأنه لاقدرة لأحد منكم على التحرز من عدوه إلا بى و لاحرز لكم من قبلى إلا اتباع أمرى، [فاما -[2]] ﴿ ياتينكم ﴾ [3]أى أيها الجماعة الذين هم أضلّ ذوى الشهوات من المكلفين[3] ﴿ منى هدى ﴾ تحترزون به عن استهواء العدو و استزلاله ﴿ فمن اتبع ﴾ ٥ عبر بصيغة 'افتعل' التى فيها تكلف و تتميم للتبع الناشئ عن شدة الاهتمام ﴿ هداى ﴾ الذى أسعفته به من أوامر الكتاب[4] و الرسول المؤيد بدلالة العقل، و للتعبير بصيغة 'افتعل' قال: ﴿ فلا يضل ﴾ أى [3]بسبب ذلك[3]، عن طريق السداد فى الدنيا و لا فى الآخرة أصلا ﴿ و لا يشقى ﴾ أى فى شىء من سعيه فى واحدة منهما ، فان الشقاء عقاب ١٠ الضلال ، و يلزم [5]من نفيه[5] نفى الخوف و الحزن بخلاف العكس ، فهو أبلغ[6] مما فى البقرة[7] ، فان[8] المدعو إليه فى تلك مطلق العبادة ، و المقام فى هذه للخشية و البعث على الجد بالعداوة "الا تذكرة لمن يخشى" و الاقبال على الذكر "من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا" و التحفظ من المخالفة و لو بالنسيان " فنسى / و لم نجد [له عزما "-[9]]. ١٥ / ٤٨١ قال الرازى فى اللوامع : و الشقاء : فراق العبد من الله ، و السعادة وصوله

(١) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ . (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ : أعنى « فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» (٥-٥) فى ظ : منه (٦) فى ظ : انفع (٧) راجع آية ٣٨ (٨) فى ظ : لان (٩) زيد من ظ و القرآن الكريم .

إليه ؛ [١]و قال الأصبهانى عن ابن عباس رضى الله عنهما : ضمن الله عز و جل لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخرة[١]. ﴿و من اعرض﴾ [١]أى فعل دون فعل الرضيع بتعمد الترك لما ينفعه بالمجاورة [١]﴿عن ذكرى﴾ الذى هو الهدى ﴿فان له﴾ ضد ذلك ﴿معيشة﴾ [١]حقرها سبحانه
٥ بالتأنيث ثم وصفها بأفظع وصف و هو مصدر يستوى فيه المذكر و المؤنث و الجمع و غيره فقال[١] : ﴿ضنكا﴾ أى ذات ضنك أى ضيق ، لكونه على ضلال و إن رأى أن حاله على غير ذلك فى السعة و الراحة ، فان ضلاله لابد أن يرديه ، فهو ضنك لكونه سببا للضيق و آئلا إليه ، من تسمية السبب باسم المسبب ، مع أن المعرض عن الله لا يشبع
١٠ و لا يصل إلى أن يقنع ، [١]مستولٍ عليه الحرص الذى لا يزال أن يطيح ببال من يريد الازدياد من الدنيا ، مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الإنفاق[١] ، عن مناواة الخصوم ، و تعاقب الهموم ، مع أنه لا يرجو ثوابا ، و لا يأمن عقابا ، فهو لذلك فى أضيق الضيق ، لا يزال همه أكبر من وجده « لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانيا ، و لو أن له
١٥ واديين لابتغى لهما ثالثا ، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، و يتوب الله على من تاب » ـ متفق عليه عن أنس رضى الله عنه ، و هكذا حال من أتبع نفسه هواها ، و أما المقبل[٢] على الذكر بكليته فهو قانع راض بما هو فيه ، مستكثر من ذكر الله الشارح للصدور الجالى للقلوب فهو فى أوسع سعة ، فلا تغتر بالصور[٣] و انظر إلى المعانى .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : القبل (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالفتور .

و لما

و لما ذكر حاله فى الدنيا، أتبعه قوله : ﴿و نحشره يوم القيمة اعمى ه﴾ و كان ذلك فى بعض أوقات ذلك اليوم ، [1]قال ابن عباس[2] رضى الله عنهما : إذا خرج من القبر خرج بصيرا ، فاذا سيق إلى المحشر عمى، أو يكون ذلك - [3]و هو أقرب مفهوم العبارة[3] - فى بعض أهل الضلال ليجتمع مع قوله " اسمع بهم و ابصر يوم ياتوننا " و حديث عبد الله بن عمر ٥ رضى الله عنهما فى الصحيح[4] من هذا أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : الظلم ظلمات يوم القيامة . [5]ثم استأنف قوله[5] : ﴿قال﴾ [5]مذكرا بالنعمة السابقة استعطافا لأن من شأن مسلف نعمة أن يربيها و إن قصر المنعم عليه ، و غاية ذلك إنما يكون مهما بقى للصلح موضع[5] : ﴿ رب ﴾ أى[6] أيها المحسن إلىّ المسبغ نعمه علىّ ﴿ لم حشرتنى ﴾ فى هذا اليوم ١٠ ﴿ اعمى و قد كنت﴾ أى فى الدنيا، أو فى أول هذا اليوم ﴿بصيرا ه﴾ فكأنه قيل : بم أجيب ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ له ربه : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل [7]هذا الفعل الشنيع[7] فعلت فى الدنيا ، [5]و المعنى: مثل ما قلت كان؛ ثم فسر على الأول ، و علل على الثانى ، فقال[5] : ﴿ اتتك ايتنا ﴾ [5]على عظمتها التى هى من عظمتنا[5] ﴿فنسيتها ج﴾ أى فعاملتها[8] باعراضك عنها ١٥ معاملة المنسى الذى لا يبصره صاحبه ، فقد جعلت نفسك أعمى البصر

(١) العبارة من هنا إلى « يكون ذلك » ساقطة من ظ (٢) راجع البحر ٦/٢٨٧ .
(٣ - ٣) فى ظ : أو (٤) كتاب المظالم باب الظلم ظلمات يوم القيامة.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ (٧-٧) فى ظ : ذلك .
(٨) من ظ ، و فى الأصل : فعاملتك .

/ ٤٨٢

و البصيرة عنها ، كما قال تعالى " الذين كانت / اعينهم فى غطاء عن ذكرى" ﴿و كذلك﴾ أى و مثل ذلك النسيان [١]الفظيع ، و قدم الظرف ليسد سوقه للظروف و يعظم اختباره لفهمه فقال[١] : ﴿اليوم تنسىٰ ۝﴾ [١]أى تترك على ما أنت عليه بالعمى و الشقاء بالنار[١] ، فتكون كالشيء

٥ الذى لا يبصره أحد و لا يلتفت إليه ﴿و كذلك﴾ أى و مثل [ذلك -[٢]] الجزاء الشديد[٣] ﴿نجزى من اسرف﴾ فى متابعة هواه فتكبر[٤] عن متابعة أوامرنا ﴿و لم يؤمن بايٰت ربه ؕ﴾ [١]فكفر إحسانه[١] إما بالتكذيب و إما بفعله فعل المكذب .

و لما ذكر أن هذا الضال كان[٥] فى الدنيا [٦]معذبا بالضنك[٦] ، و ذكر

١٠ بعض ما له فى الآخرة ، قال مقسما لما له من التكذيب : ﴿و لعذاب الاٰخرة﴾ بأى[٧] نوع كان ﴿اشد﴾ من عذاب الدنيا ﴿و ابقىٰ ۝﴾ منه ، فان الدنيا دار زوال ، و موضع قلعة[٨] و ارتحال .

و لما كان ما مضى من هذه السورة و ما قبلها من ذكر مصارع الأقدمين ، و أحاديث المكذبين ، بسبب العصيان على الرسل ، سببا عظيما

١٥ للاستبصار و البيان ، كانوا أهلا لأن ينكر عليهم لزومهم لعماهم[٩] فقال تعالى : ﴿افلم يهد﴾ أى يبين ﴿لهم كم اهلكنا قبلهم﴾ أى كثرة إهلاكنا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : المتكبر (٥) من ظ ، و فى الأصل : كانه (٦-٦) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : اى (٨) من ظ . و فى الأصل : قطعة (٩) من ظ ، و فى الأصل : لغيهم .

لمن تقدمهم[1] ﴿ من القرون ﴾ بتكذيبهم لرسلنا ، حال كونهم ﴿ يمشون فى مسٰكنهم ﴾ و يعرفون خبرهم بالتوارث خلفا عن سلف أنا ننصر أولياءنا و نهلك أعداءنا و نفعل ما شئنا ! و الأحسن ان لا يقدر مفعول ، و يكون المعنى : أو لم يقع لهم البيان[2] [3]الهادى ، و يكون ما بعده استئنافا عينا كما وقع البيان[3] بقوله استئنافا : ﴿ ان فى ذلك ﴾ ٥ أى الإهلاك [4]العظيم الشأن[4] المتوالى فى كل أمة ﴿ لأيٰت ﴾ عظيمات البيان ﴿ لاولى النهىٰع ﴾ أى العقول التى من شأنها النهى عما لا ينفع فضلا[5] عما يضر ، فانها تدل بتواليها على قدرة الفاعل ، و بتخصيص الكافر بالهلاك و المؤمن بالنجاة على تمام العلم [مع -[6]] عموم القدرة ، و على أنه تعالى لا يقر على الفساد و إن أمهل - إلى غير ذلك ممن له ١٠ وازع من عقله .

و لما هددهم باهلاك الماضين ، ذكر سبب التأخير عنهم ، عاطفا على ما أرشد إلى تقديره السياق ، و هو مثل ان يقال : فلو أراد سبحانه لعجل عذابهم : ﴿ و لو لا كلمة ﴾ [4]أى عظيمة ماضية نافذة[4] ﴿ سبقت ﴾ [4]أى فى الأزل[4] ﴿ من ربك ﴾ الذى عودك بالإحسان بأنه يعامل ١٥ بالحلم[7] و الأناة ، و أنه لا يستأصل مكذبيك ، بل يمد لهم ، ليرد من شاء

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقدم (٢) من ظ ، و فى الأصل : البينات .
(٣-٣) موضع ما بين الرقمين فى ظ : ثم عظم ما فى ذلك (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : اصلا (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالحكم .

منهم و يخرج من أصلاب بعضهم من يعبده ، و إنما ذلك إكراما لك و رحمة لأمتك لأنا كما قلنا أول السورة "ما انزلنا عليك القرآن لتشقىٓ" باهلاكهم و إن كانوا قوما لدا ، و لا بغير ذلك ، و ما أنزلناه إلا لتكثر أتباعك ، فيعملوا الخيرات ، فيكون ذلك زيادة فى شرفك ، و إلى ذلك ٥ الإشارة بقوله[1] صلى الله عليه و سلم « و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا[2] » ﴿ لكان ﴾ أى العذاب ﴿ لزاما ﴾ [3]أى لازما أعظم لزوم[3] لكل من أذنب عند أول ذنب يقع منه لشرفك عنده و قربك لديه ﴿و﴾ لو لا ﴿اجل مسمى ط﴾ ضربه [4]لكل شيء لكان الأمر كذلك أيضا ، لكنه سبقت رحمته غضبه فهو لا يعجل ، ١٠ و ضرب الأجل فهو لا يأخذ قبله ، و كلٌّ من سَبْقِ / الكلمةِ و تسميةِ الأجل مستقل[5] بالإمهال فكيف إذا اجتمعا . فتسبب عن العلم بأنه لا بد من استيفاء الأجل و إن زاد العاصى فى العصيان تسليمُ الأمور إلى الله و عدم القلق فى انتظار الفرج فقال : ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ لك من الاستهزاء و غيره .

١٥ و لما كان الصبر شديدا على النفس منافرا للطبع ، لأن النفس مجبولة على النقائص ، مشحونة بالوساوس ، أمر منه لأجل من يحتاج إلى الكمال بما ينهض بها من حضيض الجسم إلى أوج الروح بمقامى

(١) رواه البخارى فى صحيحه ـ باب كيف نزل الوحى ، من كتاب فضائل القرآن (٢) زيد فى الصحيح : يوم القيامة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) و من هنا استأنفت نسخة مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهو مستقبل .

التحلى

التحلى [بالكمالات و التخلى عن الرعونات ، و بدأ بالأول لأنه العون على الثانى ، و ذكر أشرف الحلى - [1]] فقال : ﴿ و سبح بحمد ربك ﴾ أى اشتغل بما ينجيك من عذابه ، و يقربك من [2] جنابه ، بأن [2] تنزه من أحسن إليك عن كل نقص ، حال كونك حامدا له باثبات كل كمال ، و ذلك بأن تصلى له خاصة [3] و تذكره بالذكرين [3] ، غير ملتفت إلى شيء سواه ٥ ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ صلاة الصبح ﴿ و قبل غروبها ج ﴾ صلاة [4] العصر و الظهر [4] ؛ و غير السياق فى قوله : ﴿ و من اٰنآئ الّيل ﴾ أى ساعاته [5] ، [جمع إنو - بكسر ثم سكون ، أى ساعة - [1]] ، [لأن العبادة حينئذ أفضل لاجتماع القلب و هدوء الرجل و الخلو بالرب ، و لأن العبادة إذ ذاك أشق و أدخل فى التكليف فكانت أفضل عند الله - [6]] ﴿ فسبح ﴾ أى بصلاة [7] ١٠ المغرب و العشاء ، إيذانا بعظمة صلاة الليل ، و كرر الأمر بصلاتى الصبح و العصر إعلاما بمزيد فضلهما ، لأن ساعتيهما أثناء الطى و البعث فقال : ﴿ و اطراف النهار ﴾ و يؤيد ما فهمته من أن ذلك تكرير لهما ما فى الصحيحين [8] عن جرير بن عبدالله البجلى رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جنانه بل (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الظهر والعصر (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ساعته (٦) زيد من مد (٧) من مد ؛ و فى الأصل و ظ : صلاة (٨) البخارى فى عدة مناسبات بما فيها المواقيت ، و إليها يرجع السياق ، و مسلم فى باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس - كتاب المساجد .

رسول الله صلى الله عليه و سلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون[١] فى رؤيته، فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا[٢]، ثم قرأ هذه الآية. و إلا لم يكن فى الآية مزيد حث عليها خاصة، على أن لفظ "آناء و أطراف" ٥ صالح لصلاة التطوع من الرواتب و غيرها ليلا و نهارا، و أفاد بذكر الجار فى الآناء التبعيض، لأن الليل محل الراحة. و نزعه من الأطراف لتيسر استغراقها بالذكر، لأن النهار موضع النشاط و اليقظة، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون المراد بما قبل [الطلوع -[٣]] الصبح، و ما قبل الغروب العصر فقط، و ببعض الآناء المغرب و العشاء، و أدخل الجار ١٠ لكونها وقتين، و بجميع الأطراف الصبح و الظهر و العصر، لأن النهار له أربعة أطراف: أوله، و آخره، و [آخر -[٣]] نصفه الأول، و [أول -[٣]] نصفه الثانى، و الكل مستغرق بالتسبيح، و لذلك نزع الجار، أما الأول و الآخر فبالصبح و العصر، و أما الآخران فبالتهيؤ للصلاة ثم الصلاة نفسها، و حينئذ تكون الدلالة على فضيلة الصبح و العصر ١٥ من وجهين[٤]: التقديم[٥] و التكرير، و إلى ذلك الإشارة بالحديث، و إذا أريد إدخال النوافل حملت الأطراف على الساعات - و الله الهادى.

(١) بهامش ظ: روى: تضامون - بفتح التاء و تخفيف الضاد مع تشديد الميم من التضام، و بضم التاء و تخفيف الضاد مع تخفيف الميم من الضيم (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: وجهى. (٥) زيد فى الأصل: و التاخير، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و لما كان الغالب على الإنسان النسيان فكان[1] الرجاء عنده أغلب، ذكر الجزاء بكلمة الإطماع لئلا يأمن فقال: ﴿ لعلك ترضىٰ ﴾ أى افعل هذا لتكون على رجاء [2]من أن[2] يرضاك ربك فيرضيك فى الدنيا و الآخرة[3]، باظهار دينك و إعلاء أمرك، و لا يجعلك فى عيش ضنك فى الدنيا و لا فى الآخرة - [4]هذا على قراءة الكسائى و أبى بكر عن عاصم ٥ بالبناء للفعول، و المعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل: لتكون / على رجاء / ٤٨٤ من أن تكون راضيا دائما فى الدنيا و الآخرة. و لا تكون كذلك إلا و قد أعطاك ربك جميع ما تؤمل[4].

[[5] - و لما كانت النفس ميالة إلى الدنايا، مرهونة بالحاضر من فانى العطايا، و كان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن بعلو همتها، ١٠ قال [5]مؤكدا إيذانا بصعوبة ذلك[5]]: ﴿ و لا تمدن ﴾ مؤكـدا [له - [5]] بالنون الثقيلة ﴿ عينيك ﴾ أى لا تطوّل نظرهما بعد النظرة الأولى المعفو عنها قاصدا[6] النظر للاستحسان ﴿ الى ما متعنا به ﴾ [7]بما لنا من العظمة التى لا ينقصها[8] تعظم أعدائنا[9] به فى هذه الحياة الفانية ﴿ ازواجا ﴾ أى أصنافا متشاكلين[10] ﴿ منهم ﴾ أى من الكفرة ﴿ زهرة ﴾ أى تمتع ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: و كان (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بان (٣) فى مد: الاخرى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: هذا (٧) العبارة من هنا الى «أعدائنا» ساقطة من ظ (٨) من مد. و فى الأصل: تنقصها. (٩) من مد. و فى الأصل: اعدا (١٠) سقط من ظ.

﴿الحيوٰة الدنيا ۙ﴾ لا ينتفعون به فى الآخرة لعدم صرفهم[١] له فى أوامر الله،
فهو مصدر من المعنى مثل جلست قعودا؛ ثم علل تمتيعهم بقوله تعالى:
﴿لنفتنهم فيه ؕ﴾ أى لنفعل بهم فعل المختبر، فيكون سبب عذابهم فى الدنيا
بالعيش الضنك لما مضى[٢]، و فى الآخرة بالعذاب الأليم، فصورته
٥ تغر[٣] من لم يتأمل[٤] معناها حق التأمل، فما أنت فيه خير مما هم فيه
﴿و رزق ربك﴾ الذى عود به أولياءه - و هو [٥] فى دار السفر[٥] -
الكفاف الطيب المقرون بالتوفيق ﴿خير﴾ من زهرتهم، لأنه يكفى
و لا يطغى و زادك ما يدنى إلى جنابه فيعلى ﴿و ابقىٰ ه﴾ فانه وفقك
لصرفه فى الطاعة فكتب لك من أجره ما توفاه يوم الحاجة [٦] على وجه
١٠ لا يمكن أحدا من الخلق حصره، و يكون الدنيا كلها[٧] فضلا عما فى
أيديهم [أقل من قطرة - [٨]] بالنسبة إلى بحره[٩]، و إضافة رزقه دون رزقهم
إليه سبحانه ـ و إن كان الكل منه - للتشريف، [١٠] و فى التعبير[١١] بالرب
إيذان[١٢] بالحل؛ و فيه[١٣] إشارة إلى ظهوره عليهم و حياته بعدهم كما هو
الشأن فى الصالحين و الطالحين.

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مصرفهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خير (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يتالم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «بحره» ساقطة من ظ (٧) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٨) زيد من مد (٩) فى مد: بحر (١٠) العبارة من هنا إلى «بالحل» ساقطة من ظ (١١) من مد، و فى الأصل: التقيد (١٢) من مد، و فى الأصل: الايقان (١٣) بين سطرى ظ: الكلام السابق.

و لما

و لما أمر بتزكية النفس أتبعه الإعلام بأن منها تزكية الغير ، لأن ذلك أدل على الإخلاص ، و أجدر بالخلاص ، كما دل عليه مثل السفينة[1] الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه و سلم لمن يأمر بالمعروف و من يتركه فقال : ﴿ و امر اهلك بالصلوٰة ﴾ كما كان أبوك إسماعيل عليه السلام ، ليقودهم إلى كل خير " ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء و المنكر " و لم يذكر ٥ الزكاة لدخولها في التزهيد بالآية[2] التي قبلها .

و لما كانت شديدة على [3]النفس عظيمة[3] النفع . قال : ﴿ و اصطبر ﴾ بصيغة الافتعال ﴿ عليها ﴾ [أي -[4]] على فعلها ، مفرغا نفسك لها و إن شغلتك عن بعض [أمر -[4]] المعاش ، لأنا ﴿ لا نسئلك رزقا ﴾ أي لا نكلفك طلبه لنفسك و لا لغيرك ؛ فان ما لنا من العظمة [يأبى -[5]] ١٠ أن نكلفك أمرا ، و لا نكفيك ما يشغلك عنه .

و لما كانت النفس بكليتها مصروفة إلى أمر المعاش ، كانت كأنها تقول : فمن أين يحصل الرزق ؟ فقال : ﴿ نحن ﴾ بنون العظمة ﴿ نرزقك ﴾ لك و لهم ما قدرناه لكم من أي[6] جهة شئنا من ملكنا الواسع و إن كان يظن أنها[7] بعيدة ، و لا ينفع في الرزق حول محتال ، فاتقوا الله ١٥ و أجملوا في الطلب ، و لا تدأبوا في تحصيله و السعي فيه ، فان كلا من الجاد فيه و المتهاون به لا يناله أكثر مما قسمناه[8] له في الأزل و لا أقل ،

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٤/٢٦٩ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : في الآية . (٣ - ٣) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : آية (٧) بين سطري ظ : أي الجهة . (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : قسمنا .

فالمتقى لله المقبل على ذكره واثق بوعده[1] قانع راض فهو فى أوسع سعة، و المعرض متوكل على سعيه فهو فى كد و شقاء و جهد و عناء أبدا ﴿و العاقبة﴾ [2]أى الكاملة، و هى التى لاعاقبة / فى الحقيقه غيرها، و هى الحالة الجيلة المحمودة التى تعقب الأمور، أى تكون بعدها[2] ﴿للتقوىٰ ۝﴾ أى لأهلها، و لامعولة[3] على الرزق و غيره توازى[4] الصلاة، فقد كان [رسول الله -[5]] صلى الله عليه و سلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة - أخرجه أحمد[6] عن حذيفة و علقه البغوى فى [آخر -[7]] سورة الحجر[8]، و قال الطبرانى فى معجمه الأوسط[9]: ثنا أحمد - هو ابن يحيى الحلوانى - ثنا سعيد - هو ابن سليمان - عن عبد الله بن [المبارك عن معمر عن محمد بن حمزة عن عبد الله بن -[7]] سلام رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا نزل بأهله الضيق[10] أمرهم بالصلاة، [2]ثم قرأ[2] "و امر اهلك بالصلوٰة[2]" - الآية. لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن سلام إلا بهذا الإسناد، [11]تفرد به معمر، و قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير فى تفسيره: و قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى زياد القطران نا سيار نا جعفر عن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بوحده (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد، و فى الأصل وظ: معوته (٤) من مد، و فى الأصل وظ: يوازى. (٥) زيد من مد (٦) راجع المسند ٥/٣٨٨ (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٤/٦٤ (٩) راجع مجمع الزوائد ٧/٦٧ (١٠) فى المجمع: الضيف (١١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

إذا أصابته خصاصة نادى أهله : يا أهلاه! صلوا صلوا ، قال ثابت : وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ، و قد روى الترمذى[1] و ابن ماجه[2] كلاهما فى الزهد - و قال الترمذى : حسن غريب - من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبى خالد الوالبى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يقول الله تعالى : ٥ تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى و أسد فقرك ، و إن لم تفعل ملأت صدرك شغلا و لم أسد فقرك . و روى ابن ماجه[2] من حديث الضحاك عن الأسود عن ابن مسعود رضى الله عنه : سمعت نبيكم صلى الله عليه و سلم يقول : من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد ، كفاه الله هم دنياه ، و من تشعبت به الهموم[3] أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها[4] هلك . ١٠ و روى[5] أيضا من حديث عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه : سمعت [6]رسول الله[6] صلى الله عليه وسلم يقول : من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، و جعل فقره بين عينيه و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب[7] له ، و من كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره ، و جعل غناه فى قلبه ، و أتته الدنيا و هى راغمة . ١٥

و لما قدم فى هذه السورة ما ذكر من قصص الأولين[8] و أخبار

(١) ١/٢٩٨ (٢) باب الهم بالدنيا (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و سنن ابن ماجه فحذفناها (٤) فى السنن : اوديته (٥) بين سطرى ظ : اى ابن ماجه (٦-٦) من مد و السنن ، و فى الأصل و ظ : نبيكم (٧) من ظ و مد و السنن ، و فى الأصل : كتبت (٨) زيد فى الأصل : و الآخرين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الماضين ، مبكتا بذلك من أمر قريشا بالتعنت من اليهود ، فلم يقدروا على إنكار شيء منه و لا توجيه طعن إليه ، و خلله ببدائع الحكم ، و غرائب المواعظ فى أرشق الكلم ، و ختم ذلك بأعظم داع إلى التقوى ، عجب منهم فى كونهم لا يذعنون للحق أنفة من المجاهرة بالباطل ، أو خوفا من ٥ سوء العواقب ، فقال : ﴿ و قالوا ﴾ و لعله عطف على ما يقدر فى حيز قوله "افلم يهد لهم - [إلى قوله : ان فى ذلك لأيٰت" من أن يقال : و قد أبوا ذلك و لم يعدوا شيئا منه آية -[1]] : ﴿ لولا ﴾ [أى هلا و لم لا -[2]] ﴿ يا تينا ﴾ [أى محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم -[2]] ﴿ بٰاية ﴾ [أى مثل آيات الأولين -[2]] ﴿ من ربه ﴾ المحسن إليه ، دالة ١٠ على صدقه .

و لما تضمن هذا أنهم لم يعدوا شيئا من هذه البينات -[3] التى أدلى بها على من تقدمه - آية مكابرة[3] ، استحقوا الإنكار ، فقال : ﴿ او لم ﴾ أى ألم يأتهم من الآيات فى هذا القرآن مما خصصتك[4] به من الأحكام والحكم فى أبلغ المعانى بأرشق النظوم ما أعجز بلغاءهم ، و أبكم فصحاءهم ، ١٥ فدل[5] قطعا على أنه كلامى ، أو لم ﴿ تاتهم بينة ما ﴾ أى الأخبار التى ﴿ فى الصحف الاولى ه ﴾ من صحف إبراهيم و موسى و عيسى و داود عليهم السلام فى التوراة و الإنجيل و الزبور و غير ذلك من الكتب الإلهية /٤٨٦

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣-٣) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد ، و ما فى ظ إلا : آية (٤) فى مد : خصصك (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فدلت .

كقصتى آدم و موسى المذكورتين فى هذه السورة و غيرهما مما تقدم قصه لها[1] كما هى عند أهلها على وجوه[2] لايعلمها إلا قليل من حذاقهم من غير أن يخالط عالما منهم أو من غيرهم، و من غير أن يقدر أحد منهم على معارضة ما أتى به فى قصتها من النظم المنتج قطعا أنه[3] [لا -[4]] معلم له إلا الله المرسل له، و أن ما أتى به منها شاهد لما فى الصحف الأولى من ذلك ٥ بالصدق. لأنه كلام الله، فهو بينة على غيره لإعجازه، فجميع الكتب الإلهية مفتقرة إلى شهادته افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة، و لا افتقار له بعد العجز عنه إلى شىء أصلا، [5]فهو أعظم من آيات جميع [الأنبياء -[6]] اللاتى يطلبون مثلها بما لا يقايس.

و لما تبين بذلك أنهم يطعنون بما لاشبهة [7]لهم فيه[7] أصلا، أتبعه ما ١٠ كان لهم فيه نوع شبهة[8] لو وقع، فقال عاطفا [على -[6]] "و لولا كلمة": ﴿و لو انآ اهلكنهم﴾ معاملة لهم فى عصيانهم بما يقتضيه مقام العظمة[9] ﴿بعذاب من قبله﴾ أى من قبل هذا القرآن [المذكور فى الآية الماضية[10]

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: لهما (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: وجوحها. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لانه (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «لايقايس» ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: له عليه (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: شبهته (٩) بين سطرى ظ: كقوله: من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا، فان الذكر يصدق على القرآن. (١٠) بهامش ظ: أعنى: بينة ما فى الصحف الأولى، لأن هذا يدل على أن القرآن أتى بذلك.

و ما قاربها. و فى قوله "و لا تعجل بالقراٰن" صريحا، و كذا فى مبنى السورة "فما انزلنا عليك القراٰن -[1]] لتشقىٰ" ﴿ لقالوا ﴾ [2]يوم القيامة[2]: ﴿ ربنا ﴾ يا من هو متصف بالإحسان إلينا ﴿لولآ﴾ [2]أى هلا و لم لا[2] ﴿ ارسلت ﴾ [2]و دلوا على عظمته و علو رتبته بحرف الغاية فقالوا[2]:

٥ ﴿ الينا رسولا ﴾ [2]أى يأمرنا بطاعتك[2] ﴿فنتبع﴾ أى فيتسبب عنه أن نتبع ﴿ اٰيٰتك﴾ التى بجيئنا بها.

[2]و لما كان اتباعهم لايستغرق زمان القبل قالوا[2]: ﴿من قبل ان نذل﴾ بالعذاب هذا الذل ﴿ و نخزىٰ ﴾ بالمعاصى التى عملناها على جهل هذا الخزى فلأجل ذلك أرسلناك إليهم و أقمنا بك الحجة عليهم، [3]و نحن نترفق[3]

١٠ بهم، و نكشف عن قلوب من شئنا منهم ما عليها من الرين بما ننزل من الذكر و نجدد من الآيات حتى نصدق أمرك و نعلى شأنك [و نكثر أتباعك -[1]] و ننصر أشياعك.

و لما علم بهذا أن إيمانهم كالممتنع، و جدالهم لا ينقطع، بل إن جاءهم الهدى طعنوا فيه، و إن عذبوا قبله تظلموا، كان كأنه قيل:

١٥ فما الذى أفعل معهم؟ فقال: ﴿ قل كل ﴾ أى منى و منكم ﴿متربص﴾ أى منتظر حسن عاقبة أمره و دوائر الزمان على عدوه ﴿ فتربصوا ﴾ فانكم كالبهائم ليس لكم تأمل، و لا تجوزون

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد « ما عليها ».

الجائز إلا عند وقوعه ﴿ فستعلمون ﴾ [1]أي عما قريب[1] بوعد لا خلف فيه عند[2] كشف الغطاء ﴿من اصحٰب الصراط﴾ [اى الطريق الواضح الواسع - [3]] ﴿ السوىّ ﴾ أى الذى [1]لاعوج فيه ولا تتو، فهو[1] من شأنه أن يوصل إلى المقاصد .

ولما كان صاحب الشيء قد لا يكون عالما بالشيء ولا عاملا ٥ بما يعلم منه، قال: ﴿ ومن اهتدىٰ[4] ﴾ أى [1]من الضلالة[1] لحصل على جميع ما ينفعه واجتنب جميع ما يضره . نحن أم أنتم ؟ ولقد علموا يقينا ذلك يوم فتح مكة المشرفة . واشتد اغتباطهم بالإسلام، ودخلوا رغبة فى الحلم والكرم، ورهبة من السيف والنقم[4]. وكانوا بعد ذلك يعجبون من توقفهم عنه ونفرتهم منه، وهذا[5] معناه أنه صلى الله عليه وسلم ١٠ ومن اتبعه هم السعداء الأغنياء الراضون فى الدنيا والآخرة، وهو عين قوله تعالى "ما انزلنا عليك القراٰن لتشقىٓ" فقد / انطبق الآخر على / ٤٨٧ الأول، ودل على أن العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل - [6]والله أعلم[6] .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد .
(٤) بهامش ظ : أى طائفة منهم دخلت راغبة وأخرى راهبة فعلى هذا الواو فى قوله « ورهبة من السيف » بمعنى « أو » والمراد منه التقسيم (٥) بين سطرى ظ : أى قوله «من اصحٰب الصراط السوى» (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد.

* * * * *

سورة الأنبياء[1]

عليهم الصلاة و السلام

مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة و قربها و لو بالموت ، و وقوع الحساب فيها على الجليل و الحقير ؛ لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها ، و هو من لا يبدل القول لديه ، و الدال على ذلك أوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام ، و لا يستقل قصة منها استقلالا ظاهرا بجميع ذلك كما سنبين ، و لا يخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك فنسبت[2] إلى الكل - و الله الموفق .

﴿ بسم ﴾ الحكيم العدل الذى تمت قدرته و عم[3] أمره ﴿ الله[4] ﴾ [5]الملك الذى لا كفوء له[5] ﴿ الرحمن ﴾ الذى ساوى بين خلقه فى رحمة [إيجاده - [6]] ﴿ الرحيم ﴾ الذى ينجى من شاء من عباده فى معاده .

لما ختمت طه بانذارهم بأنهم سيعلمون الشقى و السعيد ، وكان هذا العلم تارة يكون فى الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان ، و تارة بمعاينة ظهور الدين ، و تارة باحلال العذاب بازهاق الروح بقتل أو غيره ، و تارة ببعثها يوم الدين ، افتتحت هذه بأجلى ذلك و هو[7] اليوم الذى

(١) الحادية و العشرون من سور القرآن ، مكية مع الخلاف ، و هى مائة و اثنتا عشرة آية فى عد الكوفى و إحدى عشرة فى عد الباقين كما قاله الطبرسى و الدانى - روح المعانى ٥/٣٢٣ (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : فتسب ، و بين سطرى ظ : أى السورة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٤) تقدم فى ظ و مد على « الحكيم » (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم .

يتم فيه كشف الغطاء فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين و حق اليقين و هو يوم الحساب ، فقال تعالى : ﴿ اقترب للناس ﴾ أى عامة أنتم و غيركم ﴿ حسابهم ﴾ أى فى يوم القيامة ؛ و أشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب لأنه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها، [1] و أخر الفاعل تهويلا لتذهب النفس فى تعيينه[2] كل مذهب ، و يصح أن يراد ٥ بالحساب الجزاء ، فيكون ذلك تهديدا بيوم بدر و الفتح و نحوهما ، و يكون المراد بالناس حينئذ قريشا أو جميع العرب ، و الحساب : إحصاء الشيء و المجازاة عليه بخير أو شر ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم [3]من أجل ما فى جبلاتهم من النوس ، و هو الاضطراب الموجب لعدم الثبات على حالة الأمن ، أنقذه الله منهم من هذا النقص و هم قليل جدا[3] ﴿ فى غفلة ﴾ ١٠ فهى[4] تعليل لآخر تلك على ما تراه ، لأنهم إذا نشروا علموا ، و إذا أبادتهم الوقائع علموا هم بالموت ، و من بقى منهم بالذل المزيل لشماخة[5] الكبر ، أهلَ الحق من [أهل -[6]] الباطل . و قوله[7] : ﴿ معرضون ﴾ كالتعليل للغفلة ، أى أحاطت بهم الغفلة بسبب إعراضهم عما يأتيهم منا ، و سيأتى [ما يؤيد -[6]] هـذا [3]فى قوله[3] آخرها " بل كنا ظلمين " ١٥ [3]و إلا فالعقول قاضية بأنه لا بد من جزاء المحسن و المسيء[3] .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن -[6]] الزبير فى برهانه : لما تقدم قوله

---

(١) العبارة من هنا إلى « كل مذهب » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : تكيفه - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بين سطرى ظ : أى السورة (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشماخة (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل : و هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

سبحانه " لا تمدن عينيك - إلى قوله : فستعلمون من اصحٰب الصراط السوى و من اهتدى" قال تعالى " اقترب للناس حسابهم و هم فى غفلة معرضون " أى لا تمدن عينيك إلى ذلك فانى جعلته فتنة لمن ناله بغير حق ، و نسأل عن قليل ذلك و كثيره " [و - [1]] لتسئلن يومئذ عن
٥ النعيم" و الأمر قريب " اقترب للناس حسابهم " و أيضا فانه تعالى لما قال " و تنذر به قوما لدا " و هم الشديدو / الخصومة فى الباطل ، [ثم - [2]] /٤٨٨
قال " و كم اهلكنا قبلهم من قرن " - إلى آخرها [3] ، استدعت [4] هذه الجملة بسط حال ، فابتدئت بتأنيسه عليه الصلاة و السلام و تسليته ، حتى لا يشق عليه لددهم ، فتضمنت سورة طٰه من هذا الغرض بشارته بقوله " ما
١٠ انزلنا عليك القران لتشقى " و تأنيسه بقصة موسى عليه السلام و ما كان من حال بنى إسراءيل و انتهاء أمر فرعون و مكابدة موسى عليه السلام لدد فرعون و مرتكبه إلى أن وقصه الله و أهلكه ، و أورث عباده أرضهم و ديارهم ، ثم اتبعت بقصة آدم عليه السلام [ليرى نبيه صلى الله عليه و سلم سنته فى عباده حتى أن آدم عليه السلام - [2]] - و إن لم يكن امتحانه
١٥ بذريته و لا مكابدته من [5] أبناء جنسه - فقد كابد من إبليس ما قصه الله فى كتابه ، و كل هذا تأنيس للنبى صلى الله عليه و سلم ، فانه إذا تقرر لديه أنها سنة الله تعالى فى عباده هان عليه لدد قريش

(١) زيدت الوا و من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : آخره (٤) فى ظ : استونت (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى .

و مكايدتهم، ثم ابتدئت سورة الأنبياء بقية هذا التأنيس. فبين اقتراب الحساب و وقوع يوم الفصل المحمود فيه ثمرةُ ما كوبد في ذات الله و المتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر و المشقة أصعب لجليل الثمرة و جميل الجزاء، ثم اتبع ذلك سبحانه بعظات، و دلائل و بسط آيات، و أعلم أنه سبحانه قد سبقت سنته باهلاك من لم يكن منه الإيمان من متقدمي ٥
القرون و سالفي الأمم "ما آمنت قبلهم من قرية اهلكنها" و في قوله "أفهم يؤمنون" تعزية لرسول الله صلى الله عليه و سلم في أمر قريش و من قبل ما[1] الكلام بسبيله. و قد تضمنت هذه السورة إلى ابتداء قصة إبراهيم عليه السلام من المواعظ و التنبيه على الدلالات و تحريك العباد إلى الاعتبار بها ما يعقب لمن اعتبر به التسليم و التفويض[2] لله سبحانه ١٠
والصبر على الابتلاء وهو من مقصود السورة، و في قوله "ثم صدقنهم الوعد فانجينهم و من نشاء و اهلكنا المسرفين" إجمال لما فسره النصف الأخير من هذه السورة[3] من تخليص الرسل عليهم السلام من قومهم و إهلاك من أسرف [و أفك -[4]] و لم يؤمن، و في ذكر تخليص الرسل و تأييدهم[5] الذي تضمنه النصف الأخير من لدن قوله "و لقد آتينا ابرهيم رشده" ١٥
إلى آخر السورة كمال الغرض المتقدم من التأنيس و ملاءمة ما تضمنته سورة طه و تفسير لمجمل "و كم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم

---

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٢) من مد، و في الأصل و ظ: التعريض.
(٣) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد. و في الأصل: تابدهم.

من احد او تسمع لهم ركزا" - [انتهى - [1]] .

و لما أخبر سبحانه عن غفلتهم و إعراضهم ، علل [2] ذلك بقوله : ﴿ ما يأتيهم ﴾ [3] و أعرق في النفي بقوله [3] : ﴿ من ذكر ﴾ أي وحي يذكر [4] بما جعل في العقول من الدلائل عليه سبحانه [3] و يوجب [3] [5] الشرف
٥ لمن اتبعه [5] ﴿ من ربهم ﴾ المحسن إليهم بخلقهم و تذكيرهم . قديم [6] لكونه صفة له ﴿ محدث ﴾ إنزاله ﴿ الا استمعوه ﴾ أي قصدوا سماعه [3] و هو أجد الجد و أحق الحق [3] ﴿ و هم ﴾ أي و الحال أنهم ﴿ يلعبون ﴾ أي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء به و وضعه [في - [7]] غير مواضعه و جعلهم استماعهم له لإرادة الطعن فيه ، فهو [8] قريب من قوله " لا تسمعوا
١٠ لهذا القرآن و الغوا فيه [9] " ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أي غارقة [10] قلوبهم في اللهو ، مشغولة به عما حداها إليه القرآن ، و نبهها عليه [11] الفرقان ، و حذرها منه البيان ؛ قال الرازي في اللوامع : لاهية / : مشتغلة من لهيت ألهى ، أو طالبة للهو ، من لهوت ألهو - انتهى . و يمكن أن يراد بالناس مع هذا كله العموم و يكون من باب قوله تعالى " و ما قدروا الله حق قدره "

/ ٤٨٩

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) في مد : دل على (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : مذكر (٥-٥) ما بين الرقمين بياض في الأصل ملأناه من مد (٦) بهامش ظ : قول الشيخ « قديم » إشارة لقول من قال : يجوز أن الله تعالى تكلم بالقرآن غير مرتب الحروف دفعة واحدة فيكون قديما بحروفه (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : وهو (٩) سورة ٤١ آية ٢٦ (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : فارقة (١١) في مد : اليه .

و قوله

و قوله صلى الله عليه و سلم « لا أحصى ثناء عليك » و أن يخص بالكفار .

و لما ذكر ما يظهرونه[١] فى حالة الاستماع من اللهو و اللعب ، ذكر ما يخفونـــه من التشاور فى الصد عنه[٢] و إعمال الحيلة فى[٣] التنفير منه و التوثق من بعضهم لبعض فى الثبات على المجانبة له فقال عاطفا[٤] على "استمعوا": ﴿و اسروا﴾ [٥]أى الناس المحدث عنهم[٥] ﴿النجوىقلے﴾ ٥
أى بالغوا فى إسرار كلامهم بسبب الذكر، لأن المناجاة فى اللغة السر - كذا فى القاموس ، و قال الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه : و النجوى : الكلام بين اثنين كالسر و التشاور[٦] .

[٧] و لما أخبر بسوء ضمائرهم ، أبدل من ضميرهم ما دل على العلة[٧] الحاملة لهم على ذلك فقال : ﴿الذين ظلموا قلے﴾ ثم بين ما تناجوا به فقال : ١٠
﴿هل﴾ أى فقالوا فى تناجيهم هذا ، معجبين من ادعائه النبوة مع مماثلته[٨] لهم فى البشرية : هل ﴿هٰذآ﴾ الذى أتاكم بهذا الذكر ﴿الا بشر مثلكم ج﴾ أى فى خلقه و أخلاقه من الأكل و الشرب و الحياة و الموت ، فكيف يختص عنكم بالرسالة ؟ ما هذا الذى جاءكم به مما لا تقدرون على مثله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يظهرون (٢) العبارة من هنا إلى « المجانبة له » ساقطة من ظ (٣) من مد . و فى الأصل « و » (٤) فى مد : عطفا ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « استمعوا » (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التناول (٧-٧) ما بين الرقمين فى ظ : ثم وصفهم بالعلة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مماثلة .

إلا سحر لاحقيقة له ، فحينئذ تسبب عن هـذا الإنكار فى قولهم :
﴿ افتاتون السحر و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تبصرون ه ﴾ بأعينكم أنه
بشر مثلكم ، و بصائركم أن هذه الخوارق التى يأتى بها يمكن أن تكون[1]
سحرا ، فيا لله العجب من قوم رأوا ما أعجزهم فلم يجوزوا أن يكون عن
٥ الرحمن الداعى إلى الفوز بالجنان[2] و جزموا بأنه من الشيطان الداعى إلى
الهوان ، باصطلاء[3] النيران . و العجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص
بالرسالة مع مشاهدتهم لما يخص الله به بعض الناس عن بعض من الذكاء
و الفطنة ، و حسن الخلائق و الأخلاق ، و القوة و الصحة ، و طول
العمر و سعة الرزق - و نحو ذلك [4]من القيافة و العيافة و الزجر و الكهانة ،
١٠ و يأتون أصحابها لسؤالهم عما عندهم من ذلك من العلم[4] .

و لما كان الله تعالى لا يقر من كذب عليه ، فضلا عن أن يصدقه
و يؤيده ، و لا يخفى عليه كيد حتى يلزم منه[5] نقص ما أراده ، قال
[4]دالا لهم على صدقه و منبها عـلى موضع الحجة فى أمره ـ على قراءة
حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم ، و [4]جوابا لمن كأنه قال : فما ذا
١٥ يقال لهؤلاء؟ـ [4]على قراءة الباقين[4] : ﴿ قٰل ربى ﴾ المحسن إلىّ[6] بتأييدى
بكل ما يبين صدقى و يحمل عـلى اتباعى ﴿ يعلم القول ﴾ سواء كان[7]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجنان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : باصلا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى مد : عليه (٦) زيد فى الأصل : بتأييده و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانه .

سرا أو جهرا .

[1] و لما كان من [2] يسمع من هاتين [2] المسافتين يسمع من أيّ مسافة فرضت غيرهما قطعا ، لم يحتج إلى جمع على أنه يصح إرادة الجنس فقال : ﴿ فى السمآء و الارض ﴾ على حد سواء ، لأنه لا مسافة بينه و بين / شيء من ذلك ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع العليم ﴾ يسمع ٥ / ٤٩٠ كل ما يمكن سمعه ، و يعلم كل ما يمكن علمه من القول و غيره ، فهو يسمع سركم ، و يبطل مكركم ، و يسمع ما انسبه إليه من هذا الذكر ، [3] فلو لم يكن [3] عنه لزلزل [4] بى ، و قد جرت سنته القديمة فى الأولين ، باهلاك المكذبين ، و تأييد الصادقين ، و إنجائهم من زمن [5] نوح عليه السلام إلى هذا الزمان و لعلمه بحال الفريقين . و ستعلمون لمن تكون له العاقبة ، ١٠ و قد أشار إلى هذا فى هؤلاء الأنبياء عليهم السلام [6] الذين دل بقصصهم فى هذه السورة على ما تقدمها من الأحكام و القضايا " و كنا به علمين " " اذ قال لابيه و قومه و كنا لحكمهم شهدين " و " كنا بكل شيء علمين " " و ان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون " " انه يعلم الجهر من القول و يعلم ما تكتمون " " ان الارض يرثها عبادى ١٥ الصلحون " " ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم " .

---

(١) العبارة من هنا إلى « الجنس فقال » ساقطة من ظ (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : يستمع ما بين (٣-٣) من ظ و مد ، فى الأصل : فلم يكن (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : تزلزل (٥) سقط من مد (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل . و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كانت أقوالهم فى أمر القرآن قد اضطربت ، و الاضطراب من أمارات الباطل . و كان وصفهم له بأنه سحر مما يهول السامع و يعلم منه[١] أنه معجز ، فربما أدى إلى الاستبصار فى أمره ، أخبر أنهم نزلوا به عن رتبة السحر على سبيل الاضطراب فقال : ﴿ بل قالوآ ﴾ أى عن هذا الذكر الحكيم أنه ﴿ اضغاث احلام ﴾ أى تخاليط نائم مناه الباطل و إن كان ربما صدق بالإخبار ببعض المغيبات التى كشف الزمان عن أنها كما أخبر القرآن ، ثم نزلوا عن ذلك إلى وصف موجب لأعظم النفرة عنه [و -[٢]] عمن ظهر عنه فقالوا : ﴿ بل افترىه ﴾ [أى -[٢]] [٣]تعمد وصفه[٣] من عند نفسه و نسبه إلى الله .

١٠ و لما كان ذلك[٤] لاينافى كون مضمونه[٥] صادقا فى نفسه ، قالوا : ﴿ بل هو شاعر ج ﴾ أى يخيل ما لا حقيقة له كغيره من الشعراء ، تربص[٦] به ريب المنون لأنه بشر كما تقدم ، فلا بد أن يموت و نستريح بعد موته ، و إليه أشار فى[١] آخر التى قبلها " قل كل متربص " إلى آخره ، فاضطربت أقوالهم و عوّلوا أخيرا على قريب من السحر فى نفى الحقيقة .

١٥ و لما كانوا يصفون القرآن بجميع هذه الأوصاف جملة ، يقولون لكل شخص ما رآه أنسب له منها ، نبه الله سبحانه كل من له لب على بطلانها كلها[١] بتناقضها بحرف الإضراب[٧] إشارة إلى أنه كان يجب على

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) بين سطرى ظ : أى كونه مفترى (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : مضمون .
(٦) من مد ، و فى الأصل : يتربص ، وفى ظ غير منقوط (٧) فى ظ : الاضطراب .

من

من قالها على قلة عقله و عدم حيائه أن لا ينتقل إلى قول منها إلا بعد الإعراض عن الذى قبله ، و أنه مما يضرب عنه لكونه غلطا ، ما قيل إلا عن سبق لسان و عدم تأمل[١] ستراً لعناده و تدليسا لفجوره ، و لو فعل ذلك لكانت جديرة بانكشاف بطلانها بمجرد الانتقال فكيف عند اجتماعها[٢] . و لما كانت نسبته إلى الشعر أضعفها شأنا ، و أوضحها بطلانا ، ٥ لم يحتج إلى إضراب[٣] عنه ، و عبروا فى الأضغاث بوصف القرآن تأكيدا لعيبه[٤] ، و فى الافتراء و الشعر بوصفه صلى الله عليه و سلم لذلك[٥] .

و لما أنتج لهم ذلك على زعمهم القدح فى أعظم المعجزات ، سببوا عن هـذا القدح طلب آية فقالوا : ﴿ فليأتنا ﴾ أى دليلا على رسالته / ﴿ بآية ﴾ أى لأنا قد بينا بطعننا أن القرآن ليس بآية ؛ ثم خيلوا النصفة ١٠ / ٤٩١ بقولهم : ﴿ كما ﴾ [٦] أى مثل ما ، و بنوا الفعل للمفعول إشارة إلى أنه متى صحت الرسالة كان ذلك بزعمهم من غير تخلف لشىء أصلا فقالوا[٦] : ﴿ ارسل الاولون ﴾ [٦] أى بالآيات مثل تسبيح الجبال ، و تسخير الريح ، و تفجير الماء ، و إحياء الموتى ، و هذا تناقض آخر فى اعترافهم برسالة الأولين مع معرفتهم أنهم بشر ، و إنكارهم رسالته صلى الله عليه و سلم ١٥ لكونه بشرا ، و لم يستحيوا [٦]بعد التناقض[٦] من المكابرة فيما أتاهم به من

(١) فى مد : التامل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجتماعها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضطراب (٤) بين سطرى ظ : القرآن (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بذلك ؛ و بين سطرى ظ : للتأكيد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

انشقاق القمر، و تسبيح الحصى، و نبع الماء. و القرآن المعجز، مع كونه أميا - إلى غير ذلك.

و لما أشار سبحانه إلى فساد طعنهم بما جعله هباء منثورا، و تضمن قولهم الذى سبوه عنه[1] القرار بالرسل البشريين و آياتهم، أتبعه بيان ما
٥ عليهم فيه، فبين أولا أن الآيات تكون سببا للهلاك، فقال جوابا لمن[2] كأنه قال: رب أجبهم [3] إلى ما [3] اقترحوه ليؤمنوا: ﴿ما آمنت﴾ أى بالإجابة إلى الآيات المقترحات.

[4] و لما كان المراد استغراق الزمان، جرد الظرف عن الخافض فقال[4]: ﴿قبلهم﴾ [4] أى قبل كفار مكة المقترحين عليك، و أعرق فى النفى فقال[4]:
١٠ ﴿من قرية﴾ [5] و لما كان المقصود التهويل فى الإهلاك، وكان إهلاك القرية دالا على إهلاك أهلها من غير عكس[5]، دل على إهلاك جميع المقترحين تحذيرا من مثل حالهم بوصفها بقوله [6] فى مظهر العظمة [المقتضى - [7]] لإهلاك المعاندين: ﴿اهلكنها ج﴾ أى على كثرتهم "وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح"، "و ما اهلكنا من قرية الا لها
١٥ منذرون"، "و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" و[8] ما من الأنبياء

---

(١) بين سطرى ظ: الطعن (٢) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥ - ٥) ما بين الرقمين فى ظ: ثم (٦) العبارة من هنا إلى «المعاندين» ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقطت الواو من مد، و الحديث رواه البخارى و قد مر عليه التعليق.

نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » و أشار بذلك[1] إلى أنه لم يسلم عند البأس إلا قرية واحدة و هم قوم يونس لأنهم آمنوا عند رؤية المخايل[2] و قبل الشروع فى الإهلاك . [و هو إشارة إلى أن سبب الإيمان مشيئته سبحانه لا الآيات -[3]] .

و لما كانوا كمن قبلهم إن لم يكونوا دونهم ، حسن الإنكار فى قوله : ﴿ افهم يؤمنون ﴾ أى كلا ! بل لايؤمنون و لو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم حين لاينفع الإيمان ، [4]و قد قضينا فى الأزل أن لانستأصل هذه الأمة إكراما لنبيها ، فنحن لا نجيبهم إلى المقترحات لذلك[4] . ٥

و لما بين أولا أن الآيات تكون سببا للهلاك ، فلا فائدة [لهم -[5]] فى الإجابة إلى ما اقترحوه منها بعد بطلان ما قدحوا به [فى -[5]] القرآن، بين ثانيا بطلان ما قدحوا به فى الرسول بكونه بشرا ، بأن الرسل الذين كانوا من قبله كانوا باقرارهم من جنسه ، فما لهم أن ينكروا رسالته و هو مثلهم ، بل عليهم أن يعترفوا[6] له عند ما أظهر من المعجز كما اعترفوا لأولئك ، كل ذلك قطعا[7] عن أن يتمنى أحد إجابتهم إلى التأييد بملك ظاهر ، فقال عاطفا على " ما[8] امنت " : ﴿ و مآ ارسلنا ﴾ . ١٠ ١٥

و لما كان السياق لإنكار أن يكون النبي بشرا ، و كان الدهر كله ما خلا قط جزء منه [9]من رسالة[9] ، إما برسول قائم . و إما بتناقل أخباره ،

(١) بين سطرى ظ : أى بتقييدها بالإهلاك (٢) بين سطرى ظ : المظان (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعتروا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظيما ؛ و بين سطرى ظ : منعا (٨) سقط من مد (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : برسالة .

كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف [جر - [1]] : ﴿ قبلك ﴾
أى فى جميع الزمان الذى[2] تقدم زمانك فى جميع طوائف البشر
﴿ الا رجالا نوحىٓ اليهم ﴾ بالملائكة سرا من غير أن يطلع / على ذلك /٤٩٢
الملك غيرهم [3] كما اقتضته العظمة من التخصيص و الاختيار[4] و الإسرار
٥ عن الأغيار ، و ذلك من نعم الله على خلقه ، لأن جعل الرسل من البشر
أمكن للتلقى منهم و الأخذ عنهم .

و لما لم يكن لهم طريق فى علم هذا إن لم يقبلوا خبره عن القرآن
إلا سؤال من كانوا يفزعون إليهم من أهل الكتاب ليشايعوهم[5] على
ما هم عليه من الشك و الارتياب ، قال : ﴿ فسئلوآ اهل الذكر ﴾ ثم نبه
١٠ على أنهم غير محتاجين فيه[6] إلى السؤال بما كان قد بلغهم على الآجال من
أحوال موسى و عيسى و إبراهيم و إسماعيل و غيرهم عليهم الصلاة و السلام
بقوله ، معبرا بأداة الشك محركا لهم إلى المعالى : ﴿ ان كنتم ﴾ [7] أى بجبلاتكم [7]
﴿ لا تعلمون ◌ ﴾ أى لا أهلية لكم فى اقتناص علم ، بل كنتم أهل تقليد
محض و تبع صرف .

١٥ و لما بين أنه على سنة من مضى من الرسل فى كونه رجلا ، بين

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل بعده : تقدم زمان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) العبارة من هنا إلى « الأغيار » ساقطة من ظ . (٤) من مد ، و فى الأصل : الاخيار (٥) من مد ، و فى الأصل : ليتابعوهم ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « و الارتياب » (٦) بين سطرى ظ : العلم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أنه على سنتهم فى جميع الأوصاف التى حكم بها على البشر من العيش والموت فقال: ﴿ وما جعلنهم ﴾ [1] أى الرسل الذين اخترنا بعثهم إلى الناس ليأمروهم بأوامرنا . ولما كان السبب فى الأكل ترتيب هذا الهيكل الحيوانى على ما هو عليه لا كونه متكثرا ، وحد فقال[1]: ﴿ جسدا ﴾ [أى ذوى جسد لحم ودم -[2]] متصفين بأنهم ﴿ لا يأكلون الطعام ﴾ ٥ بل جعلناهم أجسادا يأكلون ويشربون ، وليس ذلك بمانع من إرسالهم ؛ [3]قال ابن فارس فى المجمل: [و -[2]] فى كتاب الخليل: إن[4] الجسد لا يقال لغير[5] الإنسان من خلق الأرض . ثم عطف على الأول[6] قوله: ﴿ وما كانوا خلدين ﴾ [1]أى بأجسادهم[1]، بل ماتوا كما مات الناس قبلهم وبعدهم . [1]أى لم يكن ذلك فى جبلتهم[1] وإنما تميزوا عن الناس ١٠ بما يأتيهم عن الله سبحانه ، ورسولكم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد ، فتربصوا كما أشار إليه ختم طه فانه متربص بكم وأنتم عاصون للملك الذى اقترب حسابه لخلقه وهو مطيع له ، فأيكم أحق بالأمن ؟

ولما بين أن الرسل كالمرسل إليهم بشر غير خالدين ، بين سنته فيهم وفى أممهم ترغيبا لمن اتبع ، وترهيبا لمن امتنع ، فقال عاطفا بأداة ١٥ التراخى فى مظهر العظمة على ما [7] أرشد إليه[7] التقدير من مثل: بل جعلناهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « خلق الأرض » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل: لان (٥) من مد ، وفى الأصل: بغير (٦) بين سطرى ظ: أى الكلام الأول (٧-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل: ارسل عليه .

جسدا يأكلون و يشربون ، و يعيشون إلى انقضاء آجالهم و يموتون ، و أرسلناهم إلى أممهم لحذروهم و أنذروهم و كلموهم[1] كما أمرناهم ، و وعدناهم أن من آمن بهم أسعدناه ، و من كفر و استمر أشقيناه ، و أنا نهلك من أردنا من المكذبين ، فآمن بهم بعض و كفر آخرون ؛ فلم نعاجلهم ٥ بالأخذ بل صبرنا عليهم ، و طال بلاء رسلنا بهم ﴿ ثم صدقنهم ﴾ [2]بما اقتضت عظمتنا ، و أكد الأمر بتعدية الفعل من غير حرف الجر فقال[2] : ﴿ الوعد ﴾ [3]أى بإنجائهم[3] ؛ و أشار بأداة التراخى إلى أنهم طال بلاؤهم بهم و صبرهم عليهم ، ثم احل بهم سطوته ، و أراهم عظمته ، و لذا قال مسببا عن ذلك : ﴿ فانجينهم ﴾ أى الرسل بعظمتنا[3] ، [و لكون السياق ١٠ لأنهم فى غاية الغفلة التى نشأ عنها التكذيب البليغ الذى اقتضى تنويع القول به إلى سحر و أضغاث و افتراء و شعر ، فاقتضى مقابلته بصدق الوعد منه سبحانه ، عبر بالإنجاء الذى هو إقلاع من وجدة العذاب فى غاية السرعة -[4]] ﴿ و من نشاء ﴾ أى من تابعيهم . [5]إشارة إلى أن سبب الإنجاء المشيئة [6]لا أن[6] التصديق موجب له ، لأنه لا يجب عليه سبحانه ١٥ و تعالى شىء[7] ﴿ و اهلكنا ﴾ [أى بما يقتضيه الحكمة -[4]] ﴿ المسرفين ﴾ كلهم الذين علمنا أن الإسراف لهم وصف لازم لاينفكون / عنه . / ٤٩٣

(١) من مد ، و فى الاصل و ظ : علموهم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) العبارة من هنا إلى « و تعالى شىء » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : لان (٧) من مد ، و فى الأصل : شيئا .

و لما انقضى ما لزمهم بسبب الإقرار برسلية البشر من الإقرار برسلية رسولهم صلى الله عليه و سلم لكونه مساويا لهم فى النوع و الإتيان بالمعجز ، و ما فعل بهم و بأممهم ترغيبا و ترهيبا ، و ختم ذلك بأنه أباد المسرفين ، و محا ذكرهم إلا بالشر ، التفت إلى الذكر الذى طعنوا فيه ، فقال مجيبا لمن كأنه قال : هذا الجواب عن الطعن فى الرسول قد عرف ، فما الجواب ٥ عن الطعن فى الذكر ؟ معرضا عن جوابهم لما تقدم من الإشارة بحرف الإضراب[1] إلى أن ما طعنوا به فيه لايقوله عاقل ، مبينا لما[2] لهم فيه من الغبطة التى هم لها رادون ، و النعمة التى هم بها كافرون : ﴿لقد﴾ أى و عزتنا لقد[3] ﴿ انزلنآ ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ اليكم ﴾ يا معشر قريش بل العرب قاطبة ﴿ كتٰبا ﴾ أى جامعا لجميع المحاسن لايغسله الماء و لايحرقه[4] النار ١٠ ﴿فيه ذكركم[4]﴾ طوال الدهر بالخير إن أطعتم ، و الشر إن عصيتم ، و به شرفكم على سائر الأمم [5]بشرف ما فيه من مكارم الأخلاق التى كنتم تتفاخرون بها[5] و بشرف نبيكم الذى تقولون عليه الأباطيل ، و تكثرون فيه القال و القيل .

و لما تم ذلك[6] على هذا الوجه ، نبه أنه يتعين على كل ذى لب ١٥ الإقبال عليه و المسارعة إليه ، فحسن جدا قوله منكرا عليهم منبها على أن علم ذلك لا يحتاج إلى غير العقل المجرد عن الهوى : ﴿ افلا تعقلون ۝ ﴾.

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاضطراب (٢) فى مد : ما (٣) سقط من مد (٤) بين سطرى ظ : لرسوخه فى القلوب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) بين سطرى ظ : أى الجواب عن القرآن .

و لما كان التقدير : فإن عدلتم بقبوله[1] شرفناكم. و إن ظلمتم برده عنادا أهلكناكم كما أهلكنا من كان قبلكم، عطف عليه قوله : ﴿ و كم قصمنا ﴾ [2]أى بعظمتنا[2] ﴿ من قرية ﴾ جعلناها كالشيء اليابس الذى كسر فتباينت أجزاؤه، و الإناء الذى فت فانكب ماؤه ؛ و أشار بالقصم[3] الذى هو[4] أفظع

٥ الكسر إلى أنها كانت باجتماع الكلمة و شدة الشكيمة كالحجر الرخام فى الصلابة و القوة. و 'كم' فى هذا السياق يقتضى الكثرة ، ثم علل إهلاكها [و انتقالها - [5]] بقوله : ﴿ كانت ظالمة ﴾ ثم بين الغنى عنها بقوله : ﴿ و انشانا ﴾ [6] أى بعظمتنا .

و لما كان الدهر لم يخل[7] قط بعد آدم من إنشاء [8]و إفناء[8] ، فكان

١٠ المراد أن الإنشاء بعد الإهلاك يستغرق الزمان على التعاقب ، بيانا لأن المهلكين ضروا أنفسهم من غير افتقار إليهم ، أسقط الجار فقال : ﴿ بعدها قوما ﴾ [2]أى أقوياء ، و حقق أنهم لا قرابة قريبة بينهم بقوله[2] : ﴿ اخرين ﴾ ثم بين[9] حالها عند إحلال البأس بها فقال : ﴿ فلمآ احسوا ﴾ أى أدرك أهلها بحواسهم ﴿ باسنآ ﴾ أى بما فيه[10] من العظمة ﴿ اذا هم ﴾

---

(١) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالقصى ، و العبارة من بعده إلى « أفظع الكسر » ساقطة من ظ (٤) زيد فى الأصل : اعظم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى « الجار فقال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : لم يخلوا (٨-٨) بياض فى الأصل ، ملأناه من مد (٩) زيد فى الأصل : اهلاكها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) سقط من مد .

أى

[1]أى من غير توقف[2] أصلا ﴿ منها ﴾ [3]أى القرية[3] ﴿ يركضون[4]ه ﴾ هاربين عنها [3]مسرعين كمن يركض الخيل - أى يحركها - للعدو[3]، بعد تجبرهم على الرسل و قولهم لهم "لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا" فناداهم لسان الحال [3]تقريعا و تبشيعا لحالهم و تفظيعا[3]: ﴿ لا تركضوا ﴾ [4]و صور التهكم بهم بأعظم صوره فقال[4]: ﴿ و ارجعوآ ﴾ إلى قريتكم ٥ ﴿ الى مآ ﴾ .

[5]و لما كان التأسيف إنما هو على العيش الرافه[5] لا على كونه من معط معين، بنى للفعول قوله: ﴿ اترفتم فيه ﴾ أى[6] منها، [7]و يجوز أن يكون بنى للجهول إشارة إلى [غفلتهم عن العلم لمن أترفهم أو إلى - [8]] أنهم كانوا ينسبون [نعمتهم - [8]] إلى قواهم، و لو عدوها من الله ١٠ [9]لشكروه فنفعهم[9] /ه[و لما كان أعظم ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم / ٤٩٤ المسكن، قال - [8]]: ﴿ و مسكنكم ﴾ أى[6] التى كنتم تفتخرون بها على الضعفاء من عبادى بما[10] أتقنتم من بنائها، و أوسعتم من فنائها، و عليتم من مقاعدها، و حسنتم من مشاهدها و معاهدها ﴿ لعلكم تسئلون ه ﴾ فى

(١) العبارة من هنا إلى « أصلا » ساقطة من ظ (٢) بياض فى الأصل، ملأناه من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٥) العبارة من هنا إلى « للفعول قوله » ساقطة من ظ (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « فنفعهم » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد . (٩-٩) من مد، و فى الأصل: يشكروه فنفعتهم؛ و العبارة من « بنى للجهول» الى هنا متكررة فى الأصل فقط (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ما .

الإيمان بما[1] كنتم تسالون . فتابوا بما عندكم من الأنفة و مزيد الحمية و العظمة ، أو تسألون فى الحوائج و المهمات ، كما يكون الرؤساء فى مقاعدهم العلية ، و مراتبهم البهية ، فيجيبون سائلهم بما شاؤا على تؤودة و أحوال مهل تخالف أحوال الراكض العجل " او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم ٥ من زوال " .

و لما كان كأنه قيل : بما اجابوا هذا المقال ؟ قيل : ﴿ قالوا ﴾ حين لا نفع لقولهم عند نزول البأس : ﴿ يٰويلنآ ﴾ [2]إشارة إلى أنه حل بهم لأنه لاينادى إلا القريب ، و ترفقا له كما يقول الشخص[2] لمن يضربه[3] : ياسيدى - كأنه يستغيث به ليكف عنه ، و ذلك غباوة منهم ، و عمى عن ١٠ الذى أحله بهم ، لأنهم كالبهائم لاينظرون إلا السبب الأقرب[4] ؛ ثم عللوا [5]حلوله بهم[5] تأكيدا لترفقهم[6] بقولهم : ﴿ انا كنا ﴾ [7] أى جبلة [لنا - [8]] و طبعا ﴿ ظلمين ﴾ [9]حيث كذبنا الرسل ، و عصينا أمر ربنا ، فاعترفوا حيث لم ينفعهم الاعتراف لفوات محله[9] ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن إحلالنا ذلك البأس بهم أنه ما ﴿ زالت تلك ﴾ [9] أى الدعوة البعيدة عن ١٥ الخير و السلامة ، و هى قولهم : ياويلنا[9] ﴿ دعوٰىهم ﴾ [10]يرددونها لايكون

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد « جبلة لنا و طبعا » (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حربه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاقربون (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حلولهم به (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتوقفهم (٧) العبارة من هنا إلى « و طبعا » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى « غيرها » ساقطة من ظ .

[دعوى -[1]] لهم غيرها ، لأن الويل ملازم لهم غير منفك عنهم ، و ترفقهم له غير نافعهم ﴿حتى جعلنٰهم﴾ [2]بما لنا من العظمة[2] ﴿حصيدا﴾ كالزرع المحصود .

[3]و لما كان هذا و ما بعده [مثل -[1]] حلو حامض فى الرمان ، جعلا خبرا واحدا ليكون "جعل" مقتصرا على مفعولين فقال: ٥ ﴿خامدين ﴾ [4]أى جامعين[5] للانقطاع و الخفوت ، لا حركة لهم و لا صوت ، كالنار المضطرمة[6] إذا بطل لهيبها ثم جمرها و صارت رمادا ، و لم يك[7] ينفعهم إيمانهم و اعترافهم بالظلم و خضوعهم لما رأوا بأسنا .

و لما ذمهم باللعب و بين أنه يفعل فى[8] إهلاك الظالم و إنجاء العدل[9] فعل الجاذ[10] باحقاق الحق بالانتقام لأهله ، و إزهاق الباطل باجتثاثه[11] من ١٠ أصله ، فكان التقدير : و ما ينبغى لنا أن نفعل غير ذلك من أفعال الحكمة العرية عن اللعب ، [فلم نخلق الناس عبثا يعصوننا و لا يؤاخذون -[1]] ، عطف عليه قوله : ﴿و ما خلقنا﴾ أى بعظمتنا التى تقتضى الجد و لا بد .

و لما كان خلق سماء واحدة يكفى فى الدلالة على الحكمة فكيف بأكثر منها ! وحد فقال[2] : ﴿السمآء﴾ أى على علوها و إحكامها ١٥

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «مفعولين فقال» ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا إلى «و الخفوت» ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : جامعة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل: المضرمة . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: لم يكن (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بى . (٩) بهامش ظ : أى الرجل العدل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجار . (١١) بين سطرى ظ : اقتطاعه .

﴿ و الارض ﴾ على عظمها و اتساعها ﴿ و ما بينهما ﴾ مما دبرناه لتمام المنافع من أصناف البدائع و غرائب الصنائع[1] ﴿ لعبين ﴾ غير مريدين بذلك[2] تحقيق الحقائق و إبطال الأباطيل ، بل خلقنا [لكم - [3]] ذلك آية عظيمة كافية فى الوصول إلينا ليظهر العدل فى جزاء كل بما يستحق ،

٥ مشحونة بما يقوت الأجسام ، و يهيج النفوس ، و يشرح الصدور ، و يروح الأرواح و يبعث إلى الاعتبار ، كلاً من له استبصار ، [4]للدلالة على حكمتنا و وجوب وحدانيتنا[4] فاتخذتم أنتم ما زاد[5] على الحاجة لهوا صادا عن الخير ، داعيا إلى الضير .

/٤٩٥ و لما نفى عنه اللعب ، أتبعه دليله فقال : ﴿ لواردنا ﴾ /[6] أى [على - [7]]

١٠ عظمتنا ﴿ ان نتخذ لهوا ﴾ يكون لنا و منسوبا فى لهوه إلينا ، [8] و اللهو - قال الأصفهانى[9] : صرف الهم عن النفس بالقبيح . ﴿ لاتخذنه ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ من لدنا ﴾ أى مما يليق أن ينسب إلى حضرتنا [4]بما لنا من تمام القدرة و كمال العظمة ، و باهر الجلالة و الحكمة[4] ، و ذلك بأن يكون محض لهو لا جد فيه أصلا ، و لا يخالطه شىء من الكدر ،

(١) من مد . و فى الأصل : المنافع ؛ و العبارة من « من أصناف » إلى هنا ساقطة من ظ و متكررة فى الأصل بعد « ولا يؤاخذون » ص ٣٩٧ س ١٢ (٢) بين سطرى ظ : أى خلق السماوات و الأرض وما بينهما (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما زال (٦) العبارة من هنا إلى « عظمتنا » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى « بالقبيح » ساقطة من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : الاصبهانى .

و لا

و لا يتوقف من رأه فى تسميته لهوا[1] . لا يكون له عنده اسم غير ذلك كما لو أن شمسا أخرى وجدت لم يتوقف أحد فى تسميتها شمسا كما قال تعالى فى السورة الماضية " و قد اتينك من لدنا ذكرا " أى فهو بحيث لا يتوقف أحد فى أنه من عندنا . و أنه ذكر و موعظة كما مضى ، لكنا لم نرد ذلك فلم يكن . و ما اتخذتموه لهوا فانا خلقناه لغير ذلك بدليل ما فيه من الشواغل و المنغصات و القواطع فاتخذتموه انتم من عند أنفسكم لهوا . فكان أكثره الكم ضرا و عليكم شرا ، و خص الحرالى "عند" بما ظهر . و "لدن" بما بطن . فعلى هذا يكون المراد : من حضرتنا الخاصة بنا الخفية التى لا يطلع عليها غيرنا . لأن ما للملك لا يكون مبتذلا ، و كذلك لم يذكر إلا ما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته[2] فوحد ١٠ السماء هنا و جمعها فى غير هذا الموضع لاقتضاء الحال ذلك .

و لما كان هذا مما ينبغى أن تنزه الحضرة القدوسية عنه و عن مجرد ذكره و لو على سبيل الفرض ، أشار إلى ذلك بأداة شرط أخرى فقال : ﴿ ان كنا فعلين ﴾ أى له . و لكنه لا يليق بجنابنا فلم نفعله و لا نكون فاعلين له ﴿ بل ﴾[3] و إشعار لهذا المعنى بالقذف[4] و الدمغ تصويرا للحق ١٥ بجعل الحق كأنه جرم[5] صلب كالصخرة قذف بها على [6]جرم رخو[6]

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : برويته (٣) العبارة من هنا إلى « أجوف فقال » ساقطة من ظ .
(٤) فى مد : بالحذف (٥) من مد ، و فى الأصل : حزم (٦ - ٦) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد .

ف فقال : ﴿ نقذف ﴾ أى إنما شأننا أن نرمى رميا شديدا ﴿ بالحق ﴾
الذى هو هذا الذكر الحكيم الذى أنزلناه جدا كله و ثابتا جميعه لا لهو
فيه و لا باطل . و لا هو مقارب لشيء منهما ، [١]و لا تقدرون أن تتخذوا
شيئا منه[١] لهوا اتخاذا يطابقكم عليه منصف ، فنحن نقذف به ﴿ على الباطل ﴾
٥ الذى أحدثتموه من عند أنفسكم ﴿ فيدمغه ﴾ أى فيمحقه محق المكسور
الدماغ ﴿ فاذا هو ﴾ فى الحال ﴿ زاهق ﴾ أى ذاهب الروح أى هالك ؛
ثم عطف على ما أفادته ' إذا ' قوله : ﴿ و لكم ﴾ أى و إذا لكم [٢]أيها المبطلون[٢]!
﴿ الويل مما تصفون ﴾ أى من وصفكم لكل شيء [٣]بما تهوى أنفسكم من
غير إذن منا[٣] [لكم - [٣]] ، لأنكم لا تقفون على حقائق الأمور . فان وصفتم
١٠ القرآن بشيء مما تقدم ثم قذفنا عليه بما يبين[٤] بطلانه ، بان لكل عاقل
أنه يجب عليكم ان تنادموا الويل بميلكم[٥] كل الميل ، و إن وصفتم الله
أو الدنيا أو غيرهما[٦] فكذلك إنما انتم متعلقون بقشور و ظواهر لا يرضاها
إلا بعيد عن العقل محجوب عن الإدراك ؛ ثم عطف أيضا على ما لزم من
ذلك القذف قوله : ﴿ و له من فى السموٰت ﴾ أى الأجرام العالية و هى
١٥ ما تحت العرش . و جمع السماء هنا[٧] لاقتضاء تعميم الملك ذلك .

و لما كانت عقولهم لا تدرك تعدد الأراضى ، وحد فقال[٨] :

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يقدروا ان يتخذوا منه شيئا (٢-٢) سقط
ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : تبين .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يميلكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرها .
(٧) سقط من ظ (٨) زيد فى مد : معيدا للموصول تأكيدا للاشارة إلى ما يلزمهم
من ادعاء أن ما دعوه شريكا إما أن لا يكون له ، و إما أن يكون المملوك
شريكا . و كلاهما لا يعقل ، و من فى .

﴿ و الارض[٤] ﴾ [أى و من فيها -[١]]، و ذلك شامل - على أن التعبير [بمن -[٢]] لتغليب العقلاء - للسماوات و الأرض، لأن الأرض فى السماوات، / وكل سماء فى التى فوقها، و العليا فى العرش و هو سبحانه ذو العرش العظيم - كما سيأتى قريبا، فدل ذلك دلالة عقلية على أنه مالك الكل و ملكه[٣]. ٥ /٤٩٦

و لما كانوا يصفون الملائكة بما لهم[٤] الويل من وصفه، خصهم بالذكر معبرا عن خصوصيتهم و قربهم بالعندية °تمثيلا بما نعرف من أصفياء الملوك عند التعبير بعند من مجرد القرب فى المكانة لا فى المكان° فقال: ﴿و من عنده لا﴾ أى [هم له -[٦]] حال كونهم لا ﴿يستكبرون عن عبادته﴾ بنوع كبر طلبا و لا إيجادا ﴿و لا يستحسرون ﴾ أى و لا يطلبون أن ينقطعوا عن ذلك °فأنتج ذلك قوله°: ﴿يسبحون﴾ أى ينزهون[٧] المستحق للتنزيه °بأنواع التنزيه من الأقوال و الأفعال° [التى هى عبادة، فهى مقتضية مع نفى النقائص إثبات الكمال -[٦]] ﴿ اليل و النهار﴾ أى [فى جميع آنائهما -[٦]] دائما. [و لما لم يصرح هنا بانكار منهم، و لا ما يستلزمه من الاستكبار، لم يؤكد و لا عطف بالواو فقال -[٦]]: ﴿ لا يفترون ﴾ عن ذلك فى وقت من الأوقات [بخلاف ما فى "فصلت[٨]" فان الأمر فيها مبنى على حد استكبارهم المستلزم ١٠ ١٥

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ: ملكها (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يسبحون. (٨) آية ٣٨.

لانكارهم المقتضى للتأكيد -[1]] ، وكل هذا فى حيز "إذا" أى إذا أنزلنا شيئا من القرآن منبها على أقاويلكم مبينا لأباطيلكم ، فاجأه ظهور الزهوق للباطل ، و الويل لكم و الملك له سبحانه منزها عن كل نقص [ثابتا له بالعبادة كل كمال -[1]] ، و يجوز أن يعطف على "نقذف" .

٥ و لما كانوا عند هـذا البيان جديرين بأن يبادروا إلى التوحيد فلم يفعلوا ،كانوا حقيقين -[2]بعد الإعراض عنهم[2]- بالتوبيخ والتهكم والتعنيف[3] فقال تعالى : ﴿ ام اتخذوآ ﴾ أى أعلموا أن كل شيء تحت قهره نافذ فيه أمره فرجعوا عن ضلالهم ، أم لم يعلموه ، أو علموا[4] ما ينافيه فاتخذوا ﴿ الهة ﴾ .

١٠ [5]و لما كانت معبوداتهم أصناما أرضية من حجارة ونحوها قال[5]: ﴿ من الارض ﴾ [أى -[1]] التى هم مشاهدون لأنها وكل ما فيها طوع مشيئته ﴿ هم ﴾ [2]أى خاصة[2] ﴿ ينشرون ه ﴾ أى يحيون شيئا مما فيها من الأجسام الناميـة حتى يستحقوا بذلك صفة الإلهية ، [5]و إفادة[6] السياق الحصر تفيد أنه لو وقع الإنشاء لأحد على وجه يجوّز مشاركة[7] غيره له

١٥ لم يستحق العبادة ، و فى هذا الاستفهام تهكم بهم بالإشارة إلى أنهم عبدوا ما هو[8] [من -[1]] أدنى ما فى الأرض مع أنه ليس فى الأرض ما يستحق أن يعبد ، لأن الإنسان أشرف ما فيها . و لا يخفى ما له من

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التضييق (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : علموه (٥) العبارة من هنا إلى « الرتبة الشماء » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : افـاد (٧) من مد ، و فى الأصل : بمشاركة (٨) من مد ، و فى الأصل : هم .

الحاجة

الحاجة المبعدة من تلك الرتبة الشماء .

و لما كان الجواب قطعا : لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف ، و لاشيء غيره سبحانه يستحق وصف الإلهية ، أقام البرهان القطعي على صحة نفي إله غيره ببرهان التمانع ، و هو أشد برهان لأهل الكلام فقال : ﴿ لو كان فيهما ﴾ أي [في -١] السماوات و الأرض ، أي في تدبيرهما . ٥

[٢]و لما كان الأصل فيما بعد كل من "إلا" و "غير" أن يكون من جنس ما قبلهما و إن كان مغايرا له في العين ، صح وضع كل منهما موضع الآخر ، و اختير هنا التعبير بأداة الاستثناء و المعنى للصفة إذ هي تابعة لجميع منكور غير محصور الإفادة إثبات الإلهية له سبحانه مع النفي عما عداه ، لأن "لولا" - لما فيها من الامتناع - مفيدة للنفي ، فالكلام في قوة أن يقال "ما فيهما"[٢] ١٠ ﴿ [٣]آلهة الا الله ﴾ أي مدبرون غير من تفرد بصفات الكمال[٣] ، و لو[٤] كان فيهما آلهة غيره / ﴿ لفسدتا ﴾ لقضاء العادة بالخلاف بين المتكافئين المؤدي إلى ذلك ، و لقضاء العقل بامكان الاختلاف اللازم منه [إمكان التمانع اللازم منه إمكان عجز أحدهما اللازم منه -[٥]] أن لايكون إلها لحاجته ، [و إذا انتفى الجمع ، انتفى الاثنان من باب الأولى ، لأن الجمع كلما زاد حارب ١٥ بعضهم بعضا فقل الفساد كما نشاهد - [١]] . / ٤٩٧

[٢]و لما أفاد هذا لدليل أنه لايجوز أن يكون المدبر لها إلا واحدا ، و أن ذلك الواحد لا يكون إلا الله قال[٢] : ﴿ فسبحٰن الله ﴾ أي فتسبب عن

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « غيره » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : لما (٥) زيد من ظ و مد .

ذلك تنزه المتصف[1] بصفات الكمال ﴿ رب العرش ﴾ [أى -[2]]
[3]الذى هو نهاية المعلومات من الأجسام[4] ، [ورب ما دونه من السماوات
و الأراضى و ما فيهما -[2]] المتفرد بالتدبير ، كما يتفرد الملك الجالس على
٥ السرير ﴿ عما يصفون ﴾ مما[5] يوهم نقصا ما ، ثم علل ذلك بقوله :
﴿ لا يسئل ﴾ [6]أى من سائل[6] [ما -[2]] ﴿ عما يفعل ﴾ أى لا يعترض
عليه لأنه لا كفوء له فى علم و لا حكمة ولا قدرة [ولا عظمة -[7]] ولا غير
ذلك ، [فليس فى شىء من أفعاله لإتقانها موضع سؤال -[2]] ، فمهما أراد كان
و مهما قال فالحسن الجميل ، فلو شاء لعذب أهل سماواته و أهل أرضه ،
١٠ و كان ذلك منه عدلا حسنا ، و هذا مما يتمادح به أولو الهمم العوال ،
كما قال عامر الخصفى[8] فى هاشم بن حرملة بن الأشعر :

أحيا أباه هاشم بن حرمله   يوم الهباءات ويوم اليعمله

ترى الملوك عنده مغربله[9]   يقتل ذا الذنب و من لاذنب له

قال ابن هشام فى مقدمة السيرة [10]قبل « أمر البسل[10] » بقليل : أنشدنى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المنعم (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « نهاية الأجسام » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى
الأصل : الاجساد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما (٦-٦) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى سيرة ابن هشام ١/٣٥ : خصفة بن
قيس بن عيلان ، و راجع أيضا تعليق المعلمى فى الأنساب ٥/١٠٠ (٩) من ظ
و مد و السيرة ، و فى الأصل : مغربه (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ :
قتل الله الشاعر - كذا .

أبو عبيدة هذه الأبيات و حدثني أن هاشما قال لعامر: قل فيّ بيتا جيدا أثبك عليه، فقال عامر البيت الأول فلم يعجب هاشما، ثم قال البيت [1] الثاني فلم يعجبه، [2] ثم قال الثالث فلم يعجبه [2]، فلما قال [الرابع - [3]] «و يقتل ذا الذنب و من لا ذنب له» أعجبه فأثابه عليه. [و من أعجب ما رأيت في حكم الأقدمين أن الشهرستاني قال في الملل: و قد سأل ٥ بعض الدهرية أرسطاطاليس فقال: إذا كان لم يزل و لا شيء غيره ثم أحدث العالم فلم أحدثه؟ فقال: «لِمَ» غير جائز عليه، لأن «لم» تقتضي علة و العلة محمولة فيما هي علة له من معلّ فوقه و لا علة فوقه، و ليس بمركب فتحمل ذاته العلل، فلم عنه منفية - [4]]. ﴿[5] و هم يسئلون [5]﴾ [6] من كل سائل لما في أفعالهم [7] من الاختلال [8] بل يمنعون [9] عن أكثر ١٠ ما يريدون.

و لما قام الدليل، و وضح السبيل، و اضمحل كل قال و قيل، فانمحقت الأباطيل، قال منبها لهم على ذلك: ﴿ام﴾ أي أرجعوا عن ضلالهم لما بان [لهم - [10]] غيهم فيه فوحدوا الله أم ﴿اتخذوا﴾ [11] و نبه [12] على أن كل شيء دونه و أثبت أن آلهتهم بعض من ذلك باثبات ١٥

(١) سقط من السيرة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد من السيرة.
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥-٥) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «من الاختلال» و الترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى «الاختلال» ساقطة من ظ.
(٧) من مد، و في الأصل: حالهم (٨) من مد. و في الأصل: الاختلاف.
(٩) من ظ و مد، و في الأصل: يعفون (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة من هنا إلى «التهديد» ساقطة من ظ (١٢) من مد، و في الأصل: فيه.

الجار فقال [منبها لهم -[1]] مكررا لما مضى على وجه أعم ، طالبا البرهان تلويحا إلى التهديد : ﴿من دونه[2] الهة[4]﴾ من السماء أو[2] الأرض وغيرهما.

و لما كان جوابهم : اتخذنا[3] ، و لا يرجع أمره بجوابهم فقال : ﴿قل هاتوا برهانكم ج﴾ على ما ادعيتموه من عقل أو نقل كما أثبت أنا

٥ برهان النقل المؤيد بالعقل.

و لما كان الكريم سبحانه لا يؤاخذ بمخالفة العقل ما لم ينضم إليه دليل النقل ، أتبعه قوله [4]مشيرا إلى مابعث الله به الرسل من الكتب[4] : ﴿ هذا ذكر ﴾ أى موعظة [و شرف -[1]] ﴿ من معى ﴾ ممن آمن بى و قد ثبت[5] أنه كلام الله بعجزكم عن معارضته فانظروا هل تجدون فيه شيئا

١٠ يؤيد أمركم ﴿و ذكر﴾ أى و هـذا ذكر ﴿ من قبلى[5] ﴾ فاسألوا أهل الكتابين هل فى كتاب منهما برهان لكم .

و لما كانوا لا يجدون شبهة لذلك فضلا عن حجة اقتضى[6] الحال الإعراض عنهم غضبا ، فكان كأنه قيل: لا يجدون لشيء من ذلك برهانا ﴿بل اكثرهم﴾ [أى هؤلاء المدعوين -[1]] ﴿لا يعلمون[لا] الحق﴾ بل هم جهلة

١٥ و الجهل أصل الشر و الفساد[7]، [[8]- فهم يكفرون تقليدا ﴿فهم﴾ أى فتسبب عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من أنهم ﴿معرضون ه﴾ عن ذكرك و ذكر

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل « و » (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتخذوا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : أثبت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقتضت بذلك (٧) من مد ، و فى الأصل : القساوة ، و العبارة من «بل هم» إلى هنا ساقطة من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

من

من قبلك غفلة منهم عما يراد بهم و فعلا باللعب فعلَ القاصر عن درجة العقل، و بعضهم معائد مع علمه الحق]، [1]و بعضهم يعلم فيفهم - كما أفهمه التقييد بالأكثر[1].

و لما كان التقدير [بيانا لما في الذكرين - [2]] : و لو أقبلوا على الذكر لعلموا أنا أوحينا إليك في هذا الذكر أنه لا إله إلا أنا، [3]ما أرسلناك ٥ إلا لنوحي إليك[4] ذلك، عطف عليه قوله : ﴿ و مآ ارسلنا ﴾ أي بعظمتنا.

و لما كان الإرسال بالفعل[5] غير مستغرق للزمان المتقدم لأنه كما أن الرسالة لا يقوم بها كل[6] أحد، فكذلك الإرسال لا يصلح له كل زمن، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ [7]و أعرق في النفي فقال[7] : ﴿ من رسول ﴾ في شيع الأولين ﴿ الا يوحي[8] اليه ﴾ من عندنا ١٠ ﴿ انه لآ اله الا انا ﴾ ولم يقل : نحن، لئلا يجعلوها وسيلة إلى شبهة، و لذا قال : ﴿ فاعبدون ﴾ [9]بالإفراد، و ترك التصريح بالأمر /بالتخصيص ٤٩٨ / بالعبادة لفهمه من المقام و الحال، فانهم كانوا قبل ذلك يعبدونه و لكنهم يشركون[9] تنبيها على أن كل عبادة فيها شوب شرك عدم.

و لما دل على نفي مطلق الشريك عقلا و نقلا، فانتفى بذلك كل فرد ١٥ يطلق عليه هذا الاسم، عجب من ادعائهم الشركة المقيدة بالولد، فقال

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و تأخر في الأصل عن « كان التقدير »، و الترتيب من مد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « إليك ذلك » ساقطة من ظ (٤) من مد، و في الأصل : اليه (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) و قراءة عاصم : نوحي (٩-٩) ما بين الرقمين متكرر في الأصل فقط.

عاطفا على قوله "وأسروا النجوى": ﴿ وقالوا ﴾ [1] قيل: الضمير لخزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وقيل: اليهود [حيث - [2]] قالوا: إنه سبحانه صاهر الجن فكانت منهم الملائكة: ﴿ اتخذ ﴾ [3] أي تكلف كما يتكلف من يكون له ولد [3] ﴿ الرحمن ﴾ [أي - [2]] الذي كل
٥ موجود [4] من فيض نعمته ﴿ ولدا ﴾ .

[5] ولما كان ذلك أعظم الذنب، نزه نفسه سبحانه عنه بمجمع [6] التنزيه فقال: ﴿ سبحنه ﴾ أي تنزه [عن - [2]] أن يكون له ولد، فان ذلك يقتضي المجانسة بينه وبين الولد، ولا يصح مجانسة النعمة للنعم الحقيق [8] ﴿ بل ﴾ الذين جعلوهم له ولدا وهم الملائكة ﴿ عباد ﴾
١٠ من عباده، أنعم عليهم بالإيجاد كما أنعم على غيرهم [3] لا أولاد، فان العبودية تنافي الولدية [3] ﴿ مكرمون ﴾ بالعصمة من الزلل، ولذلك فسر الإكرام بقوله: ﴿ لا يسبقونه ﴾ [أي لا يسبقون إذنه - [2]] ﴿ بالقول ﴾ أي [بقولهم، لأنهم - [2]] لا يقولون شيئا لم يأذن لهم فيه ويطلقه لهم.

ولما كان الواقف عما لم يؤذن له فيه قد [9] لا يفعل ما أمر به قال:
١٥ ﴿ وهم بامره ﴾ [3] أي خاصة [3] إذا أمرهم ﴿ يعملون ﴾ لا بغيره [10] لأنهم

---

(١) العبارة من هنا إلى « منهم الملائكة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد، وفي الأصل وظ: شيء.
(٥) العبارة من هنا إلى « التنزيه فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: ايجمع (٧) زيد من ظ ومد (٨) بهامش ظ: وجه العجز أنه سبحانه نفى المطلق فلزم منه نفي القيد، فكيف يثبت المقيد مع نفي مطلقه (٩) من ظ ومد، وفي الأصل « و » (١٠) بهامش ظ: فالحصر استفيد من تقديم الجار أعني « بامره ».

في

فى غاية المراقبة له [1]جمعوا فى الطاعة بين القول و الفعل و ذلك غاية الطاعة[1]؛ ثم علل[2] إخباره بذلك[3] بعلمه بما هذا المخبر به مندرج فيه فقال: ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ أى مما [لم - [4]] يعملوه[5] ﴿ و ما خلفهم ﴾ مما عملوه، [6]أو يكون[7] الأول لما عملوه و الثانى لما لم يعملوه، لأنك تطلع على ما قدامك و يخفى عليك ما خلفك. أى أن علمه محيط بأحوالهم ٥ ماضيا و حالا و مآلا، لا يخفى عليه خافية؛ ثم صرح بلازم الجملة الأولى[8] فقال: ﴿ و لا يشفعون لا ﴾ [أى - [9]] [1]فى الدنيا و لا فى الآخرة[1] ﴿ الا لمن ارتضى ﴾ فلا تطمعوا فى شفاعتهم لكم بغير رضاه، و بلازم الجملة الثانية[10] فقال: ﴿ و هم من خشيته ﴾ [1]أى لا من غيرها[1] ﴿ مشفقون ه ﴾ [1]أى دائما[1]. ١٠

و لما نفى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية، أتبعه التهديد[11] على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع فقال: ﴿ و من يقل منهم ﴾ أى من كل من قام الدليل على أنه لا يصلح للالهية [12]حتى العباد المكرمون الذين وصف كرامتهم[13] و قرب منزلتهم عنده و أثنى عليهم كما رواه البيهقى فى الخصائص من الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما: ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) بهامش ظ: الإشارة فى قوله «بذلك» يرجع الى «وهم بامره يعملون» (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ. و فى الأصل و مد: يعلموه (٦) العبارة من هنا إلى «ما خلفك» ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: ان (٨) بهامش ظ: أعنى «لا يسبقونه بالقول» (٩) زيد من مد. (١٠) بهامش ظ: أى «وهم بامره يعملون» (١١) فى مد: لتهديب (١٢) العبارة من هنا إلى «عنهما» ساقطة من ظ (١٣) من مد، و فى الأصل: كرمهم.

﴿ انى اله ﴾ [١] و لما كانت الرتب[٢] التى تحت[٣] رتبة الإلهية كثيرة ، بعض ليدل على [٤] من استغرق[٤] بطريق الأولى فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى من دون الله ﴿ فذاك ﴾ [أى - [٥]] اللعين الذى لا يصلح للتقريب أصلا ما دام على ذلك ﴿ نجزيه ﴾ [أى - [٥]] بعظمتنا[٦] ﴿ جهنم [٤] ﴾ لظلمه[٧] ،

٥ فأفهم تعذيب مدعى الشرك تعذيب أتباعه من باب الأولى[٨] ، [٩] و هو على سبيل الفرض و التمثيل فى الملائكة من إحاطة علمه بأنه لا يكون ، و ما ذاك إلا لقصد تفظيع أمر الشرك و تعظيم شأن التوحيد[٩] .

[و فى دلائل النبوة للبيهقى فى باب التحدث بالنعمة و الخصائص أن هذه الآية مع قوله تعالى "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك" دليل على

١٠ فضله صلى الله عليه و سلم على أهل السماء - [٥]] .

و لما كان مقتضيا للسؤال عن[١٠] غير هذا من الظلمة ، قيل : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء الفظيع جدا ﴿ نجزى الظّلمين ع ﴾ / كلهم ما داموا على ظلمهم .

٤٩٩ /

و لما أنكر سبحانه اتخاذهم آلهة من دونه تارة بقيد كونها أرضية ،

١٥ و تارة "بقيد كونها"[١١] سماوية ، و تارة مطلقة ، لتعم كلا من القسمين

---

(١) العبارة من هنا إلى « الأولى فقال » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : المراتب (٣) من مد ، و فى الأصل : تجب (٤ - ٤) من مد ، و فى الأصل : الاستغراق (٥) زيد من مد (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لظلمه (٨) بهامش ظ : لأن العظيم إذا عذب فكيف بأتباعه؟ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١١-١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكونها .

و غيرهما

وغيرهما، واستدل على ذلك كله بما لم تبق معه شبهة، فدل تفرده على أنه لا مانع له مما[1] يريد من بعث ولا غيره، وكان علمهم لايتجاوز ما في السماوات والأرض، قال مستدلا على ذلك أيضا مقررا بمايعلمونه. أو ينبغي أن[2] يسألوا عنه حتى يعلموه لتمكنهم من ذلك "فاسئلوا اهل الذكر" جاليا له في أسلوب العظمة: ﴿اولم﴾ أي ألم يعلموا ذلك بما أوضحنا ٥ من أدلته[3] و[4] لم يروا، ولكنه أظهر للدلالة على أنهم يغطون[5] أنوار الدلائل عنادا فقال: ﴿ير﴾ أي يعلم علما هو كالمشاهدة ﴿الذين كفروآ﴾ أي ستروا ما يعلمون من قدرة الله فأدى ذلك إلى الاستهانة والتنقص[6] فصار ذنبهم غير مغفور[7]، وسعيهم غير مشكور، وحذف[8] ابن كثير[9] الواو العاطفة على ما قدرته مما هدى إليه السياق أيضا، لا للاستفهام بما ١٠ دل عليه ختام الآية التي قبل من البعث والجزاء المقتضى للانكار على من أنكره، فكان المعنى على قراءته[10]: نجزى كل ظالم بعد البعث، ألم ير المنكرون لذلك قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلائق، وإنما أنكر عليهم عدم الرؤية بسبب أن الأجسام وإن تباينت لاينفصل بعضها عن بعض إلا بقادر يفصل بينها، فمن البديهي الاستحالة أن يرتفع شيء منها ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: مـا (٢) تكرر في مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: دلالته (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: او (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: يعظمون (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: النقص (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: مقصور (٨) في ظ: اسقط (٩) بين سطري ظ: المقرى (١٠) في مد: ما قراته.

عن الآخر منفصلا عنه بغير رافع [1]لا سيما إذا كان المرتفع ثابتا[1] من غير عماد، فكيف و هو عظيم الجسم كبير الجرم؟ و ذلك دال على تمام القدرة و الاختيار و التنزه عن كل شائبة نقص من مكافئ[2] و غيره، فصح الإنكار عليهم فى عدم علم ذلك بسبب أنهم عملوا بخلاف ما يعلمونه[2]

٥ ﴿ان السموٰت و الارض﴾ .

[3]و لما كان المراد الإخبار عن الجماعتين لا عن الأفراد قال[3] : ﴿كانتا﴾ [4]و لما [5]كان المراد[5] شدة الاتصال و التلاحم، أخبر عن ذلك بمصدر مفرد وضع موضع الاسم فقال : ﴿رتقا﴾ أى ملتزقتين[6] زبدة واحدة على وجه الماء، و الرتق فى اللغة : السد، و الفتق : الشق[7]

١٠ ﴿ففتقنٰهما﴾ [4] أى بعظمتنا [8][أى -[8]] بأن ميزنا إحديهما عن الأخرى بعد التكوين المتقن و فتقنا السماء بالمطر، و الأرض بأنواع النبات بعد أن لم يكن شيء من ذلك، و لا كان مقدورا على شيء منه لأحد غيرنا؛ [9]عن ابن عباس[10] رضى الله عنهما و عطاء و الضحاك و قتادة : كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما بالهواء . و عن مجاهد و أبى صالح

١٥ و السدى . كانتا مؤتلفة طبقة[11] واحدة ففتقها فجعلها سبع سماوات، و كذلك

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد «تمام القدرة» (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يعلمون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) العبارة من هنا إلى «الاسم فقال» ساقطة من ظ (٥ - ٥) فى مد : كانتا (٦) من ظ و مد. و فى الأصل : ملتصقين (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : الشد. (٨) زيد من مد (٩) العبارة من هنا إلى «طبقات» ساقطة من ظ (١٠) راجع البحر المحيط ٦/٣٠٨ (١١) من مد و البحر، و فى الأصل : طينة .

الأرض[1] كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع -[2]] طبقات .

و لما كان خلق الماء سابقا على خلق السماوات و الأرض، قال : ﴿ و جعلنا ﴾ [أى بما اقتضته عظمتنا -[3]] ﴿ من المآء ﴾ أى الهامر ثم الدافق[4] ﴿كل شىء حىّ[4]﴾ مجازا من النبات و حقيقة من الحيوان ، خرج الإمام أحمد و غيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال للنبى ٥ صلى الله عليه و سلم : أخبرنى عن كل شىء ، /فقال : كل شىء خلق من ماء[5] . و لذلك أجاب النبى صلى الله عليه و سلم ذلك الذى وجده على ماء بدر [6]و سأله[6] : ممن هو؟ بقوله : نحن من ماء . ٥٠٠/

و لما كان هذا من تصرفه فى هذين الكونين ظاهرا و منتجا لأنهما و كل ما فيهما[7] و من فيهما بصفة العجز عن أن يكون له تصرف ما ، ١٠ تسبب عنه إنكار عدم إيمانهم فقال : ﴿ افلا يؤمنون ﴾ أى بأن شيئا منهما أو فيهما لا يصلح للالهية ، لا على وجه الشركة[8] و لا على وجه الانفراد ، و بأن صانعهما و مبدع النامى من حيوان و نبات منهما بواسطة الماء قادر على البعث للحساب للثواب أو العقاب ، بعد أن صار الميت ترابا بماء يسببه لذلك . ١٥

و لما كان من القدرة الباهرة ثبات الأرض من غير حركة ، و كان الماء أدل دليل على ثباتها ، و كانت الأرض أقرب فى

(١) فى البحر : الأرضون (٢) زيد من مد و البحر إلا أن فى البحر «سبعا» مع حذف «طبقات» (٣) زيد من مد (٤) بهامش ظ : أى المنى (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل: الماء (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل : فسأله (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنهما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشرك .

الذكر من السماء ، أتبع ذلك قوله : ﴿ وجعلنا ﴾ [١] بما لنا من العظمة [١] ﴿ فى الارض ﴾ جبالا ﴿ رواسى ﴾ أى ثوابت ، كراهة ﴿ ان تميد بهم ﴾ و تضطرب فتهلك المياه كل شيء حى فيعود نفعها ضرا و خيرها شرا .

و لما كان المراد من المراسى [٢] الشدة و الحزونة لتقوى على الثبات

٥ و التثبيت ، و كان ذلك مقتضيا لإبعادها و حفظها عن [الذلة و - [٣]] الليونة ، بين أنه خرق [٤] فيها العادة ليعلم أنه قادر مختار لكل ما يريد فقال: ﴿ و جعلنا ﴾ [١] بما لنا من القدرة الباهرة و الحكمة البالغة [١] ﴿ فيها ﴾ أى الجبال مع حزونتها ﴿ فجاجا ﴾ أى مسالك واسعة سهلة ؛ ثم أبدل منها قوله : ﴿ سبلا ﴾ أى مذللة للسلوك ، ولو لا ذلك لتعسر [٥] أو تعذر

١٠ الوصول إلى بعض البلاد ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ إلى منافعهم [١] فى ديارهم وغيرها ، و إلى ما فيها من دلائل الوحدانية و غيرها [١] فيعلموا أن وجودها لو كان بالطبيعة كانت على نمط واحد مساوية للأرض متساوية [٦] فى الوصف ، و أن كونها على غير ذلك دال على أن صانعها قادر مختار متفرد بأوصاف الكمال .

١٥ و لما دلهم بالسماوات و الأرض على عظمته ، ثم فصل بعض ما فى الأرض لملابستهم [٧] له ، و خص الجبال لكثرتها فى بلادهم ، أتبعه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواشى . (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الاصل : خرن (٥) من مد ، و فى الأصل : لقصر، و فى ظ : ليعسر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مساوية . (٧) بين سطرى ظ : لمخالطتهم .

السماء فقال: ﴿و جعلنا﴾ [1]أى بعظمتنا[1] ﴿السمآء﴾ و أفردها [2] بإرادة الجنس[2] لأن أكثر الناس لا يشاهدون منها إلا الدنيا [1]و لأن الحفظ للشيء الواحد أتقن[1] ﴿سقفا﴾ [3]أى للأرض لا فرق بينها و بين ما يعهد من السقوف إلا أن ما يعهد منها لا يسقط منه إلا ما يضر، و هذه مشحونة بالمنافع فأكثر ما ينزل منها ما لا غنى للناس عنه من آلات ٥ الضياء و علامات الاهتداء و الزينة التى لا يقدر قدرها[3].

و لما كان ما يعرفون من السقوف على صغرها لا تثبت إلا بالعمد، [1]و يتمكن منه المفسدون[1]، و تحتاج كل قليل إلى إصلاح و تعهد، بين أن هذا السقف على سعته و علوه على غير ذلك فقال: ﴿محفوظا ج﴾ [1]أى عن السقوط بالقدرة و عن الشياطين بالشهب[1]، فذكّر باعتبار السقف، ١٠ و أشار إلى كثرة ما حوى من الآيات مؤنثا باعتبار السماء أو العدد الدال عليه الجنس، [1]لأن العدد أولى بالدلالة على كثرة الآيات[1] [و النجوم مفرقة فى الكل - [4]] فقال: ﴿و هم﴾ [5]أى أكثر الناس[5] ﴿عن اٰيٰتها﴾ [1]أى من الكواكب الكبار و الصغار، و الرياح والأمطار، / ٥٠١ و غير ذلك من الدلائل التى تفوت الاحصار[1]، أى[5] الدالة على قدرتنا ١٥ على كل ما نريد من البعث و غيره [و - [6]] على عظمتنا بالتفرد بالإلٰهية

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى مد: مع ارادة الجنس، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٣-٣) ما بين الرقمين تأخر فى الأصل عن «على كثرة الآيات» و الترتيب من مد، و سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد. (٦) زيد من ظ و مد.

و غير ذلك من أوصاف الكمال ، من الجلال و الجمال ﴿ معرضون ﴾ [1]لا يتفكرون فيما فيها من التسيير و التدبير بالمطالع[2] و المغارب و الترتيب القويم الدال على الحساب الدائر عليه سائر المنافع .

و لما ذكر السماء، ذكر ما ينشأ عنها فقال : ﴿و هو﴾ أى لا غيره ٥ ﴿ الذى خلق الّيل و النهار ﴾ ثم أتبعهما آيتيهما فقال : ﴿و الشمس﴾ التى هى آية النهار و بها وجوده ﴿و القمر﴾ الذى هو آية الليل . [3]و لما[3] ذكر أعظم آياتها فأفهم بقية الكواكب ، استأنف لمن كأنه قال : هل هى كلها فى سماء واحدة ؟ : ﴿ كل ﴾ [أى -[4]] [5]من ذلك[5] ﴿فى فلك﴾ [6]فكأنه قيل : ما ذا تصنع ؟ فقيل[6] [تغليبا لضمير العقلاء... و نقلهم ١٠ إليها -[4]] : ﴿يسبحون ﴾ [أى كل واحد يسبح فى الفلك الذى جعل به [4]] .

و لما ذكر الصارم البتار[7] ، للأعمار الطوال و القصار ، من الليل و النهار ، [كان كأنه -[8]] قيل : فيفنيان كل شديد ، و يبليان كل جديد ، فعطف[9] عليه قوله : ﴿ و ما جعلنا ﴾ [6]أى بما لنا من العظمة التى اقتضت ١٥ تفردنا بالبقاء[6] ﴿لبشر﴾ [و حقق عدم هذا الجعل باثبات الجار فقال -[4]] : ﴿ من قبلك الخلد ﴾ ناظرا[10] إلى قوله "و ما كانوا خلدين" بعد قوله

---

(١) العبارة من هنا إلى «سائر المنافع» ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : و المطالع (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : ثم ؛ و العبارة من هنا إلى «سماء واحدة» ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥-٥) فى ظ : منها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : النهار (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عطف (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ناظر .

"هل هذا الا بشر مثلكم" و هذا من أقوى الأدلة على أن الخضر عليه السلام مات، و يجاب بأن الحياة الطويلة ليست خلدا كما فى حق عيسى عليه السلام، [1] لكن قوله صلى الله عليه و سلم[2] «اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الأرض بعد اليوم» و قوله[3] «لايبقى على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد» و قوله «وددنا[4] أن موسى عليه السلام ٥ [5] صبر فقص علينا من أمرهما» فى أمثال ذلك، يدل على موته دلالة لا تقبل ادعاء حياته بعدها إلا بأظهر منه[5].

و لما كان قولهم "بل هو شاعر" مشيرا إلى أنهم قالوا نتربص به ريب المنون كما اتفق لغيره من الشعراء، وكان ينبغى أن لاينتظر أحد لآخر من الأذى إلا ما يتحقق سلامته هو منه، توجه الإنكار عليهم ١٠ [6] و التسلية [له -[7]] بمنع شماتتهم فى قوله: ﴿ا فائن﴾ أى [8] أيتمنون موتك فان[8] ﴿مت فهم﴾ [8] أى خاصة[8] ﴿الخلدون ٥﴾ فالمنكر تقدير خلودهم على تقدير موته الموجب لإنكار تمنيهم لموته، [9] لحق الهمزة دخولها على الجزاء، و هو: فهم، و إنما [قارنت الشرط لأن -[7]] الاستفهام له الصدر.

(١) العبارة من هنا إلى «بأظهر منه» ساقطة من ظ (٢) راجع سيرة ابن هشام ١٧/٢ و مسند الإمام أحمد ٣٠/١ (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٨٨/٢ (٤) زيد فى مد: لو، و راجع حديث موسى فى كتاب الأنبياء من صحيح البخارى. (٥ - ٥) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) العبارة من هنا إلى «شماتتهم» ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى «له الصدر» ساقطة من ظ.

و لما تم ذلك، أنتج قطعا: ﴿كل نفس﴾ أى منكم و من غيركم[1] ﴿ذآئقة الموت[5]﴾ أى فلا يفرح أحد و لا يحزن بموت أحد، بل يشتغل بما يهمه، و إليه الإشارة بقوله: ﴿و نبلوكم﴾ أى [نعاملكم -[2]] معاملة المبتلى المختبر [المظهر فى عالم الشهادة الشاكر و الصابر و المؤمن و الكافر

٥ كما هو عندنا فى عالم الغيب -[3]] بأن نخالطكم ﴿بالشر﴾ الذى هو طبع النفوس، فهى أسرع شيء إليه، فلا ينجو منـه إلا من [4]أخلصناه لنا[4] ﴿والخير﴾ مخالطة كبيرة، [و أكد فعل البلاء بمصدر من معناه مقرون بالهاء تعظيما له فقال -[3]]: ﴿فتنة[5]﴾ أى [كما يفتن الذهب إذا أريدت تصفيته بمخالطة النار له، على حالة عظيمة -[3]] محيلة مميلة لكم لا يثبت لها

١٠ إلا الموفق ﴿و الينا﴾ [5]أى بعد الموت[5] لا إلى غيرنا ﴿ترجعون ﴾ للجزاء[6] حيث لاحكم لأحد أصلا لا ظاهرا و لاباطنا [كما -[3]] فى هذه الدار [7]بنفوذ الحكم فلا يكون إلا ما نريد[7] فاشتغلوا بما ينجيكم منا، و لا تلتفتوا إلى غيره، فان الأمر صعب، وجدوا فان الحال جد.

و لما أخبر سبحانه عن إعراضهم عن الساعة تكذيبا، و استدل على[8]

١٥ كونها منزهة عن الغيب فى خلق هذا العالم و تعاليه عن[9] [جميع -[2]] صفات النقص و اتصافه بأوصاف الكمال إلى أن ختم ذلك بمثل / ما ابتدأ به على وجه أصرح، [10]و كان فيه تنبيههم على الابتلاء[11]

/٢٠٥

---

(١) من مد، و فى الأصل: غيرهم، و العبارة من « أى منكم » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اخلصنا لك (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: من (١٠) العبارة من هنا إلى «من آياته» ساقطة من ظ (١١) من مد، و فى الأصل: الامتطى - كذا.

وكان

[وكان الابتلاء -[1]] على قدر النعم[2]. فكان صلى الله عليه وسلم اعظم شيء ابتلوا به لأنه لانعمة أعظم من النعمة به، ولا شيء أظهر من آياته عطف على قوله " واسروا النجوى " قوله: ﴿ واذا راك ﴾ [3]أى وأنت أشرف الخلق [وكلك -[1]] جد وجلال وعظمة وكمال ﴿ الذين كفروآ ﴾ فأظهر منبها[4] على أن ظلمهم الذى أوجب لهم ذلك هو الكفر [5]وإن ٥ كان فى أدنى رتبة، تبشيعا له وتنبيها على أنه يطمس الفكر مطلقا[5].

ولما كان من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم فى غاية البعد عن الهزء، قال منبها على أنهم أعرقوا فى الكفر حتى بلغوا الذروة: ﴿ ان ﴾ [8]أى ما[8] ﴿ يتخذونك ﴾ أى حال الرؤية، وسيعلم من يبقى[6] منهم عما قليل أنك جد كلك[7] ﴿ الا هزوا[ط] ﴾ أى جعلوك [8]بحمل أنفسهم على ١٠ ضد ما يعتقد[8] عين[8] ما ليس فيك شيء منه؛ ثم بين استهزاءهم به بأنهم يقولون إنكارا واستصغارا: ﴿ اهذا الذى يذكر ﴾ [أى -[9]] بالسوء ﴿ الهتكم ج ﴾ [قال أبو حيان -[10]]: والذكر[11] يكون بالخير والشر، [فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه -[12]] - [انتهى -[13]]. فاذا[14]

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: المنعم (٣) العبارة من هنا إلى « عظمة وكمال » ساقطة من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: تنبيها. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من مد. وفى الأصل: بقى (٧) بياض فى الأصل ملأناه من مد، والعبارة من « أى حال » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: غير (٩) زيد من ظ ومد (١٠) زيد من ظ، وراجع البحر المحيط ٦ / ٣١٢ (١١) من ظ ومد والبحر، وفى الأصل: فالذى. (١٢) زيد من ظ والبحر (١٣) زيد من ظ (١٤) من مد، وفى الأصل: فما، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « أطلق عليه ».

دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه ﴿ وهم ﴾ أى و الحال أنهم [1] على حال كانوا بها أصلا فى الهزء، و هى أنهم [1] ﴿ بذكر الرحمن ﴾ الذى لا نعمة عليهم و لا على غيرهم إلا منه. [1] و كرر الضمير تعظيما بما أتوا به من القباحة فقال [1]: ﴿ هم ﴾ [2] أى بظواهرهم و بواطنهم [3] ﴿ كٰفرون ه ﴾

٥ أى ساترون لمعرفتهم به، فلا أعجب ممن [1] هو محل للهزء لكونه [1] أنكر ذكر [4] من لا نعمة منه و لا نقمة أصلا بالسوء، و هو يـــذكر من كل نعمة منه بالسوء [1] و يهزأ به [1].

و لما كان من آيات الأولين التى [5] طلبوها العذاب بأنواع الهول، وكانوا هم أيضا قد طلبوا ذلك و استعجلوا به "عجل لنا قطنا" و نحو

١٠ ذلك، و كان الذى جرأهم على [6] هذا حلم [6] الله عنهم بامهاله لهم، قال معللا [7] لذلك: ﴿ خلق ﴾ [1] و بناه للفعول لأن المقصود بيان ما جبل عليه و الخالق معروف [1] ﴿ الانسان ﴾ [8] أى هذا النوع.

و لما كان مطبوعا على العجلة [9] قال: ﴿ من عجل ط ﴾ فلذا يكفر، لأنه إذا خولف بادر إلى الانتقام عند القدرة فظن بجهله أن خالقه كذلك،

١٥ و أن التأخير ما هو إلا عن عجز [10] او عن رضى: ثم قال تعالى مهددا [11]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بواطنهم » ساقطة من ظ (٣) فى مد: ضمائرهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٥) فى ظ: الذين (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك علم (٧) بين سطرى ظ: أى بجرأتهم على ذلك بسبب إمهاله (٨) العبارة من هنا إلى «العجلة قال» ساقطة من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: العجل (١٠) من ظ ومد، و فى الأصل: عجل (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: ممهدا.

للمكذبين : ﴿ ساوريكم ﴾ حقا ﴿ ايتى ﴾ القاصمة و العاصمة .[1] بهجرة النبي صلى الله عليه و سلم و من عندكم من أتباعه المستضعفين و خلافتهم بين أيديكم و جعلهم شجا في حلوقكم حتى يتلاشى ما أنتم عليه و غير ذلك من العظائم[1] ﴿ فلا تستعجلون ه ﴾ [1] أى تطلبوا أن أوجد العجلة بالعذاب أو غيره[1] ، فاني منزه عن العجلة [التي هي من جملة نقائصكم . ٥

و لما ذم العجلة و هي إرادة شيء قبل أوانه ، و نهى عنها ، قال دالا عليها عاطفا على عامل " اهذا " - [2]] : ﴿ و يقولون ﴾ [أى -[2]] في استهزائهم بأوليناء الله : ﴿ متى هذا ﴾ [3] و تهكموا بقولهم[3] : ﴿ الوعد ﴾ [أى -[2]] باتيان الآيات من الساعة و مقدماتها و غيرها . و زادوا[3] في الإلهاب و التهييج تكذيبا فقالوا[4] : ﴿ ان كنتم صدقين ه ﴾ [5] أى عريقين في هذا ١٠ الوصف جدا - بما دل عليه الوصف و فعل الكون[5] .

و لما غلوا في الاستهزاء فكانوا أجهل الجهلة باستحالة الممكن ، استأنف الجواب عن كلامهم بنفي العلم عنهم / في الحال و المآل دون /٥٠٣ المعاينة على طريق التهكم و الاستهزاء بهم : ﴿ لو يعلم الذين كفروا ﴾ [1] و ذكر المفعول به فقال[1] : ﴿ حين ﴾ أى لو تجدد لهم علم ما بالوقت الذى ١٥ يستعجلون به : و ذكر[6] ما أضيف إليه ذلك الوقت فقال : ﴿ لا يكفون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و في الأصل : زاد (٤) من مد ، و في الأصل : فقال ، و العبارة من «وزادوا» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « الوقت فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و في الأصل : ذكر .

أي[1] فيه بأنفسهم [﴿ عن وجوههم ﴾ التي هي أشرف أعضائهم ﴿ النار ﴾ استسلاما و -[2]] ضعفا و عجزا ﴿ ولا عن ظهورهم ﴾ التي هي أشد أجسادهم، فعرف من[3] هذا أنها قد أحاطت بهم و أنهم لا يكفون عن غير هذين من باب الأولى ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أي و لا يتجدد لهم ٥ نصر [4]ظاهرا و لا باطنا[4] بأنفسهم و لا بغيرهم، لم يقولوا شيئا من ذلك [4]الكفر و الاستهزاء و الاستعجال[4] و لكنهم لا يعلمون ذلك بنوع من أنواع العلم إلا عند الوقوع [4]لأنه لا أمارة لها قاطعة بتعيين وقتها و لا تأتي بالتدريج كغيرها[4]. و هذا معنى ﴿ بل تأتيهم ﴾ [أي - [5]] الساعة التي هي ظرف لجميع تلك الأحوال [4]و هي معلومة لكل أحد فهي مستحضرة ١٠ في كل ذهن[4] ﴿ بغتة فتبهتهم ﴾ [4]أي تدعهم باهتين حائرين[4]؛ ثم [6]سبب عن بهتهم قوله[7]: ﴿ فلا يستطيعون ردها ﴾ أي [4]لا يطلبون طوع ذلك لهم[4] في ذلك الوقت [8]ليأسهم عنه[4] ﴿ ولاهم ينظرون ﴾ أي يمهلون [من ممهل ما - [5]] ليتداركوا ما أعد لهم فيها، فيا شدة أسفهم على التفريط في الأوقات التي أمهلوا فيها في هذه الدار، و صرفهم إياها في ١٥ لذات أكثرها أكدار.

و لما كان التقدير [4]حاق بهم[4] هذا [4]باستهزائهم بك، تبعه ما يدل

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، و في الأصل: عن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من مد (٦-٦) في ظ: علل. (٧) في ظ: بقوله (٨) من سطري ظ: أي كونهم لا يكفون عن وجوههم النار و هم لا ينظرون.

على أن الرسل فى ذلك شرع واحد، تسلية له صلى الله عليه و سلم و تأسية، فقال [عاطفا على "و اذا رءاك" - ¹]: ﴿و لقد﴾ مؤكدا له لمزيد التسلية ²بمساواة إخوانه من الرسل و بتعذيب أعدائه. و لما كان المخوف نفس الاستهزاء لا كونه من معين، بنى للمفعول قوله²: ﴿استهزئ برسل﴾ [أى ¹] كثيرين. ٥

²و لما كان معنى التنكير عدم الاستغراق، أكده بالخافض فقال²: ﴿من قبلك فحاق﴾ أى³ فأحاط ﴿بالذين سخروا منهم﴾ لكفرهم ﴿ما كانوا﴾ ²بما هو لهم كالجبلة² ﴿به يستهزءون ﴾ من الوعود الصادقة كبعض من⁴ سألوه الإتيان بمثل آياتهم كقوم نوح و من بعدهم.

و لما هددهم بما مضى مما قام الدليل على قدرته عليه، و ختمه⁵ - لوقوفهم ١٠ مع المحسوسات - بما وقع لمن قبلهم، و كان الأمن عن مثل ذلك لا يكون إلا بشيء يوثق به، امره ان يسألهم عن ذلك بقوله: ﴿قل من يكلؤكم﴾ أى يحفظكم ²و يؤخركم و يكثر رزقكم². و هو استفهام توبيخ.

و لما استوى بالنسبة إلى قدرته حذرهم و غفلتهم⁶، قال: ﴿باليل﴾ ١٥

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى مد: احال و نزل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٥) من ظ و مد، و فى الاصل: كتمه (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: غفلهم.

أى[1] و أنتم نائمون . [2]و لما كانت مدافعة عذابه سبحانه غير ممكنة لنائم ولا يقظان قال[3] : ﴿ و النهار ﴾ [أى -[2]] و أنتم مستيقظون . [4]و لما كان لا منعم[5] بكلاءة و لا [6]غيرها سواه[6] سبحانه . ذكرهم بذلك بصفة الرحمة فقال : ﴿ من الرحمٰن[4] ﴾ الذى لا نعمة بحراسة و لا غيرها إلا منه

٥ حتى أمنتم مكره [7]و لو يقطع إحسانه . فكيف إذا ضربكم بسوط جبروته و سطوة قهره و عظموته[8] .

و لما كان الجواب قطعا : ليس لهم من يكلؤهم منه[9] و هو معنى الاستفهام الإنكارى ، قال مضربا عنه : ﴿ بل هم ﴾ أى فى أمنهم من سطواته ﴿ عن ذكر ربهم ﴾ الذى لا يحسن إليهم غيره ﴿ معرضون ﴾ [7]فهم لا يذكرون أصلا فضلا عن أن يخشوا بأسه و هم يدعون أنهم أشكر / الناس للاحسان[7] . /٥٠٤

و لما أرشد السياق إلى أن [10]التقدير : أصحيح[10] هذا الذى أشرنا إليه من أنه لا مانع لهم منا ، عادله بقوله [12]إنكارا عليهم[12] : ﴿ أم لهم ءالهة ﴾ موصوفة بأنها ﴿ تمنعهم ﴾ [11]نوب الدهر . [12]و لما كانت جميع الرتب

---

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « الرحمة فقال » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : منعهم (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : غيرهما الا هو (٧) العبارة من هنا إلى « و عظموته » ساقطة من ظ (٨) فى مد : عظمته (٩) سقط من مد؛ و العبارة من بعده إلى « الإنكارى » ساقطة من ظ (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقدير الصحيح (١١) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٢) العبارة من هنا إلى « الابتداء فقال » ساقطة من ظ .

تحت رتبته[1] سبحانه ، أثبت[2] حرف الابتداء فقال [محقرا لهـم -[3]] : ﴿من دونناط﴾ أى [من -[4]] [5]مكروه هو تحت[5] إرادتنا و من جهة غير جهتنا .

و لما كان الجواب قطعا : [ليس -[4]] لهم ذلك ،[6]و هو بمعنى الاستفهام[6]، استانف الإخبار بما يؤيد هذا الجواب ، و يجوز أن يكون تعليلا . فقال : ٥ ﴿ لا يستطيعون ﴾ اى الآلهة التى يزعمون أنها تنفعهم ، أو هم - لأنهم لامانع لهم من دوننا - ﴿نصر انفسهم﴾ من دون إرادتنا فكيف بغيرهم ، أو يكون ذلك صفة لآلهة على طريق التهكم ﴿ و لا هم ﴾ [7]اى الكفار أو[8] الآلهة ﴿ منا ﴾ [6]أى بما لنا من العظمة[6] ﴿ يصحبون ه ﴾ [بوجه من وجوه الصحبة -[3]] حتى يصير لهم استطاعة بنا ، فانسدت عليهم ابواب ١٠ الاستطاعة أصلا و رأسا .

و لما لم يصلح[9] هذا لأن يكون سببا لاجترائهم ، أضرب[10] عنه قائلا فى مظهر العظمة ، إشارة إلى أن اغترارهم به سبحانه - مع ما له من دلائل الجلال - من أعجب العجب ، [بانيا على نحو « لا كالئ لهم منه و لامانع » -[3]] : ﴿بل متعنا﴾ [6]اى بعظمتنا[6] ﴿ هؤلاء ﴾ [6]اى الكفار[6] ١٥

(١) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : اشهر . (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : يمكروه هو عن ، و فى ظ : دون (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الآلهة » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل « و » (٩) من ظ و مد . و فى الأصل : لم يصح (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضرب .

[1]على حقارتهم[1]، أو الإضراب عن عدم استطاعتهم للنصر، [2]و المعنى أن ما هم فيه من الحفظ إنما هو منا لأجل تمتيعهم بما لايغتر به إلا مغرور[2]، [لا من مانع يمنعهم -[3]] ﴿ و اٰبآءهم ﴾ من قبلهم بالنصر و غيره ﴿ حتى طال عليهم العمر[ط] ﴾ فكان طول سلامتهم غارا لهم بنا، [1]فظنوا ٥ أنه لايغلبهم على ذلك التمتيع شيء، و لاينزع عنهم ثوب النعمة[1].

و لما أقام الأدلة و نصب الحجج على أنه لا مانع لهم من الله، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم فى اعتقاد[4] غيره فقال: ﴿ افلا يرون ﴾ أى يعلمون علما [1]هو فى وضوحه[1] مثل الرؤية بالبصر ﴿ انا ﴾ بما لنا من العظمة. و صور ما كان يجريه من عظمته على أيدى أوليائه فقال[1]: ١٠ ﴿ نأتى الارض ﴾ [أى -[3]] التى أهلها كفار، إتيان غلبة لهم[1] بتسليط أوليائنا [عليهم -[5]]. و لما كان الإتيان على ضروب شتى، بينه بقوله: ﴿ ننقصها من اطرافها[ط] ﴾ بقتل بعضهم و رد[6] من بقى عن دينه إلى الإسلام، فهم فى نقص، و أولياؤنا فى زيادة.

و لما كانت مشاهدتهم لهذا مرة بعد مرة قاضية بأنهم المغلوبون، ١٥ تسبب عنه[7] إنكار غير ذلك فقال: ﴿ افهم ﴾ [1]أى خاصة[1] ﴿ الغلبون ﴾ [1]أى مع مشاهدتهم لذلك[1] أم أولياؤنا.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) ما بين الرقمين فى ظ: أى بل منعناهم.
(٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: اعتقادهم (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: برد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عن.

و لما تبين [الخلف - ١] في قولهم على كثرته و ادعائهم الحكمة و البلاغة، و فعلهم على كثرتهم و زعمهم القوة و الشجاعة ، ثبت أن ٢ أقواله الناقضة ٢ لذلك من عند الله بما ثبت ٣ من استقامة معانيها و إحكامها ، بعد ما اتضح من إعجاز نظومها و حسن التئامها ، فأمره أن يبين لهم ذلك بقوله : ﴿قل انمآ انذركم﴾ ٤ أيها الكفار ٤ ﴿ بالوحى ﴾ أى الآتى به الملك [عن الله - ١] فلا قدح فى شيء من نظمه و لا معناه و الحال أنكم لا تسمعون - ٥على قراءة الجماعة ، و الحال ، أنك لا تسمعهم ٦ - على قراءة ابن عامر بضم الفوقانية و كسر ٧ الميم ٨و نصب الصم خاصة ٥. و لكنهم لما كانوا لا ينتفعون بانذاره ٤ لتصامّهم و جعلهم أصابعهم فى آذانهم وقت الإنذار ٤ عدهم صما ، فأظهر الوصف لتعليق الحكم به فقال : ﴿و لا يسمع الصم الدعآء﴾ أى ممن يدعوهم ، او يكون معطوفا على ما تقديره : فان كانت أسماعكم صحيحة سمعتم فأجبتم ٩ . و نبه بقوله : ﴿ اذا ما ينذرون ﴾ على أن المانع لهم مع الصمم كراهة الإنذار ، و بالبناء للفعول على منذر - ١٠] .

و لما كان المنذر لا يترك الاستعداد لما ينذر به من العذاب

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقوالهم المناقضة .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبتت (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) العبارة من هنا إلى « خاصة » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : تسمع (٧) من مد ، و فى الأصل : بكسر (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٩) من مد ، و فى الأصل : فاصبتم ، و العبارة من « أو يكون » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد .

إلا إذا كان قويا على دفعه . بين أنهم على غير ذلك فقال : ﴿ و لئن ﴾ أى لا يسمعون و الحال أنه لا قوة بهم ، بل إن ﴿ مستهم ﴾ أى لاقتهم أدنى ملاقاة ﴿ نفحة ﴾ أى رائحة يسيرة مرة من المرات ﴿ من عذاب ربك ﴾ المحسن إليك بنصرك عليهم ﴿ ليقولن ﴾ و قد أذهلهم أمرها عن
٥ نخوتهم . و شغلهم قدرها عن كبرهم و حميتهم : ﴿ يٰويلنا ﴾ الذى لا نرى الآن بحضرتنا غيره ﴿ انا كنا ﴾ [أى -[1]] بما لنا بما[2] هو فى ثباته كالجبلات[3] ﴿ ظلمين ه ﴾ [4] أى عريقين فى الظلم [5] فى إعراضنا و تصامّنا[5] ترفقا و تذللا لعله يكف عنهم .

و لما بين ما افتتحت السورة من اقتراب[6] الساعة بالقـــدرة عليه
١٠ و اقتضاء الحكمة له ، و ان كل أحد[7] ميت لا يستطيع شيئا من الدفع عن نفسه فضلا عن غيره ، و ختمت الآيات باقرار الظالم بظلمه ، و كانت عادة كثير من الناس الجور عند القدرة ، بين انه سبحانه بخلاف ذلك فذكر بعض ما يفعل فى حساب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله " بل تاتيهم بغتة " : ﴿ و نضع ﴾ فأبرزه فى مظهر العظمة إشارة إلى هوانه
١٥ عنده و إن كان لكثرة الخلائق و أعمـال كل منهم متعذرا عندنا ﴿ الموازين ﴾ [8] المتعددة لتعدد الموزونات أو أنواعها . و لما كانت الموازين آلة العدل ، وصفها به مبالغة فقال[8] ﴿ القسط ﴾ أى العدل[9] المميز للأقسام على السوية .

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : بما (٣) العبارة من «بما لنا» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا إلى «يكف عنهم» ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) فى ظ : اضراب (٧) فى ظ : واحد.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « فيه فقال » ص ٤٢٩ س ٢ ساقطة من ظ .

و لما كان يوم الجزاء علة في وضع المقادير، عبر باللام ليشمل
ـمع ما يوضع [فيه -[1]]- ما وضع الآن لأجل الدينونة فيه[2] فقال:
﴿ليوم القيمة﴾ الذى أنتم عنه ـ لإعراضكم عن الذكر ـ غافلون.
[3]و لما جرت العادة بأن الملك قد يكون عادلا فظلم بعض أتباعه، بين
أن عظمته في إحاطة علمه و قدرته تأبى[4] ذلك، فبنى الفعل للمجهول فقال: ٥
﴿فلا﴾ أى فتسبب عن هذا الوضع أنه لا ﴿تظلم﴾ [أى من ظالم
ما -[1]] ﴿نفس شيئا[1]﴾ من عملها ﴿و ان كان﴾ أى[5] العمل ﴿مثقال حبة﴾
[6]هذا على قراءة الجماعة بالنصب. و التقدير على قراءة نافع بالرفع: و إن
وقع أو[7] وجد ﴿من خردل﴾ أو[8] أحقر منه، و إنما مثل به لأنه غاية
عندنا في القلة، [و زاد في تحقيره بضمير التأنيث لإضافته إلى المؤنث ١٠
فقال -[1]]: ﴿اتينا بها[1]﴾ بما لنا من العظمة في العلم و القدرة و جميع صفات
الكمال فحاسبناه /عليها، [9]و الميزان حقيق. و وزن الأعمال على صفة يصح ٥٠٦/
وزنها معها بقدرة من لا يعجزه شيء.
و لما كان حساب الخلائق كلهم على كل ما صدر منهم أمرا باهرا
للعقل، حقره عند عظمته فقال[9]: ﴿و كفى بنا﴾ [10]أى بما لنا من العظمة[10] ١٥

(١) زيد من مد (٢) تقدم في الأصل على «لأجل» و الترتيب من مد (٣) العبارة من هنا إلى «للمجهول فقال» ساقطة من ظ (٤) من مد، و في الأصل: فا. (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «أو وجد» ساقطة من ظ (٧) من مد، و في الأصل: أى (٨) من ظ و مد، و في الأصل: اى (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ، و تقدم في الأصل على «اتينا بها» و الترتيب من مد. (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.

﴿حسبين ۝﴾ أي لا يكون فى الحساب أحد مثلنا . ففيه [توعد من جهة أن معناه أنه لا يروج عليه شيء من خداع و لا يقبل -[1]] غلطا ، و لا يضل و لا ينسى ، إلى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس أو شوب نقص ، [و وعد من جهة أنه يطلع على كل حسن فقيد و إن دق و خفى -[2]] .

٥ و لما قدم [فى قوله -[1]] "ما يأتيهم من ذكر من ربهم" - الآية و غيره[3] أنهم أعرضوا عن هذا الذكر تعللا[4] بأشياء منها طلب آيات الأولين ، و نبه على إفراطهم فى الجهل بما ردوا من الشرف بقوله "لقد انزلنا اليكم كتبا فيه ذكركم" و مر إلى أن ختم بالتهديد بعذابه ، و أنه يحكم بالقسط ، و كان كتاب موسى عليه السلام بعد القرآن أعظم

١٠ الكتب السماوية ، و كان أهل الكتاب قد أعرضوا عنه غير مرة على زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل و غيره و بعد موته مع كون[5] المرسل به اثنان تعاضدا على إبلاغه و تقرير أحكامه بعد أن بهرا العقول[6] بما أتيا به من الآيات التى منها - كما بين فى سورة البقرة و الأعراف - التصرف فى العناصر الأربعة التى هى أصل الحيوان الذى بدأ الله منها

١٥ خلقه ، و مقصود السورة الدلالة على إعادته[7] ، و منها ما عذب به من أعرض عن ذكر موسى و هارون عليهما السلام الذى هو ميزان العدل لما نشر من الضياء الورث للتبصرة الماحقة للظلام ، فلا يقع متبعه فى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : غيرها (٤) فى مد : تعليلا . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كونه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العقول (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعادتها .

ظلم[1]، و كان الحساب تفصيل الأمور و مقابلة كل منها بما يليق بـه، و ذلك بعينه هو الفرقان، قال سبحانه بعد آية الحساب عاطفا على "لقد انزلنا": ﴿و لقد اتينا﴾ أي [2]بما لنا من العظمة[2] ﴿موسى و هرون﴾ [3]أي أخاه الذى سأل[3] أن يشد أزره به ﴿الفرقان﴾ الذى تعاضدا على إبلاغه و الإلزام بما دعا إليه حال كونه مبينا لسعادة الدارين، لايدع لبسا فى أمر من الأمور ﴿و ضياء﴾ لا ظلام معه، فلا ظلم للمستبصر به، لأن من شأن من كان فى الضياء أن لا يضع شيئا إلا فى موضعه ﴿و ذكرا﴾ [3]أى وعظا و شرفا.

و لما كان من لاينتفع بالشيء لايكون له منه شيء، قال[3]: ﴿للمتقين﴾ أى[4] الذين صار [هذا -[5]] الوصف لهم شعارا حاملا [لهم -[4]] على التذكر لما يدعو إليه الكتاب من التوحيد الذى هو أصل المراقبة؛ ثم بين التقوى [بوصفهم -[6]] بقوله: ﴿الذين يخشون﴾ [3]أى يخافون خوفا عظيما[3] ﴿ربهم﴾ [3]أى المحسن إليهم بعد الإيجاد بالتربية و أنواع الإحسان[3] ﴿بالغيب﴾ أى قبل ان ينكشف لهم الحجاب ﴿و هم من الساعة﴾ التى تضع فيها الموازين، و قد اعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم حامل على كل خير، [3]و مبعد من كل ضير[3] ﴿مشفقون ﴾ لأنهم لقيامها متحققون، و بنصب الموازين فيها عالمون.

(١) زيد فى الأصل: ظلام، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢-٢) فى ظ: بعظمتنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من مد.

و لما ذكر فرقان موسى عليه السلام ، و كان العرب يشاهدون إظهار اليهود للتمسك به و المقاتلة[1] على ذلك و الاغتباط ، حثهم على كتابهم الذى هو أشرف منه فقال: ﴿و هذا﴾ فأشار إليه بأداة القرب [إيماءا - [2]] إلى سهولة تناوله عليهم ﴿ذكر﴾ أى عظيم . و دلهم على
٥ أنه أثبت الكتب و أكثرها فوائد / بقوله: [﴿مبرك﴾ و دلهم على /٥٠٧
زيادة عظمته بما له من [3] قرب الفهم و [3] الإعجاز و غيره بقوله - [2]] :
﴿انزلنه﴾ ثم أنكر عليهم رده [4] و وبخهم [4] فى سياق دال على أنهم أقل من أن يجترئوا على ذلك ، منبه على أنهم أولى بالمجاهدة فى هذا الكتاب من أهل الكتاب فى كتابهم فقال: ﴿افانتم له﴾ [4] أى أتكونوا
١٠ دون أهل الكتاب برد ما أنزل لتشريفكم عليهم و على غيرهم[5] مع أنكم لا تنكرون كتابهم ﴿منكرون ع﴾ أى أنه لو أنكره غيركم لكان ينبغى لكم مناصبته ، فكيف يكون الإنكار منكم ؟

و لما كان مقصود[6] السورة الدلالة على القدرة على ما استبعده العرب من إعادة الحيوان بعد كونه ترابا ، و بدأ ذكر الأنبياء بمن صرفه
١٥ فى العناصر الأربعة كما تقدم قص ذلك من التوراة فى سورتى[7] البقرة و الأعراف إشارة إلى أن من استعبد عليه ما جعله إلى بعض عبيده

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقابلة (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كتابهم » ساقطة من ظ . (٥) من مد ، و فى الأصل : عيوبهم (٦) فى مد : مقصد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : سورة .

أعمى الناس، تلاه من الأنبياء بمن سخر له واحدا من تلك العناصر، مرتبا لهم على الأخف فى ذلك فالأخف على سبيل الترقى، فبدأهم بذكر من سخر له عنصر النار، مع التنبيه للعرب على عماهم عن الرشد بانكاره للشرك بعبادة الأوثان على أبيه و غيره، و دعائهم إلى التوحيد، و المجاهدة فى الله على ذلك حق الجهاد، و هو أعظم آباء الرادين لهذا الذكر، ٥
و المستمسكين[1] بالشرك تقليدا للآباء، إثباتا للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد الداعى إليه جميع هؤلاء الأصفياء، هذا مع مشاركته بانزال الصحف عليه لموسى و محمد عليهما الصلاة و السلام و مشاركته لهما[2] فى الهجرة، و إذا تأملت ما فى سورتى[3] الفرقان و الشعراء ازداد ما قلته وضوحا، فانه لما أخبر تعالى أنهم قالوا "لو لا نزل[4] عليه القرآن جملة واحدة" ١٠
بدأ بقصة موسى الذى كتب له ربه فى الألواح من كل شيء، و[5] قومه مقرّون بعظمة كتابه و أنه أوتى من الآيات ما بهر العقول، و كفر به مع ذلك [كثير منهم -[6]]. و لما قال فى الشعراء "ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث" - الآية[7] كما هنا، صنع كما صنع هنا من البداءة بقصة موسى عليه السلام و إيلائها ذكر إبراهيم عليه السلام فقال تعالى: ١٥
﴿و لقد اٰتينا﴾ [بما لنا من العظمة -[8]] ﴿ابرٰهيم رشده﴾ أى صلاحه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المتمسكين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: سورة (٤) فى ظ: انزل (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) آية (٨) زيد من مد.

و إصابته وجه الأمر و اهتداءه[1] إلى عين الصواب و أدل الدلالة و أعرف العرف و أشرف القصد [2]الذى جبلناه عليه[2]؛ و قال الرازى فى اللوامع: و الرشد قوة بعد الهداية ـ انتهى . و أضافه[3] إليه إشارة إلى أنه رشد يليق به على علو مقامه و عظم شأنه لا جرم ظهر عليه أثر ذلك من بين ٥ أهل ذلك الزمان كلهم فآثر الإسلام على غيره من الملل ﴿ من قبل ﴾ أى قبل موسى و هارون عليهما السلام ﴿و كنا﴾ [بما لنا من العظمة ـ[4]] ﴿ به ﴾ [7]ظاهرا و باطنا[7] ﴿ علمين ج ﴾ بأنه جبلة خير يدوم على الرشد و يترقى فيه إلى أعلى درجاته لما طبعناه عليه بعظمتنا من طبائع الخير؛ و تعليقُ ﴿ اذ قال ﴾ [أى إبراهيم ـ[4]] ﴿ لابيه و قومه ﴾ بـ "علمين" ٥٠٨ / ١٠ إشارةٌ إلى أن قوله لما كان باذن منا / و رضى لنا نصرناه[5] ـ و هو وحده ـ على قومه كلهم، و لو لم يكن [6]رضينا لمنعناه[6] منه بنصر قومه عليه و تمكين النار منه، فهو مثل ما مضى فى قوله "قل ربى يعلم القول فى السماء و الارض" [7]و مفهوم هذا القيد لا يضر لأنه لا يحصى ما ينفيه من المنطوقات، و إن شئت فعلقه[8] بـ "ايٰتنا"؛ [9]ثم ذكر مقول القول فى قوله منكرا ١٥ عليهم محقرا لأصنامهم فى أسلوب التجاهل[9] [10]لإثبات دعوى جهلهم بدليل[10]:

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: اهتدا (٢ ـ ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اضاف (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: فنصرناه (٦ـ٦) من ظ و مد، وفى الأصل: مرضيا لمعناه ـ كذا . (٧) العبارة من هنا إلى «بايٰتنا» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: فعلت ـ كذا (٩ ـ ٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠ ـ ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

﴿ ما هذه التماثيل ﴾ أى الصور التى صنعتموها مماثلين[١] بها ما فيه روح، [٢]جاعلين بها ما لا يكون إلا لمن لا مثل له[٢]، وهى الأصنام ﴿ التى انتم لها ﴾ [٣]أى لأجلها[٣] وحدها، مع كثرة ما يشابهها وما هو أفضل منها ﴿ عكفون ﴾ أى [٣]موقعون الإقبال[٣] عليها مواظبون على ذلك، فبأى معنى استحققت منكم هذا الاختصاص، وإنما هى [٤]مثال للحى[٤] ٥ فى الصورة وهو اعلى منها بالحياة التى أفاضها الله عليه.

ولما أتاهم بهذا القاصم، [٢]استأنف الخبر سبحانه عن جوابهم بقوله[٢]: ﴿ قالوا ﴾ مسوين أنفسهم[٥] بالبهائم التى تقاد ولا علم لها بما قيدت له: ﴿ وجدنا آباءنا لها ﴾ خاصة ﴿ عبدين ﴾ فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير ذلك. ولما غلوا فى الجهل غير محتشمين [٦]من إقرارهم على أنفسهم به، ١٠ بالاستناد إلى محض التقليد بعد إفلاسهم من أدنى شبهة فضلا عن دليل[٧]، استأنف الله تعالى الإخبار عن جوابه بقوله: ﴿ قال ﴾ أى[٨] منبها لهم بسوط التقريع على أن الكلام مع آبائهم كالكلام معهم: ﴿ لقد كنتم ﴾ وأكد بقوله: ﴿ انتم ﴾ [٩] لأجل صحة العطف لأن الضمير [المرفوع - [١٠]] المتصل حكمه حكم [١١]جزء الفعل[١١]، هذا مع الإشارة إلى [١٢]الحكم على[١٢] ١٥

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: ماثلين (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٣ - ٣) فى ظ: مقبلون (٤ - ٤) من ظ ومد، وفى الأصل: تمثال الحى. (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: نفسهم (٦) العبارة من هنا إلى «جوابه بقوله» ساقطة من ظ (٧) من مد، وفى الأصل: الميل (٨) سقط من ظ (٩) العبارة من هنا إلى «وأبو اطنهم» ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١ - ١١) من مد. وفى الأصل: الجزء الفعل (١٢-١٢) من مد، وفى الأصل: حكم الى.

ظواهرهم و بواطنهم ﴿ و آباؤكم ﴾ أى من قبلكم ﴿ فى ضلل ﴾ قد أحاط بكم إحاطة الظرف بالمظروف و الملوك بالسلك ﴿ مبين ﴾ ليس به[١] نوع من الخفاء .

و لما لم تكن عادته مواجهة أحد بما يكره . [٢]استأنف الإخبار عنهم بما يدل عليه فقال[٢] : ﴿ قالوآ ﴾ ظنا منهم أنه لم يقل ذلك على ظاهره : ﴿ اجئتنا ﴾ فى هذا الكلام ﴿ بالحق ﴾ الذى يطابقه الواقع ﴿ ام انت من اللّعبين ﴾ فظاهر كلامك غير حق ﴿ قال ﴾ [بانيا على ما تقديره - [٣]] : ليس [٤] كلامى لعبا[٤] . بل هو جد ، و هذه التماثيل ليست أربابا ﴿ بل ربكم ﴾ الذى يستحق منكم اختصاصه بالعبادة ﴿ رب السموٰت و الارض ﴾ أى مدبرهن القائم بمصالحهن ﴿ الذى فطرهن ﴾ [٥] أى أوجدهما و[٦] شق بهما[٦] ظلمة[٧] العدم ، و أنتم و تماثيلكم مما[٨] فيهما من مصنوعاته[٩] أنتم تشهدون بذلك إذا رجعتم إلى عقولكم مجردة عن الهوى ﴿ و انا على ذلكم ﴾ الأمر المبين من أنه ربكم وحده فلا تجوز عبادة غيره ﴿ من الشهدين ﴾ [١٠]أى الذين يقدرون[١١] على إقامة الدليل

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) من ظ و مد . و فى الأصل : كلام اعمن (٥) العبارة من هنا إلى « شق بهما » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : سواهما .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .
(٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) العبارة من هنا إلى « إلى الضلال » ساقطة من ظ (١١) من مد ، وفى الأصل : يقررون .

على ما يشهدون به لأنهم لم يشهدوا [1]إلا على[1] ما هو عندهم مثل الشمس، لا كما فعلتم أنتم حين اضطركم السؤال إلى الضلال.

ولما أقام البرهان على إثبات الإله الحق، أتبعه البرهان على إبطال الباطل [فقال -[2]]: ﴿وتالله﴾ [3]وهو قسم. والأصل في القسم الباء الموحدة، والواو بدل منها، والتاء بدل من الواو، وفيها - مع كونها بدلا - زيادة على التأكيد بالتعجب[4]: قال الأصبهاني: كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده انتهى. وفيها أيضا أنها تدل على رجوع التسبب باطنا، وكأنها إشارة إلى أنه بعد[5] أن تسبب في ردهم عن عبادتها ظاهرا بما خاطبهم[6] به، تسبب من ذلك ثانيا [باطنا -[7]] بإفسادها ﴿لأكيدن﴾ [8]أكد لأنه مما ينكر لشدة عسره؛ والكيد: الاحتيال[9] في الضرر ﴿أصنامكم﴾ أي هذه التي عكفتم عليها ناسين الذي خلقكم وإياها، أي لأفعلن بها ما يسوءكم بضرب من الحيلة.

[10]ولما كان عزمه على إيقاع الكيد في جميع الزمان الذي يقع فيه توليهم في أي جزء تيسر له منه، أسقط الجار فقال[10]: ﴿بعد أن تولوا﴾ أي [10]توقعوا التولي[10] عنها. [10]وحقق مراده بقوله[10] ﴿مدبرين﴾

(١-١) من مد، وفي الأصل: الى (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى «بإفسادها» ساقطة من ظ (٤) في مد: بالتعجيب (٥) من مد، وفي الأصل: يبعد (٦) في مد: خالطهم (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى «في الضرر» ساقطة من ظ (٩) من مد وفي الأصل: الاختيار (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.

لأنزلكم من الدليل العقلي على تحقيق الحق إذ لم تكونوا من أهله إلى الدليل الحسي على إبطال الباطل .

و لما كانوا في غاية التعظيم لأصنامهم لرسوخ أقدامهم في الجهل ، لم يقع في أوهامهم قط أن إبراهيم عليه السلام يقدم على ما قال ، و على تقدير إقدامه الذي هو عندهم من[1] قبيل المحال لا يقدر على ذلك ، فتولوا إلى عيدهم ، و قصد هو ما كان عزم عليه فشمر في إنجازه تشميرا يليق بتعليقه[2] اليمين بالاسم الأعظم ﴿ فجعلهم ﴾ [أي -[3]][4] عقب توليهم[4] ﴿ جذذا ﴾ قطعا مهشمة مكسرة مفتتة ، من الجذ و هو القطع ﴿ الا كبيرا ﴾ واحدا ﴿ لهم ﴾ أي للأصنام[5] [4]أو لعبادها[4] فانه لم يكسره و جعل الفاس معه ﴿ لعلهم ﴾ [4] أي أهل الضلال[4] ﴿ اليه ﴾ وحده ﴿ يرجعون ﴾ عند إلزامه لهم بالسؤال فتقوم عليهم الحجة ، إذ لو ترك غيره معه لربما زعموا أن كلا[6] يكل الكلام إلى الآخر عند السؤال لغرض من الأغراض ، فلما عادوا إلى أصنامهم فوجدوها على تلك الحال علم[7] أنه لا بد لهم عند ذلك من أمر هائل ، فاستؤنف[8] الإخبار عنه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ [4]أي أهل الضلال[4] : ﴿ من فعل هذا ﴾[9]

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : في (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : بتعليق .
(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : الاصنام (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : كل (٧) من مد ، و في الأصل : ثم ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى «عنه بقوله» .
(٨) من مد ، و في الأصل : فاستانف (٩) زيد في الأصل بعده : أي ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

الفعل الفاحش ﴿ بالهتنا ﴾ ثم استأنفوا[1] الخبر عن الفاعل فقالوا [2]مؤكدين لعلمهم أن ما أقامه الخليل عليه السلام على بطلانها يميل القلوب إلى اعتقاد أن هذا الفعل حق[2] : ﴿ انه لمن الظلمين ﴾ حيث وضع الإهانة في غير موضعها، فان الآلهة حقها الإكرام ، لا الإهانة و الانتقام ﴿ قالوا ﴾ [3]أي بعضهم لبعض[3] : ﴿ سمعنا ﴾ و لم يريدوا تعظيمه مع شهرته و شهرة ٥ أبيه و عظمتهما فيهم ليجترئ[3] عليه من لا يعرفه فنكروه[4] [بقولهم -[5]] : ﴿ فتى ﴾ [أي -[6]] شابا من الشبان ﴿ يذكرهم ﴾ أي بالنقص و العيب ﴿ يقال له ابرهيم ﴾ [2]يعنون : فهو الذي يظن أنه فعله[2] ﴿ قالوا ﴾ [2]مسببين عن هذا[2] كارهين لأن يأخذوه سرا فيقال : أخذ بغير بينة ، و هم كفرة و هو[7] قد خالفهم في دينهم فالى الله المشتكى من قوم يأخذون أكابر أهل ١٠ دينهم بغير بينة بل و لا ظنة ﴿ فاتوا به ﴾ إلى هنا أي إلى بيت الأصنام ﴿ على اعين الناس ﴾ أي جهرة . و الناس ينظرون [2]إليه نظرا لا خفاء معه حتى[2] كانه ماش على أبصارهم ، [2]متمكنا منها تمكن الراكب على المركوب ، و عبر بالعين عن البصر ليفهم الأكابر . و بجمع القلة لإفادة السياق الكثرة ، فيفيد الأمران قلة ما . لئلا يتوهم من جمع الكثرة جميع ١٥ الناس مطلقا[2] ﴿ لعلهم ﴾ إذا رأوه ﴿ يشهدون ﴾ أي أنه فعل بالآلهة هذا

---

(١) من ظ ومد ، و في الأصل : استانف (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من مد . و في الأصل : ليجترروا (٤) من مد . و في الأصل : فنكره ، و العبارة من « و لم يريدوا » إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من مد .

الفعل ، أو أنه ذكرها بسوء . فيكون ذلك مسوغا لأخذه بذلك ، أو يشهد بفعله بعضهم ، لأن / الشيء إذا حضر كانت[1] أحواله بالذكر أولى منها إذا كان غائبا ، و كان هذا عين ما قصده الخليل عليه السلام أن يبين - في هذا المحفل[2] الذي لا يوجد مثله - ما هم عليه من واضح[3] الجهل المتضمن قلة العقل .

[4]و لما كان إحضاره معلوما أنهم لا يتأخرون عنه ، استأنف اخبار لما يقع التشوف له فقال[4] : ﴿ قالوا ﴾ منكرين عليه [5]مقررين له بعد حضوره على تلك الهيئة[5] : ﴿ ءانت فعلت هٰذا ﴾ الفعل الفاحش ﴿ بـٰالهتنا يـٰابرٰهيم ۝ قال ﴾ متهكما بهم[6] و ملزما بالحجة : ﴿ بل فعله صلے كبيرهم ﴾ غيره من أن يعبد معه من هو دونه ، [7]و هذا على طريق إلزام[8] لحجة ؛ و تقييده بقوله : ﴿ هٰذا ﴾ إشارةً إلى الذي تركه بغير كسر يدل على أنه كان فيهم كبير غيره . و كذا التنكير فيما مضى من قوله " الا كبيرا لهم " و هذا[9] - مع كونه تهكما بهم [7]وكناية عن أنهم لا عقل لهم لعبادتهم من يعلمون أنه لا يقدر على فعل ما[7] - تنبيه على قباحة الشرك ، و أنه لا يرضى به إلـه بل يهلك من عبد غيره و كل ما عبد من دونه إن كان قادرا . غيرة على مقامه العظيم ، و منصبه الجسيم .

و لما أخبرهم بذلك ، و لم يكن أحد رآه حتى يشهد على فعله . و كانوا

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : كانه (٢) بين سطري ظ : المجتمع (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : اوضح (٤-٤) في ظ : فلما احضروه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من مد ، و في الأصل : لهم ، و الكلمة ساقطة من ظ . (٧) العبارة من هنا إلى « الحجة » ساقطة من مد (٨) من ظ ، و في الأصل : الزمام - كذا (٩) بين سطري ظ : أي قوله " بل فعله كبيرهم " .

قد أحلوهم بعبادتهم و وضع الطعام لهم محل من يعقل، سبب[1] عنه أمرهم بسؤالهم فقال: ﴿ فسئلوهم ﴾ [2]أى عن الفاعل ليخبروكم به[2] ﴿ان كانوا ينطقون ۝﴾ على زعمكم أنهم آلهة يضرون و ينفعون، [2]فان قدروا على النطق أمكنت منهم القدرة و إلا فلا[2]، أما سؤال الصحيح فواضح، و أما غيره فكما يسأل الناس من جرح أو قطعت يده أو رجله أو ضرب ٥ وسطه و بقيت فيه بقية من رمق. و إسناده الفعل إلى ما لا يصح إسناده إليه و أمره بسؤاله بعد الإضراب عن فعله[3] متضمن لأنه هو الفاعل.

و لما كان روح الكلام إقراره بالفعل[4] و جعلهم موضع الهزء لأنهم عبدوا ما لا قدرة له على دفاع أصلا، تسبب عنه[3] قوله تعالى الدال على خزيهم[4]: ﴿ فرجعوآ ﴾ [2]أى الكفرة[2] ﴿ الىٓ انفسهم ﴾ ١٠ بمعنى أنهم فكروا فيما قال فاضطرهم الدليل إلى أن تحققوا أنهم على محض الباطل و أن هذه الشرطية الممكنة عقلا غير ممكنة عادة ﴿ فقالوآ ﴾ يخاطب بعضهم بعضا [مؤكدين لأن حالهم يقتضى إنكارهم لظلمهم -[5]]: ﴿ انكم انتم ﴾ خاصة ﴿ الظلمون ۝ ﴾ لكونكم وضعتم العبادة فى غير موضعها، لا إبراهيم فانه أصاب فى إهانتهم سواء المحز و وافق عين الغرض[6]. ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: تسبب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٣) من مد، و فى الأصل: عن (٤) فى الأصل بياض ملأناه من مد، و العبارة من «و لما كان» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد.

[1]و فى أنكم بعد أن عبدتموها و لا قدرة لها تركتموها بلا حافظ[1] .

و لما كان رجوعهم إلى الضلال بعد هذا الإقرار الصحيح الصريح فى غاية البعد[2] ، عبر بأداته مشيرا إلى ذلك فقال : ﴿ ثم نكسوا ﴾ أى انقلبوا [3]فى الحال غير مستحيين مما يلزمهم من الإقرار بالسفه[4] حتى كأنهم

٥ قلبهم قالب لم يمكنهم دفعه ﴿على رءوسهم ج﴾ فصار أعلاهم أسفلهم رجوعهم عن الحق إلى الباطل ، من قولهم : نكس المريض - إذا رجع إلى حاله الأول ، قائلين فى مجادلته عن شركائهم : ﴿ لقد علمت ﴾ يا إبراهيم ! ﴿ ما هؤلاء ﴾ [1]لا صحيحهم و لاجريحهم[1] ﴿ ينطقون ﴾ فكانوا بما فاهوا به ظانين أنه ينفعهم ، ممكنين لإبراهيم عليه السلام من جلائل المقاتل .

١٠ ٥١١ / و لما تسبب / عن قولهم هذا إقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم ، فاتجهت لإبراهيم عليه السلام الحجة عليهم ، [1]استأنف سبحانه الإخبار عنها بقوله[1] : ﴿ قال ﴾ منكرا عليهم موبخا لهم [1]مسببا عن إقرارهم هذا[1] : ﴿ افتعبدون ﴾ و نبههم على أن جميع الرتب تتضاءل دون رتبة الإلهية بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ - [1]أى من أدنى رتبة من تحت رتبة الملك[1] الذى لا ضر و لا نفع إلا بيده

١٥ لاستجماعه[5] صفات الكمال[6] . و لما كانوا فى محل ضرورة بسبب تكسير

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : البصر . (٣) العبارة من هنا إلى « دفعه » ساقطة من ظ (٤) من مد . و فى الأصل : بالسقيم (٥) زيد فى مد : لجميع (٦) العبارة من « لاستجماعه » إلى هنا ساقطة من ظ .

أصنامهم

أصنامهم ، راجين من ينفعهم فى ذلك[1] ، قدم النفع فقال : ﴿ ما لا ينفعكم شيئا ﴾ لترجوه ﴿ و لا يضركم ﴾ شيئا لتخافوه .

[2]و لما أثبت أن معبوداتهم هذه فى حيز العدم ، فكانوا لعبادتها دونها ، استأنف تبكيتهم لذلك بأعلى كلمات التحقير التى لا تقال إلا لما هو غاية فى القذارة فقال[2] : ﴿ اف ﴾ أى تقذر و تحقير منى . [3]و فى الأحقاف[4] ما يتعين ٥ استحضاره هنا ، ثم خص ذلك بهم بقوله : ﴿ لكم و لما تعبدون ﴾ [و لما كانت - [5]] عبادتهم على وجه الإشراك ، [6]و كانت[6] [جميع الرتب تحت رتبته تعالى ، و كانت أصنامهم هذه فى رتب منها سافلة جدا أثبت الجار فقال - [7]] : ﴿ من دون الله ﴾ [2]أى الملك الأعلى[2] لدناءتكم و قذارتكم .

و لما تسبب عن فعلهم هذا وضوح أنه لا يقربه عاقل ، أنكر عليهم ١٠ و بخهم على ترك الفكر[8] تنبيها على أن فساد ما هم عليه يدرك ببديهة العقل فقال : ﴿ ا فلا تعقلون ﴾ أى و أنتم شيوخ قد مرت بكم الدهور و حنكتكم التجارب[9] .

و لما وصل بهم إلى هذا الحد من البيان ، فدحضت حجتهم ، و بان عجزهم ، و ظهر الحق ، و اندفع الباطل ، فانقطعوا انقطاعا فاضحا ، [2]أشار ١٥ سبحانه إلى الإخبار عن ذلك بقوله استئنافا[2] : ﴿ قالوا ﴾ عادلين إلى

---

(١) زيد فى الأصل : اليوم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «هنا» ساقطة من ظ (٤) راجع آية ١٧ . (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) فى ظ : قال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذكر (٩) بهامش ظ : التجارب بكسر الراء جمع تجربة .

العناد و استعمال القوة الحسية : ﴿ حرقوه ﴾ بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه
فعلا هو أعظم مما فعل بآلهتكم ﴿ و انصروا آلهتكم ﴾ التي جعلها جذاذا ؛
[1]و أشار التعبير - بأداة الشك و فعل الكون و اسم الفاعل إلى أن أذاه
لا يسوغ ، و ليس الحامل عليه إلا حيلة غلبت على الفطرة الأولى السليمة
٥ - في قوله[1] : ﴿ ان كنتم فعلين ﴾ أي النصرة لها ، فان النار أهول
المعاقبات[2] و أفظعها ، فهي أزجر لمن يريد مثل هذا الفعل ، و اتركوا
الجدال فانه يورث ضد ما تريدون ، و يؤثر عكس ما تطلبون ، فعزموا
على ذلك فجمعوا الحطب شهرا و وضعوه في جوبة[3] من الأرض [4]أحاطوا
بها جدارا كما[5] في الصافات[6] حتى كان [1]ذلك الحطب[1] كالجبل ، و أضرموا
١٠ فيه النار حتى كان على صفة لم يوجد في الأرض قط مثلها ، حتى أن
كان الطائر ليمر بها في الجو فيحترق[7] ، ثم ألقوه فيها بالمنجنيق فقال :
حسبي الله و نعم الوكيل - أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ،
و لأبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :
لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال : اللهم ! إنك في السماء واحد و أنا
١٥ في الأرض واحد ، عبدك[8] . و قال البغوي[9] : أتاه خازن المياه فقال : إن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : المعاقبات بفتح القاف جمع معاقبة وهي مصدر (٣) أي حفرة (٤) العبارة من هنا إلى « الصافات » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و في الأصل : كل (٦) راجع آية ٩٧ (٧) حسب قول ابن إسحق - راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٤ / ٢٤٣ (٨) في ظ : اعبدك (٩) في المعالم - راجع اللباب ٤ / ٢٤٣ .

أردت أخمدت النار، و أتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة [لي -[1]] إليكم / " حسبي الله و نعم الوكيل ". فأراد الله الذي له القوة جميعا سلامته منها، فعبر عن ذلك بقوله سبحانه [2]استئنافا لجواب من زاد تشوفه إلى ما كان من[3] أمره بعد الإلقاء فيها: ﴿ قلنا ﴾ [4]أي بعظمتنا[4] ﴿ ينار كوني ﴾ بارادتنا التي لا يتخلف عنها مراد ﴿ بردا ﴾. و لما كان البرد قد يكون ضارا قال: ﴿ و سلما ﴾ فكانت كذلك، فلم تحرق[5] [منه -[6]] إلا وثاقه[7].

و لما كان المراد اختصاصه عليه السلام بهذا قيده به، و لما كان المراد حياته و لا بد، عبر بحرف الاستعلاء فقال: ﴿ على ابراهيم ﴾ أي فكان ما أردنا من سلامته، و روى البغوي[8] من طريق البخاري عن أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بقتل الوزغ و قال: كان ينفخ [النار -[9]] على إبراهيم. و قال ابن كثير: و قال ابن [أبي -[6]] حاتم: حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب [ثنا عمي -[6]] عن جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال: حدثتني مولاة الفاكه ابن المغيرة المخزومي قالت[10]: دخلت على عائشة رضي الله عنها فرأيت في

(١) زيد من ظ و مد و المعالم (٢) العبارة من هنا إلى «الإلقاء فيها» ساقطة من ظ.
(٣) من مد، و في الأصل: عن (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد، و في الأصل: فلم تحر - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) حسب ما قال كعب - راجع المعالم (٨) راجع المعالم على هامش اللباب ٤ / ٢٤٣ (٩) زيد من المعالم (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: قال.

بيتها رمحا فقلت : يا أم المؤمنين ! ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت : نقتل [1] به هذه [1] الأوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا تطفىء عنه غير الوزغ ، فانه كان ينفخ على إبراهيم فأمرنا رسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم بقتلة .

[2] و لما قدم ما نبه على شدة الاهتمام به [لافهامه - [3]] أنه حكم بسلامته من كيدهم عند همهم به فكيف بما بعده ! قال عاطفا على ما تقديره : فألقوه فيها : ﴿ و ارادوا به كيدا ﴾ [أى مكرا باضراره - [3]] بالنار و بعد خروجه منها ﴿ فجعلنهم ﴾ [أى - [3]] [4] بما لنا من الجلال [4] .

١٠ [و لما كانوا قد أرادوا بما صنعوا له من العذاب أن يكون أسفل منهم أهل ذلك الجمع ، و كان السياق لتحقيق أمر الساعة الذى هو مقصود السورة ، و كان الصائر إليها المفرط فيها بالتكذيب بها قد خسر خسارة لا جبر لها لفوات محل الاستدراك ، قال - [3]] : ﴿ الاخسرين ﴾ لأن فضيحتهم فى الدنيا الموجبة للعذاب فى الأخرى كانت بنفس فعلهم الذى ١٥ كادوه به . و لم يذكر سبحانه شعيبا عليه السلام مع أنه سخر له النار فى يوم الظلة فأحرقت من عصاه ، لأن فعل النار بقومه كان على ما هو المعهود من أمرها بخلاف فعلها مع إبراهيم عليه السلام ، فانه على خلاف

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذه (٢) العبارة من هنا إلى « فألقوه فيها » ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

المعتاد ، [1]و قد وقع مثل هذا[2] لبعض أتباع نبينا[3] صلى الله عليه و سلم ، و هو أبو مسلم الخولانى ، طلبه الأسود العنسى لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال[4] : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ! فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائما يصلى فيها و قد صارت عليه بردا وسلاما ، و قدم المدينة بعد موت النبى صلى الله عليه و سلم فأجلسه ٥ عمر بينه و بين أبى بكر رضى الله عنهما و قال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى من أمة محمد صلى الله عليه و سلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله.

و لما كان إنجاؤه - و هو وحده ـ ممن أرادوا به هذا[5] الأمر العظيم من العجائب فكيف إذا انضم إليه غيره ، و لم يكن فى ذلك الغير آية تمنعهم [عنه ـ[6]] كما كان فى إبراهيم عليه السلام ، قال : ﴿ و نجينه ﴾ ١٠ [7]أى بعظمتنا[7] ﴿ و لوطا ﴾ [أى ـ[6]] ابن أخيه و صديقه لكونه آمن به[8] و صدقه، من[9] بلادهما كوثى بلاد[10] العراق ، منتهيين إلى الأرض المقدسة ، و لعله عبر بالى الدالة على تضمين / "انتهى" للدلالة على أن هناك غاية طويلة ، /٥١٣ فانهما خرجا من كوثى[11] من [7]أرض العراق[7] إلى حران ثم [12]من حران[12]

(١) العبارة من هنا إلى «خليل الله» ساقطة من ظ (٢) راجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٢/٦٨٦ (٣) من مد ، و فى الأصل : النبى (٤) من مد و الاستيعاب ، و فى الأصل : فقال (٥) فى ظ : بهذا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل : اه (٩) فى ظ : فى (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) بهامش ظ : قوله « فانهما خرجا من كوثى » فيه نظر ، فان القرطبي نقل فى تفسيره عن القاضى أبى بكر ابن الفسوى ما نصه : لقد دخلت ضيفا على ألف قرية فما رأيت نساءا أصون عينا ولا أعف فما من نساء نابلس التى رمى بها الخليل عليه السلام ـ إلى آخره ، فطالع ذلك إن أردته ـ و الله الموفق . (١٢ ـ ١٢) سقط ما بين الرقمين من مد .

﴿ الى الارض ﴾ المقدسة ﴿ التى بٰركنا فيها ﴾ بأن ملأناها من
الخيرات الدنيوية و الأخروية [1]بما فيها من المياه التى بها حياة كل شيء
من الأشجار و الزروع[2] و غيرها ، و ما ظهر منها من الأنبياء عليهم السلام
الذين ملأوا الأرض نورا ﴿ للعٰلمين ﴾ كما أنجيناك انت يا أشرف أولاده
٥ و صديقك أبا بكر رضى الله عنه إلى طيبة التى شرفناها بك، و بثثنا من
أنوارها فى أرجاء الأرض و أقطارها ما [لم -[3]] نبث مثله قط ، و باركنا
فيها للعالمين . بالخلفاء الراشدين و غيرهم من العلماء و الصالحين ، الذين
انبثت خيراتهم العلمية و العملية و المالية فى جميع الأقطار .

و لما أولد له فى حال شيخوخته و عجز امرأته مع كونها عقيما ،
١٠ و كان ذلك دالا عـلى الاقتدار على البعث الذى السياق كله له ، قال :
﴿ و وهبنا ﴾ دالا على ذلك بنون العظمة ﴿ له اسحٰق ﴾ أى من شبه
العدم ، و ترك شرح حاله لتقدمه ، أى فكان ذلك دالا[4] على اقتدارنا
على ما نريد لاسيما من إعادة الخلق فى يوم الحساب ؛ و لما كان قد يظن أنه
- لتولده بين شيخ فان و عجوز مع يأسها عقيم - كان على حالة من الضعف ،
١٥ لا يولد لمثله معها ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و يعقوب نافلة ﴾ أى [5]ولد إسحاق[5]
[6]زيادة على ما دعا به إبراهيم عليهما السلام[6] ؛ ثم نمى سبحانه أولاد يعقوب
- و هو إسرائيل - و ذرياتهم إلى أن ساموا النجوم عدة ، و باروا الجبال شدة
﴿ و كلا ﴾ من هؤلاء الأربعة ؛ [6]و عظم رتبتهم بقوله[6]: ﴿ جعلنا صٰلحين ﴾

---

(١) العبارة من هنا إلى « نورا » ساقطة من ظ (٢) فى مد : الزرع (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد : دليلا (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ولدا لاسحاق (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى مهيئين - لطاعتهم لله - لكل ما يريدونه أو يرادون له أو يراد منهم ، وهذا إشارة إلى أن العاصى هالك ، لا يصلح لشىء وإن طال عمره ، واشتد أمره ، لأن العبرة بالعاقبة .

ولما ذكر انه أعطاهم رتبة الصلاح فى أنفسهم ، ذكر أنه أعطاهم رتبة الإصلاح لغيرهم ، فقال [1]معظما لإمامتهم[1] : ﴿ وجعلنهم ائمة ﴾ ٥ أى أعلاما ومقاصد يقتدى بهم [1]فى الدين بما أعطاهم من النبوة[1] . ولما كان الإمام قد يدعو إلى الردى ، ويصد عن الهدى ، إذا[2] كانت إمامته ظاهرة لا يصحبها صلاح باطن ، احترز عن ذلك بقوله : ﴿ يهدون ﴾ أى يدعون إلينا من وفقناه للهداية ﴿ بامرنا ﴾ وهو الروح الذى هو العمل المؤسس على العلم باخبار الملائكة به [عنا - [3]] ، ولإفهام ذلك عطف عليه ١٠ قوله [5]معظما لوحيه[5] [إليهم - [4]] : ﴿ [5]واوحينآ[5] اليهم ﴾ [أى - [3]] أيضا ﴿ فعل ﴾ [1]أى أن يفعلوا[1] ﴿ الخيرٰت ﴾ كلها [6]وهى شرائع الدين[7] ، ولعله عبر بالفعل دلالة على أنهم امتثلوا [كل - [3]] ما أوحى إليهم .

ولما كانت الصلاة أم الخيرات ، خصها بالذكر فقال : ﴿ واقام الصلوٰة ﴾ [1]قال الزجاج : الإضافة عوض عن تاء التأنيث[1] . ١٥ [يعنى فيكون من الغالب لا من القليل - [4]] ، [8]وكان سر الحذف تعظيم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : اذ . (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من مد (٥-٥) تقدم فى الأصل على « معظما » والترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى « أوحى إليهم » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل : النبوة (٨) العبارة من هنا إلى « الظن بصلاتنا » وقعت وفى الأصل بعد " ايتاء الزكوٰة " والترتيب من مد ، وسقطت من ظ .

الصلاة لأنها مع نقصها عن صلاتنا - [لما أشار إليه الحذف - [1]] - بهذه المنزلة من العظمة فما الظن بصلاتنا .

[2] و لما كانت الصلاة بين العبد و الحق، وكان روحها الإعراض عن كل فان ، عطف عليها قوله[2] : ﴿ و ايتآء الزكوٰة ج ﴾ [أى التى هى مع كونها إحسانا إلى الخلق بما دعت الصلاة إلى الانسلاخ عنه من الدنيا ، فعلوا ما أوحيناه إليهم - [3]] ﴿ وكانوا لنا ﴾ دائما / [4] جبلة و طبعا [4] ﴿ عٰبدين ج ﴾ أى فاعلين لكل ما يأمرون به غيرهم ، فعل العبد مع مولاه من كل ما يجب له من الخدمة ، ويحق له من التعظيم و الحرمة .

/٥١٤

و لما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السلام إهلاك من عصاه فى أول الأمر بحجارة الكبريت التى هى من النار ، و فى آخره بالماء الذى هو أقوى من النار ، تلاه به فقال : ﴿ و لوطا ﴾ [4] أى و [5] اتينا [5] أو [5] و اذكر لوطا ؛ [4] ثم استأنف قوله : ﴿ اتينٰه ﴾ [4] أى بعظمتنا [4] ﴿ حكما ﴾ أى نبوة [6] [و [6] عملا محكما بالعلم - [3]] ﴿ و علما ﴾ [7] مزينا بالعمل ﴿ و نجينٰه ﴾ [4] بانفرادنا بالعظمة .

و لما كانت مادة " قرا " تدل على الجمع ، قال [4] : ﴿ من القرية ﴾ [8] المسماة سدوم ، [أى من عذابهم و جميع شرورهم ، و أفرد تنبيها على عمومها بالقلع و القلب و أنه كان فى غاية السهولة و السرعة - [1]] ، و [6] قال

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل " وكانوا لنا " و الترتيب من ظ و مد (٣) زيد من ظ ومد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى الأصل : وعملا محكما بالعمل . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : أى . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

أبو

أبو حيان[1]: وكانت سبعا، عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة . ﴿ التى كانت ﴾ قبل إنجائنا له منها ﴿ تعمل الخبٰئث[4] ﴾ بالذكران ، [3]و غير ذلك من الطغيان[2] . فاستحقوا النار التى هى أمر المؤلمات ، بما ارتكبوا من الشهوة المحظورة لعدم لها أحلى[3] الملذذات . و الغمر بالماء القذر المنتن الذى جعلناه - مع أنا جعلنا من الماء كل شيء حى - ٥ لا يعيش فيه حيوان . فضلا عن أن يتولد منه ، و لا ينتفع به ، لما خامروا من القذر الذى لا ثمرة له .

و لما كان فى هذا إشارة إلى إهلاك القرية ، و أن التقدير : و دمرنا عليهم بعد انفصاله عنهم . علله بقوله : ﴿ انهم كانوا ﴾ [2]أى بما جبلوا عليه[2] ﴿ قوم سوء ﴾ [2]أى ذوى قدرة على الشر[2] بانهماكهم فى الأعمال ١٠ السيئة ﴿ فسقين ﴾ خارجين من كل خير ، ثم زاد الإشارة وضوحا بقوله : ﴿ و ادخلنه ﴾ أى دونهم بعظمتنا[4] ﴿ فى رحمتنا[4] ﴾ أى فى الأحوال السنية ، و الأقوال العلية ، و الأفعال الزكية . التى هى سبب للرحمة العظمى[4] و مسببة عنها ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه من الصلحين ﴾ [أى -[5]] لما جبلناه عليه من الخير . ١٥

و لما أتم سبحانه قصة لوط المناسبة لقصة الخليل عليهما السلام بحجارة الكبريت ، و لقصة نوح عليه السلام بالماء الذى غمرت به قراه السبع ، أتبع ذلك قصة نوح عليه السلام الذى سخر له [من -[5]] الماء ما لم يسخره

---

(١) راجع البحر المحيط ٦/٣٢٩ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد .

لغيره [١]لغمره بجميع[١] الارض دانيها و قاصيها، واطيها و عاليها، فقال : ﴿ و نوحا اذ ﴾ [٢]أى اذكره حين[٢] ﴿ نادىٰ ﴾ أى[٣] دعا ربه " انى مغلوب فانتصر " "[٢]و لا تذر على الارض من الكٰفرين ديارا[٢] " و نحوه من الدعاء.

[٤]و لما كان دعاؤه لم يستغرق الأزمنة الماضية، أثبت الجار فقال[٤] :

٥ ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل لوط و من تقدمه ﴿ فاستجبنا ﴾ [٢]أى أردنا الإجابة و أوجدناها بعظمتنا[٢] ﴿ له ﴾ فى[٥] ذلك النداء؛ [ثم سبب عن ذلك قوله - [٦]] : ﴿ فنجينٰه ﴾ [أى بعظمتنا تنجية عظيمة - [٦]] ﴿ و اهله ﴾ الذين أدام ثباتهم على الإسلام و صلتهم به ﴿ من الكرب العظيم ﴾ من الأذى و الغرق؛ قال أبو حيان[٧] : و الكرب : أقصى الغم، و الأخذ

١٠ بالنفس، و هو هنا الغرق، عبر عنه بأول أحوال ما يأخذ الغريق. ﴿ و نصرنٰه ﴾ أى [٨]مخلصين له و مانعين[٨] [و منتقمين -[٦]] ﴿ من القوم ﴾ [٢]أى المتصفين بالقوة[٢] ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى أوقعوا التكذيب له ﴿ بٰايٰتنا ﴾ أى بسبب إتيانه بها.[٢]و هى من العظمة على أمر لا يخفى[٢].

و لما كان التقدير : ثم أهلكناهم، علله بقوله : ﴿ انهم كانوا قوم سوء ﴾

١٥ لا عمل لهم إلا ما يسوء ﴿ فاغرقنٰهم ﴾ [١]أى بعظمتنا التى أتت عليهم كلهم[١] ﴿ اجمعين ﴾ / حتى من قطع[٩] الكفر بين نوح عليه السلام و بينه /٥١٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل : يغمرن بجميع (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن " ذلك النداء " والترتيب من مد. و سقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد. (٧) راجع البحر المحيط ٦ / ٣٣٠ (٨-٨) فى ظ : خلصناه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : يقطع.

من أهله فصار لايعد من أهله، لاختلاف الانتساب بالدين.

و لما كان ربما قيل: لم قدم إبراهيم و من معه على نوح و هو أبوهم و من أولى العزم، و موسى و هارون على إبراهيم و هو كذلك، أشار بقصة داود و سليمان - على[1] جميعهم الصلاة و السلام - إلى أنه ربما يفضل الابن الأب فى أمر، فربما قدم لأجله و إن كان لايلزم منه ٥ تقديمه مطلقا، مع ما فيها من أمر الحرث[2] الذى هو أنسب شىء لما بعد غيض الماء فى قصة نوح عليه السلام. هـذا فى أوله و أما فى آخره [3]فما يثبته[3] مثال للدنيا فى بهجتها و غرورها. و انقراضها[4] و مرورها، و من تصريف داود عليه السلام فى الجبال و هى أشد التراب الذى هو أقوى من الماء، و فى الحديد و هو[5] أقوى تراب[6] الجبال. و سليمان عليه السلام ١٠ فى الريح و هى[7] أقوى من التراب فقال: ﴿و داود﴾ [أى أول من ملك ابنه من أنبياء بنى إسرائيل -[8]] ﴿و سليمن﴾ ابنه. أى[9] اذكرهما [10]و اذكر شأنهما[10] ﴿اذ﴾ [أى حين -[8]] ﴿يحكمن فى الحرث﴾ الذى أنبت الزرع، و هو من إطلاق اسم السبب على المسبب كالسماء على المطر و النبت، [11]قيل: كان ذلك كرما، و قيل: زرعا[11] ﴿اذ نفشت﴾ ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عليهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الحرب.
(٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تنبيه - كذا (٤) زيد فى الأصل: و غرورها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: هى.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اتراب (٧) من مد. و فى الأصل و ظ: هو.
(٨) زيد من مد (٩) سقط من مد (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(١١ - ١١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد.

أي انتشرت ليلا بغير راع ﴿فيه غنم القوم ج﴾ الذين لهم قوة على حفظها فرعته ؛ قال قتادة : النفش بالليل ، و الهمل[1] بالنهار . ﴿و كنا﴾ [2] أي بعظمتنا التي لا تقر على خلاف الأولى في شرع من الشروع[2] ﴿لحكمهم﴾ أي الحكمين و المتحاكمين إليهما ﴿شهدين قلى﴾ لم يغب عنا ذلك و لا شيء

٥ من أمرهم هذا و لا غيره . فلذلك غيرنا على داود عليه السلام تلك الحكومة مع كونه وليا[3] و هو مأجور في اجتهاده [لأن الأولى خلافها ، فانه حكم بأن يتملك صاحب الحرث الغنم بما أفسدت من الكرم . فكأنه رأى قيمة الغنم قيمة ما أفسدت - [4]] ﴿ففهمنها﴾ [5] أي الحكومة [5] [بما لنا من العلم الشامل و القدرة الكاملة على رفع من نشاء - [4]]

١٠ ﴿سليمن ج﴾ [6] فقال : تسلم الغنم [6] لصاحب الكرم[6] ليرتفق بلبنها و نسلها و صوفها و منافعها ، و يعمل صاحبها في الكرم حتى يعود كما كان فيأخذ حرثه ، و[7] ترد الغنم إلى صاحبها ، و هذا أرفق بهما . و هذا أدل دليل على ما تقدمت الإشارة إليه عند " قل ربي يعلم القول " ، و " كنا به علمين اذ قال لابيه " و فيه رد عليهم في غيظهم من النبي صلى الله

(١) من ظ و مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٤٦ ، و في الأصل : المهمل .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : وليا .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى « أرفق بهما » ساقطة من ظ (٦-٦) وقع ما بين الرقمين في الأصل مكررا فحذفناها (٧) من مد ، و في الأصل : ثم .

عليه

عليه و سلم فى تسفيه الآباء و الرد عليهم كما فى قصه إبراهيم عليه السلام لأنه ليس بمستنكر أن يفضل الابن أباه و لو فى شيء ، [و الآية تدل على أن الحكم ينقض بالاجتهاد إذا ظهر ما هو أقوى منه - ١] .

و لما كان ذلك ربما أوهم شيئا فى أمر داود عليه السلام ، نفاه بقوله [٢] دالا على أنهما على الصواب فى الاجتهاد [٢] و إن كان المصيب فى الحكم ٥ إنما هو أحدهما : ﴿ و كلا ﴾ [٣] أى منهما [٣] ﴿ اتينا ﴾ [٢] بما لنا من العظمة [٢] ﴿ حكما ﴾ أى [نبوة - ١] و [٤] عملا مؤسسا على حكمة العلم ، [و هذا معنى ما قالوه فى قول النبى صلى الله عليه و سلم : إن من الشعر حكما [٥] - أى قولا صادقا مطابقا للحق - ١] ﴿ و علما ﴾ مؤيدا بصالح العمل ، [٦] و عن الحسن [٧] رحمه الله : لولا هذه الآية لرأيت القضاة قد هلكوا ، ١٠ و لكنه أثنى على سليمان عليه السلام بصوابه ، و عذر داود عليه السلام باجتهاده - انتهى . و أتبعه من الخوارق [٨] ما يشهد له [٨] [بالتقدم و الفضل - ١] فقال : ﴿ و سخرنا ﴾ [٢] أى بعظمتنا التى لا يعيبها شيء [٢] .

و لما كان هذا الخارق فى التنزيه ، لم يعد الفعل باللام زيادة فى

---

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) من مد ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ ، و فى الأصل : لا فى الحكم (٤) سقطت الواو من ظ (٥) راجع مسند الإمام أحمد ١/٢٦٩ (٦) العبارة من هنا إلى « انتهى » ساقطة من ظ (٧) من مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٤٦ ، و فى الأصل : يحيى . (٨-٨) ما بين الرقمين تقدم فى الأصل على « من الخوارق » و الترتيب من ظ و مد .

التنزيه و إبعادا عما ربما أوهم غيره فقال [١]مقدما ما هو أدل على القدرة في ذلك لأنه أبعد عن النطق[١] : ﴿مع داود الجبال﴾ أي التي هي أقوى من الحرث ، [٢]حال كونهن[٢] ﴿يسبحن﴾ معه ، و لو شئنا لجعلنا الحرث أو الغنم يكلمه بصواب الحكم . / و لم يذكر ناقة صالح لأنها مقترحة موجبة ٥١٦ /
٥ لعذاب الاستئصال ، فلم يناسب ذكرها هنا ، لما أشار إليه قوله تعالى "لقد انزلنا اليكم كتبا فيه ذكركم" ، « و ما ارسلنك الا رحمة للعلمين » و هذه الآيات التي ذكرت هنا ليس فيها شيء مقترح ﴿و الطير ط﴾ التي سخرنا[٣] لها الريح التي هي اقوى من الجبال [و-[٣]] أكثر سكناها الجبال ، سخرناها معه تسبح ﴿و كنا فعلين ه﴾ اى من شأننا الفعل لأمثال[٤] هذه
١٠ الأفاعيل ، و لكل شيء نريده [١]بما لنا من العظمة المحيطة[١] . فلا تستكثروا علينا أمرا و إن كان عندكم عجبا ، [٥]و قد اتفق نحو هذا لغير واحد من هذه الأمة . كان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه ابنتـه[٦] ، هذا مع أن الطعام كان يسبح بحضرة النبي صلى الله عليه و سلم و الحصى و غيره .

١٥ و لما ذكر التسخير بالتسبيح . أشار إلى تسخير الحديد الذي هو

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : سخرناها .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الامثال (٥) العبارة من هنا إلى « الحصى و غيره » ساقطة من ظ (٦) و في الإصابة : ابنة ابنته - راجع ترجمة مطرف في القسم الثاني من حرف الميم .

أقوى تراب الجبال و أصله و أصفاه[1] فقال: ﴿و علمنه﴾ [أى بعظمتنا -[2]] ﴿صنعة لبوس﴾ قال البغوى[3]: و هو فى اللغة اسم[4] لكل ما[4] يلبس و يستعمل فى الأسلحة كلها. و هو كالجلوس[5] و الركوب. ﴿لكم[6]﴾ أى لتلبسوه فى حربكم، و ألناله فى عمله الحديد ليجتمع له إلى العلم سهولة العمل فيأتى كما يريد ﴿لتحصنكم﴾ أى[7] اللبوس أو داود أو الله[8] على ٥ قراءة الجماعة[9] فى حصن مانع، و هو معنى قراءة النون[10] الدال على مقام العظمة عند أبى بكر عن عاصم و رويس عن يعقوب، و قراءة أبى جعفر و ابن عامر و حفص بالفوقانية للدروع نظرا إلى الجنس[10] ﴿من باسكم﴾ الكائن مما يحصل من بعضكم لبعض من شدائد الحرب لا من البأس كله ﴿فهل انتم شاكرون ه﴾ لنا على ذلك لتوحدونا[11] و تؤمنوا بأنبيائنا؛ قال ١٠ البغوى[3]: قال قتادة: أول من صنع الدروع و سردها[12] و حلقها داود عليه السلام، و كانت من قبل صفائح. و الدرع[13] يجمع الخفة و الحصانة[14].

و لما كان قد سخر لابنه سليمان عليه السلام الريح التى هى أقوى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اصفا (٢) زيد من مد (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٤٧ (٤-٤) من ظ و مد و المعالم. و فى الأصل: لما (٥) من المعالم، و فى النسخ: كالخلوب (٦) تكرر فى الأصل فقط بعد "صنعة لبوس".
(٧) سقط من ظ (٨) العبارة من هنا إلى «مانع» ساقطة من ظ (٩) بالياء - راجع نثر المرجان ٤/٤١٦ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ: لتوحدنا.
(١٢) بهامش ظ: السرد: الخرز فى الأديم و الثقب و نسج الدرع و اسم جامع للدروع و سائر الحلق (١٣) من ظ و مد و المعالم. و فى الأصل: الدروع.
(١٤) فى ظ: الحصافة. و بهامشه: الحصافة: الإحكام.

من بقية العناصر قال : ﴿ و لسليمن ﴾ معبرا باللام لأنها كانت تحت أمره لنفعه و لا إبهام فى العبارة ﴿ الريح ﴾ قال البغوى[1] : و هى جسم لطيف يمتنع[2] بلطفه من القبض[3] عليه ، و يظهر للحس بحركته ، وكان سليمان عليه السلام يأمر بالخشب فيضرب له ، فاذا حمل عليه ما يريد من الدواب ، الناس و آلة الحرب أمر العاصفة فدخلت تحت الخشب فاحتملته ٥ حتى إذا استقلت به أمر الرخاء تمر به شهرا فى غدوته و شهرا فى روحته - انتهى ملخصا . فكان الريحان مسخرتين له ، و لكن لما كان السياق هنا لبيان الإقدار على الأفعال الغريبة الهائلة ، قال : ﴿ عاصفة ﴾ أى شديدة الهبوب ، هذا باعتبار عملها ، و وصفت بالرخاء باعتبار لطفها بهم فلا ١٠ يجدون لها مشقة[3] ﴿ تجرى بامرة ﴾ إذا أمرها غادية و رائحة ذاهبة[4] إلى حيث أراد[4] و عائدة على[5] حسب ما يريد ، آية فى آية .

/ ٥١٧ و لما كان قد علم مما مضى من القرآن لحامله المعتنى / بتفهم[6] معانيه ، و معرفة أخبار من ذكر فيه ، أنه[7] من بنى إسراءيل ، و أن قراره بالأرض المقدسة فكان من المعلوم أنه يجريها إلى غيره[8] . و كان الحامل إلى مكان ربما ١٥ تعذر عوده مع[9] المحمول ، عبر بحرف الغاية ذاكرا محل القرار دلالة على أنها

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٤/٢٤٨ (٢ - ٢) من المعالم ، و فى النسخ : من لطفه بالقبض (٣) من مد ، و فى الأصل : شفة ، و العبارة من « هذا باعتبار » إلى هنا ساقطة من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : الى ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «أياما فقال» ص ٤٥٩ س ١ (٦) من مد ، وفى الأصل : فيفهم (٧) من مد ، وفى الأصل : اية . (٨) من مد ، و فى الأصل : غيرها (٩) من مد ، و فى الأصل : من .

كا

-كما تحمله ذهابا إلى حيث أراد من قاص و دان - تحمله إلى قراره أياما فقال: ﴿الى الارض التى بٰركنا﴾ [1]أى بعزتنا[1] ﴿فيها ط﴾ و هى الشام ﴿وكنا﴾ [1]أى أزلا و أبدا باحاطة العظمة[1] ﴿بكل شىء﴾ من هذا و غيره [1]من أمره و غيره[1] ﴿علمين﴾ فكنا على كل شىء قادرين، فلولا رضانا به لغيرناه عليه كما غيرنا[2] على من قدمنا أمورهم، و هذا من طراز "قل ربى يعلم ٥ القول" كما مضى. و تسخير الريح [له - [3]] كما سخرت للنبى صلى الله عليه و سلم ليالى الأحزاب. قال حذيفة رضى الله عنه: حتى كانت تقذفهم بالحجارة، ما تجاوز عسكرهم. فهزمهم الله بها و ردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا. [4]و أعم من جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام أنه أعطى صلى الله عليه و سلم التصرف فى العالم العلوى الذى جعل سبحانه منه الفيض على العالم السفلى ١٠ بالاختراق لطباقه بالإسراء تارة، و بامساك المطر لما دعا بسبع كسبع[5] يوسف، و بارساله أخرى كما فى أحاديث كثيرة، و أتى مع ذلك بمفاتيح خزائن الأرض كلها فردها صلى الله عليه و سلم.

و لما ذكر تسخير الريح له، ذكر انه سخر له ما اغلب عناصره النار و الريح للعمل فى الماء، مقابلة لارتفاع الحمل فى الهواء باستفال[6] الغوص فى الماء فقال: ١٥ ﴿ومن﴾ أى و سخرنا له من ﴿الشيٰطين﴾ الذين هم أكثر شىء تمردا و عتوا،

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد: غير (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) العبارة من هنا إلى « فردها صلى الله عليه و سلم » ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: كسنى، و الحديث رواه البخارى فى الدعوات و الترمذى فى التفسير، و قد مر التعليق عليه (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: باشتغال.

و ألطف شيء أجساما ﴿من﴾ ١ عبر بالجمع لأنه ادل على عظم التصرف فقال١: ﴿يغوصون له﴾ في المياه لما يأمرهم به من استخراج الجواهر و غيرها من المنافع. و ذلك بأن أكثفنا أجسامهم مع لطافتها لتقبل الغوص في الماء معجزة في معجزة، [و قد خنق نبينا صلى الله عليه و سلم العفريت الذي جاءه
٥ بشهاب من نار و أسر جماعة من أصحابه رضي الله عنهم عفاريت أتوا إلى تمر الصدقة٢ و أمكنهم الله منهم - ٣] ﴿٤ و يعملون عملا﴾ ٤ أي عظيما جدا٤.

٥ و لما كان إقدارهم على الغوص أعلى [ما - ٣] يكون في أمرهم، و كان المراد استغراق إقدارهم على ما هو أدنى من ذلك مما يريده منهم،
١٠ نزع٦ الجار فقال: ﴿دون ذلك﴾ ١ أي تحت هذا الأمر العظيم أو غيره١ من بناء ما يريد، و اصطناع ما يشاء، ١ من الصنائع العجيبة و الآثار الغريبة١، و في ذلك تسخير الماء و التراب بواسطة الشياطين. فقد ختم - عند انتهاء الإشارة إلى تسخير العناصر - بمن٧ سخر له العناصر الأربعة كما ابتدأ بذلك ﴿و كنا﴾ أي بعظمتنا التي تغلب كل شيء
١٥ ﴿لهم حافظين﴾ أي من أن يعملوا غير ما نريد، و لم يذكر هودا عليه السلام هنا، إن كان قد سخر له الريح، لأن عملها له كان على مقتضى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و عده لأحاديث من الشهرة بحيث تغنينا عن التعليق عليها (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «الجار فقال» و الترتيب من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «الجار فقال» ساقطة من ظ (٦) من مد، و في الأصل: نزع (٧) من ظ و مد، و في الأصل: بمن.

العادة فى التدمير[1] و الأذى عند عصوفها[2]، و إن كان خارقا بقوته. و التى[2] لسليمان عليه السلام للنجاة و المنافع. هذا مع تكررها فأمرها أظهر[3]. و فعلها أزكى و أطهر

و لما اتم سبحانه ذكر من سخر لهم العناصر الأربعة التى منها الحيوان[4] المحتوم ببعثه [تحقيقا - ٥] لذلك، ذكر بعدهم من وقع له أمر من الخوارق يدل على ذلك. إما بإعادة أو حفظ أو ابتداء. و بداهم بمن أعاد[6] له ما كان اعدمه من أهل و مال. و سخر له عنصر الماء فى إعادة لحمه و جلده، لأن الإعادة هى المقصودة بالذات فى هذه السورة فقال: ﴿ و ايوب ﴾ [7] أى و اذكر أيوب. قالوا: / و هو ابن أموص[8] بن روم ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. و كان صاحب البثنية[9] من بلاد الشام. و كان الله قد بسط عليه الدنيا فشكره[10] سبحانه ثم ابتلاه [فصبر - ٥] ﴿ إذ نادى ربه ﴾ أى المحسن إليه فى عافيته و ضره بما آتاه[1] من صبره ﴿ انى مسنى الضر ﴾ بتسليطك الشيطان على فى بدنى و اهلى و مالى و قد طمع الآن فى دينى. و ذلك انه زين لامراة أيوب

/ ٥٠٨

١٠

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: التدبير (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اذكر (٤) العبارة من هنا إلى «على ذلك» ساقطة من مد (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الاصل: اعاد (٧) العبارة من هنا إلى «ثم ابتلاه» ساقطة من ظ (٨) من مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ٤ / ٢٤٩، و فى الأصل: موص، و زيد فى المعالم: بن تارخ (٩) راجع معجم البلدان ... (١٠) من مد، و فى الأصل: لشكره (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اتقاه.

عليه السلام ان تامره[1] أن يذبح لصنم[2] فانه يبرأ ثم يتوب ، ففطن لذلك و حلف : ليضربنها إن برأ . و جزع من ذلك . [3]و الشكوى إلى الله تعالى ليست من الجزع فلا تنافى الصبر ، و قال سفيان بن عيينة : و لا من شكا [إلى -[4]] الناس و هو فى شكواه راض بقضاء الله تعالى .

٥ ﴿ و انت ﴾ أى و الحال أنك أنت ﴿ارحم الرّحمين ﴾ فافعل بى ما يفعل الرحمان بالمضرور . [5]و هذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب[6] الرحمة ، و ربّه بأبلغ صفاتها و لم يصرح ، فكان ذلك ألطف فى السؤال ، فهو أجدر بالنوال ﴿ فاستجبنا له ﴾ [7]أى أوجدنا إجابته إيجاد من هو شأنه طالب لها بسبب ندائه[7] . هذا بعظمتنا فى قدرتنا على

١٠ الأمور الهائلة ، [8]و سبب عن ذلك قوله[8] : ﴿ فكشفنا ﴾ [8]أى بما لنا من العظمة[8] ﴿ ما به من ضر ﴾ بأن أمرناه أن يركض برجله ، فتنبع له عين من ماء ، فيغتسل فيها ، فينبت لحمه و جلده أحسن ما كان و أصحه [8]و دل على تعاظم هذا الأمر بقوله[8] : ﴿ و اتينه اهله ﴾ [8]أى أولاده و ما تبعهم من حشمه[8] ، أحييناهم له بعد أن كانوا ماتوا ﴿ و مثلهم ﴾

١٥ أى و أوجدنا له مثلهم [9]فى الدنيا ، فان[9] قوله : ﴿ معهم ﴾ يدل على

(١) زيد فى الأصل : لى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لغم (٣) العبارة من هنا إلى « بقضاء الله تعالى » ساقطة من ظ (٤) زيد من مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٥٥ (٥) العبارة من هنا إلى « بالنوال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : يوجبه (٧-٧) فى ظ : نداءه (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩-٩) ما بين الرقمين فى ظ « و » .

أنهم وجدوا عند[1] وجدان الأهل ، حال دون ذلك الكشف و الإيتاء ﴿رحمة﴾ أى نعمة عظيمة تدل على شرفه بما من شأنه العطف و التحنن ، و هو من تسمية المسبب[2] باسم السبب[3] ، و فخمها بقوله : ﴿من عندنا﴾ بحيث لا يشك من ينظر ذلك أنا ما فعلناه إلا رحمة منا له و أن غيرنا لم يكن يقدر على ذلك ﴿و ذكرى﴾ [4]أى عظة عظيمة[4] ﴿للعٰبدين ﴿ كلهم ، ٥ ليتأسوا به فيصبروا إذا ابتلوا بفتنة الضراء و لا يظنوا أنها لهوانهم ، و يشكروا إذا ابتلوا بنعمة السراء لئلا تكون[5] عين شقائهم ، و اتبعه سبحانه بمن أنبع له من زمزم ماء ا باقيا شريفا ، إشارة إلى شرفه و شرف ولده خاتم الرسل ببقاء رسالته و معجزته [فقال -[6]] : ﴿ اسمٰعيل ﴾ أى [4]ابن إبراهيم عليهما السلام[4] الذى سخرنا له من الماء بواسطة الروح الأمين ١٠ ما عاش به صغيرا بعد أن كان هالكا لا محالة، [4]ثم جعلناه طعام طعم و شفاء سقم دائما[4] ، و صناه[7] - و هو كبير - من الذبح فذبحه أبوه و اجتهد فى إتلافه امتثالا لأمرنا فلم ينذبح كما اقتضته إرادتنا ﴿ و ادريس ﴾ أى [4]ابن شيث بن آدم عليهم السلام[4] الذى أحييناه بعد موته و رفعناه مكانا عليا . [4]و هو أول نبى بعث من بنى آدم عليهما السلام[4] ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : السبب .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسبب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : صيناه - كذا .

نظم الدرر (سورة الأنبياء ٢١ : ٨١ و ٨٢) ج - ١٢

﴿ و ذا الكفل [٤] ﴾ [الذى -[١]] قدرناه عـــلى النوم الذى هو الموت الأصغر ، فكان يغلبه فلا ينام أو إلا قليلا ، يقوم الليل و لا يفتر ، و يصوم النهار و لا يفطر ، و يقضى بين الناس و لا يغضب . فقدره الله على الحياة الكاملة فى الدنيا التى هى سبب الحياة الكاملة فى الأخرى[٢] ، [و هو خليفة اليسع[٣] عليه السلام تخافه على أن يتكفل له بصيام النهار و قيام الليل و أن لا يغضب ، قيل : إنه ليس بنبى ، و عن الحسن أنه نبى ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إلياس . و قيل : هو يوشع بن نون ، و قيل : زكريا - عليهم السلام -[٤]] .

و لما قرن[٥] بينهم لهذه المناسبة ، استأنف مدحهم فقال : ﴿ كل ﴾ اى كل واحد منهم / ﴿ من الصّٰبرين ۝ ﴾ على ما ابتليناه به ، فآتيناهم ثواب الصابرين ﴿ و ادخلنٰهم ﴾ [٦] و دل على عظمة ما لهم عنده سبحانه بقوله[٦] : ﴿ فى رحمتنا ۚ ﴾ [فعلنا بهم من الإحسان ما يفعله الراحم بمن يرحمه [٧] على وجه عمهم من جميع جهاتهم ، فكان ظرفا لهم[٧] ؛ ثم علل بقوله -[١]] : ﴿ انهم من الصّٰلحين ۝ ﴾ لكل ما يرضاه الحكيم منهم ، بمعنى أنهم جبلوا جبلة خير فعملوا على مقتضى ذلك ؛ ثم أتبعهم من هو أغرب حالا منهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : منهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع لكل ذلك معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٥٥ و ٢٥٧ (٤) زيد من ... من ظ و مد و فى الأصل تكرر (٢ - ٢) (٥) تأخر ما بين الرقمين - مع سقوطه فى ظ - فى الأصل عن « رحمتنا » ، و الترتيب من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ

في الحفظ [فقال -[1]] : ﴿و ذا النون﴾ أى اذكره ﴿اذ ذهب مغاضبا﴾ أى على[2] هيئة الغاضب لقومه بالهجرة عنهم ، و لربه بالخروج عنهم دون الانتظار لإذن خاص منه بالهجرة ، و روى [عن الحسن -[1]] أن معنى ﴿فظن ان لن نقدر عليه﴾ أن لن نعاقبه[3] بهذا الذنب ، أى ظن أنا نفعل معه فعل من لا يقدر . و هو تعبير عن اللازم بالملزوم مثل التعبير عن ٥ العقوبة بالغضب ، و عن الإحسان بالرحمة . و فى أمثاله كثرة . فهو أحسن الأقوال و أقومها - رواه البيهقى فى كتاب الأسماء و الصفات[4] عن قتادة عنه و عن مجاهد مثله و اسند[5] من غير طريق عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ، و [كذا -[6]] قال الأصبهانى [عنه -[6]] أن معناه : لن نقضى عليه بالعقوبة ، [7]و أنه قال أيضا ما[7] معناه : فظن أن لن نضيق ١٠ عليه الخروج ، من القدر الذى معناه الضيق ، لا من القدرة . و منه "فقدر عليه رزقه" و روى البيهقى أيضا[8] عن الفراء أن نقدر بمعنى نقدر - مشددا و حكم ، و أنشد عن ابن الأنبارى عن أبى صخر الهذلى :

و لا عائدا ذاك الزمان الذى مضى تباركت ما تقدر يقع [و -[1]] لك الشكر

﴿فنادى﴾ أى فاقتضت حكمتنا أن عاتبناه حتى استسلم فألقى نفسه فى ١٥ البحر فالتقمه الحوت و غاص به إلى قرار البحر و منعناه من أن يكون

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لن نعاقبه (٤) راجع أيضا المعالم بهامش اللباب ٢٥٨/٤ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسنده (٦) زيد من مد (٧-٧) من مد . و فى الاصل : و رواية ايضا قال - كذا (٨) العبارة من « و كذا قال » إلى هنا ساقطة من ظ .

له طعاما، فنادى ﴿ فى الظلمت ﴾ من[1] بطن الحوت [الذى - [2]] فى أسفل البحر فى الليل، فهى ظلمات ثلاث - نقله ابن كثير[3] عن ابن مسعود و ابن عباس و غيرهما رضى الله عنهم. ﴿ان لآ اله الآ انت﴾.

و لما نزهه عن الشريك عم فقال: ﴿سبحنك صلے ق﴾ أى تنزهت عن

٥ كل نقص، فلا يقدر على الإنجاء من مثل ما أنا فيه غيرك؛ ثم أفصح بطلب الخلاص بقوله ناسبا إلى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله: ﴿ انى كنت ﴾ أى كونا كبيرا[4] ﴿ من الظلمين صلے ﴾ أى فى خروجى من بين قومى قبل الإذن، فاعف عنى كما هى شيمة القادرين، و لذلك قال تعالى [5]مسببا عن دعائه[5]: ﴿ فاستجبنا له لا ﴾ أى أوجدنا الإجابة إيجاد

١٠ من هو طالب لها تصديقا[6] لظنه أن لن نعاقبه «أنا عند ظن عبدى بى» و الآية تفهم أن شرط الكون مع من يظن الخير دوام[7] الذكر و صدق الالتجاء[8]. و قال الرازى فى اللوامع: و شرط كل من يلتجئ إلى الله أن يبتدئ بالتوحيد ثم بالتسبيح و الثناء. ثم بالاعتراف و الاستغفار و الاعتذار، و هذا شرط كل دعاء - انتهى.

١٥ و لما كان التقدير: فخلصناه مما كان فيه، عطف عليه قوله، تنبيها

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: فى (٢) زيد من مد (٣) فى تفسيره ٣/١٩٢.
(٤) من مد، و فى الأصل: كثيرا. و الكلمة مع «اى كونا» ساقطة من ظ.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: تصدرها - كذا (٧) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٨) من مد، و فى الأصل: الالتها، و العبارة من «أى أوجدنا» إلى هنا ساقطة من ظ.

على

[1]على أنهما نعمتان لأن أمره مع صعوبته كان فى غاية الغرابة[1] : ﴿ و نجينه ﴾ [1]أى بالعظمة البالغة[1] [تنجية عظيمة ، و أنجيناه إنجاء عظيما -[2]] ﴿من الغم[4]﴾ الذى كان ألجأه إلى المغاضبة و من غيره ، قال الرازى : و أصل الغم الغطاء عـلى القلب - انتهى . فألقاه الحوت على الساحل و أظله الله بشجرة القرع .

٥

و لما كان هذا و ما تقدمه أمورا غريبة . / أشار إلى القدرة على أمثالها من جميع الممكنات ، و أن ما فعله من إكرام أنبيائه عام لأتباعهم بقوله : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك الإنجاء العظيم الشأن [و التنجية -[2]] ﴿ننجى﴾ [1]أى بمثل ذلك العظمة[1] ﴿المؤمنين ﴾ [إنجاء عظيما و ننجيهم تنجية عظيمة ، [3]ذكر التنجية أولا يدل على مثلها ثانيا ، و ذكر الإنجاء ثانيا يدل على مثله أولا ، و سر ذلك الإشارة إلى شدة العناية بالمؤمنين لأنهم ليس لهم كصبر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام - بما أشار إليه بحديث « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » . « يبتلى المرء على قدر دينه » فيسلهم سبحانه من البلاء كما تسل الشعرة من العجين ، فيكون ذلك مـع السرعة فى لطافة و هناء - بما أشارت إليه قراءة ابن عامر و أبى بكر عن عاصم رضى الله عنه بتشديد الجيم لإدغام النون الثانية فيه[4] ، أو يكون المعنى أن من دعا منهم بهذا الدعاء أسرع نجاته -[2]] ، فان المؤمن

/ ٥٢٠

١٠

١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) أى فالآية من الاحتباك (٤) راجع للتفصيل نثر المرجان ٤/٤٢٢ و ٤٢٣ .

متى حصلت له هفوة[١] راجع ربه فنادى [٢]معترفا بذنبه[٢] هذا النداء[٣]، و لاسيما إن مسه[٤] بسوط الأدب . فبادر إليه الهرب .

و لما كان حاصل أمر يونس عليه السلام أنه خرج من بطن لم يعهد الخروج من[٥] مثله ، عطف عليه قصة زكريا عليه السلام فى هبته له ولدا من بطن لم يعهد [الحمل من -[٦]] مثله فى العقم و اليأس ناظرا إلى أبيه إبراهيم عليه السلام أول من ذكر تصريفه فى أحاد العناصر فيما اتفق له من مثل ذلك فى ابنه إسحاق عليه السلام تكريرا[٧] لأعلام القيامة وتقريرا[٨] للقدرة التامة فقال : ﴿ و زكريآ ﴾ أى اذكره ﴿ اذ نادى ربه ﴾ نداء الحبيب القريب فقال : ﴿رب﴾ باسقاط أداة البعد ﴿لا تذرنى فردا﴾ [أى -[٩]] من غير ولد يرث ما آتيتنى من الحكمة .

و لما كان من[١٠] الوراث [١٠]من يحب من يحجبه [من الإرث أو يشاركه فيه ، و منهم من لا يحب ذلك و يسعى فى إهلاك من يحجبه -[٩]] أو ينقصه . و منهم من يأخذ الإرث فيصرفه فى المصارف القبيحة على ما تدعوه إليه شهوته و حاجته ، و منهم من يأخذه بعفة فينفذ وصايا الموروث

---

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : عفوة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) زيد فى الأصل : بعد الاعتراف بالذنب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : بطنه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : تكريما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقديرا (٩) زيد من مد (١٠) زيد فى الأصل : الحكمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) العبارة من هنا إلى «ينقصه و منهم» ساقطة من ظ .

و يصل ذا قرابته[1] و أهل وده ، و يتصدق عنه ، و يبادر إلى كل ما كان يحبه و ينفعه ، كل ذلك لغنى نفسه و كرم طبعه مع كونه مجبولا على الحاجة و النقص ، وكان الله هو الغنى الحميد ، الحكيم المجيد . قال ملوحا بمقصده[2] فى أسلوب الإلهاب و التهييج : ﴿ و انت ﴾ [أى و الحال أنك -[3]] ﴿خير الوارثين﴾ لأنك أغناهم عن الإرث و أحسنهم تصرفا ، ٥ و كثيرا ما تمنح إرث بعض[4] عبيدك عبيدا آخرين ، فأنت الحقيق بأن تفعل فى إرثى من العلم و الحكمة ما أحبه[5] ، فتهب ولدا تمن عليه بذلك ﴿فاستجبنا له﴾ بعظمتنا و إن كان فى حد من السن لا حراك [به -[6]] معه و زوجه فى حال من العقم لا يرجى معه حبلها ، فكيف و قد جاوزت سن اليأس ، [7]و لذلك [عبر -[6]] بما يدل على العظمة فقال : ١٠ ﴿[7]و وهبنا له يحيى﴾ وارثا حكيما نبيا عظيما[8] ﴿و اصلحنا له﴾ خاصة [9]من [بين -[6]] أهل ذلك الزمان ﴿ زوجه[9] ﴾ أى جعلناها صالحة لكل خير ، خالصة له[10] و لا سيما لما مننا عليه [11]به من هذه الهبة[11] بعد أن كانت بعقمها و كبرها غير صالحة له بوجه يقدر عليه غيرنا ؛ ثم استأنف البيان لخيرية الموروث و الوارث و المصلحة للولادة فقال ، مؤكدا[6] [ترغيبا فى مثل ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قرابته (٢) من ظ و مد و فى الأصل : بقصده . (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : احب (٦) زيد من مد (٧) العبارة من هنا إلى «العظمة فقال» ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليما (٩) العبارة من هنا إلى «الزمان» ساقطة من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : لك (١١ - ١١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل وحده بعد « يقدر عليه » .

أحوالهم و أنها مما يلتذ بذكره و يعجب من أمره -[1]]: ﴿ انهم كانوا ﴾ مجبولين في أول ما خلقناهم جبلة خير، مهيئين لأنهم ﴿ يسرعون في الخيرت ﴾ أي يبالغون في الإسراع بها مبالغة من يسابق آخر، [2]و دل على عظيم أفعالهم بقوله[2]: ﴿ و يدعوننا ﴾ [3] مستحضرين لجلالنا و عظمتنا و كمالنا[3] ﴿ رغبا ﴾ في رحمتنا / ﴿ و رهبا[4] ﴾ من سطوتنا ﴿ و كانوا ﴾ [3]أي جبلة و طبعا[3] ﴿ لنا ﴾ خاصة[5] ﴿ خشعين ﴾ أي خائفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع و الانكسار.

و لما استدل على الساعة بما وهب لهؤلاء القوم من أهل الطاعة من التصرف في العناصر و غيرها إلى أن ذكر أنه خرق العادة في إبداع يحيى عليه الصلاة و السلام بين والدين لا يولد لمثلهما لأن أباه زكريا عليه السلام كان قد صار إلى[5] حالة من الكبر و يبس[6] من[3] الأعضاء عظيمة، و أمه كانت - مع وصولها إلى مثل[7] تلك الحال - عاقرا في حال شبابها، تلاه بإبداع ابن خالته عيسى عليه السلام الذي هو علم للساعة على حال أغرب من حاله، فأخرجه من أنثى بلا ذكر، إشارة إلى قرب الوقت لضعف الأمر، كضعف الأنثى بالنسبة إلى الذكر، فقال: ﴿ و التي احصنت فرجها ﴾ أي حفظته من الحلال و الحرام

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: من (٥) من مد، و في الأصل و ظ: على (٦) من مد. و في الأصل و ظ: ياس (٧) من ظ و مد، و في الأصل: مثلك.

حفظا

حفظا يحق له أن يذكر و يتحدث به، لأنه غاية فى العفة و الصيانة، و التخلى عن الملاذ إلى الانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة، مع ما جمعت إلى ذلك من الأمانة و الاجتهاد فى متانة الديانة ﴿ فنفخنا ﴾ [1]أى بما[1] لنا من العظمة التى لايدانى [2]أوجها نقص[2]، و لا يقرب من ساحتها حاجة و لا وهن ﴿ فيها ﴾ أى فى فرجها - كما فى التحريم[3]، [نفخا هو من جناب ٥ عظمتنا، و دل على عظم خلوصه و صفائه بقوله - [4]]: ﴿ من روحنا ﴾ أى من روح يحق له أن يضاف إلينا لجلالته و طهارته، فكان من ذلك النفخ[5] حبل و ولد. [6]و لعله أضاف [هنا - [4]] النفخ إليها، لا إلى فرجها وحده، ليفيد أنه - مع خلق عيسى عليه السلام به و إفاضة الحياة عليه حسا و معنى[7] - أحياها هى به معنى[8] بأن قوى به معانيها[9] القلبية حتى كانت ١٠ صديقة متأهلة لزواجها بخير البشر فى الجنة، و خصت هذه السورة بهذا لأن[10] مقصودها الدلالة على البعث الذى هو إفاضة الأرواح على الأموات، قال الرازى: و على الجملة هذه عبارة عن إبداع عيسى عليه السلام فى

(١ - ١) فى مد: على ما، و العبارة من هنا بما فيها هاتان الكلمتان ساقطة فى ظ إلى «و لا وهن» (٢ - ٢) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٣) راجع آية ١٢. والعبارة من «أى فى» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد، و زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى «على الأموات» ساقطة من ظ (٧) زيد فى الأصل: احيايها، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل: يعنى (٩) من مد، و فى الأصل: معا - كذا (١٠) من مد، و فى الأصل: لا.

رحم مريم عليها السلام من غير نطفة .

[و لما قدمته من السر فى إفاضة النفخ إلى حملتها ، أتبع ذلك قوله - [1]] : ﴿ و جعلنها [2] و ابنها [2] ﴾ [3] أى بتلك العظمة العظمى [3] ﴿ اية ﴾ جعلهما نفس الآية لكثرة ما كان فيهما [4] من الأعاجيب .

٥ و لما كان ما فيهما [4] من ذلك ليس مقصودا [5] لذاته ، بل لتقرير [6] أمر عيسى عليه السلام [7] ، لم يقل : آيتين ، أو لئلا يظن أن نفس العدد مقصود فينقص المعنى ﴿ للعلمين ﴾ أى فى [8] أن الله [8] قادر على كل شىء [3] لاسيما البعث الذى هو آيته [3] ، يتحدث بذلك بعدهما جيل بعد جيل ، و عالم بعد عالم ، و أمة بعد أمة ، إلى قيام الساعة التى هو علمها ، و حفظنا ابنها ١٠ بعلمنا و حكمتنا و قدرتنا و عظمتنا ممن كاده ، و رفعناه إلى محل قدسنا ، و ختم به الأنبياء المذكورين هنا لأنه خاتم المجددين لهذا الدين المحمدى ، و هو دليل الساعة ، و كتابه أعظم كتاب بعد التوراة التى ابتدأ بصاحبها ذكر هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة و السلام . حاشى القرآن الذى عجزت لبلاغته الإنس و الجان .

---

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « العظمى » و الترتيب من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : مقصود (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتقدير (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه .

ذكر شيء من دلائل كونه آية من الإنجيل:

قال متى[1] أحد المترجمين الأربعة للانجيل و أغلب السياق له بعد
/ أن ذكر مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام كما مضى فى آل عمران: /٥٢٢
فلما سمع يسوع مضى من هناك فى سفينة إلى البرية مفردا ، و سمع
الجمع فتبعوه ماشين من المدينة ، فلما خرج أبصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم ٥
و أبرأ أعلاءهم و مرضاهم، و قال مرقس[2]: فلما خرج يسوع أبصر جمعا
كثيرا فتحنن عليهم لأنهم كانوا كخراف لا راعى[3] لها فبدأ يعلمهم ،
و بعد ساعات كثيرة جاء تلاميذه إليه ، و قال متى: و لما كان المساء أتى
تلاميذه و قالوا: إن المكان قفر[4] ، و الساعة قد جازت ، [أطلق - [5]]
الجمع يذهبوا إلى القرى المحيطة فيبتاعوا لهم طعاما ، فقال لهم: أعطوهم ١٠
أنتم ليأكلوا ، فقلوا: ليس ههنا إلا خمس خبزات و حوتان ، فقال
[لهم - [6]] : قدموهم إلى ههنا ، و أمر باجلاس الجميع على العشب[7] .
و قال مرقس: الأخضر أحزابا أحزابا ، فجلسوا رفاقا رفاقا مائة مائة
و خمسين خمسين . و قال يوحنا[8] : فقال لفيلبس : من أين نبتاع لهؤلاء
خبزا ؟ قاله ليجربه ، فقال فيلبس: ما يكفيهم خبز بمائتي دينار ، و قال ١٥

---

(١) راجع الآية ١٣ فما بعدها من الأصحاح الرابع عشر (٢) راجع الآية ٣٤ فما بعدها من الأصحاح السادس (٣) من ظ و مد و مرقس ، و فى الأصل: رعى .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: خفر (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل: الخشب (٨) راجع الآية ٥ فمابعدها من الأصحاح السادس .

إندراوس أخو شمعون الصفاء : إن ههنا حدثا معه خمسة أرغفة شعير و سمكتان ، فقال يسوع : مروا الناس بالجلوس ، و قال[1] متى : و أخذ الخمس خبزات و الحوتين ، و نظر إلى السماء و بارك و قسم و أعطى الخبز لتلاميذه . و قال مرقس : و قسم الحوتين و ناول[2] التلاميذ الجميع فأكل
٥ جميعهم و شبعوا و رفعوا من فضلات الكسر اثنى عشر سلا مملوءة[3] ، و من السمك ، وكان عدد[4] الآكلين خمسة آلاف رجل ، [و قال متى -[5]] : سوى النساء و الصبيان ، و قال يوحنا : فقالوا : حقا إن هذا هو النبي الجائي إلى العالم . فعلم يسوع أنهم اجتمعوا ليحتفظوا به و يصيروه ملكا . فتحول إلى الجبل[6] ، و قال متى : و للوقت أمر تلاميذه ان يصعدوا إلى السفينة
١٠ و يسبقوه إلى العبر ليطلق الجموع . و قال يوحنا : ليعبروا إلى كفرناحوم و كان ظلاما ، و قال متى : فأطلق الجمع و صعد إلى الجبل[7] منفردا يصلي ، و قال مرقس : و للوقت تقدم إلى تلاميذه بركوبهم السفينة و [أن] يسبقوه إلى العبر عند بيت صيدا ليطلق [هو الجماعة -[8]] . فلما ودعهم و ذهب إلى الجبل[9] ليصلي ، قال متى : فلما كان المساء و كان وحده[10] هناك

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : قام (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ناوله . (٣) زيد في النسخ : و قال مرقس . لحذفنا الزيادة نظرا إلى تكرارها (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : عدة (٥) زيد نظرا إلى السياق (٦) من يوحنا ، و في الأصول : الجليل (٧) من ظ و مد و متى ، و في الأصل : الجيل (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مرقس ، و في الأصول . الجنين (١٠) من ظ و مد و متى ، و في الأصل : وعده .

و السفينة فى وسط البحر، فضربتها الأمواج لمعاندة الريح لها، قال يوحنا: فمضوا نحو خمسة و عشرين غلوة[1] أو ثلاثين، و قال متى: و فى الهجعة الرابعة من الليل جاءهم ماشيا على البحر فاضطربوا و قالوا: [2]إنه خيال[2]، و من خوفهم صرخوا، فكلمهم قائلا: أنا هو، لا تخافوا. أجابه بطرس و قال: إن كنت أنت هو فمرنى أن [3]آتى إليك[3] على الماء، فقال له: تعال! ٥ فنزل بطرس من السفينة و مشى على الماء، فرأى قوة الريح فخاف، و كاد أن يغرق فصاح قائلا: يا رب نجنى! فللوقت مد يسوع يده و أخذه و قال له[4]: يا قليل الأمانة! لم شككت؟ فلما صعد السفينة سكنت[5] الريح، قال يوحنا: و للوقت صارت إلى الأرض التى أرادوها، و فى الغد نظرت الجموع الذين كانوا معه فى عبر البحر أن ليس هناك سوى ١٠ سفينة واحدة، و أن يسوع لم يركبها مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا وحدهم، و كانت سفن أخر وافت من طبرية حتى انتهت إلى الموضع الذى أكلوا فيه الخبز الذى بارك عليه. فحين لم ير الجماعة يسوع هناك و لا تلاميذه. ٥٢٣/ ركبوا تلك السفن، و أتوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع. فلما قصدوه فى عبر البحر قالوا له: يا معلم! متى صرت ههنا؟ أجاب يسوع و قال: ١٥ الحق الحق أقول لكم! إنكم لم تطلبونى لنظركم الآيات بل لأكلكم الخبز فشبعتم، اعملوا لا للطعام الزائل بل للطعام الباقى فى الحياة المؤبدة

---

(١) من ظ و مد و يوحنا، و فى الأصل: علوه (٢-٢) من ظ و مد و متى، و فى الأصل: انهم حبال (٣-٣) من ظ و مد و متى، و فى الأصل: اتيك.
(٤) سقط من مد (٥) من متى، و فى الأصول: سكن.

[١]الذى يعطيكموه[١] ابن البشر ، ثم قال : لست اعمل بمشيئتى ، لكن بمشيئة الذى أرسلنى ، ثم قال : قد كتب فى الأنبياء أنهم يكونون بأجمعهم معلمين ، الحق أقول لكم ! من يؤمن بى فله[٢] الحياة الدائمة . قالوا : ما نصنع حتى نعمل أعمال الله ؟ قال : عمل الله هو أن تؤمنوا بمن[٣] أرسله . قال متى :

٥ و لما عبروا جاءوا إلى أرض جاناشر[٤] . قال مرقس : فأرسوا و خرجوا من السفينة - انتهى[٥] . فعرفه أهل ذلك المكان و أرسلوا إلى جميع تلك الكور فقدموا إليه [كل المسقومين و طلبوا إليه -[٦]] أن يلمسوا طرف ثوبه فقط . و كل من لمسه[٧] خلص .

و لما دل ما مضى من قصص هؤلاء الأنبياء و غيرهم على أن الله

١٠ القدرة الباهرة ، و القوة البالغة الشاملة للبعث و غيره ، و كان ذلك[٨] دالا على التوحيد الذى هو أصل الدين ، و أنهم كلهم متفقون عليه بالتصريح من البعض هنا و من الباقين فيما سبق ، كان إثباته[٩] فذلكة هذه القصص و ما تقدمها من هذه السورة ، فلذلك اتصل به قوله مخاطبا لمن قال لهم : أفأنتم له منكرون : ﴿ و ان هذه ﴾ أى الأنبياء الذين أرسلناهم

١٥ قبل نبيكم صلى الله عليه و سلم رجالا نوحى إليهم كما أنه رجل نوحى إليه

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى يعطيكموها ، و فى يوحنا : الذى يعطيكم
(٢) من يوحنا ، و فى الأصول : له (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن .
(٤) فى متى : جنسيارت (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتهى (٦) زيد من ظ و مد و متى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمس (٨) بين سطرى ظ : أى القدرة الباهرة (٩) بين سطرى ظ : التوحيد .

[لا آباؤكم و لا ما وجدتموه عليه - ١] ﴿ امتكم ﴾ أى مقصودكم٢ ٣أيها الخلق٣ بالاقتداء فى الاهتداء، حال كونها ﴿ امة ﴾ قال البغوى٤ : و أصل الأمة الجماعة التى [هى - ٥] على مقصد واحد - انتهى . و أكد سبحانه هذا المعنى فقال: ﴿ واحدة ﴾ كما فى الخبر٦ أنهم٧ أولاد علات ، أمهاتهم شتى و دينهم واحد . لا اختلاف بينهم أصلا فى التوحيد الذى هو ٥ الأصل و لا فى توجيه الرغبات إلينا ، و قصر النظر علينا . علما منهم بما لنا من صفات الكمال . و أن كل شيء فالينا مفتقر . و لدينا خاضع منكسر ، فاتبعوهم فى ذلك ، لا تحيدوا عنهم تضلوا ، و إنما فرقناهم و جعلناهم [عددا - ٨] بحسب الأمم المتشعبة فى الأزمان المتطاولة ، و أنا لم بجعل لأحد منهم الخلد ، [و - ٨] لغير ذلك من الحكم ، فبثثناهم فى الأقطار ، حتى ملأوها من الأنوار .

و لما كان المقصود تعيين المراد من غير لبس ، عدل عن صيغة العظمة فقال : ﴿ وانا ربكم ﴾ اى لا غيرى ، فى كل زمان و كل مكان ، لكل أمة ، لأنى لا أتغير على طول الدهر . و لا يشغلنى شأن عن شأن ﴿ فاعبدون ﴾ دون غيرى فانه لا كفوء لى . ١٥

و لما كان من المعلوم أنهم لم يفعلوا ، أعرض إلى أسلوب الغيبة

---

(١) زيد من مد (٢) من مد . و فى الأصل و ظ : مقصدكم (٣-٣) سقط ما الرقمين من ظ (٤) فى المعالم - راجع اللباب ٤/ ٦٠ (٥) زيد من ظ و مد و المعالم . (٦) راجع مسند الإمام أحمد ٢ / ٦٤ (٧) زيد فى الأصل : كانوا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المسند فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد .

[1]و أن يكون مستغرقا لظرفه[1]. [[2]- قال : ﴿ بينهم [4] ﴾ أى[3] فكانوا فرقا كل فرقة على شعبة من ضلال ، زينها لها هواها ، [4]فلم يدعوا شيئا من الأمر بغير تقطيع [2]]. و كان العطف بالواو دون الفاء كما [4]فى المؤمنون[4] لأن ترك العبادة ليس سببا للتقطع ، بل ربما كان عنه الاجتماع على الضلال ، كما يكون فى آخر الزمن [5]و كما قال تعالى " كان الناس امة واحـــدة" - الآية [6]"و ما تفرق الذين اوتوا الكتٰب[6] الا من بعد ما جاءتهم البينة ". ٥

و لما كان كأنه قيل : فماذا يفعل بهم ؟ قال ما هو غاية فى الدلالة على باهر[7] العظمة و تام القدرة [1]ليــكون أشد فى الوعيد ، و صادع التهديد[1] : ﴿ كل ﴾ أى من هذه الفرق و إن بالغ فى التمرد ﴿ الينا ﴾ [1]على عظمتنا التى لا يكافئها شىء ، لا إلى غيرنا[1] ﴿ رٰجعون ع ﴾ فنحكم بينهم فيتسبب عن ذلك أنا نجازيهم إقامة للعدل فنعطى [كلا من - [2]] المحق التابع[8] لأصفيائنا و المبطل المائل إلى الشياطين أعدائنا ما يستحقه ، و ذلك هو معنى قوله تعالى ، فارقا بين المحسن و المسيء تحقيقا للعدل و تشويقا بالفضل[9] : ﴿ فمن يعمل ﴾ اى منهـــم الآن ﴿ من الصٰلحٰت و هو ﴾ أى ١٠ ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد . (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و مد . و فى الأصل : هو المؤمنون ؟ و راجع آية ٥٣ (٥) العبارة من هنا إلى « البينة » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد و القرآن الكريم - سورة ٩٨ آية ٤ ، و فى الأصل : ما تفرقوا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما هو (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : البالغ (٩) من مد ، و فى الأصل : للفضل ، و العبارة من « فارقا » إلى هنا ساقطة من ظ .

و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ أى بان لعمله[1] على الأساس الصحيح ﴿ فلا كفران ﴾ أى إبطال بالتغطية[2] ﴿ لسعيه ﴾ بل نحن[3] نجزيه عليه بما يستحقه و نزيده من فضلنا ﴿ و انا له ﴾ أى لسعيه الآن [4]على عظمتنا[4] ﴿ كاتبون ﴾ [5] ما كتبناه فهو غير ضائع، بل باق[4]، لنطلعه عليه يوم

٥ الجزاء بعد أن نعطيه قدرة على تذكره، فلا يفقد منه شيئا قل أو جل، و من المعلوم ان قسميه «و من يعمل من السيئات و هو كافر فلا نقيم له وزنا»، و «من عمل منها و هو مؤمن فهو فى مشيئتنا»، و لعله حذف هذين القسمين ترغيبا فى الإيمان

و لما كان هذا غير صريح فى ان هذا الرجوع بعد الموت، بينه

١٠ بقوله : ﴿ و حرام ﴾ أى و ممنوع و محجور ﴿ على قرية ﴾ أى اهلها ﴿ اهلكنها ﴾ أى[2] بالموت بعظمتنا ﴿ انهم لا يرجعون ﴾ أى إلينا بأن يذهبوا تحت التراب باطلا من غير إحساس، بل إلينا بموتهم [رجعوا - [5]] لحبسناهم فى البرزخ منعمين أو معذبين نعيما و عذابا دون النعيم و العذاب الأكبر، و لقد دل على ما قدرته قوله : ﴿ حتى اذا فتحت ﴾ بفتح السد

١٥ الذى تقدم[2] وصفنا له، [و أن فتحه لا بد منه و قراءة ابن عامر بالتشديد تدل على كثرة التفتيح أو على كثرة الخارجين من الفتح و إن كان فرحة واحدة كما أشار إليه إطلاق قراءة الجماعة بالتخفيف - [5]]

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : عمله (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .

﴿ ياجوج و ماجوج ﴾ فخرجوا على الناس؛ [1]و عبر[1] عن كثرتهم التى لايعلمها إلاهو سبحانه بقوله: ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ من كل حدب ﴾ أى نشز[2] عال من الأرض ﴿ ينسلون ﴾ أى يسرعون، من / النسلان و هو ٥٢٥ / تقارب الخطا مع السرعة كمشى الذئب[3]، و فى العبارة إيماء [إلى - [4]] أن الارض كرية ﴿ و اقترب الوعد الحق ﴾ و هو حشر الأموات [5]الذى ٥ يطابقه الواقع، [6]إذا وجد[6] قربا عظيما، كأن الوعد طالب له و مجتهد فيه .

و لما دلت صيغة ' افتعل ' على شدة القرب كما فى الحديث[7] أن الساعة إذ ذاك مثل الحامل المتم، علم أن التقدير جوابا [8]لإذا : كان ذلك الوعد[8] فقام الناس من قبورهم: ﴿ فاذا هى شاخصة ﴾ [9]أى واقفة جامدة لا تطرف لما دهمهم من الشدة، [و يجوز - [4]] و هو أقرب أن ١٠ تكون إذا هذه الفجائية [هى جواب إذا الشرطية . و هى تقع فى المجازات سادة مسد الفاء، فاذا جاءت الفاء معها متفاوتة على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد . فالمعنى - [4]] : إذا كان الفتح و وقع ما تعقبه فاجأت الشخوص ﴿ ابصار الذين كفروا ﴾ أى منهم، لما بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : فعبر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : تسر، و بهامش ظ : قاموس : النشز، المكان المرتفع . و النشز - محركا، جمع نشوز .
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : القريب؛ و العبارة من بعده إلى « كرية » ساقطة من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى « جوابا » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد، و فى الأصل : و الوعيد اى - كذا (٧) راجع مسند الإمام أحمد ١/٣٧٥ (٨-٨) ما بين الرقمين فى ظ : أى و كان (٩) العبارة من هنا إلى «الشخوص» ساقطة من ظ .

الأهوال، قائلين : ﴿ يـويلنا ﴾ أي حضرنا الويل فهو نديمنا فلا مدعو لنا غيره ﴿ قد كنا ﴾ [1]أي في الدنيا[1] ﴿ في غفلة من هذا ﴾ أي مبتدئة من اعتقاد هذا البعث فكنا نكذب به فعمتنا الغفلة .

ولما كان من الوضوح في الدلائل و الرسوخ في الخواطر بحيث
٥ لا يجهله أحد، أضربوا عن الغفلة فقالوا : ﴿ بل كنا ظلمين ﴾ أي بعدم اعتقاده واضعين الشيء في غير موضعه[2] حيث أعرضنا عن تامل دلائله، و النظر في مخايله، و تقبل كلام الرسل فيه، فأنكرنا ما هو أضوأ من الشمس

ولما كان هذا محلا يخطر بالبال فيه آلهتهم بما يترجونه منها[3]
١٠ من النفع، قال مخاطبا لهم إرادة التعنيف و التحقير : ﴿ انكم ﴾ [1]و أكده لإنكارهم مضمون الخبر[1] : ﴿ و ما تعبدون ﴾ [4]أيها المشركون من الأصنام و الشياطين[4] ؛ و لما كانوا يتعبدون له سبحانه طوعا و كرها مع الإشراك، قيد بقوله [1]دالا على أن رتبة ما عبدوه من أدنى المراتب الكائنة تحت رتبته سبحانه[1] : ﴿ من دون الله ﴾ [1]أي الملك الأعلى الذي لا كفوء له[1] ؛
١٥ و لما كانوا يرمى بهم في جهنم رمي الحجارة الصغار التي تسمى الحصباء إلى المحصوب إسراعا و إكراها، فيكونون وقودها من غير إخراج، قال : ﴿ حصب جهنم ﴾ [1]أي الطبقة التي تلق المعذب بها بالتجهم و العبوسة و التكره[1] ؛ ثم أكد ذلك بقوله استئنافا : ﴿ انتم لها واردون ﴾ أي

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و في الأصل : منهما (٤ - ٤) بياض في الأصل ملأناه من مد، و سقط ما بين الرقمين من ظ .

داخلون

داخلون[١] [٢]دخول ورد الحمى على حالة هي بين السواد بالدخان والاحمرار باللهب[٢] .

و لما قرعهم من هذا الكلام بما لا جواب لهم [عنه -[٣]] غير المكابرة، أعرض عنهم الخطاب استهانة بهم و احتقارا لهم فقال[٤] : ﴿لو كان هؤلاء﴾ أى الذين أهلوهم لرتبة الإلهية و هم فى الحقارة بحيث يقذف بهم فى النار ٥ قذفا ﴿ ءالهة ﴾ [٢]أى كما زعم العابدون لهم[٢] ﴿ ما وردوها[٥] ﴾ [٢] أى جهنم[٢] أصلا ، فكيف على[٥] هذه الصفة ؛ ثم أخبر عنهم [و عنها - [٣]] بقوله : ﴿و كل﴾ أى منهم و منها ﴿فيها﴾ [٢]أى جهنم[٢] ﴿ خلدون ﴾ لا انفكاك لهم عنها ، بل يحمى بكل منهم فيها على الآخر ﴿لهم﴾ أى لمن فيه الحياة من المذكورين العابدين مطلقا و المعبودين الراضين كفرعون ١٠ ﴿ فيها زفير ﴾ أى تنفس عظيم على غاية من الشد و المد . تكاد تخرج معه النفس ، [٦]و يقرنون بآلهتهم زيادة فى عذابهم حيث جعل[٧] المعبود الذى كان يطلب منه[٨] / السعادة زيادة فى الشقاوة فصار[٩] عدوا ولا يكون أنكأ من مقارنة[١٠] العدو . ٥٢٦ /

و لما كانت تعمية الأخبار مما يعدم القرار ، و يعظم الأكدار ، ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : داخلين (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من مد (٦) العبارة من هنا الى «العدو» ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : كان (٨) من مد ، و فى الأصل : من (٩) من مد ، و فى الأصل : اصار (١٠) من مد و فى الأصل : مقاربة .

قال: ﴿و هم فيها لا يسمعون﴾ [1]حذف المتعلق[2] تعميما لكل مسموع،
قال ابن كثير[3]: قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا ابن
فضيل ثنا عبد الرحمن - يعني المسعودي - عن أبيه قال: قال ابن مسعود
رضي الله عنه: إذا بقي من يخلد[4] في النار جعلوا في توابيت من نار فيها
٥ مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره، ثم تلا
عبد الله - يعني هذه الآية، قال: و رواه ابن جرير من حديث حجاج
ابن محمد عن المسعودي عن يونس بن خباب[5] عن ابن مسعود فذكره.

و لما ذكر حالهم و حال معبوديهم[6] بغاية الويل، كان موضع
السؤال عمن عبدوهم[7] من الصالحين من نبي أو ملك و غيرهما من جميع
١٠ من عبده سبحانه لا يشرك به شيئا، فقال مبينا أنهم ليسوا مرادين لشيء[8]
من ذلك على وجه يعمهم و غيرهم من الصالحين: ﴿ان الذين سبقت لهم منا﴾
[9]أي و لنا العظمة التي لا يحاط بها[9] ﴿الحسنى﴾ أي الحكم [10]بالموعدة
البالغة في الحسن[10] في الأزل سواء ضل[11] بأحد منهم الكفار فأطروه
أو لا ﴿اولئك﴾ [9]أي العالو الرتبة[9] ﴿عنها﴾ [أي جهنم -[12]].
١٥ [13]و لما كان الفوز مطلق الإبعاد عنها[14]. لا كونه من[15] مبعد معين. قال:

---

(١) العبارة من هنا إلى «مسموع» ساقطة من ظ (٢) من مد، و في الأصل: المطلق (٣) راجع تفسيره ٣/١٩٧ (٤) من ظ و مد و التفسير، و في الأصل: مخلد. (٥) في التفسير: حبان - خطأ (٦) من ظ و مد، و في الأصل: معبودهم. (٧) زيدت الواو في ظ (٨) سقط من ظ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ. (١٠-١٠) في ظ: بها (١١) من ظ و مد، و في الأصل: منا (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) العبارة من هنا إلى «معين قال» ساقطة من ظ (١٤) من مد، و في الأصل: منها (١٥) سقط من مد.

﴿مبعدون ﴾ برحمة الله[1] لأنهم أحسنوا فى العبادة و اتقوا ، و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؛ قال ابن كثير فى تفسيره[2] : قال أبو بكر بن مردويه : [حدثنا - [3]] محمد بن على بن سهل[4] ثنا محمد بن حسن الأنماطى ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا يزيد بن [أبى - [3]] حكيم نا الحكم - يعنى ابن أبان - عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء ٥ عبد الله بن الزبعرى[5] إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : تزعم[4] أن الله أنزل عليك هذه الآية " انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون " قال ابن الزبعرى : قد عبدت الشمس و القمر و الملائكة و عزير و عيسى ابن مريم أ كل هؤلاء فى النار مع آلهتنا ؟ فنزلت " و لما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون و قالوا ءآلهتنا ١٠ خير ام هو ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون " ثم نزلت " ان الذين سبقت لهم [6]منا الحسنى اولئك عنها مبعدون[6] " رواه الحافظ أبو عبد الله فى كتابه[7] الأحاديث المختارة[8] - انتهى . [9]و فى السيرة[10] النبوية[11] أن النبي صلى الله عليه و سلم لما بلغه اعتراض ابن الزبعرى قال : [12]كل من أحب[12]

---

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : له (٢) راجع ٣/١٩٨ (٣) زيد من ظ و مد و التفسير (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد و التفسير (٥) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : الزبيرى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد ، و موضعه فى ظ : الآية (٧) فى مد : كتاب (٨) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : المختار (٩) و العبارة من هنا إلى « بعبادته » ساقطة من ظ (١٠) راجع ابن هشام ١/٢٥١ (١١) سقط من مد (١٢-١٢) فى الأصل بياض ملأناه من مد و السيرة .

أن يعبد من دون الله فهو [مع ـ[1]] من عبده . [2]إنهم إنما[2] يعبدون الشياطين و من [3]أمرتهم بعبادته[3] . و قد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك و مدح النبي صلى الله عليه و سلم .

و لما كان أقل ما ينكئ من المكروه سماعه ، قال :

٥ ﴿ لا يسمعون حسيسها ج ﴾ أي حركتها البالغة و صوتها الشديد ، فكيف بما دونه لأن الحس مطلق[4] الصوت أو الخفي منه كما[5] قال البغوي[6] ، فاذا زادت حروفه زاد معناه ﴿ و هم ﴾ [7]أي الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ في ما ﴾ [8]و لما كانت الشهوة - و هي طلب النفس اللذة - لا تكون إلا بليغة ، عبر بالافتعال دلالة على عظيم ما هم فيه من اللذة

١٠ فقال[8] : ﴿ اشتهت[9] انفسهم ﴾ في الجنة ﴿ خلدون ج ﴾ [8]أي دائما أبدا[8] .

/٥٢٧ و لما كان معنى ذلك أن سرورهم ليس له زوال ، أكده بقوله : ﴿ لا يحزنهم ﴾ أي يدخل عليهم حزنا - على قراءة الجماعة حتى[10] نافع بالفتح ، عن حزنه ، أو جعلهم حزينين - على قراءة أبي جعفر بضم ثم كسر ،

١٥ من احزنه ـ رباعيا ، فهي أشد ، فالمنفي فيها كونه يكون لهم صفة -[11]]

---

(١) زيد من مد و السيرة (٢-٢) من السيرة . و في الأصل : انهم و ما . و في مد : انما (٣-٣) من السيرة ، و في الأصل و مد : امرهم بالعبادة (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : يطلق على (٥) سقط من مد (٦) راجع المعالم على هامش اللباب ٤/٢٦٢ (٧) العبارة من هنا إلى « الحسنى » ساقطة من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) بهامش ظ . قال الأصبهاني : و الشهوة طلب النفس اللذة (١٠) كذا (١١) زيد ما بين الحاجزين من مد .

﴿ الفزع الأكبر ﴾ أي فما[1] الظن بما[1] دونه ﴿ وتتلقّٰهم ﴾ [2] أي تلقيا بالغا في الإكرام[2] ﴿ الملٰئكة ﴾ حيثما توجهوا ، قائلين بشارة لهم : ﴿ هذا يومكم ﴾ إضافة إليهم لأنهم المنتفعون به[3] ﴿ الذى كنتم ﴾ في الدنيا . [ولما تطابق على الوعد فيه الرسل والكتب والأولياء من جميع الأتباع ، بني الفعل للمفعول إفادة للعموم فقال -[4]] : ﴿ توعدون ﴾ أي [5] بحصول ما تتمنون[5] فيه من النصر والفوز العظيم ، والنعيم المقيم ، فأبشروا فيه بجميع ما يسركم .

ولما كانت هذه الأفعال على غاية من[6] الأهوال ، تتشوف بها النفس إلى معرفة اليوم الذى تكون فيه ، قال[7] تعالى شافيا لعي هذا السؤال ، زيادة في تهويل ذلك اليوم لمن له وعى : ﴿ يوم ﴾ أي تكون هذه الأشياء يوم ﴿ نطوى ﴾ [2] أي بما لنا من العظمة الباهرة[2] ﴿ السماء ﴾ طيا فتكون كأنها لم تكن ؛ ثم صور طيها بما يعرفون فقال مشبها للمصدر[8] الذى دل عليه الفعل : ﴿ كطى السجل ﴾ أي الكاتب[2] الذى له العلو والقدرة على مكتوبه[2] ﴿ للكتب ﴾ أي القرطاس الذى يكتبه ويرسله

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : بما (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من مد . وفي الأصل : معه ، والعبارة من « إضافة » إلى هنا ساقطة من ظ .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥-٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : حصول ما تتمنوا (٦) من ظ ومد . وفي الأصل : عن (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : فقال (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : بالمصدر .

إلى أحد ، و إنما قلت ذلك لأن السجل يطلق على الكتاب و على الكاتب - قاله فى القاموس ، و اختير للفاعل لفظ السجل لما مضى فى سورة هود من أن هذه المادة تدور على العلو ، و للطوى لفظ الكتاب الدال على الجمع ، لكونه لازما للطى ، مع أن ذلك أنسب لما جعل كل منهما مثالا له ، و قراءة المفرد لمقابلة لفظ السماء ، و الجمع للدلالة على أن المراد الجنس ، فجميع السماوات تطوى ؛ قال ابن كثير[١] : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقى حدثنا محمد بن سلمة عن أبى الواصل عن أبى المليح عن الأزدى عن أبى الجوزاء الأزدى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يطوى الله السماوات السبع بما فيها من الخليقة ، و الأرضين السبع بما فيها من الخليقة ، يطوى ذلك كله بيمينه حتى يكون ذلك[٢] بمنزلة خردلة .

و لما كان هذا عند من لا يعلم أعظم استبعادا من استبعادهم إعادة الموتى ، قال[٣] [٤]دالا عليه[٤] مقربا له إلى العقول بتشبيه الإعادة بالإبداء ، فى تناول القدرة لهما على السواء . فانه كما أخرجه بعلم من خزائن قدرته كذلك يرده بعلمه فى خزائن قدرته ، كما يصنع فى نور السراج و نحوه إذا أطفئ ، فكذا فى غيره من جميع الأشياء - [٥]] ﴿ كما ﴾ أى مثل ما

(١) راجع تفسيره ٣/١٩٩ (٢) زيد فى التفسير : كله فى يده (٣) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد .

﴿بدانآ﴾ [١]أى بما علم لنا من العظمة[١] ﴿اول خلق﴾ [[٢]- أى تقدير أىّ تقدير كان ، [٣]نكره ليفيد التفصيل واحدا واحدا ، بمعنى أن كل خلق جل أو قل سواء فى هذا الحكم ، و هو أنا[٢]] ﴿نعيده[٤]﴾ [١]أى بتلك العظمة بعينها[١]، [٣]غير ناسين له و لا غافلين و لاعاجزين عنه[٣]، فما كان متضامّ الأجزاء فمددناه نضمه بعد امتداده ، و ما كان ميتا فأحييناه نميته بعد ٥ حياته ، و ما كان حيا فأمتناه نحييه بعد موته ، و نعيد منهم من التراب من بدأناه[٤] منه ، و الحاصل أن من أوجد شيئا لايبعد عليه التصرف فيه كيفما كان ؛ روى البخارى فى التفسير[٥] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب النبى صلى الله عليه و سلم فقال[٦] : إنكم محشورون إلى الله عراة غرلا "كما بدانا اول خلق نعيده" - الآية ، أول من يكسى [٧]يوم ١٠ القيامة[٧] إبراهيم عليه السلام ، ألا إنه يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب ! أصحابى ! فيقال : لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح "كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله : شهيد" فيقال[٨] : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . ثم أعلم أن ذلك أمر لا بد منه بالتعبير بالمصدر ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) ورد ما بين الرقمين فى ظ بعد « أى تقدير كان » سطر ١ (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : بدانا.
(٥) راجع الصحيح ٢/٦٩٣ (٦) من الصحيح ، و فى النسخ : قال (٧-٧) تأخر فى النسخ عن «إبراهيم عليه السلام» . والترتيب من الصحيح (٨) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : فقال .

[1]تأكيدا لما أنكروه و بالغوا فى إنكاره[1] فقال: ﴿وعدا﴾ و أكد ذلك بقوله: ﴿علينا[4] ﴾ و زاده[2] بقوله: ﴿ انا كنا ﴾ [3]أى أزلا و أبدا ، على حالة لا تحول[3] ﴿ فعلين ٥ ﴾ أى شأننا / أن نفعل ما نريد ، لا كلفة علينا فى شيء من ذلك بوجه .

/ ٥٢٨

٥ و لما ذكر صدقه فى الوعد و سهولة الأفعال عليه ، و كان من محط كثير[4] مما مضى أن من فعل [ما لا يرضى الله غيّر عليه ، كائنا من كان ، و من فعل - [5]] ما أمره به نصره و أيده و لو بعد حين ، كما أشير إليه بقوله تعالى "قل ربى يعلم القول فى السماء و الارض" و ما بعده [من أشكاله -[5]] ، [حتى ختم بقوله "او لم يروا انا نأتى الارض ننقصها [6]"-

١٠ الآية - [6]] ، قال تعالى عاطفا على "لقد انزلنا اليكم كتبا فيه ذكركم[7]" و ما عطف عليه من أشباهه مذكرا[8] بما وعد على لسان داود عليه السلام: ﴿و لقد كتبنا ﴾ [أى - [6]] [9]على عظمتنا التى نفوذها محقق لا تخلف له أصلا [9] ﴿ فى الزبور ﴾ أى الذى أنزلناه على داود عليه السلام .

[و لما كان المكتوب المشار إليه لم يستغرق ما بعد الذكر المراد

١٥ من هذا الزبور - [6]] ، [أشار[10] إلى التبعيض باثبات الجار فقال - [5]] :

(١-١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد «انا كنا » سطر ٢، و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٢) فى مد : زاد (٣-٣) وقع فى الأصل قبل « فقال وعدا » سطر ١، و الترتيب من مد، و سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : كثيرة. (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : ذكر (٨) من ظ و مد . و فى الأصل : فذكرا (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ : و أشار .

﴿ من بعد الذكر ﴾ أى الكلام الداعى إلى الله تعالى الدال عليه من الدعاة و المواعظ و التسبيح و التمجيد[١] الذى ابتدأنا [به - [٢]] الزبور ﴿ ان الارض ﴾ أى جنسها الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها و لأرض المحشر و الجنة و غير ذلك مما يعلمه الله ﴿ يرثها عبادى ﴾[٣] و حقق ما أفادته[٤] إضافتهم إليه من الخصوص[٥] بقوله : ﴿ الصلحون ﴾ أى المتخلقون ٥ بأخلاق [أهل - [٢]] الذكر، المقبلين على ربهم ، الموحدين [له - [٢]] ، المشفقين من الساعة ، الراهبين من سطوته ، الراغبين فى رحمته ، الخاشعين له - كما أشرنا إليه بقولنا " قل ربى يعلم القول " و ما ضاهاه و بذكر ما سلف فى هذه السورة من شاهد ذلك من قصص هؤلاء الأنبياء الذين ضمّناها بعض أخبارهم دلالة على أن العاقبة[٦] لمن أرضانا " لنهلكن الظلمين ١٠ و لنسكننكم الارض من بعدهم "، " ان الارض [لله - [٧]] يورثها[٨] من يشاء من عباده ". " اولئك هم الورثون الذين يرثون الفردوس " و فى هذا إشارة بالبشارة بأنه تعالى يورث هذه الأمة على ضعفها ما أورث داود و ابنه سليمان عليهما الصلاة و السلام على ما أعطاهما من القوة [من - [٢]] إلانة الحديد و الريح و الحيوانات كلها من الجن و الإنس و الوحش ١٥

---

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : التحميد (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى «الخصوص بقوله » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : ادلته - كذا (٥) من مد ، و فى الأصل : المخصوص (٦) فى مد : الآخرة (٧) زيد من ظ ومد والقرآن الكريم سورة ٧ آية ١٢٨ (٨) من ظ ومد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : يرثها .

[١]و الطير[١] و غير ذلك ، و المراد بهذا الكلام - و الله أعلم - ظاهره ، فانه ابتدأ سبحانه الزبور بالأذكار و المواعظ إلى أن قال فى المزمور[٢] السادس و الثلاثين[٣] - و هو قبل ربعه - هذا اللفظ بعينه . بيان ذلك[٤] :

المزمور الأول : طوبى للرجل الذى لا يتبع رأى المنافقين ، و لم ٥ يقف فى طريق الخاطئين ، و لم يجلس فى مجالس المستهزئين ، لكن فى ناموس الرب مشيئته[٥] ، و فى سننه يتلو ليلا و نهارا . فيكون كمثل الشجرة المغروسة على مجارى المياه التى تعطى ثمرتها فى حينها ، و ورقها لا [٦]ينتثر ، و كل ما يعمل يتم ، [ليس -[٧]] كذلك [٨] المنافقون ، بل كالهباء الذى تذريه الرياح عن وجه الأرض ، فلهذا لا يقوم المنافقون فى القضاء ١٠ و لا الخطأة فى مجمع الصديقين . لأن الرب عالم بطريق الأبرار ، و طريق المنافقين[٩] تبيد .

المزمور الثانى : لما ذا ارتجت الشعوب ؟ و هدت الأمم بالباطل ؟ قامت ملوك الأرض و رؤساؤها و ائتمروا جميعا على الرب و على مسيحه [قائلين -[١٠]] . لنقطع اغلالهما [١١] و نلق عنا نيرهما[١٢] . الساكن فى السماء

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزبور (٣) السابع و الثلاثين فيما لدينا من نسخة التوراة (٤) زيد فى الأصل : قال فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى الزبور : مسرته . (٦) من ظ و مد . و فى الاصل : كما (٧) زيد من مد و الزبور (٨) من ظ و مد و الزبور . و فى الأصل : ذلك (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : الابرار ، و فى الزبور ، الأشرار (١٠) زيد من الزبور (١١) فى النسخ : اعلالهم . و فى الزبور : قيودهما (١٢) فى النسخ : ثيرهم . و فى الزبور : ربطهما .

يضحك بهم، و الرب يمقتهم، حينئذ يكلمهم بغضبه[١]، و بسخطه يذهلهم، أنا أقمت ملكا منهم على صهيون جبل قدسه[٢]. لأخبر ميثاق الرب، الرب قال لى: أنت[٣] [٤]ابنى، أنا اليوم ولدتك[٤]، سلنى فأعطيك الشعوب، ميراثك و سلطانك على أقطار الأرض، ترعاهم[٥] بقضيب من حديد، /ومثل آنية الفخار تسحقهم، من الآن تفهموا أيها الملوك[٦]! تأدبوا يا جميع ٥ / ٥٢٩ قضاة الأرض! اعبدوا الرب بخشية، سبحوه برعدة، [٧]الزموا الأدب[٧] لئلا يسخط الرب عليكم فتضلوا عن سبيله[٨] العادلة، إذا ما توقد رجزه[٩] عن قليل، طوباهم[١٠] المتوكلين عليه.

المزمور الخامس: استمع يا رب قولى داعيا، و كن لدعائى مجيبا، و أنصت إلى صوت تضرعى، فانك ملكى و إلهى، و إنى لك أصلى ١٠ فى غدواتى، استمع[١١] يا رب طلبتى لأقف أمامك بالغـــداة و ترانى، لأنك إله لاترضى الإثم، و لايحل فى مساكنك شرير، و لايثبت مخالفو وصاياك بين يديك، أبغضت جميع عاملى الإثم، و أبدت كل الناطقين بالكذب، الرجل السافك الدماء الغاش[١٢] الرب يرذله[١٣]، و انا بكثرة

(١) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: بغضب (٢) فى الزبور: قدسى. (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من الزبور، و فى الأصل: و لا اليوم، و ما بين الرقمين ساقط من ظ و مد (٥) فى الزبور: تحطمهم (٦) فى مد: الملاك. (٧ - ٧) فى الزبور: قبلوا الابن (٨) فى مد: سبله (٩) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: رحوه (١٠) فى الزبور: طوبى لجميع (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اتسمع، و فى الزبور: تسمع (١٢) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: الفتن (١٣) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: يرزله.

رحمتك أدخل بيتك ، و أسجد[1] فى هيكل قدسك مستشعرا بخشيتك .
اهدنى يا رب بعدلك ، و من أجل أعدائى سهل أمامك طريقى ، فانه
ليس فى أفواههم صدق . بل الإثم فى قلوبهم ، حناجرهم قبور مفتحة ،
و ألسنتهم غاشة ، دنهم يا الله ! و مثل كثرة نفاقهم[2] ارفضهم لأنهم
٥ أسخطوك[3] يا رب ، و يفرح بك جميع المتوكلين عليك ، و إلى الأبد
يسرون ، و فيهم تحل بركتك ، و يفتخر بك كل محبى اسمك ، لأنك
يا رب تبارك الصديق ، و كمثل سلاح ، المسرة كللتنا[4] .

المزمور السادس : يا رب ! لا تبكتنى بغضبك ، و لا تؤدبنى[5] بزجرك ،
ارحمنى يا رب فانى ضعيف . اشفنى يا رب فان عظامى قلقت[6] ، و نفسى
١٠ جزعت جدا ، و أنت نج نفسى و خلصنى برحمتك ، فليس فى الموتى من
يذكرك ، و لا فى الجحيم من يشكرك . تعبت فى تنهدى ، أحم[7] فى كل
ليلة سريرى[8] ، و بدموعى أبل فراشى ، ذبلت من السخط عيناى ، ابعدوا
عنى يا جميع عاملى الإثم ، فان الرب سمع صوت بكائى ، الرب سمع
صوت تضرعى . الرب قبل صلاتى ، يخزون و يبهتون جميع أعدائى ،
١٥ و يتضرعون و يسقطون جدا عاجلا .

---

(١) من ظ ومد وا زبور ، وفى الأصل : ادخل (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : تعامهم ، و فى الزبور : ذنوبهم (٣) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصر : يسخطوك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلتنا ، و فى الزبور : تحيطه (٥) فى ظ و مد : تردبنى (٦) فى ظ : خلقت ، و فى الزبور : رجفت . (٧) فى ازبور : أعوم (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : سريرتى .

و فى

و فى المزمور التاسع[١] : أشكرك يا رب من كل قلبى ، و أقص جميع عجائبك ، أفرح و أسر بك ، و أرتل لاسمك العلى حين تولى أعدائى على أدبارهم يضعفون و يبيدون من بين يديك . لأنك قضيت لى و انتقمت لى ، استويت على العرش يا ديان الحق . زجرت الشعوب ، أبدت المنافق أسقطت[٢] اسمه[٣] إلى الأبد و إلى أبد الأبد . لأنك أبدت سلاح العدو ، ٥ و أفنيت مدائنه ، و أزلت ذكرها ، الرب دائم إلى الأبد ، أعدّ كرسيه للقضاء ليقضى للسكونة بالعدل ، و[٤] يدين الشعوب بالاستقامة .

المزمور الثانى عشر[٥] : حتى متى يا رب تنسانى إلى التمام ؟ حتى متى يا رب تصرف وجهك عنى ؟ حتى متى تترك هذه الأفكار فى نفسى و الهموم و الأوجاع فى قلبى النهار كله ؟ حتى متى يعلو عدوى على ؟ انظر ١٠ إلىّ و استجب لى يا ربى و إلهى ! أنر عينى لئلا أنام ميتا ، و لئلا يقول عدوى : إنى عليه قد قدرت . و المضطهدون[٦] [لى -[٧]] يفرحون إذا أنا زللت . و أنا على رحمتك توكلت ، فلى بخلاصك يفرح ، أرتل الرب الذى صنع لى حسنا ، و أسبح اسم الرب العالى .

المزمور الرابع عشر : يا رب من يسكن فى / مسكنك أو من يحل ١٥ / ٥٣٠ فى طور قدسك ؟ ذاك الذى يمشى بلاعيب و يعمل البر و يتكلم[٨] فى قلبه

---

(١) فى مد : العاشر ، و ربما يكون هو الأصح (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسمك ، و فى الزبور : اسمهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او ، وليس فى الزبور (٥) الثالث عشر فيما عندنا من نسخة الزبور ، و نفس الزيادة تطرد إلى آخر المزامير (٦) بهامش ظ : قاموس : ضهده كمنعه : قهره كاضطهده .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : تكلم ، وفى الزبور : المتكلم .

بالحق ، و لا يغش بلسانه أحدا ، و لا يصنع بقريبه سوءا ، و لا يلتمس لجيرانه عارا ، عيناه تشنأ الأثمة ، يمجد أتقياء الرب ، يحلف لقريبه ولا يكذب ، و لا يعطى فضته بالربا ، و لا يقبل الرشوة على الأزكياء ، الذى يفعل هذا يدوم و لا يحول إلى الأبد .

٥ المزمور السادس عشر : استمع يا الله ببّرى . و انظر إلى تواضعى ، و أنصت لصلاتى [١]من شفتين[١] غير غاشتين ، من قدامك يخرج قضائى ، عيناك[٢] تنظران الاستقامة ، بلوت قلبى و تعاهدتنى ، جربتنى فلم تجد فىّ ظلما ، و لم يتكلم فمى بأعمال الشر ، من أجل كلام شفتيك حُفظت طرق صعبة لكيما يشتد فى سبلك نهوضى و لا تزل[٣] خطاى ، و إذا ما دعوتك

١٠ استجب لى ، اللهم أنصت إلىّ سمعك ، و تقبل دعائى يا مخلص المتوكلين عليك ، خلصنى بيمينك من المضادين [لى - [٤]] . احفظنى مثل حدقة العين ، و بظلال جناحك ظللنى ، من وجه المنافقين الذين أجهدونى ، و أعدائى الذين اكتنفوا نفسى ، [٥]فقدت شحومهم[٥] ، و تكلمت أفواههم بالكبرياء ، عند ما أخرجونى أحاطوا بى ، نصبوا عيونهم ليضربوا بى الأرض ،

١٥ استقبلونى مثل الأسد المستعد للفريسة ، و مثل الشبل الذى يأوى فى خفية ، قم يا رب ! أدركهم و عرقلهم ، و نج نفسى من المنافقين ، و من سيف

(١-١) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد و الزبور إلا أن كلمة « من » ليست فى الأولين (٢) من الزبور . و فى النسخ : عيناى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لازل ، و فى الزبور : ما زلت (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى الزبور : و قلبهم السمين قد أغلقوا .

أعدائك ، اللهم عن قرب شتتهم فى الأرض ، اقسمهم فى حياتهم .

المزمور السابع عشر : أحبك يا رب قوتى ! الرب رجائى و ملجأى و مخلصى إلهى عونى ، عليه توكلى ، ساترى و خلاصى و ناصرى ، أسبح الرب و أدعوه ، أنجو من أعدائى ، لأن غمرات الموت اكتنفتنى ، و أودية الأثمة أفزعتنى ، أحاطت بى أهوال الجحيم ، شباك الموت أدركتنى ، ٥ و عند شدتى دعوت الرب ، و إلى إلهى صرخت ، سمع من هيكل قدسه صوت دعائى ، أمامه يدخل إلى مسامعه ، تزلزلت الأرض وارتعدت ، تحركت أساسات الجبال و تزعزعت[1] من أجل أن الرب غضب عليها ، صعد الدخان من رجزه و التهبت النار أمامها ، اشتعل منه[2] جمر نار ، طأطأ السماوات ، و الضباب تحت رجليه ، طار على أجنحة الرياح ، جعل الظلمة ١٠ حجابه ، تحوط مظلته مياه مظلمة فى سحب الهواء من الزمهرير ظلاله ، و من بريق نور وجهه جعل الغمام يجرى بين يديه ، بردا و جمر نار ، أرعد الرب من السماء . و أبدى العلى صوته ، أرسل سهاما و فرقهم ، و أكثر البرق و أفزعهم و أقلقهم ، ظهرت عيون المياه ، و انكشفت أساسات المسكونة من انتهارك يا رب ! و من هبوب ريح سخطك . أرسل من ١٥ العلى و أخذنى ، نشلنى من المياه الغزيرة ، و خلصنى من أعدائى الأشداء ، و من المبغضين لى . لأنهم تقووا أكثر منى ، سبقونى فى يوم حزنى ، نجانى فى يوم جزعى . الرب صار لى سندا ، أخرجنى إلى السعة ، و أنقذنى لأنه تراءف لى ، خلصنى من أعدائى الأشداء المبغضين ، جازانى الرب

---

(١) فى ظ و مد : تزعزت (٢) سقط من ظ .

مثل برى ، و مثل طهر يدى يعطيني ، لأني حفظت سبل الرب ، و لم أبعد من إلهى ، إذ كل أحكامه[1] قدامى ، و عدله لم ابعده عنى ، أكون معه بلا عيب ، و لم تزدحف خطاى ، جازانى الرب مثل برى ، و مثل طهر يدى أمامه ، مع الخفيف عفيفا [تكون - [2]] ، و مع البار بارا تكون ،
٥ و مع الملتوى /٥٣١ ملتويا تكون ، و مع المختار مختارا تكون ، من أجل أنك تنجى الشعب المتواضع و تذل أعين المتعظمين ، و أنت يا رب تضيء سراجى ، لأنى بك أنجو من الرصد ، و بالهى أعبر السور[3] ، و الله لا ريب فى سبله ، كلام [الرب - [2]] مختبر ، يخلص جميع المتوكلين عليه ، إله مثل الرب ، و لا عزيز مثل إلهنا ، [الإله -[2]] الذى عضدنى بقوته ، جعل
١٠ سبلى بلا عيب ، ثبت قدمى ، و على المشارق رفعنى ، علم يدى القتال ، شدد ذراعى مثل قوس نحاس ، أعطانى[4] الخلاص ، يمينه نصرتنى[5] ، و أدبه أقامنى إلى التمام ، حكمتك علمتنى ، وسعت خطاى تحتى ، و لم تضعف قدماى ، أطلب أعدائى و أدركهم ، و لا أرجع حتى أفنيهم ، أرميهم فلا يستطيعون القيام ، يسقطون تحت قدمى ، عضدتنى بقوة فى الحرب ، جعلت كل الذين
١٥ قاموا علىّ تحتى ، أبدت أعدائى ، استأصلت الذين شنأونى ، صرخوا فلم يكن لهم مخلص ، رغبوا إلى الله فلم يستجب لهم ، أسحقهم مثل الثرى

(١) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : احكامى (٢) زيد من ظ و مد و الزبور (٣) من ظ و مد وفى الأصل : السو ، و فى الزبور : أسوارا (٤) زيد فى ظ و مد : نصرة (٥) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : نصرنى .

أمام

[1]أمام الريح ، و كمثل طين الطرق أطأهم ، نجني من مقاومة الألسن ، سيرنى رأسا على الشعوب ، الشعب الذى لا أعرفه تعبد لى ، سمع لى سماع الأذن ، بنوا الغرباء [أقبلوا - [2]] و أطاعونى ، [3]و لم يؤمن بى بنو الغرباء[3]. حى هو الله ، و تبارك إلـه خلاصى . تعالى الرب الذى أنقذنى ، الله الذى ثبّت لى الانتقام . أخضع الشعوب تحتى ، و نجانى من أعدائى ، و رفعنى على ٥ الذين قاموا[4] علىّ ، [و - [2]] من الرجال الآثمة نجانى ، لذلك أشكرك يا رب بين الشعوب ، و أرتل لاسمك .

المزمور الحادى و العشرون : إلهى إلهى لما ذا تركتنى ؟ تباعدت عن خلاصى لقول جهلى ، إلهى دعوتك بالنهار فلم تستجب لى ، و فى الليل[5] [6]فلم يكن منى جهلا[6] ، انت كأن فى القديسين يا فخر إسراءيل ، ١٠ بك آمن آباؤنا ، و توكلوا[7] عليك فنجيتهم ، و صرخوا إليك فخلصتهم ، رجوك فلم يخزوا[8] ، و أنا فدودة و لست إنسانا ، عار فى الناس ، مرذول فى الشعب ، كل من رآنى يمقتنى ، تكلموا بشفاههم و هزوا رؤسهم [و - [9]] قالوا : إن كان آمن أو توكل على الرب فلينجه ، و يخلصه إن

(١) زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد و الزبور فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى الزبور : بنو الغرباء يبلون و يزحفون من حصونهم (٤) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : اقاموا (٥) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : النهار (٦ - ٦) فى الزبور : فلا هدو لى (٧) فى ظ : تواكلوا (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : فلم تخزوا - كذا .
(٩) زيد من مد .

كان يحبه ، و أنت من البطن أخرجتني ، و مذ كنت أرتضع من بطن أمي[1] ألقيت إليك ، و عليك من الرحم توكلت ، و من بطن أمي أنت إلهي فلا تبعد عني ، فان الشدة قريبة ، و ليس [من -[2]] يخلصني ، أحاطت بي عجول كثيرة ، اكتنفتني ثيران سمان ، فتحت أفواهها على
٥ مثل الأسد الزائر المفترس ، و مثل الماء انهرقت عظامي ، و صار قلبي مثل الشمع المذاب في وسط بطني ، يبست[3] قواي مثل الفخار ، لصق لساني بحنكي ، و إلى تراب الموت أنزلتني ، أحاطت بي كلاب كثيرة ، اكتنفتني جماعة الأشرار[4] ، ثقبوا يدي و رجلي ، و زعزعوا جميع عظامي ، نظروا إليّ و شتموني[5] ، و اقتسموا بينهم ثيابي ، و اقترعوا على لباسي ،
١٠ و أنت يا رب فلا تبعد من معونتي ، انظر إلى تضرعي ، نج من السيف نفسي ، و من يد الكلاب التي / احتوشتني[6] ، و من فم الأسد خلصني ، /٥٣٢
و من القرن المتعالي على تواضعي ، لأبشر باسمك إخوتي ، و بين الجماعة أمجدك ، أيها الخائفون من الرب مجدوه ! يا جميع ذرية يعقوب سبحوه ! يخشاه كل زرع إسرائيل ، لأنه لم يهن و لم يرذل دعوة المسكين ،

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : امتي ، و ليس في الزبور (٢) زيد من ظ و مد (٣) من الزبور ، و في النسخ : يبس (٤) من ظ و مد و الزبور ، و في الأصل : الاسرار (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : شمتوني ، و في الزبور : يتفرسون في ؛ و زيد بعده في الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : احتوشت ، و الجملة في الزبور : من يد الكلب وحيدتي .

و لا صرف وجهه عنى ، و عند دعائى استجاب لى ، يأكل المساكين و يشبعون ، و يسجد قدامه جميع قبائل الشعوب ، لأن الملك الرب ، و سلطانه على الأمم ، تأكل و تسجد قدام الرب جميعُ ملوك الأرض ، و بين يديه يجثو جميع هابطى التراب لله ، يحى نفسى[1] ، و ذريتى له تتعبد ، أخبروا بالرب أيها الجيل[2] الآتى ، و حدثوا بعدله ، ليرى الشعب الذى ٥ يولد صنعَ الرب .

المزمور الثلاثون : عليك يا رب توكلت[3] فلا أخزى إلى الأبد ، خلصنى و أنقذنى بعدلك ، أنصت لى بسمعك ، و استنقذنى عاجلا ، كن لى إلها نصيرا و ملجأ و مخلصا لأنك عونى و ملجأى ، و باسمك يا رب تهدينى و تعيننى و تخرجنى من هذا الفخ الذى أخفى[4] لى ، [5]لأنك ناصرى ، ١٠ و فى يدك أسلم روحى[6] ، نجنى يا رب إله الحق ، شنأت الذين يغتبطون بالأوثان الباطلة ، و أنا على الرب توكلت ، افرح و أسر برحمتك لأنك نظرت إلى تواضعى ، و خلصت نفسى من الشدائد ، و لم تسلمنى فى أيدى الأعداء ، اقمت رجلى فى السعة ، ارحمنى يا رب فانى حزين . جزعت[7]

(١) كذا ، و الجملة فى الزبور : ... التراب و من لم يحى نفسه (٢) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : الجلين (٣) زيد فى الأصل : يا رب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٤) فى مد : المخفى (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد و الزبور لحذفناها (٦) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : روح (٧) فى الزبور : خسفت .

عيناى من سخطك ، و نفسى و قواى ، فنى عمرى بالأحزان ، و سنى بالزفرات ، ضعفت بالمسكنة قوتى و قلقت عظامى ، صرت عارا فى أعدائى و جيرتى ، و رهبة لمن عرفنى ، من عاينني[1] تباعد عنى ، و نسونى فى قلوبهم مثل الميت ، صرت مثل إناء مكسور[2] ، لأنى سمعت سب جميع ٥ من حولى ، هموا بى و عند اجتماعهم[3] علىّ جميعا تآمروا لأخذ نفسى ، فأنا يا رب عليك توكلت . قلت : أنت إلٰهى ، و فى يدك[4] قسمى ، نجنى من يد أعدائى و الطاردين لى . أضئ[5] وجهك على عبدك ، و خلصنى برحمتك ، يا رب لا تخزنى فانى دعوتك ، تخزى المنافقون و يهبطون إلى الجحيم ، تبكم الشفاه الغاشة المتقولة على الصديق بالزور و البهتان ، ما ١٠ أكثر[6] رحمتك يا رب لجميع خائفيك . أعددتها لمن اعتصم بك أمام بنى البشر ، استرهم فى كنفك[7] من[8] أشرار الناس و فى ظلال وجهك ، و قهم من مقاومة الألسن ، تبارك الرب الذى[9] انتخب له[9] الأصفياء فى المدينة العظيمة ، أنا قلت فى تحيرى : إنى سقطت من حذاء عينيك ، و لذلك سمعت صوت تضرعى حين دعوتك ، حبوا الرب يا جميع

---

(١) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : عافنى (٢) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : مسكون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخفابهم (٤) فى ظ : يديك (٥) من الزبور ، و فى الأصول : يضى (٦) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : أكثرت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كفنك ، و فى الزبور : ستر وجهك (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : بين (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتجت الاولياء ، و فى الزبور : قد جعل عجبا رحمته لى .

أصفيائه

أصفيائه، فان الرب يبتغي الحق، و يكافئ[1] المستكبرين بفعلهم، تشتد قلوبكم و تقوى أيها المتوكلون على الرب.

المزمور الثالث و الثلاثون: أبارك[1] الرب في / كل حين، و كل / ٥٢٣
أوان تسبيحه في فمي، بالرب تفتخر نفسي. فليسمع أهل الدعة و يفرحوا، عظموا معي الرب و شرفوا اسمه أجمعون، أنا طلبت[2] الرب فأجابني، ٥
و من شدائدي نجاني، أقبلوا إلى الرب و استتروا به، فان وجوهكم لا تخزى، إن المسكين دعا فاستجاب له الرب، و من جميع أحزانه خلصه، ملك الرب يحوط أتقياءه و ينجيهم، ذوقوا و تيقنوا طيب الرب، طوبى للرجل المتوكل عليه، اتقوا الرب يا جميع قديسيه[3] لأنه لا منقصة لأتقيائه[4]، الأغنياء افتقروا و جاعوا، و الذين يطلبون الرب لا يعدمون ١٠
كل الخيرات، هلموا أيها الأبناء و اسمعوا مني لأفهمكم مخافة الرب، من هو الرجل[5] الذي يهوى الحياة و يحب أن يرى[6] الأيام الصالحة. اكفف لسانك من الشر و شفتيك، لا تتكلم بالغدر. ابعد عن الشر، و اصنع الخير، اطلب السلامة و اتبعها، فان عين الرب على الأبرار. و سمعه إلى تضرعهم. وجه الرب على صانعي الشر ليمحو ذكرهم من ١٥
الأرض، الأبرار دعوا فاستجاب لهم الرب[7]. من جميع شدائدهم نجاهم،

(١) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: اباك (٢) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: طلب (٣) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: تديشيه. (٤) زيد في مد: الاتقياء (٥) في مد: الرب - خطأ (٦) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: يربى (٧) سقط من مد.

الرب[1] قريب من مستقيمي القلوب، يخلص متواضعي الأرواح، كثيرة[2] هي أحزان الصديقين، و من جميعها ينجيهم الرب، الرب[3] يحفظ جميع عظامهم، و واحد منها لا ينكسر، موت الخطأة سيئ، و مبغضو البار يهلكون، الرب ينجي نفوس عبيده، و لا يخيب المتوكلين عليه.

٥ المزمور الرابع و الثلاثون: حاكم يا رب الذين يظلموني، قاتل الذين يقاتلونني، خذ سلاحا و ترسا و قم لمعونتي. استل سيفا و رد به أعدائي الذين يرهقونني. و قل لنفسي: أنا مخلصك، يخزى و يبهت طالبو نفسي، يرتدون[4] على أعقابهم و يخزى الذين يتفكرون بي الشر، و يكونون كالغبار أمام[5] الريح، و ملك الرب [يخزيهم، تكون طريقهم ١٠ زلقة ظلمة عليهم و ملك الرب -[6]] يطاردهم، لأنهم أخفوا لي فخا بغير حق عيروا نفسي، فليأتهم الشر بغتة، و المصيدة التي أخفوها تأخذهم، و في الحفرة التي حفروها يسقطون، نفسي تبتهج بالرب، و تنعم بخلاصه، عظامي كلها تقول: يا رب من مثلك منجي المسكين من يد القوي، و الفقير و البائس من يد الذين يختطفونه، قام علي شهود الزور، ٥ و عما لم أعلم سألوني، جازوني بدل الخير شرا، و أبادوا نفسي و أنا عند ما لجوا علي لبست مسحا، و بالصيام اذللت نفسي، و صلاتي عادت إلى حضني، مثل قريب و أخ كنت لهم، صرت كالحزين الكئيب

(١) تكرر في الأصل فقط (٢) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: كبيرة.
(٣) ليس في الزبور (٤) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: يردون.
(٥) في مد: ايام (٦) زيد من ظ ومد و الزبور معنى.

فى تواضعى. اجتمعوا علىّ و فرحوا، اجتمع علىّ الأشرار ولم أشعر، أثموا[1] ولم يندموا، أحزنونى و هزأوا بى و صروا أسنانهم علىّ، [2]يا رب[2] إلى متى تنتظر! نج نفسى من شر ما نصبوا، و من الأسد نج وحدتى، لأشكرك يا رب فى الجموع الكثيرة و [فى -[3]] الشعب الصالح أرتل لك، لا يسر بى المعادون لى ظلما، الذين يشنأوننى باطلا و يتغامزون بعيونهم، ٥ / لأنهم يتكلمون[4] بالسلام و بالدغل يفكرون، و على المتواضعين فى الأرض / ٥٣٤ يقولون الكذب، فتحوا علىّ أفواههم، [5]و قالوا[5]: نعما نعما! قد قرت به عيوننا، اللهم قد رأيت، لا تغفل. لا تبعد عنى يا رب! انظر سريعا فى قضائى إلهى و ربى، كن[6] فى ظلامتى، و احكم لى مثل برك يا ربى و إلهى، لا تسرهم بى، لئلا يقولوا فى قلوبهم: تفتحت[7] نفوسنا، و لا يقولوا: ١٠ قد ابتلعناه[8]، يخزون و يهنون[9] جميعا الذين يفرحون باساءتى، يلبس الخزى و البهت[10] المتعظمون بالقول علىّ، يسر و يفرح الذين يهوون برى، و يقولون فى كل حين: عظيم هو الرب، الذين يريدون سلامة عبدك، لسانى يتلو عدلك و تمجيدك النهار كله.

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اسمعوا، و فى الزبور: مزقوا (٢ - ٢) من ظ ومد والزبور، وفى الأصل: ترتب - كذا (٣) زيد من ظ ومد والزبور. (٤) فى الزبور: لا يتكلمون (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فقالوا، و فى الزبور: قالوا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: احكم، و الجملة فى الزبور: استيقظ و انتبه إلى حكمى يا إلهى و سيدى إلى دعواى (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: تنتحب - كذا، و الجملة فى الزبور: هه شهوتنا. (٨) من ظ ومد و الزبور، و فى الأصل: ائتلفناه (٩) من ظ ومد و الزبور معنى، وفى الأصل: يتهنون - كذا (١٠) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: البيت.

المزمور السادس و الثلاثون : لاتغبط الأشرار و لاتتأس بفاعلى الإثم ، لأنهم مثل العشب سريعا يجفون ، و مثل البقل الأخضر عاجلا يذبلون ، توكل على الرب و اصنع الخير ، و اسكن فى الأرض ، و عش من نعيمها ، استبشر بالرب يعطيك مطلوبات قلبك ، و اكشف سبلك ٥ للرب و توكل عليه و هو يصنع لك ، يخرج مثل النور عدلك ، و مثل الظهيرة أحكامك . اخضع للرب و اضرع إليه ، لاتغبط الرجل المستقيم[١] فى طريقه المقيم على إثمه ، و لارجلا يعمل بخلاف الناموس ، اكفف من السخط ، و دع الغضب ، لاتبار الشرير ، فأن الأشرار جميعا يبيدون ، و الذين يرجون الرب يرثون الأرض عن قليل . لايوجد الخاطئ ، ١٠ و يطلب[٢] مكانه فلا يوجد ، أهل الدعة[٣] يرثون الأرض ، و يتنعمون بكثرة السلامة ، المنافق يرصد الصديق و يصر عليه أسنانه ، و الرب يهزأ به ، لأنه قد علم أن يومه يدركه . استل الخطأة سيوفهم ، و أوتروا قسيهم . ليصرعوا المسكين و البائس ، و يقتلوا[٤] المستقيم القلب ، تدخل سيوفهم إلى قلوبهم ، و تنكسر قسيهم[٥] . اليسير للصديق خير من كثرة غنى الخطأة ، ١٥ لأن سواعد الخطأة تنكسر ، و الرب يحفظ الأبرار ، الرب يعرف أيام صديقيه[٦] الذين لا عيب فيهم[٦] و ميراثهم إلى الأبد . و لا يخزون فى

---

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : السقيم ، و فى الزبور : الذى ينجح (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بطلت ، و فى الزبور : تطلع فى (٣) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل « و » (٤) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : يقتل (٥) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : قسيمهم . (٦-٦) فى الأصول : التى لاغيب فيها ، و فى الزبور : الكملة .

زمان

زمان سوء. و في أيام الشدائد يشبعون، لأن الأثمة يبيدون، أعداء الرب حين يرتعون ويتمجدون يذهبون مثل الدخان و يضمحلون، الخاطئ يقترض و لايوفى، و البار يترأف و يعطى، لأن مباركيه يرثون[1] الأرض، و لاعنيه يستأصلون، الرب يقوّم خطأ الإنسان و يهديه في الطريق، إن سقط البار لم يجزع. لأن الرب يمسك يده. كنت صبيا ٥ و شخت و لم أر صديقا رفض، و لا ذريته طلبت خبزا. النهار كله يترحم و يقرض[2] و نسله مبارك، ابعد عن الشر و افعل الخير، و اسكن إلى أبد الأبد، [لأن الرب -[3]] يحب العدل، و لايضيع أصفياءه، يحفظهم إلى أبد الأبد، الأثمة يهلكون و نسل الخطأة / يستاصلون، الصديقون ٥٣٥ / يرثون[4] الأرض و يسكنون فيها إلى أبد الأبد، فم الصديق ينطق بالحكمة ١٠ و لسانه يقول العدل، سنة إلهه في قلبه، و لا تزدحف قدماه، الخاطئ يرصد البار و يهم بقتله، و الرب لايسلمه في يديه، و لايدخله في الحكم، ترج الرب و احفظ طرقه، و هو يرفعك لترث الأرض و تعاين الخطأة يبيدون، رأيت المنافق يتعالى، يتطاول مثل أرز لبنان، مررت به فلم أجده و طلبت موضعه فلم أصبه. تمسك بالدعة و ستري الاستقامة. فان ١٥ عاقبة الرجل المستقيم سلامة، الخطأة جميعا يبيدون، و بقايا الأشرار يستأصلون، خلاص الأبرار من عند الرب و هو ناصرهم في زمان الشدائد.

(١) من ظ و مد و الزبور. و في الأصل: يورثون (٢) من ظ و مد و الزبور، و في الأصل: يفترض (٣) زيد من ظ و مد و الزبور (٤) من ظ و مد و الزبور. و في الأصل: يسكنون.

الرب عونهم و منجيهم و منقذهم من الخطأة . و يخلصهم لأنهم توكلوا عليه .

و لما كان ما ذكر في هذه السورة من الحكم و الدلائل و القصص واعظا شافيا حكيما ، و مرشدا هاديا عليما ، قال واصلا بما تقدم إشارة

٥ إلى أنه نتيجته[1] : ﴿ ان فى هذا ﴾ أى الذى ذكرناه هنا من الأدلة على قدرتنا على قيام الساعة و غيرها من الممكنات ، و على أن من ادعى علينا أمرا فأبدناه عليه و جعلنا العاقبة له [فيه - [2]] فهو صادق محق ، و خصمه كاذب مبطل ﴿ لبلغا ﴾ لأمرا عظيما كافيا فى البلوغ إلى معرفة[3] الحق فيما ذكرناه من قيام الساعة و الوحدانية و جميع ما تحصل به البعثة

١٠ ﴿ لقوم ﴾ أى لأناس[4] أقوياء على ما يقصدونه ﴿ عبدين[5] ﴾ أى معترفين بالعبودية لربهم الذى خلقهم اعترافا تطابقه الأفعال بغاية الجد و النشاط .

و لما كان هذا مشيرا إلى رشادهم ، فكان التقدير : فما أرسلناك إلا لإسعادهم ، و الكفاية [لهم - [2]] فى البلاغ إلى جنات النعيم ، عطف عليه ما يفهم سبب التأخير لإنجاز ما يستعجله[6] غير العابدين من العذاب فقال :

١٥ ﴿ و مآ ارسلنك ﴾ أى [7] بعظمتنا العامة[7] على حالة من الأحوال ﴿ الا ﴾ على حال كونك ﴿ رحمة للعلمين ﴾ كلهم ، أهل السماوات و أهل الأرض

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتيجة (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعرفة (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : ناس (٥) العبارة من هنا إلى «النعيم» ساقطة من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستعمله (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

من الجن و الإنس و غيرهم ، طائعهم بالثواب[1] ، و عاصيهم بتأخير العقاب . [الذى كنا نستأصل به الامم -[2]] ، فنحن نمهلهم و نترفق بهم ، إظهارا لشرفك و إعلاءا لقدرك ، حتى نبين أنهم مع كثرتهم و قوتهم و شوكتهم و شدة تمالؤهم عليك لايصلون إلى ما يريدون منك ، ثم نرد كثيرا منهم إلى دينك ، و نجعلهم من أكابر أنصارك و أعاظم أعوانك ، بعد طول ٥ ارتكابهم الضلال ، و ارتباكهم فى أشراك المحال ، و إيضاعهم فى الجدال و المحال ، فيعلم قطعا أنه لا ناصر لك إلا الله الذى يعلم القول فى السماء و الأرض ، و من أعظم ما يظهر فيه هذا الشرف فى عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى يوم يجمع الأولون و الآخرون ، و تقوم الملائكة صفوفا و الثقلان وسطهم ، و يموج بعضهم فى بعض من شدة ما هم / فيه ، يطلبون ١٠ / ٥٣٦ من يشفع لهم فى أن يحاسبوا ليستريحوا من ذلك الكرب إما إلى جنة او نار ، فيقصدون أكابر الأنبياء نبيا نبيا عليهم الصلاة و السلام ، و التحية و الإكرام ، فيحيل بعضهم على بعض ، و كل منهم يقول : لست لها ، حتى يأتوه صلى الله عليه و سلم فيقول : أنا لها . [و يقوم -[3]] و معه لواء الحمد فيشفعه الله و هو المقام[4] المحمود الذى يغبطه [به -[3]] الأولون ١٥ و الآخرون و قد سبقت[5] أكثر الحديث بذلك فى سورة غافر عند "و لا شفيع يطاع[6]" .

---

(١) سقط من مد (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اللواء (٥) من ظ ومد . و فى الأصل : مضت (٦) آية ١٨ .

و لما كان[1] البلاغ الذى رتب[2] هذا لأجله هو التوحيد الملزوم لتمام القدرة، أتبع الإشارة إلى تأخيرهم الإيمان[3] إلى تحذيرهم[4] فقال: ﴿قل﴾ أى لكل من يمكنك [5]له القول[5]: ﴿انما يوحى[6] الىّ﴾ [أى -[6]] [7]ممن لا موحى بالخير[8] سواه و هو الله[9] الذى خصنى بهذا الكتاب المعجز ٥ ﴿انمآ الهكم﴾.

[10]و لما كان المراد إثبات الوحدانية[10]، [لأنه مجمع على إلهيته منه و منهم، كرر ذكر الإله فقال -[6]] : ﴿اله واحد ج﴾[11] لاشريك له، لم يوح إلىّ [10]فى أمر الإله إلا الوحدانية، و ما إلهكم إلا واحد لم يوح إلىّ[10] فيما تدعون من الشركة غير ذلك، فالأول من قصر الصفة على ١٠ الموصوف، أى [12]الحكم على الشيء، أى[12] الموحى[13] [به -[6]] إلىّ مقصور على [14]الوحدانية لا يتعداها[15] إلى الشركة، و الثانى

(١) زيد فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: وجب (٣) فى ظ و مد: الايماء (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تحذيره (٥ - ٥) فى ظ: القول له (٦) زيد من مد (٧) العبارة من هنا إلى «سواه و هو» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: الخير (٩) فى ظ: من الله (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى «إلا واحد» وردت فى الأصل فى غاية الإقحام و التداخل بالإضافة إلى بعض الزيادة و الحذف فرتبناها حسب ظ و مد (١٢-١٢) فى الأصل بياض ملأناه من مد (١٣) فى ظ: الوحى (١٤) العبارة من هنا إلى «مقصور على» ص ١١ ه س ١ ساقطة من مد (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يعدادها - كذا.

من

من قصر الموصوف على الصفة ، أى الإله مقصور على الوحدة لايتجاوزها إلى التعدد ، و المخاطب بهما من يعتقد الشركة ، فهو قصر قلب .

و لما انضم إلى ما مضى من الأدلة العقلية فى أمر الوحدانية هذا الدليل السمعى، وكان ذلك موجبا لأن يخشى إنجاز ما توعدهم به [1] فيخلصوا العبادة لله [1]، أشار إلى ذلك مرهبا و مرغبا بقوله: ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ ٥ أى مذعنون له ملقون إليه مقاليدكم متخلون [2] عن جميع ما تدعونه [3] من دونه لتسلموا من عذابه و تفوزوا بثوابه ، [فى الآية أن هذه الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع - [4]] .

و لما كان توليهم بعد هذه القواطع مستبعد ، أشار إلى ذلك بايراده بأداة الشك فقال : ﴿ فان تولوا ﴾ أى لم يقبلوا ما دعوتهم إليه ١٠ ﴿ فقل ﴾ [أى لهم - [5]] : ﴿ اذنتكم ﴾ أى أعلمتكم ببراءتى منكم و أنى غير راجع إليكم أبدا كما أنكم تبرأتم منى و لم ترجعوا إلىّ ، فصار علكم أن لاصلح بيننا مع التولى كعلمى و علم من اتبعنى . [6] لتتأهبوا لجميع ما تظنونه [6] ينفعكم . [فهو كمن بينه و بين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدره ، فنبذ إليهم العهد ، شهر ذلك النبذ و اشاعه فلم يخفه عن أحد ١٥ منهم ، و هو مما اشتهر انه بلغ النهاية فى الفصاحة و الوجازة - [4]] ، أو أبلغتكم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : متخلفون .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تدعون (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد إلا أن « أى » ليست فى ظ (٦-٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لتاهبوا جميع ما تظنون .

جميع ما أرسلت به و لم أخص به أحدا دون أحد، و هذا كله معنى[١] ﴿ على سوآء ﴾ أى إيذانا مستعليا على أمر نصف وطريق عدل، ليس فيه شيء من خفاء و لا غش و لا خداع و لا غدر، بل نستوى فيه نحن و أنتم.

٥ و لما كان من لازم البراءة من شخص الإيقاع [به -[٢]] كان موضع أن يقولوا هزوًا على عادتهم: نبذت إلينا على سواء فعجل[٣] لنا ما توعدنا[٤] به، فقال: ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ ادرى اقريب ﴾ جدا بحيث يكون قربه على ما تتعارفونه ﴿ ام بعيد ما توعدون ﴾ من عذاب الله فى الدنيا بأيدى المسلمين أو بغيره، او فى الآخرة مع العلم بأنه كائن

١٠ لا محالة، [٥]و أنه لا بد ان يلحق من أعرض عن الله الذل و الصغار[٥].

و لما كان من المقطوع به من / كون الشك إنما هو فى القرب / ٥٣٧
أو البعد أن يكون التقدير: لكنه محقق الوجود، لأن الله واحد لاشريك له، و قريب عند الله، لأن كل ما حقق إيجاده قريب. علله بقوله: ﴿ انه ﴾ [٥] أى الله تعالى [٥] ﴿ يعلم الجهر ﴾ [٥]و لما كان الجهر قد يكون

١٥ فى الأفعال، بينه بقوله[٥]: ﴿ من القول ﴾ مما تجاهرونه [به -[٦]] من العظائم و غير ذلك، [و نبه تعالى على ذلك لأن من أحوال الجهر أن ترتفع الأصوات جدا بحيث تختلط و لا يميز بينها و لا يعرف كثير من حاضريها ما قاله أكثر القائلين. فأعلم سبحانه أنه لايشغله صوت

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: منى (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بجعل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: شهدنا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

عن آخر و لا يفوته شيء عن ذلك ولو كثر -[1]] ﴿و يعلم ما تكتمون ﴾
مما تضمرونه من المخازى كما قال تعالى أولها " قل ربى يعلم القول فى
السماء و الارض " و من لازم ذلك المجازاة عليه بما[2] يحق لكم من تعجيل
و تأجيل ، فستعلمون كيف يخيب ظنونكم و يحقق ما أقول ، فتقطعون
بأنى صادق عليه و لست بساحر ، و لا حالم ولا كاذب [و لا شاعر -[3]] ، ٥
[4]فهو من أبلغ التهديد فانه لا أعظم[5] من التهديد بالعلم .

و لما كان الإمهال قد يكون نعمة . و قد يكون نقمة ، قال : ﴿و ان﴾
أى و ما ﴿ادرى﴾ أى أيكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أو لا .
و لما كان إلى كونه نقمة أقرب ، قال معبرا عما قدرته : ﴿لعله﴾ [6]أى
تأخير العذاب و[7] إيهام الوقت ﴿فتنة لكم﴾ أى اختبار من الله ليظهر ما ١٠
يعلمه منكم من الشر لغيره ، لأن حالكم حال من يتوقع منه ذلك
﴿و متاع﴾ لكم تتمتعون به ﴿الى حين ﴾ أى بلوغ مدة آجالكم التى
ضربها لكم فى الأزل، ثم يأخذكم بغتة أخذة يستأصلكم بها .

و لما كان اللازم من هذه الآيات تجويز أمور تهم سامعها و تقلقه
للعلم بأن الله تعالى له أن يفعل ما يشاء من عدل و فضل ، و كان من ١٥
العدل جواز تعذيب الطائع و تنعيم العاصى[8] ، كان كأنه قيل : فما قال

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) العبارة من هنا إلى « بالعلم » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : ابلغ .
(٦) العبارة من هنا إلى « الوقت » ساقطة من ظ (٧) بياض فى الأصل ملأناه
من مد (٨) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الرسول الشفوق على الأمة حين[1] سمع هذا الخطاب ؟ فقيل : [2]قال مبتهلا إلى الله تعالى ـ هذا على قراءة حفص ، و على قراءة الجمهور : لما علم[3] سبحانه أن ذلك مقلق[4] ، أمره صلى الله عليه و سلم بما [5] يرجى من[5] يقلق[6] من أتباعه فقال : ﴿ قل رب ﴾ أى [أيها -[7]] المحسن إلىّ فى نفسى و اتباعى بامتثال أوامرك و اجتناب نواهيك ﴿ احكم ﴾ أى أبجز الحكم [8]بينى و بين هؤلاء المخالفين[8] ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الذى يحق لكل منا من نصر و خذلان على ما أجريته من سنتك القديمة فى أوليائك و أعدائك " ما ننزل الملئكة الا بالحق " أى الأمر الفصل الناجز ، قال ابن كثير[9] : و عن مالك عن زيد بن أسلم : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا شهد قتالا[10] قال " رب احكم بالحق ". [و فى الآية أعظم حث على لزوم الإنسان بالحق ليتأهل لهذه الدعوة -[7]] .

و لما كان التقدير : فربنا المنتقم الجبار له أن يفعل ما يشاء و هو قادر على ما توعدون ، عطف عليه [قوله -[7]] : ﴿ و ربنا ﴾ أى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حيث (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل . الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : متعلق (٥ - ٥) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعلق - كذا . (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) راجع تفسيره ٣/٢٠٣ . (١٠) فى التفسير : غزاة .

المحسن

المحسن إلينا أجمعين؛ ثم وصفه بقوله: ﴿ الرحمن ﴾ أي العام الرحمة لنا و لكم بادرار النعم علينا، و لو لا عموم رحمته لأهلكنا أجمعين و إن كنا نحن أطعناه، لأنا لا نقدره حق قدره "و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة" و الحاصل أنه لما سأل "الحق" المراد به الهلاك للعدو و النجاة للولي. أفرد الإضافة إشارة إلى تخصيصه ٥ بالفضل، و إفرادهم بالعدل، و لما سأل العون عم بالإضافة و الصفة فنوعا بترجيح جانبه بالعون و إن شملتهم الرحمة، [و لأن من رحمتهم خليتهم عما هم /٥٣٨ عليه من الشر[1]] فقال: ﴿ المستعان ﴾ أي المطلوب منه العون و هو خبر المبتدأ الموصوف ﴿على ما تصفون ٥﴾ مما هو ناشئ عن غفلتكم الناشئة عن إعراضكم عن هذا الذكر من الاستهزاء و القذف بالسحر و غيره، ١٠ و المناصبة[2] بالعداوة و التوعد[3] بكل شر[4]، فقد انطبق آخر السورة على أولها بذكر الساعة ردا على قوله "اقترب للناس حسابهم" و ذكر غفلتهم و إعراضهم و ذكر القرآن الذي هو البلاغ، و ذكر الرسالة بالرحمة لمن نسبوه إلى السحر و غيره، و تفصيل ما استعجلوا به من آيات الأولين و غير ذلك، و قام الدليل بالسمع بعد العقل على تحقق أمر ١٥ الساعة بأنه سبحانه لا شريك له يمنعه من ذلك، و أنه يعلم السر و أخفى، و هو رحمن، فمن رحمته إيجاد يوم الدين ليجازي فيه المحسن باحسانه،

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: الناصبة (٣) من ظ و مد، و في الأصل: المتوعد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: شيء.

و المسيء بكفرانه ، و فى ذلك أعظم ترهيب[1] فى أعلى حاث على التقوى للنجاة فى ذلك اليوم ، و هو أول[2] التى تليها - و الله الموفق.

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترهب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازل .

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء الثاني عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى، يوم السبت ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ = ١٨ شباط سنة ١٩٧٨ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده و ضاعف له أجوره.

و قد تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس)، و ساعده على المقابلة وقت الطبع مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء الثالث عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الحج.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤول لحسن الخاتمة. و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية